SELIM MATAR

سليم مطر

تاريخ العراق
الأرض والشعب والدولة

جديد وشامل وموجز

من العصر الحجري حتى العصر الحديث



تاريخ العراق
الأرض والشعب والدولة

تاريخ العراق.. الأرض والشعب والدولة / سياسة
سليم مطر / مؤلف من العراق
الطبعة الأولى، 2021



المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي:
المصيطبة – شارع ميشال أبي شهلا – متفرع من جسر سليم سلام
مفرق الجامعة اللبنانية الدولية LIU – بناية النجوم – مقابل أبراج بيروت
ص.ب.: 11/5460 الرمز البريدي 1107-2190
تلفاكس: 00961 1 707892 – 00961 1 707891
بـيـروت – لبـنـان
E-mail: mkpublishing@terra.net.lb
موقع الدار الألكترونيّ: www.airpbooks.com

التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
ص. ب.9157، عمّان، 11191 الأردنّ،
هاتف: 00962 6 5605432، هاتفاكس: 00962 6 4631229
E-mail : info@airpbooks.com

فكرة الغلاف والصور: **سليم مطر**
التصميم الداخلي: **سارة البرازي**
التنفيذ الطباعيّ : **ديمو برس** / بيروت، لبنان

رقم الناشر الدولي: ISBN: 978-614-486-238-4



سليم مطر

تاريخ العراق
الأرض والشعب والدولة

جديــد وشامـــل وموجـــز
من العصر الحجري حتى العصر الحديث



إنَ وظيفةَ (معرفةِ التاريخ) شبيهةٌ بوظيفةِ (معرفةِ النفس):
التقصَ عن خَبايا ومعانى الماضى والتاريخ الشخصى أو الجماعى،
من أجل تفهّمه والاستفادةِ منه لتفهّمِ الحاضرِ والسيرِ المعقولِ نحوَ المستقبل..
نتمنى أن يساهمَ كتابُنا في بلوغ هذه الغايةِ الوطنيةِ والإنسانيةِ..

* * *

هذا الكتاب قد اعتمد على كتابنا السابق: (العراق.. سبعة آلاف عام من الحياة)، من ناحية الاطار العام وعناوين المراحل، لكنه مختلف بالكثير من التعديلات والاضافات في المعلومات والأفكار والصور والخرائط التوضيحية. والأهم أنه قد اكتسب قيمة أكبر أكاديميا وعلميا لتضمينه مئات المصادر والهوامش التي توزعت على جميع صفحاته تقريبا.

المحتويـات

مقدمة منهجية وتعريفية
كتابة التاريخ والرؤية الجغرافية (البلادية)!

1 هوية العراق، الجغرافية والجينية

2 المرحلة النهرينية:(Mesopotamian)

3 المرحلة الآرامية ـ المسيحية

4 المرحلة العربية الإسلامية

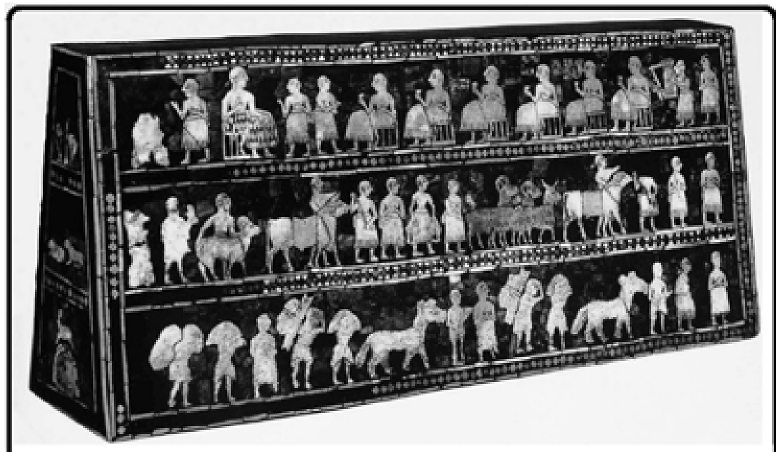
ملحق تعريفي: (الهوية البلادية) للشخصيات الفاعلة، وكشف أكذوبة (دور الفرس) في الحضارة العربية الإسلامية

5 مرحلة السبات العراقي (1258 ـ 1917)

6 المرحلة الحديثة وإحياء الهوية العراقية

الخاتمة: مشاكل العراق، وإحياء الهوية الوطنية!

مقدمة منهجية وتعريفية



الحضارة النهرينية:(السومرية الاكدية: بابل وآشور وعيلام) هي اول حضارة في تاريخ العراق. وقد شكلت مع الحضارتين المصرية والشامية الكنعانية:(الحضارة الشرقية المشتركة) التي هي اولى حضارات البشرية



المدرسة المستنصرية من رموز الحضـــارة العربيـــة الاسلاميـــة: الحقبة العباسية العراقية، وهي الحقبة الحضارية الكبرى الثانية التي صنعهـا اهل النهريـن: العراق

كتابة التاريخ والرؤية الجغرافية (البلادية)![1]

من المعلوم إن هنالك عدة مناهج أو نظريات لكتابة التاريخ، مرتبطة بتعدد الرؤى الفلسفية والدينية عن البشر وحياتهم، ومن أهمها:

1 ـ الرؤية الدينية والاسطورية، التي تعتبر (القوى السماوية والخفية) هي المحرك والمسؤول عن الوجود والنشاط البشري، بل عن الكون بأكمله. وهذه اولى وأقدم الرؤى المعروفة. وهنالك بعض الرؤى قد تكون مشابهة للسابقة بحدود معينة، حتى وان نطقت بالعلمية، مثل: (تأثير الكواكب وعلم التنجيم). وهو اعتقاد لا زال سائدا حتى الآن في العالم، وكثيرا ما يستخدمه منجمو اوربا في شرح اسباب الاحداث الكبرى.[2] كذلك يمكن اضافة: رؤية عالم النفس (يونغ:Carl Jung) عن: (التزامنية: Synchronicity) اي وجود علاقة بين (نفسية الانسان) وبعض الاحداث الطبيعية التي تظهر له!

2 ـ الرؤية الفضائية، التي ظهرت في العصر الحديث[3]، وتعتقد بدور مبعوثين من حضارة في كوكب قام بخلق أو تطوير خلقة البشر وعلّموا السومريين أسس

---

(1) ـ توضيح هام للقارئ الكريم: جهدنا أن ندعم معلومات وأفكار هذا الكتاب بالكم الكبير من البحوث والدراسات، العربية والاجنبية، والمدونة في الحواشي وفي نهاية كل فصل.
ولكن لتسهيل الامر على القارئ الراغب بالمزيد من التفاصيل عن المعلومات الواردة في كتابنا هذا، فإننا نقترح عليه البدء أولاً في البحث في (عالم الانترنت). إذ يتوجب الاخذ بنظر الاعتبار بأن العالم منذ سنوات يعيش في فضاء معرفي جديد وثوري هو (الانترنت). فالمعلومة التي كانت في السابق قد تأخذ أياماً من التفتيش في العشرات من المصادر والاتصالات والانتظارات، قد لا تستغرق الآن دقيقة واحدة. لهذا فإنها خاطئة تلك الفكرة التبسيطية السائدة خصوصاً في الجامعات، التي تستهين بمعلومات الانترنت، فهو بالحقيقة مثل أية مكتبة عملاقة، فيه المصادر الجادة الدقيقة وفيه أيضاً المصادر السطحية والمزيفة والمسروقة. وهنا تكمن قدرة الباحث وصبره في البحث والمقارنة والتدقيق للتمييز بين الجاد والسطحي. ثم الآن هنالك الكثير من الكتب التراثية والحديثة منشورة نصاً في الانترنت ويمكن مطالعتها بسهولة.

(2) ـ علم التنجيم قد تأسس في بابل ثم في مصر والصين والهند واليونان. ولازال بعض الناس في أوروبا ينسبون بعض أشكال الجنون إلى القمر، ومنه جاءت كلمة(lunatic) المشتقة من(Luna) التي تشير إلى «المجذوب» أو المجنون المتقلب المزاج.
ـ عن اعتقاد الاوربيين بالتنجيم: مثلا الربط بين اندلاع الثورة الفرنسية وتاثير بعض الكوكب. طالع كتاب: الثورة الفرنسية وتفسيرها بعلم التنجيم:
ـ La Revolution Francaise Expliquee Par L'astrologie ـ Aime Jacqueline

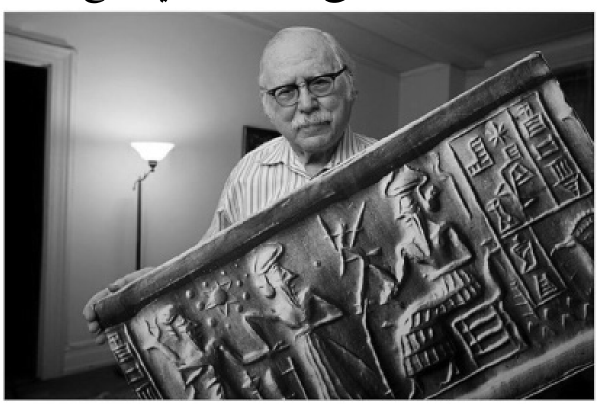
(3) ـ عن دور أهل الفضاء، هناك الباحث الامريكي من أصل روسي: (زكريا ستشن: Zecharia Sitchin) أول من تحدث عن هذا، وأصدر العديد من الكتب التاريخية العالمية التي يكشف فيها عن الشواهد التي توضح علاقة السومريين بأهل الفضاء. لمزيد من المعلومات ابحث عن اسمه وكتبه.

الحضارة. وهم الذين أطلق عليهم السومريون اسم (انوناكي: الهابطون من السماء). بل ان الجماعات المغالية من أصحاب هذه الرؤية يعتقدون بأن أهل الفضاء: (العصبة البابلية) لازالوا يتحكمون سراً بمجريات العالم وحركة التاريخ[4].

3 ـ الرؤية الواقعية والجغرافية، التي ظهرت بالتدريج مع المؤرخين الاغريق، ثم تطورت مع العرب وبالذات المؤرخ (ابن خلدون). ويمكن القول بأنها هي عكس السابقتين، اي بدلاً من دور السماء والفضاء، تعتقد بدور الارض: الجغرافيا والبيئة والثقافة والمصالح والقادة، وغيرها. ويمكن أن نضع ضمن هذا السياق (فكرة المؤامرة السرية) أي دور القوى الدولية في التأثير الخفي عن طريق العملاء والمرتشين، على أوضاع العالم.

4 ـ الرؤية الطبقية، التي ابتدعتها (الماركسية)، باعتبار صراع المصالح الاقتصادية (الطبقات) هو محرك «خفي»! للمجتمعات وللتاريخ. وتحدثت عن (حتمية تاريخية) لخمس مراحل تمر بها جميع المجتمعات.

وطبعاً هنالك رؤى وأساليب ومناهج عديدة، كما في جميع مجالات المعرفة.



العالم(زكريا ستشن) من مبتكري (نظرية الاصل الفضائي للحضارة النهرينية)، وقد الف 12 كتاباً بهذا الخصوص

(4) ـ من أشهر من تحدث عن (العصبة البابلية التي تقود العالم سراً) هو الباحث البريطاني (ديفيد آيك: David Icke)

ـ هنالك أيضاً (الحركة الراحيلية: Raëlism) هي طائفة مرتبطة بكائنات فضائية افتراضية. أسسها الصحفي الفرنسي (كلود فوريلون) في باريس، فرنسا عام 1974 ويدّعي إنه سفير الكوكب الذي صنع البشر والمسؤول عن مصيره. وهي أكبر وأشهر طائفة كائنات فضائية في العالم.

الرؤية الواقعية البلادية

إننا عموماً لا نميل الى الرفض الكامل لجميع هذه النظريات، لأننا فلسفياً نؤمن بأن الوجود الانساني والكوني لا زال مجهولاً، وأن جميع المعارف والمكتشفات حتى الآن لم تمس سوى جزء بسيط من الاسرار والالغاز. وهذا الغموض والجهل الكبير بأسرار الوجود، يترك أمامنا حيزاً كبيراً لمختلف الاحتمالات والنظريات والمكتشفات الجديدة والعجيبة. شئنا أم أبينا، باب الاحتمالات العقلانية واللاعقلانية، يبقى مفتوحاً.

لكننا مع ذلك، عملياً نعتمد في رؤيتنا للتاريخ على (المنهج الواقعي الجغرافي) لأنه الأكثر وضوحاً وإقناعاً حتى الآن، مع احتفاظنا الشخصي، بنسبة من الشك بإمكانية وجود تأثيرات ما من قوى السماء والطبقات وسكان الفضاء، وغيرها من العوامل المجهولة.

(الرؤية البلادية) وتطبيقها على تاريخ العراق؟

يمكن تعريف (المنهج البلادي)[5]: يسعى الى تصحيح التشويه الاكبر الذي لعب أخطر دور في تدمير (الهويات الوطنية للامم العربية) وعلاقتها بتواريخها. تلك الرؤية العنصرية العرقية المناقضة تماماً للعلم وللتاريخ، القائلة:

«إن تغير لغة وديانة الشعب في مرحلة ما، يعني بكل يقين تغيره البشري الأقوامي، وإحلال شعب جديد محله، يحمل هذه الديانة واللغة الجديدة»

(5) ـ نحن فضَّلنا استخدام تعبير (المنهج البلادي) بدلاً من (المنهج الوطني). هنالك خطأ سائد في استخدام كلمة (وطني) إذ يتم الخلط بين المعنى الجغرافي، مثل: (انتاج وطني) و(مؤسسة وطنية). مع المعنى السياسي العقائدي، مثل (فكر وطني)، و(حزب وطني). فلا نميز في قولنا: (حكومة وطنية)، هل لأنها (تمثل جغرافياً الوطن كله)، أم لأنها (ذات ميول سياسية وطنية)؟! (مثل الفرق بين مسلم واسلامي). (سنفصل هذه الاشكالية اللغوية في الفصل الاخير).
في اللغات الاوربية يتم التمييز بين المعنيين بإضافة لاحقة (ist/National). لهذا ارتأينا التمييز بين المعنيين، باستخدام كلمتين مختلفتين، باستلهام الاستخدام الذي كان سائداً في تراثنا العربي: (بلداني) بالمعنى الجغرافي، أي التبعية لبلد وأرض وبيئة. لكننا للتسهيل نقترح (بلاد: بلادي): (مؤسسة بلادية، الفريق البلادي). أما (وطني) فتبقى فقط للمعنى العقائدي السياسي (حزب وطني، فكرة وطنية).

تشويهات الرؤية القومية العنصرية للتاريخ!

إن أشنع تجليات هذه الرؤية السائدة نخبوياً وشعبياً بين العرب وباغضي العرب تتمثل بالخطاب المعروف التالي: (أنتم عرب بدو غزاة من الجزيرة العربية وليس لكم أية علاقة بتاريخ وحضارات الشعوب السالفة). إن أفظع تطبيقاتها هي(الصهيونية) التي بررت طرد الفلسطينيين من بلادهم ليعودوا الى (جزيرتهم العربية)، ويأتي محلهم اليهود الى (أرضهم الموعودة) حسب (التوراة) المكتوبة قبل 2600 عام! وأنكى من هذا ان (الفكرة القومية العروبية) دون قصد (ومن المحتمل بقصد!)، دعمت وبرَّرت هذا المنطق الصهيوني العنصري، بتأكيدها على (نقائنا العروبي) وأصلنا من الجزيرة العربية وأجدادنا قحطان وعدنان ويعرب!

هذا لا يعني أبداً، رفض (العرب والانتماء العربي)، بل رفض (الفهم القومي القبائلي) الذي خلق (القطع العنصري المفتعل) بين (الشعوب الناطقة بالعربية حاليا) (والشعوب الاصلية السابقة للفتح)، بينما هي نفس الشعوب وبنفس الامتداد التاريخي والثقافي المتواصل، رغم تغير الاسماء واللغات والاديان.

لهذا فإن (الرؤية البلادية) التي طبَّقناها في كتابنا هذا عن (تاريخ العراق)، جهدت خلال جميع الصفحات للتعبير عن الفكرة الجوهرية التالية:

إن (شعب العراق سليل سكان النهرين) مثل جميع شعوب الارض، قد تغيرت لغاته وأديانه وأسماؤه، لكنه باق هو نفسه، بدناً وروحاً في الارض والانهار والشمس والكواكب والنبات والاحياء والمناخ والغيوم والرياح، بل خصوصاً في الثقافة والعقيدة واللغة الفصحى واللهجات والتقاليد والتراث وميزات الشخصية العراقية. إن الانسان نبتة مرتبطة بالبيئة الخاصة بها، ومهما توالت الازمان وتغيرت الاسماء والتقنيات فإنها تبقى تتوارث جوهرها وهويتها الخاصة بها.

إن انتقال العراقيين من اللغات والاديان: (السومرية ـ الأكدية: البابلية ـ الآشورية)، إلى (الآرامية ـ السريانية والمسيحية)، وأخيراً مع الفتح العربي الاسلامي، حلّت (العربية والاسلام)، كل هذا لا يعني أبداً أن العراقيين السابقين قد ابيدوا وحل محلهم (العرب المسلمون)، بل كل ما في الأمر أنهم اعتنقوا الإسلام وتبنَّوا العربية وامتزجوا مع الأقلية المسيطرة من الفاتحين العرب المسلمين وحملوا ألقابهم وأسماءهم[6].

(6) ـ حسب الإحصائيات التي تمت بالاعتماد على ضرائب الإدارة الساسانية الحاكمة للعراق قبل الفتح، فإن عدد العراقيين يبلغ 9 مليون كلهم ناطقون بالسريانية الآرامية ومسيحيون نساطرة، بمن فيهم القبائل العربية، عدا 100 ألف يهودي. (سنفصل هذه النقطة *في الفصول القادمة*). المصدر: كتاب ((المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي ـ فارج وكرباج، ص44 ـ 45)).

وهذا أمر حصل في تاريخ جميع شعوب الأرض، فهنالك حالات نادرة جداً أدَّت إلى انقراض الشعب من قبل الفاتحين الجدد، مثل حالة انقراض غالبية الهنود الحمر في أمريكا الشمالية، بتأثير الأسلحة النارية والأمراض الجديدة الفتّاكة التي نقلها إليهم المستعمر الأوربي.

إذن (الرؤية البلادية) هي ببساطة:

رفض الاعتماد على (الاصل العرقي القومي اللغوي والديني) أي (الاصل العنصري ـ الجيني) لتفسير نشاطات الجماعات والافراد: هم فعلوا هكذا وهكذا، لأنهم آريون أو عرب، أو أفارقة.. الخ[7]

إنها رؤية مستمدة من (منهج الجغرافيا التاريخية: Historical Geography)، وتعتمد أساساً على (تأثير البيئة والجغرافيا، أي البلاد، في ثقافة وسلوك الشعوب والشخصيات، ورسم دورها في التاريخ..) فإن الشخصية أو الجماعة مهما يكن أصلها العرقي الجيني، لا يحدد عقليتها سلوكها هذا الاصل، بل المكان والزمان اللذان تولد وتنشأ وتنشط فيهما[8]. فالناس المهاجرون، قد يحافظون على الكثير من شخصياتهم الاصلية، لكن أبناءهم الذين عاشوا وتربوا في البلد الجديد سوف يفقدون الكثير

---

(7) ـ هذا الفهم العنصري قديم في ميراثات جميع الشعوب، لكنه أخذ طابعه (الشرعي والعلمي) في اوربا منذ القرن الثامن عشر، حيث تم التبرير الديني والحداثي لاستعباد الافارقة وإبادة الهنود الحمر، باعتبارهم أجناساً منحطة عن البشر. وقد ظهر علماء ومفكرون دافعوا وفلسفوا هذه العنصرية، أمثال الفرنسي: (Le comte de Buffon/1770)، وهو أول من استخدم كلمة (Ras) بمعنى (جنس) وأصلها من كلمة (رأس) العربية، أي التمييز حسب شكل الرأس، وذلك في كتابه التأسيسي (اختلافات النوع البشري: Variétés dans l'espèce hu-maine). في نفس الفترة ظهر الالماني (Johann Friedrich Blumenbach) الذي قام لأول مرة بتقسيم البشرية الى خمسة أجناس. ثم بلغت الثقافة العنصرية أوجها في القرن التاسع عشر مع ظهور فكرة (الرقي الطبيعي للعنصر الآري) وأنهم وحدهم صنّاع الحضارة. وقد طرحها الفرنسي (Arthur de Gobineau) وغيره في فرنسا والمانيا خصوصاً. وبلغت شدتها العنصرية مع الحركة النازية، و(اثنلوجيا Ethnology) قياس الرأس، وتبرير معاداة الناطقين باللغات السامية وخصوصاً اليهود. وقام الفرنسي (أرنست رينان Ernest Renan: 1823 ـ 1892) بفلسفة ترتيب البشرية الى أجناس حاكمة ومحكومة، وشدَّد على انحطاط الجنس السامي، كذلك معاداته للعرب والاسلام.

(8) ـ هنالك ما لايحصى من الامثلة الحالية والقديمة لجميع بلدان الارض، التي تكشف لنا دور (البيئة البلادية) وغَلَبَتها على الاصل العرقي: شعوب البلدان العربية، مهما اعتقدت بأصلها العرقي القومي المشترك، فإن اختلاف البيئات الجغرافية لبلدانها خلق شعوباً عربية مختلفة ومتميزة عن بعضها البعض. كذلك: اكراد العراق يختلفون بالكثير عن اكراد ايران وتركيا، رغم تقارب لغاتهم. كذلك تركمان العراق يختلفون الى حد بعيد عن تركمان تركيا أو تركمانستان رغم تشابههم بلغاتهم.

من صفات أهاليهم، ويكتسبون صفات الشعب الجديد. وكلما توالت الاجيال كلما أصبحوا مشابهين لمحيطهم، شكلاً وشخصية.

بالاعتماد على هذه (الرؤية البلادية)، فإن سردنا لتاريخ العراق يتميز بالخصوصيات التالية:

1 ـ تصحيح (التحقيب التوراتي) الذي اعتبر (السلالات النهرينية المختلفة Mesopotamian)[9] بأنها (شعوبٌ مختلفة): السومريون والأكديون والآموريون والآشوريون والكلدانيون.. بينما هي في الحقيقة (سلالات: عشائر) حاكمة تبَّنت نفس الثقافة السائدة (اللغة والدين): (اللغة السومرية ـ الأكدية[10]، مع عقيدة عبادة الخصب والنجوم). ويمكن تشبيهها بحال: (الأمويين والعباسيين والفاطميين.. إلخ) الذين ما كانوا شعوباً، بل سلالات حاكمة اشتركت بنفس الثقافة السائدة: العربية والإسلام..

(9) ـ بالنسبة لتسمية (نهرين ونهريني) ومن باب التبسيط واستخدامه كـ (اسم علم ثابت) دون ضرورة لاعرابه، نقترح استخدامه دائماً بصيغة (المثنى المنصوب) فلا نقول: نهران ونهراني، بل دائماً: نهرين ونهريني.

(10) ـ نحن مع البحوث التي تقول بالأصول المشتركة بين اللغتين الأكدية والسومرية. ونميل الى طروحات الباحث (نائل حنون) بأن (السومرية) لغة دينية اصطنعها رجال الدين الاكديون، وليس هنالك أي وجود لـ (شعب سومري)، وأن المؤرخ (صموئيل كريمر) قد أضاف اسمهم منه عند ترجمة النصوص السومرية. طالع كتاب:

ـ حقيقة السومريين: نائل حنون: دار الزمان: دمشق

مما يدعم مثل هذا أن (اللغة السومرية) بقيت لغة دينية مقدسة بجانب (اللغة الأكدية) الثقافية والرسمية، طيلة ثلاثة آلاف عام في جميع أنحاء العراق (نينوى وبابل) ومن قبل جميع السلالات التي حكمت، حتى نهاية بابل في القرن السادس، وبدء حلول اللغة الآرامية.

في كل الأحوال الجدال لا زال مستمراً عن العلاقة بين السومريين والأكديين، وخصوصاً أن البحوث الجينية الأخيرة قد أثبتت أن السومريين في جنوب العراق والعيلاميين في الأحواز، هم من نفس الأصل المشترك ومن الجينة السامية (J1).

عن العلاقة بين اللغتين السومرية والسامية، طالع:

ـ ما قبل اللغة.. الجذور السومرية للغة العربية واللغات الأفروآسيوية: عبد المنعم المحجوب.

ـ معجم الحضارات السامية ـ هنري س. عبودي.

ـ الكتابة المسمارية وإبلا ـ د. عدنان البني.

عن الأصل الجيني السامي للسومريين، طالع البحث الجيني العالمي، والمنشور في الإنترنت بعدة لغات، بعنوان:

ـ بحث عن الآثار الجينية للسومريين: دراسة مسحية لمستوى التباين في الكروموسوم واي Y والحمض النووي الميتوكندري

mtDNA

ـ Share Download full ـ text PDF

In search of the genetic footprints of Sumerians: A survey of Y ـ chromosome and mtDNA variation in the Marsh Arabs of Iraq

2 ـ تصحيح (التحقيب السياسي) الذي قَسَّمَ تاريخ العراق القديم الى (مراحل وشعوب وحضارات مختلفة)، حسب (أسماء الدول الحاكمة): سومرية، أكدية، آشورية، بابلية، كلدانية.. يونانية.. فارسية ساسانية.. أموية.. عباسية.. إلخ.. أما تحقيبنا فهو: (التحقيب الثقافي الاجتماعي) الذي يعتمد على: (نوعية الثقافة السائدة في المجتمع نفسه: اللغة والدين)، فاعتبرنا تاريخ العراق النهريني، القديم، (مرحلة ثقافية اجتماعية واحدة) رغم اختلاف الدول والسلالات الحاكمة، لأن المجتمع ظل طيلة ثلاثة آلاف عام، يتكلم بنفس اللغة (السومرية / الاكدية: بلهجتين آشورية شمالية، وبابلية جنوبية) مع نفس العقيدة الدينية: (عبادة النجوم ورموز الخصب)، وأطلقنا عليها: (المرحلة النهرينية: Mesopotamian: السومرية الأكدية)، ثم تعقبها: المرحلة الآرامية المسيحية / العربية الاسلامية... إلخ...

3 ـ تصحيح (التشويه القومي والديني) الذي يصر على تعريب العراقيين القدماء واعتبارهم مهاجرين من الجزيرة العربية. فنحن مع الفرضية التاريخية التي تقول: إن العراق هو الموطن الأصلي للناطقين بالسومرية والاكدية (الذين امتزجت فيهم مختلف الجماعات القادمة من البلدان المحيطة). كذلك إن العراق (مع منطقة الشام) موطن الشعوب الناطقة بالسامية وليست الجزيرة العربية[11].

واعتبرنا خصوصاً أن الشعوب الحالية الناطقة بالعربية، ومنهم الشعب العراقي، هم ديمومة طبيعية (قومياً وبدنياً) للشعوب السابقة للاسلام والتعريب. على هذا الاساس فإن (تاريخ العرب) يجب أن لا يعني فقط (عرب الجزيرة العربية) بل هو تاريخ (جميع البلدان الناطقة بالعربية) منذ فجر التاريخ.

4 ـ تصحيح التشويه (القومي ـ السرياني المسيحي) السائد بين بعض (التنظيمات القومية الآشورية) الذين يعتبرون أنفسهم هم وحدهم سكان العراق الأصليين، وأن العرب المسلمين (غزاة أجانب)! قدموا مع الفتح العربي الإسلامي. وضحنا أن المسلمين هم أيضاً سكان العراق الأصليون الذين اعتنقوا الإسلام واستعربوا بعد الفتح.

5 ـ تصحيح التشويه (العروبي) الذي يتجاهل أدوار الجماعات العراقية غير العربية

(11) ـ راجع كتابنا (موسوعة اللغات العراقية) ملف اللغة العربية.

(أكراد وتركمان وسريان، وغيرهم) في صنع التاريخ العراقي. إذ جهدنا قدر المستطاع من أجل ذكر أدوار وتواريخ هذه الجماعات ومساهماتها في صنع التاريخ العراقي الوطني المشترك.

6 ـ تصحيح التشويه (القومي الكردوي) الذي يصر على (تكريد) تاريخ شمال العراق، وفرض تفسير ساذج عن كردية[12] (ميزوبوتاميا والسومريين والآشوريين، وكلكامش، والنبي إبراهيم.. ووو إلخ). ووضحنا أن سكان المناطق الكردية الحالية وأسلاف أكراد العراق أنفسهم قد ساهموا في صنع التاريخ العراقي، وعرفنا منهم الجماعات المنحدرة من الجبال المطلة على العراق، مثل: الغوتيين والكيشيين[13]... الذين سرعان ما اندمجوا بباقي العراقيين.. وأن (موجة القبائل ألآرية) التي سيطرت على أكراد العراق، هي التي حولت لغتهم الى (آرية). وأن دماء غالبية العراقيين بمن فيهم العرب وقبلهم الآراميون والأكديون والسومريون تحمل الكثير من الدماء الكردية. وقد أثبتت البحوث الجينية اشتراك غالبية العرب والاكراد بالجينة السامية والشرق الاوسطية (j1) و (j2).[14]

7 ـ تصحيح التشويه (الطائفي السني ـ القومي) الذي باسم (النقاء القومي العروبي وفضح الشعوبية والتفريس) يصر على عزل و(تفريس) الجزء الأعظم من التاريخ العباسي العراقي. ووضحنا كيف أن الغالبية الساحقة من المبدعين والإبداعات التي احتسبت على (الفرس) كانت عراقية صميمة[15].

---

(12) ـ تسمية (كرد) أشاعها السومريون والآشوريون (كاردو/ كاردا) لسكان أعالي دجلة المجاورين لنينوى، طالع:

ـ Reynolds, G. S. (October–December 2004). «A Reflection on Two Qurʾānic Words (Iblīs and Jūdī), with Attention to the Theories of A. Mingana». Journal of the American Oriental Society. 124 (4): 683, 684, 687

(13) ـ (الغوتيون) سيطروا على بلاد النهرين بعد عام 2215 ق. م، لحوالي القرن. وتبنّوا نفس الحضارة واللغة والدين وبعد أن فقدوا السلطة بمجيء السلالة السومرية، اندمجو مع السكان. أما (الكاشيون) القادمون أيضاً من الجبال المجاورة، فقد كونوا سلاله بابلية دامت حوالي خمسة قرون (1157 - 1680 ق م).

(14) ـ عن جينات العراقيين، طالع دراستنا المفصلة المنشورة:
مكتشفات جينـات الشعـوب، ونهايــة أوهــام النقــاء القومــي العرقــي/سليم مطر
كذلك كتابنا (موسوعة اللغات العراقية) ملف اللغات الكردية.

(15) ـ راجع كتابنا (الذات الجريحة) الفصل الثاني.

8 ـ تصحيح التشويه (الطائفي الشيعي) الذي باسم (مظالم أهل البيت) يصّر على اختصار التاريخ الحضاري العباسي العراقي (وكذلك الأموي) إلى مجموعة مذابح ومظالم ضد الأئمة الكرام. ووضحنا أن الشيعة أنفسهم لعبوا أدواراً حاسمة في الإبداع الحضاري العراقي والإسلامي خلال القرون الستة من الحضارة العربية ـ الإسلامية.

نعم إننا جهدنا من أجل تقديم تاريخ العراق برؤية (بلادية وطنية إنسانية) تحترم الأرض والبيئة وتعترف بدور الإنسان العراقي مهما كانت ديانته ولغته وأصوله.





دائماً وبشكل مكرر نسمع من يعترض على وصف (حضارة النهرين) بـ (الحضارة العراقية)، بحجة أن اسم (العراق) شاع في الحقبة العربية الإسلامية!

جوابنا هو التالي: جميع بلدان الأرض قد تغيرت أسماؤها، مثل لغاتها وأديانها؛ فمثلاً عندما نتكلم عن (تاريخ وحضارة الصين)، فإن الصين عبر التاريخ، لم يكن هذا اسمها، بل شاعت عنها عدة أسماء. حتى الآن الصينيون يطلقون على أنفسهم هذا الاسم (**Zhōnghuá** ـ المركز الوسطي)، كذلك (اليونان) فإنها تسمي نفسها (أغريقيا: **Greece**) مع اسمها الرسمي (الجمهورية الهيلينية: **Hellenic Republic**). كذلك (ألمانيا) تعرف

بـ (بلاد دويشه **Deutschland**)، بينما في إسكندنافيا يسمونها **Tyskland**، وفي فرنسا ألماني **Allemagne**، وفي بولندا نيمسكي **Niemcy**، في لخنشتاين **Vokietija**، وفي العربية تسمى ألمانيا، وفي إنكلترا (جيرماني **Germany**).

كذلك (مصر)، حملت أسماء عديدة، منها (حت ـ كا ـ بتاح) الذي حوله اليونان إلى (إيجبتوس) وحالياً يطلق عليها الأوربيون رسمياً تسمية: (**Egypt**)، ومنه اسم (القبط). وإن اسم (مصر) أطلقه الساميون ومعهم العرب بمعنى (الموطن).

أما اسم (العراق) فقد شاع في نفس الفترة التي شاع فيها اسم (مصر). ويعتقد أنه تحوير لاسم أقدم مدينة سومرية (أوروك ـ أرض قاع) أي (الموطن). (لاحظ تشابه المعنى مع مصر)!!

نفس الحال جميع بلدان الأرض، على مر التاريخ، قد تغيرت أسماؤها ولغاتها وأديانها. ومن باب السهولة مال المؤرخون عموماً إلى إطلاق اسم الوطن الحالي على التواريخ والحضارات السالفة.

لماذا (وحده العراق)، يجب أن نرفض اسمه؟!

الأكثر قسوة وغرابة، إنه حتى (الحضارة العربية الإسلامية) وبالذات (العباسية) التي كان مركزها (العراق) وعاصمتها (بغداد) وحواضرها (الكوفة والبصرة وسامراء والموصل)، ورغم أن اسم (العراق) كان شائعاً بصورة شعبية ورسمية، فإن المؤرخين المعاصرين وخصوصاً العراقيين منهم، ولسبب مجهول، قد قرروا أن لا يطلقوا لقب (عراقي) على (الشخصيات العراقية) المولد والنشأة والنشاط والوفاة، بل يطلقوا عليهم ألقابهم الدينية أو القبائلية أو المحلية: (خزاعي)، (عربي)، (مسلم)، (مولى)، (صابئي)، (مسيحي)، (يهودي)... إلخ!؟ وفي احسن الاحوال يقولون: (عباسي)! فلا تعرف أبداً إنه عراقي الموطن والنشأة والوفاة..

بينما ترى المؤرخين (ومعهم الاعلاميون طبعاً) بكل سهولة وخفة مذهلة يطلقون صفة (فارسي) على أية شخصية (مشكوك بعروبتها) أو قادمة من: ايران وافغانستان وتركستان، مهما كان أصلها ولغتها الام!

تراهم بكل سهولة يذكرون البلدان الأخرى:

فلان (فارسي إيراني)، وفلان (أندلسي) أو (مصري) أو (شامي) أو (حجازي) أو (يماني)!!!

لهذا جهدنا لتجاوز ذلك التردد غير العلمي السائد عند الباحثين والمؤرخين

العراقيين (وفي العالم) بخصوص استخدام اسم (العراق) وصفة (عراقي) على جميع مراحل تاريخه. فالغريب أن باحثينا يطلقون هذه التسمية فقط على المرحلة المعاصرة! ويعتمدون التشتت بإطلاق تسميات أقوامية أو دينية أو مناطقية (آشوري، يهودي، بابلي، عربي) دون أية إشارة إلى عراقية الموضوع أو الشخصية. نحن بكل بساطة احتذينا بالأسلوب المتبع في غالبية بلدان العالم، وقمنا، حسب سياق الموضوع باستخدام تسميتي: (العراق). وفي المرحلة القديمة نستخدم أيضاً: (النهرين، والنهريني)[16]

وسبق لنا ان اقترحنا أن يتم تبني الطريقة المصرية: بالعربي (مصر)، وفي الاجنبي (إيجبت ـ Egypt). كذلك: (العراق) بالعربي، وفي الاجنبي (ميزوبوتاميا ـ Mesopotamia)[17].

مراحل تاريخ العراق

لكي يتمكن القارئ من أن يأخذ نظرة أولية عن تاريخ الانسان العراقي، هذه قائمة تذكيرية بالمراحل الموضحة في الفصول القادمة:

1 ـ مرحلة ما قبل الحضارة: ظهور انسان نياندرتال قبل حوالي 100 الف عام (في شمال العراق)، ثم الانسان العاقل قبل حوالي 50 الف عام في جميع أنحاء العراق. حتى ظهور معالم الكتابة والحضارة حوالي 3000 ق. م

2 ـ مرحلة الحضارة النهرينية (السومرية ـ الأكدية)، وتبدأ حوالي 3000 ق. م في جنوب العراق، مع ظهور اولى النقوش الرمزية التعبيرية ثم المسمارية على ألواح الطين.

3 ـ المرحلة الآرامية المسيحية: بدأت في القرن الثامن ق.م، مع انتشار لغة شبه جديدة هي (الآرامية) في العراق والشام. وترسخت أكثر عندما أصبحت لغة المسيحية منذ عهد السيد المسيح والكتب المقدسة واتخذت تسمية دينية: (السريانية). وانتهت سيطرتها مع الفتح العربي الاسلامي في القرن السابع م.

---

(16) ـ نذكر بالنسبة لتسمية (نهرين ونهريني) بأننا ومن باب التبسيط واستخدامه كـ (اسم علم ثابت) دون ضرورة لاعرابه، نقترح استخدامه دائماً بصيغة (المثنى المنصوب) فلا نقول: نهران ونهراني، بل دائماً: نهرين ونهريني.

(17) ـ لهذا فإن مجلتنا التي صدرت في بغداد (2004 ـ 2014) حملت اسم (ميزوبوتاميا ـ بلاد النهرين)

4 ـ مرحلة الحضارة العربية الإسلامية (منذ القرن السابع م حتى عام 1258 واجتياح المغول): الراشدية، الاموية، العباسية

5 ـ المرحلة الآسيوية (1258 ـ 1917): (المغولية ـ التركمانية ـ الايرانية ـ العثمانية)

6 ـ المرحلة الحديثة: الملكية (1921ـ 1958) والجمهورية (1958 ـ 2003)

7ـ المرحلة ما بعد الحديثة (2003) منذ الاحتلال الامريكي؟

الإنجازات والميزات الحضارية الكبرى



نصب(الملك آشور بانيبال) في جامعة سان فرانسسكو، باعتباره اول مؤسس للمكتبات. هو يحمل (الكتاب) رمز الثقافة، و(النمر) رمز القوة

نعم العراق موطن العنف والخراب، لكنه خصوصاً موطن الحضارة والجمال!

صحيح أن تاريخ العراق فيه الكثير من العنف والخراب، بسبب سهوله الخصبة ونهريه الوفيرين وموقعه الجغرافي وإحاطته ببلدان جبلية وصحراوية، مما جعله عرضة دائمة للاجتياحات والاحتلالات وعمليات التخريب بالإضافة إلى غدر النهرين والفيضانات المدمرة. لكن هذه العوامل أيضاً جعلته موطناً لأولى وأغنى الحضارات الإنسانية حيث الخصب الروحي، والإبداع الجمالي والعلمي. وهو أكثر بلدان الأرض في احتوائه على عواصم ومدن حضارية خالدة، قدَّمت للبشرية أعظم الإنجازات: أور وبابل ونينوى والمدائن والكوفة والبصرة وبغداد..

ـ إن العراق مع الشام ومصر، أولى بلدان المعمورة التي نشأت فيها أولى معالم التمدن والحضارة[18] قبل اثني عشر ألف سنة حيث بدأوا بتشييد السدود وأنظمة الري

(18) ـ إن (إنسان نياندرتال) قد تواجد في العصر الحجري القديم في عدد من الكهوف الجبلية في شمالي العراق قرب نهر الزاب، قبل حوالي 60 ألف عام. تلاه آثار (الإنسان العاقل) قبل 10 آلاف سنة. وإلى هذه الحقبة تعود =

والمدن. ومن أشهر أعجوبات العراق المعمارية: الزقورات والجنائن المعلقة وبرج بابل [19].

ـ هو، حسب التوراة، موطن البشرية وفيه جنة عدن، بعد خراب (برج بابل) تفرعت الشعوب و (تبلبلت) اللغات. وفي (أور) ولد ونشأ النبي إبراهيم أبو اليهود والسريان والعرب.

ـ اخترعت فيه قبل خمسة آلاف عام الكتابة (المسمارية) التي هي أول كتابة في تاريخ البشرية، وسبقت الكتابة المصرية (الهيروغليفية) ببضعة قرون.

ـ فيه اكتشفت وسائل حساب الزمن وأسست الرياضيات المعاصرة، وفيما بعد درس (فيثاغورس) اليوناني في بابل ومصر، وأنشأ نظريته وفلسفته الحسابية الرمزية.

ـ فيه نشأت أولى الشرائع المكتوبة والتي تحمي الضعيف والأرملة واليتيم والعبد، وبلغت الذروة في (شريعة حمورابي).

ـ فيه كتبت أولى وأعظم ما عرفه العالم من شعر وتاريخ وملاحم، وتعتبر (ملحمة كلكامش) من أولى وأرقى هذه الملاحم الدينية والإنسانية.

ـ فيه أسس علم الفلك، وإن ما يسمى بـ (علم الأبراج) هو بالحقيقة دين العراقيين القائم على تقديس الكواكب وأبراجها الاثني عشر. ومن أرض النهرين أتى الملوك (الأمراء) الثلاثة الذين تابعوا النجمة التي هدتهم إلى بيت لحم، حيث ولد السيد المسيح.

ـ في بابل كتب اليهود توراتهم وتلمودهم، قبل الميلاد ببضعة قرون، ومن تراث

= أقدم القرى مثل: كريم شهر (في منطقة السليمانية)، ملفعات (على نهر الخازر)، كردي جاي (على نهر الزاب الأعلى)، نمريك (إلى الشمال من الموصل).

(19) ـ لدينا دراسة قيد الإعداد حول هذه الأطروحة الجديدة: (الحضارة الشرقية المشتركة: العراق ومصر وسوريا)، التي شكلت فيما بعد الأساس السكاني والميراثي لانبثاق الحضارة العربية الإسلامية. إن هذه الحضارات الشرقية المشتركة الثلاث، تتشابه في: أنها بلدان متجاورة، حيث تشكل سوريا الرابط الجغرافي بين مصر والعراق. فقد ظهرت وأبدعت في نفس الحقبة التي امتدت من الألف الثالث ق.م. ثم إنها انتهت أيضاً في نفس الحقبة، أي في القرون الأخيرة ق.م. بسبب اجتياحات جيوش القبائل الآرية التي كونت دولاً قوية: إيرانية ثم يونانية، ثم رومانية. إذن يصح اعتبار هذه الحضارات الثلاث مشتركاً حضارياً واحداً، وتستحق التسمية بـ (الحضارة الشرقية) تماماً كما نطلق حالياً تسمية (الحضارة الغربية الواحدة) رغم تعدد بلدانها: أوربا الغربية وأمريكا.

العراق الديني استلهموا دينهم وحكاياتهم. وفيه مراقد غالبية أنبياء اليهود، مثل: يونس ودانيال وعزرا وحنين ويوشع[20].

ـ إنه من أول البلدان (مع الشام ومصر) الذي انتشرت فيه المسيحية، بالاضافة الى الثقافة السريانية (الآرامية) منذ القرن الأول م. وأصبحت مدينة (المدائن ـ جنوب بغداد) مركزاً لكنيسة وطنية وعالمية أنشأت لها فروعاً في الجزيرة العربية وعموم آسيا.

ـ فيه نشأت واحدة من أهم الديانات العالمية: (الديانة المانوية) على يد النبي (ماني البابلي ـ القرن الرابع م)، وأصبحت أيضاً (المدائن) عاصمة للكنيسة المانوية العالمية التي امتدت فروعها إلى الصين جنوباً وبلاد الغال (فرنسا) شمالاً.[21]

ـ فيه نشأت واستمرت حتى الآن الديانة (الصابئية ـ المندائية) وهي من الديانات (السماوية) التي ذكرها القرآن الكريم.

ـ إنه يكاد أن يكون البلد الوحيد في العالم (مع مصر) الذي احتوى هذا الكم من العواصم الإمبراطورية والحضارية العالمية: أكد وبابل ونينوى، ثم سلوقيا والمدائن، ثم بغداد وسامراء.

ـ في العراق أصبحت (بغداد) وابتداءاً من القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر عاصمة أكبر إمبراطورية عالمية (الدولة العباسية)، وموطناً لأزهى حضارة عربية إسلامية وإنسانية، وفيها ازدهت (حضارة بابل) من جديد. أُنشِئَت فيها أولى الجامعات وبرز علماء ومبدعون كبار في الطب والرياضيات والفلسفة والفقه والنثر والشعر. بحيث يصح القول إن أكثر من نصف مبدعي الحضارة العربية ـ الإسلامية وأعلامها، هم من العراقيين أو من الذين نشأوا وتعلموا وأبدعوا في العراق: بغداد والكوفة والبصرة.

ـ فيه تطور الدين الإسلامي واتخذ أبعاده الإبداعية والتطبيقية، حيث نشأت غالبية

(20) ـ هنالك شبه اتفاق بين علماء تاريخ التوراة على أنها دونت في بابل اثناء السبي. طالع مثلا كتاب:
ـ بابل والتوراة ـ الاب سهيل قاشا.
كذلك رسميا لدى اليهود كتابا تلمود: (الفلسطيني)، و(البابلي) الذي هو الاكبر.

(21) ـ عن المانوية، سنوضحها في الفصل الثاني، ويمكن أيضاً مطالعة دراستنا المفصلة المنشورة:
المانوية البابلية.. أساس التصوف العراقي / سليم مطر

المذاهب الفقهية وتيارات التصوف في الإسلام، مثل: التشيع الجعفري والمذهب الحنفي والحنبلي والمعتزلة وإخوان الصفا والإسماعيلية والإباضية والعلوية والقادرية والرفاعية.. وغيرها الكثير.

ـ في بغداد تم إبداع أجمل وأغنى ملحمة قصصية خالدة، ألا وهي (حكايات ألف ليلة وليلة) التي جمعت فيها خلاصة التراث الحكائي لشعوب الحضارة العربية الاسلامية، من الهند ومروراً بإيران ثم مصر حتى بلدان المغرب.[22]

ـ فيه الكثير من العتبات الدينية الإسلامية المهمة جداً؛ سنية وشيعية: مدينة (النجف) المقدسة (المجاورة لبابل القديمة) وهي العاصمة الدينية لجميع شيعة العالم، بالإضافة إلى غالبية العتبات والمراقد الدينية الشيعية مثل كربلاء وسامراء والكاظمية. كذلك فيه مراقد الكثير من أئمة التصوف والمذاهب السنية، مثل الإمام الأعظم (أبي حنيفة) والإمام (ابن حنبل) والشيخ (عبد القادر الكيلاني) و(الشيخ الرفاعي) و(الشيخ السهروردي).

ـ هو من البلدان القليلة التي تحتوي على هذا التنوع في الطوائف الدينية المتميزة والخاصة، مثل الكاكائية واليزيدية.

ـ بسبب هذا الموقع المركزي والاستقبالي، أصبح العراق من البلدان القليلة في العالم التي تحتوي على هذا التنوع القومي: (عرب وأكراد وتركمان وسريان..)، والديني (مسلمون مع مسيح وصابئة ويزيدية)، والمذهبي (سنة وشيعة).

نعم يصح القول ودون أية مبالغة: إن تاريخ العراق ومنجزاته الحضارية والسياسية تعادل بل تتجاوز في كميتها ونوعيتها عدة بلدان حضارية كبرى مجتمعة.

---

(22) ـ أفضل كتاب صدر عن (عراقية الف ليلة):
ـ ألف ليلة وليلة.. كتاب عراقي أصيل / سامي مهدي
ويدرس فيه الباحث بشكل واسع ودقيق تاريخ هذه الحكاية ليستخلص: إنه ليس كما شاع عنه في الأوساط الثقافية، العربية منها والأجنبية، أنه مترجم عن أصل فارسي يدعى «هزار أفسانة» أو «هزار أفسان»، ومعناها «ألف خرافة»، بل هو نتاج بيئة عربية إسلامية عباسية، بل عراقية الاصل تنتمي إلى أواخر القرن الثالث الهجري.

1

هوية العراق، الجغرافية والجينية



ان مفهوم:(الشرق الاوسط) بمعناه الواسع، يشمل: العالم العربي وتركيا وايران وافغانستان والقوقاز، لكن معناه المحدد يشمل فقط البلدان المؤشرة



طيلة التاريخ وحتى الآن، ظل (العراق ـ النهرين)، يعاني من الاضطراب الثقافي والسياسي ، للموائمة بين الجناح الجبلي:(الايراني ـ الاناضولي) الذي لا يكف عن اجتياحه واحتلاله، والجناح السهولي:(الشامي ـ المصري ـ الجزيري) الذي يشاركه بالهوية الثقافية واللغوية.

الهوية الجغرافية: البيئة والموقع

إن اختلاف الأدوار الحضارية بين أوطان العالم، مرتبط باختلاف الظروف الجغرافية والطبيعية التي تميز كلاً منها. ان (معرفة) تاريخ أي بلد أو إقليم، لا يتم دون معرفة (جغرافيته الداخلية: البيئة) و (جغرافيته الخارجية: الموقع)[23].

فالغالبية الساحقة من بلدان المعمورة، وخصوصاً البلدان القديمة العريقة، مثل بلادنا العراق، قد رسمت حدودها طبيعة البيئة والتضاريس الجغرافية التي تتكون منها[24]. ليس بالصدفة قد أطلق عليه (بلاد النهرين: MESOPOTAMIA)، لأن وجوده ككيان تشكل منذ الأزل حول النهرين الخالدين: (دجلة والفرات)[25].

ومثل كل بلدان العالم، لا يمكن فصل (البيئة الداخلية) عن (المحيط الاقليمي). بالنسبة للعراق هنالك نوعان من الثنائيات، في داخله وفي محيطه: من الداخل هنالك ثنائية: (نهري دجلة والفرات).. ومن المحيط الاقليمي، هنالك ثنائية: من الشرق والشمال (الهضاب الجبلية الايرانية والاناضولية)، ومن الغرب والجنوب (بادية الشام والجزيرة العربية).

إن هذه الثنائية التناقضية الحادة[26]، بين خصب وسهلية أرضه وقسوة الهضاب والجبال والبوادي المحيطة، هي التي دفعت سكانه وفرضت عليهم الكفاح والإبداع من أجل السيطرة على النهرين وتنظيم الري، وبناء السدود للسيطرة على الفيضانات

(23) ـ ابحث عن: الجغرافية التاريخية: Historical Geography

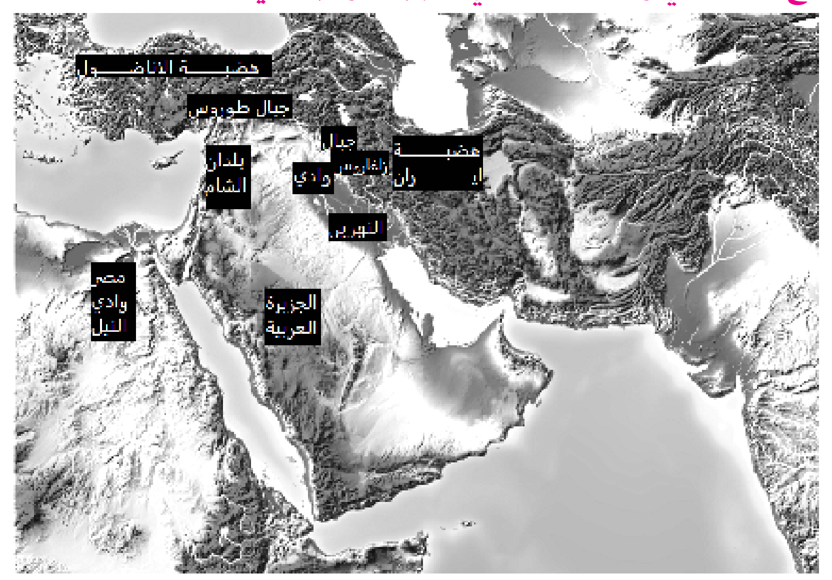
(24) ـ مثال مهم عن التأثير الحاسم للبيئة في صنع تاريخ الشعوب، هنالك التساؤل المعروف:
لماذا لم تظهر الدول والحضارات في قارة افريقيا السوداء (جنوب الصحراء)؟
يبدوا أن السبب يكمن في البيئة والجغرافية، مثل ضيق مساحة افريقيا مقارنة بـ (قارتي آسيا واوربا الملتحمتين)، وأيضاً عدم وجود حيوانات قابلة للتدجين السهل، إذ فيها الفيل والكركدن والزرافات والحمير الوحشية، وقد فشلوا بتدجينها والاستفادة منها في الغذاء والتنقل. والاخطر من هذا، وجود (ذبابة التسي تسي الأستوائية القاتلة) التي أفشلت وأبادت جميع محاولات تدجين الابقار والماشية والخيول في افريقيا.
تفاصيل هذا الموضوع في كتاب:
أسلحة جراثيم وفولاذ/ جارد ديمون: Jared Diamond: ص 564 ـ 567

(25) ـ نفس المصدر السابق: عن دور بيئة المنطقة في ظهور اولى الحضارات البشرية، يقول الباحث ((إن مزايا كثيرة في الهلال الخصيب كالطقس والبيئة والنباتات البرية والحيوانات هي التي تعطينا التفسير المقنع على تفوق المنطقة)):ص207

(26) ـ نحن ضد تلك النظرية العنصرية التي أشاعها الباحث العراقي (علي الوردي) عن (ازدواجية البداوة والحضارة في المجتمع العراقي)، وقد أصدرنا دراسة مفصلة عنها. ابحث عن: علي الوردي وعنصريته ضد المجتمع العراقي / سليم مطر

الموسمية، والاستعداد لفترات الجفاف والملوحة والقحط، بالإضافة إلى مواجهة الجماعات الجبلية والصحراوية الطامعة. ومن هذا الواقع الطبيعي الجغرافي تكوَّنَ العراق والعراقيون ونشأ معهم تاريخهم وإرثهم الحضاري منذ فجر التاريخ حتى الآن.

الموقع الاقليمي وثنائية عالمي الجبال والبوادي



إن (بلاد النهرين) تقع في وسط الشرق الاوسط، أخطر منطقة في العالم سابقاً وحالياً، لأنها تربط آسيا وافريقيا واوربا. وهي موطن الحضارات والاديان، وحولها كانت ولا زالت تتمحور غالبية الصراعات الدولية.

لتبيان أهمية الموقع، لنتخيل لو كان العراق يقع في جنوب آسيا أو في أوربا، يقيناً كان قد اختلف شعبه وتاريخه تماماً. أو لو كان العراق ـ مثل إيران وتركيا ـ يتكون من هضبة عالية تحميها السلاسل الجبلية، لاختلف شعبه وتاريخه تماماً. لو قارنّا الحال مع (مصر) مثلاً، فإنها فعلاً تقع في (قلب العالم العربي) وتحيطها من كل ناحية البلدان العربية. بينما العراق، فهو يكاد أن يكون البلد العربي الوحيد المحاط بغالبية حدوده ببلدين غير عربيين (تركيا وإيران)، بل إن نصف حدود العراق هي مع إيران وحدها:

يبلغ الطول الكلي للحدود العراقية: 3631 كم، حوالي نصفها مع إيران 1458 كم، ثم مع الأردن 181 كم، ومع الكويت 242 كم، ومع السعودية 814 كم، ومع سوريا 605 كم، ومع تركيا 331 كم، ويبلغ الطول الكلي للسواحل البحرية 58 كم.

وينقسم المحيط الاقليمي للعراق الى جناحين:

1 ـ الجناح الشرقي والشمالي: هضبة إيران وهضبة الاناضول (تركيا). وهو جناح إشكالي جداً، لأن بيئة هذين البلدين الجبلية الهضبية، مختلفة تماماً عن بيئة العراق النهرية السهلية، مما خلق، طيلة التاريخ، اختلافاً جوهرياً بين طبيعة الشعب العراقي وشعبي هذين البلدين، مع تناقض كبير بين مصلحة العراق الحيوية ومصالح هذين البلدين. فليس صدفة أن العراق، رغم تنوع أصول شعبه، ورغم احتلاله لحوالي الفي عام متقطعة (قبل وبعد الاسلام: منذ الاخمينيين حتى العثمانيين) من قبل هذين البلدين، إلاّ أنه مع ذلك ظل دائماً بثقافة ولغة: (سامية: أكدية، ثم آرامية، ثم عربية)، بينما (إيران وتركيا) ظلتا عموماً بثقافة ولغات من أصول مختلفة تماماً: (آرية ـ أناضولية ـ تركية)!

هنا تكمن مشكلة موقع العراق: إن إيران وتركيا تعتبران أكبر قوتين سياسيتين سكانيتين وعسكريتين ودينيتين واقتصاديتين في المنطقة، ومتصارعتين طيلة التاريخ![27] بالإضافة إلى أنهما جغرافياً وطبيعياً كل منهما هضبة مرتفعة محمية بجبال جبارة، مما منحهما طيلة التاريخ الامتياز العسكري للهبوط إلى سهول النهرين و(سوريا)، المنخفضة وغير المحمية طبيعياً.

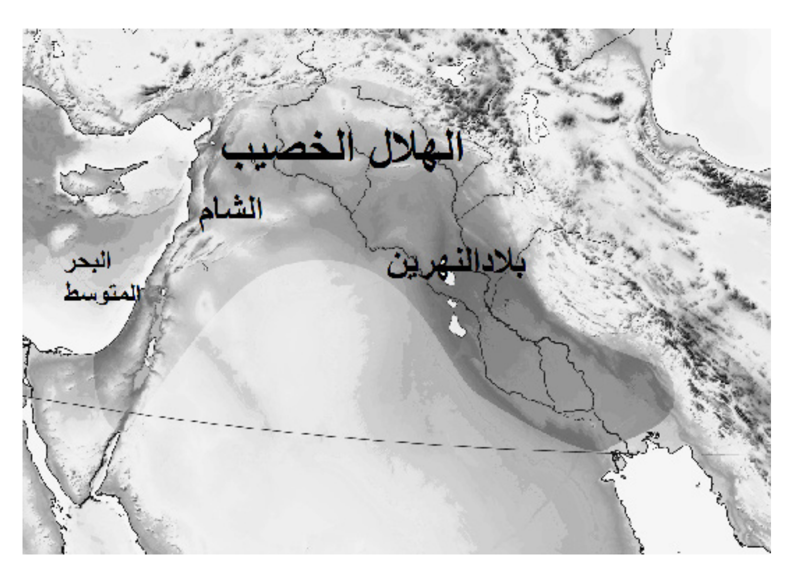
2 ـ الجناح الغربي الجنوبي: بلاد الشام ومصر، والجزيرة العربية. وهو جناح ـ بيئياً وثقافياً وسكانياً ـ مشابه كثيراً لما هو عليه العراق وشعبه: بيئة شبه سهلية وشبه صحراوية، بثقافة ولغة سامية ـ حامية ـ عربية[28]. أما من الناحية السياسية فالامر لا يخلو من بعض التعقيد: طيلة التاريخ ثمة منافسة بين العراق ومصر للنفوذ على الشام (سوريا الطبيعية)، منذ سرجون الاكدي والفراعنة. مشكلة الشام انه لم يستطع أبداً أن يخلق دولة قوية موحدة بسبب انقساماته الجغرافية الداخلية. الاستثناء الوحيد هي

(27) ـ من يعاين تاريخ العلاقات بين ايران والاناضول (تركيا) يلاحظ كيف أن العلاقات تحتمها الجغرافيا مهما تغيرت الاديان والاقوام. فالصراع بين البلدين استمر بهذه الثنائية الايرانية ـ الاناضولية: ميديون واخمينيون ـ ليديا / ساسان ـ بيزنط / صفويون وقاجاريون ترك ـ عثمانيون ترك... وحتى الآن..

(28) ـ للتذكير فإن علماء اللغات قد اتفقوا على اعتبار (أسرة اللغات السامية، ومنها العربية) و(أسرة اللغات الحامية: الفرعونية والبربرية ـ الأمازيغية)، ضمن عائلة لغوية مشتركة أكبر: (اللغات السامية ـ الحامية: Langues Chamitw – Semitiqes). وحسب المؤرخ السوري (فراس السواح)، فإن علماء اللغات يرجحون أن (الحامية) هي أصل (السامية).

(الدولة الاموية، أقل من قرن). حتى في العصر الحديث بقيت مصر حريصة على منع أي تقارب عراقي مع أي من بلدان الشام. فمثلاً، إن قرار (عبد الناصر) بإقامة الوحدة مع سوريا، ما هو إلاّ ردّ على قيام (الاتحاد الهاشمي) بين العراق والاردن[29].

العراق من بلدان البحر المتوسط!



صحيح أن هنالك البادية الغربية التي تفصل العراق عن الشام والبحر المتوسط، ولكن هناك التواصل المباشر مع الشام والمتوسط عن طريق أعالي النهرين دجلة والفرات. لهذا اعتبر الجغرافيون (وادي النهرين وسوريا الطبيعة: الشام) منطقة جغرافية واحدة تحت اسم: (الهلال الخصيب)، وان(مناخ شمال العراق): بحر متوسطي.

البيئة الداخلية وثنائية دجلة والفرات

العراق مثل جميع بلدان المعمورة، تعرض لمتغيرات كثيرة في حدوده وامتدادته. ففي حقب عديدة توسع نحو الشمال الغربي، ليشمل عموم بلدان الشام حيث البحر المتوسط، ثم جنوباً نحو سواحل الخليج العربي. بل شمل قديماً حتى بعض المناطق

(29) ـ السبب لأن مصر طيلة تاريخها عانت أساساً من الغزو القادم من جهة الشام: هكسوس وحيثيون وآشوريون وفرس ويونان ومسلمون وعثمانيون. منذ اوائل الدولة العباسية، استقل المصريون عن سلطة (بغداد): الدولة الطولونية التي كانت اول انشقاق عن الدولة العباسية. الطريف ان مؤسسها هو(احمد بن طولون: عراقي مواليد سامراء، من أب تركي من بخارى). وقد ضم الشام الى مصر. فيما بعد ظهر عراقي آخر هو (صلاح الدين الايوبي التكريتي) الذي أسس الدولة الايوبية في مصر والشام. استمر هذا الاستقلال المصري مع الشام حتى العصر الحديث ودولة محمد علي باشا.

الحدودية مع السعودية، مثل (التيماء) التي كانت العاصمة الدينية لآخر ملوك بابل (نبونيد)[30].

وها هو بعد نهاية الدولة العثمانية والاحتلال الانكليزي وتقسيمات (معاهدة سايكس بيكو) أصبح بحدوده الحالية[31].

الملاحظة المهمة: أنه ظل دائماً موحداً سياسياً ودينياً ولغوياً، حتى في فترات السيطرة الأجنبية. وهذا التوحد لم يكن نتيجة إرادةٍ ما مِن قبل الناس، بل هي خصوصاً إرادة الطبيعة. لقد ظل العراق موحداً حضارياً رغم كل الهجرات السلمية والحربية للأقوام القادمة من كل أنحاء الأرض التي استوطنته، لأن طبيعة دجلة والفرات حتمت الانصهار بين الناس وتوحدهم الأقوامي والروحي والثقافي. ثم إن ضرورات التحكم بالري في النهرين من أجل سقي المزروعات وتجنب الفيضانات، حتمت إدارة موحدة، أي وجود دولة واحدة تقوده وتشرف على نظام ريه وإدارة نهريه.

على الأساس التنوعي في الجغرافيا الخارجية والموضع الداخلي، فإن البيئة (الأقوامية ـ الثقافية) العراقية قد انقسمت إلى نوعين متميزين حسب الاختلاف (الجغرافي ـ البيئي)، أي (ثنائية دجلة والفرات) و (ثنائية الجبال والبادية):

1. بيئة دجلة الجبلية الآسيوية الكردية . السامية

وتشتمل على كل المحافظات الواقعة مباشرة على نهر دجلة (نينوى وصلاح الدين وبغداد وواسط وميسان)، كذلك المحافظات الواقعة شرق دجلة (دهوك وأربيل والسليمانية وكركوك وديالى).

وتتميز هذه البيئة جغرافياً وطبيعياً وسكانياً بالخصوصيات التالية:

ـ من الناحية الجغرافية الخارجية فإنها منفتحة على أكبر الهضاب الجبلية في المنطقة: من الشرق حيث (جبال زاغاروس) التي طالما انحدرت من جانبها المطل

---

(30) ـ ابحث (تاريخ التيماء زمن نبونيد). كذلك:
ـ المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي/ جزء 2 ص205
ـ دراسه منشورة: هل بنى البابليون مكة والمدينة؟!/ د. هديب ابو غزالة

(31) ـ إن معاهدة (سايكس بيكو 1916) بين بريطانيا وفرنسا، لم تكن حسبما أشاعه العروبيون من اجل (تقسيم الوطن العربي)، بل من اجل (تقاسم الهلال الخصيب: العراق والشام).

على (النهرين) الجماعات الجبلية (اسلاف الاكراد ثم الاكراد). ثم تليها الهضبة الإيرانية الممتدة حتى هضاب أفغانستان وآسيا الوسطى. وتصب من هذه الجبال انهر عديدة مثل: (الزاب الصغير وديالى)، ثم في الجنوب حيث تتكاثر الأهوار الكبرى، تصب انهر (الكارون والكرخة) عبر الاحواز في شط العرب.

أما من الشمال فإن (دجلة والفرات والزاب الكبير) تنبع من جبال (طوروس) المرتبطة بـ(هضبة الاناضول: الحيثية، ثم البيزنطية، ثم التركية). وهي مرتبطة ايضا بجبال القفقاس: (ارمينيا وجورجيا والشيشان).

ـ من ناحية الطبيعة الداخلية فإنها (بيئة دجلة) متنوعة التضاريس، حيث تكثر الجبال والمرتفعات في شمالها وشرقها. وتكمن اهمية (جبال زاغاروس) بأنها تستمر بمحاذاة حوض (دجلة) على طول امتداده من (الموصل) حتى مصبه في (شط العرب).

ـ أما من الناحية السكانية، فإن الخصوصية الكبرى الملحوظة، ان هذا التجاور بين (جبال زاغاروس) و(حوض دجلة) قد حتّم عبر التاريخ وحتى الآن، تواصل التبادل السكاني والهجرات بين سكان هذه الجبال (الاكراد واسلافهم) مع سكان ضفاف دجلة الناطقين عموما بالسامية (الاكدية، ثم الآرامية، ثم العربية). بالاضافة الى ذات التأثير من ناحية (طوروس والاناضول والقفقاس). كل هذا ادى، خصوصا في شمال دجلة (عموم منطقة نينوى: اربيل وكركوك ودهوك والسليمانية) الى التنوع السكاني الكبير جداً من النواحي اللغوية والدينية والمذهبية، بل يمكن القول: إن غالبية الفئات العراقية المختلفة لغوياً ودينياً تعيش في هذه المنطقة: (عرب، أكراد، تركمان، سريان «كلدان وآشوريون»، يزيدية، شبك، فيلية، صابئة، أرمن.. إلخ). بينما (الفرات) فيجلب الانتباه بأن جميع سكانه ـ بما فيه القسم السوري ـ هم حالياً (عرب مسلمون) مع اقلية من (الصابئة)!

رغم هذا التنوع والتمازج السكاني الكبير في هذه المنطقة الا انها بقيت دائما متوافقة سكانيا وسياسيا وثقافيا مع (منطقة الفرات) لانهما معا تشكلان جغرافيا: (وادي النهرين)، حيث تشتركان بالوحدة السياسية والثقافية وسيطرة لغة واحدة طيلة التاريخ: الأكدية، ثم الآرامية ثم العربية. لكن هذا الانسجام الأقوامي اللغوي، لا ينفي حقيقة

أن الأصول السكانية لحوض دجلة، بمن فيهم سكان الأهوار، متأثرة كثيراً بالعناصر الكردية والآرية والتركستانية والقفقاسية..

إن أهم ميزة ثقافية ـ لغوية لهذه البيئة هي (التنوع) حتى في داخل المجموعة الثقافية والمدينة الواحدة. فلو أخذنا الأكراد مثلاً، فهنالك اللغات السورانية والبهدنانية والخانقينية. إن محافظة (كركوك) تعتبر أيضاً أفضل نموذج لهذا التنوع الكبير في (بيئة شمال شرق دجلة)، حيث التعايش التركماني ـ الكردي ـ العربي ـ السرياني ـ الآرمني. كذلك العاصمة (بغداد) فإن تنوعها الكبير لا يعود فقط لأنها عاصمة الوطن، بل أيضاً لأنها تقع على دجلة.

من الناحية التاريخية الحضارية فإن (نينوى) تعتبر مركزاً حضارياً عراقياً بخصوصية (دجلوية)، حيث شكلت مركزاً جامعاً لكل التنوعات الأقوامية والثقافية لبيئة شمال دجلة، مع سيادة الثقافة السامية (الأكدية بلهجتها الآشورية). خلال آلاف الأعوام ظلت (نينوى) الآشورية، في حالة تنافس سياسي وتكامل حضاري مع (بابل) التي مثلت الحضارة العراقية بخصوصيتها (الفراتية). وفي المرحلة الآرامية المسيحية ظهرت (المدائن)[32] على (دجلة) كعاصمة ادارية ودينية لعموم العراق. ثم في المرحلة العربية الاسلامية ظهرت على دجلة (بغداد) عاصمة الدولة والحضارة.

2. بيئة الفرات البوادية[33] السامية ـ العربية

وتشتمل على المحافظات الواقعة على نهر الفرات أو قربهُ: (الأنبار، كربلاء، النجف، بابل، القادسية، المثنى، ذي قار). وهي بيئة مختلفة تماماً عن بيئة دجلة، من حيث طبيعة الموقع والموضع، وبالتالي من حيث التكوين السكاني واللغوي.

من ناحية الموضع، فإن بيئة الفرات شبه صحراوية وسهلية منفتحة. ومن ناحية الموقع، فإنها متصلة من الجنوب الغربي ببادية الشام الممتدة جنوباً إلى بوادي

(32) ـ (المدائن) حالياً جنوب بغداد، هي التسمية الآرامية والعربية لهذه المدينة التي أسسها الاغريق السلوقيون باسم (سلوقيا) ثم أطلق عليها الفرس بعد توسيعها نحو الضفة المقابلة لدجلة، تسمية (قيطسفون). وكانت عاصمة جميع الدول التي حكمت، وكذلك مركز الكنيسة المسيحية النهرينية.

(33) ـ لم نستخدم كلمة (الصحراوية) من (صحراء)، بل اضطررنا الى اصطناع كلمة (بوادية) من (بادية) لان (الصحراء) عادة قاحلة تماماً من النبات والحيوان، وتختلف كثيرا عن (البادية) التي هي عادة شبه صحراوية وفيها نباتات وحيوانات.

الجزيرة العربية، أما من الشمال الغربي فإنها تتصل في نواحي سوريا حتى ضفاف البحر المتوسط.

لهذا فإن بيئة الفرات ظلت دائماً من الناحية الأقوامية والثقافية، بيئة (سامية بحر متوسطية)، تسودها دائماً وحدة لغوية سامية (أكدية ثم آرامية ثم عربية)، مع تأثير واضح بالقبائل الرعوية وكذلك ثقافة الشام والبحر المتوسط والجزيرة العربية.

من الناحية التاريخية الحضارية فإن (بابل) تعتبر مركزاً حضارياً عراقياً بخصوصية (فراتية)، حيث شكلت مركزاً جامعاً لكل التنوعات الأقوامية والثقافية لبيئة الفرات، حيث سادت الثقافة السامية (الأكدية بلهجتها البابلية). خلال آلاف الأعوام ظلت (بابل) في حالة تنافس سياسي وتكامل حضاري مع (نينوى) التي مثلت الحضارة العراقية بخصوصيتها (الدجلوية). وفي المرحلة الآرامية المسيحية حَلَّت (الحيرة) محل بابل، على الفرات، كمركز سياسي وديني. ثم في المرحلة العربية الاسلامية حَلَّت (الكوفة) وهي محاذية لـ (الحيرة) كمركز سياسي وحضاري، بعد ان اتخذها (الخليفة علي بن ابي طالب) أول عاصمة للخلافة بعد (المدينة المنورة).

الثقافة (النهرينية) المشتركة

إن الثقافة العراقية منذ فجر التاريخ وإلى يومنا هذا، هي ملتقى هاتين البيئتين المختلفتين المتكاملتين، أقوامياً ولغوياً. إن هذه (الثنائية) هي نوع من (القدر) الجغرافي التاريخي الذي يميز العراق منذ الأزل:

ـ بيئة دجلة الآسيوية الجبلية وشبه الجبلية.

ـ بيئة الفرات السهلية البوادية البحر متوسطية.

هنالك ثلاث مدن رئيسية جمعت بين هاتين البيئتين المتميزتين المتكاملتين: نينوى وبغداد والبصرة.

إن (بغداد) تعتبر أفضل مثال على هذه الثقافة النهرينية الجامعة لبيئتي دجلة والفرات، رغم أن بغداد تقع على نهر دجلة، إلاّ أنها تتميز بناحيتين:

ـ أنها تقع في أقرب نقطة يقترب فيها النهران، وهذا ما جعلها فعلاً ملتقى لهاتين البيئتين.

ـ أنها تقع في وسط بلاد النهرين، بين الشمال والجنوب.

إن العبقرية العراقية (العباسية) هي التي اختارت (بغداد) في هذا الموقع الوسطي الجامع بين الشمال والجنوب، ودجلة والفرات، من أجل تجنب الخطأ الكبير الذي وقع فيه أسلافهم، عندما ظلوا مشتتين بين مركزين متنافسين (نينوى) و(بابل).

إن بغداد منذ تأسيسها حتى الآن، ظلت تعبِّر بصورة مكثفة عن التكوين الأقوامي والثقافي لبيئة دجلة، حيث يمتزج فيها العربي مع الكردي مع التركماني مع السرياني مع الأرمني مع الصابئي، كذلك هي ملتقى جميع الأديان والمذاهب العراقية.

رغم أن ثقافات عالم ما بين النهرين دجلة والفرات متنوعة وشاملة للبيئتين، إلاّ أنها ظلت عموماً (سامية ـ عربية) لكونها أرضاً سهلية (تسَّهل) عملية التمازج وتفرض على الجماعات الجبلية فقد قواها الثقافية وتمتزج بالثقافة السهلية (السامية ـ العربية).

أما (البصرة) فإن لها خصوصيتها العراقية الشمولية، من النواحي السكانية والثقافية. فهي جامعة للنهرين في نهر عظيم ثالث هو شط العرب، ثم إن البصرة ـ من دون المدن ـ جمعت في موقعها بين مختلف المؤثرات الجغرافية المحيطة: بيئة البادية الممتدة ناحية الغرب حيث الشام، والجنوب حيث الجزيرة العربية. أما من الشرق فبيئة إيران وجبال زاغاروس القريبة ناحية الأحواز. يضاف إلى هذا جغرافية جديدة خاصة بالبصرة، ألا وهو الخليج العربي الممتد حتى المحيط الهندي وجنوب آسيا. ومن هذا الخليج ارتبطت البصرة بالسواحل العربية والسواحل الإيرانية والهندية، بل حتى مع السواحل الأفريقية.

كل هذا التنوع الجغرافي البيئي جعل البصرة مركزاً حضارياً وسكانياً كبيراً ومتميزاً، له خصوصيته الجامعة الشمولية التي تجتمع فيها المؤثرات السامية ـ العربية، والإيرانية والهندية والأفريقية.

تطرف النهرين بكرمهما وغدرهما

إن التطرف بالمحاسن والمساوئ هي الميزة الكبرى التي طبعت تاريخ العراق وحضارته وعقليته، ناتجة عن تطرف جغرافيا العراق ومناخه وموقعه بالمحاسن والمساوئ.

وقد عانى العراق من أهم مشكلتين: غدر الطوفانات / وجفاف الانهر وتغيير مجاريها.

ـ بالنسبة للطوفانات، فبسبب انخفاض سرعة جريان المياه في السهل الرسوبي،

كانت عملية ترسب تلك المواد تحدث كذلك في مجاري الأنهار نفسها، فيرتفع بسبب ذلك مستوى قاع تلك الأنهار وتظهر في مجاريها جزر رملية سرعان ما تنمو فيها الحشائش والأدغال مما يساعد على تماسك تربتها.

ولفيضانات دجلة والفرات طبيعة خاصة تتميز بالعنف وعدم الانتظام، ثم إن أوقاتها غير ملائمة لمواسم الدورة الزراعية في العراق. ففي فصل الربيع ترتفع مناسيب المياه في دجلة والفرات بصورة مفاجئة[34]. ولكن مياه هذه الفيضانات تأتي متأخرة بالنسبة إلى الزراعة الشتوية، ثم إن فترة تلك الفيضانات تكون عادة قصيرة إذ تهبط مناسيب المياه بسرعة وقبل بداية أشهر الصيف؛ ولذا تشح المياه قبل نضوج المحاصيل الصيفية مما يتسبب في هلاك نسبة كبيرة منها.

إن من أهم آثار فيضانات دجلة والفرات المدمرة هو أن طغيان المياه في مجرى النهر غالباً ما تخرب الشواطئ وتندفع إلى المناطق المنخفضة من السهل الرسوبي وتغمر مساحات شاسعة منها، فتتكون الأهوار والبطائح وأكثرها مسطحات مائية غير عميقة. وإن البحوث العلمية تشير إلى أن بعض هذه الأهوار كانت موجودة منذ نهاية العصور الجليدية، ولابد أن مساحات تلك الأهوار كانت تتسع أو تتقلص حسب حجم الفيضانات التي تتحكم فيها الظروف المناخية السائدة. وإن الرأي السائد في الوقت الحاضر عند غالبية الباحثين هو أن قسماً من تلك الأهوار غمرته مياه الخليج بعد ارتفاع مستوى سطح المياه في المحيطات والبحار المتصلة بها جراء ذوبان الثلوج في نهاية العصور الجليدية.

ـ أما مشكلة تحول مجاري أنهار العراق، فإنها كانت من أقوى العوامل التي ساهمت في اندثار الحضارات القديمة في وادي النهرين وتحول مراكز الاستيطان والمدن من مكان

---

(34) ـ ليست صدفة أن أقدم ذكر لـ(حكاية الطوفان) ورد في النصوص النهرينية. فهنالك (قصة الطوفان السومرية) التي تتحدث عن ملك يسمى (زيوسودا) في مدينة (نيبور ـ نفر) أخبر بقرار مجمع الآلهة بالطوفان المصحوب بالعواصف والأمطار التي استمرت سبعة أيام وسبع ليال. وان (زيوسودا) هو الذي حافظ على الجنس البشري من خلال بناء السفينة.

كذلك ذكرت (قصة الطوفان) في (ملحمة جلجامش): عن رجل يسمى (أوتنابيشتيم) أمرته الآلهة بأن يبني سفينة، ويحمل على ظهرها بذور كل شيء حي، ثم استوت السفينة على جبل (نيصير ـ نيزير) بين دجلة والزاب الأسفل.

كذلك ذكرها المؤرخ البابلي اليوناني (بيروسوس): عن ملك بابلي اسمه «أكسيسو ثووس» يحذره الإله من طوفان يغمر الأرض ويهلك الحرث والنسل ويأمره بأن يبني سفينة يأوي إليها. ويجمع فيها كل أقربائه وأصحابه، ويختزن فيها زاداً من اللحم والشراب فضلاً عن الكائنات الحية من الطيور وذات الأربع.

ثم بعدها ذكرت قصة الطوفان في التوراة والقرآن.

إلى آخر. وقد ظلت محصورة في منطقة السهل الرسوبي (منطقة بابل التاريخية)، حيث قامت حضارات سومر وبابل. وإن وجود آثار المدن القديمة بعيداً عن مجاري الأنهار الحالية ما هو إلاّ دليل على تلك التحولات في مجاري الأنهار منذ فجر الحضارات. وهذا دليل آخر على أهمية الزراعة الحوضية، إذ يبدوا أن تلك المدن كانت مراكز التسويق وإدارة الزراعة ضمن حوض نهر معين. ومن أهم المدن التي اندثرت وتشاهد آثارها بعيدة عن مجاري الأنهار هي (نفر وأوروك، الوركاء ولارسة وأور وأريدو). وكذلك مدن (بابل وسبار وكيش وكوثى). ولنفس الأسباب اندثرت مدينة واسط التي بناها الحجاج على مجرى نهر دجلة القديم.

التقسيمات الإدارية

Ottoman Provinces

الولايات العراقية الثلاث في العهد العثماني، وموحدة تحت إدارة والي بغداد..

إن العراق منذ الأزل كان موحداً جغرافياً وطبيعيّاً حول دجلة والفرات، وكانت مساحته الطبيعية أكبر من مساحته الحالية، إذ تشمل الكثير من المناطق المحاذية التابعة حالياً للدول المجاورة، منها مثلاً منطقة المحمرة التابعة لإيران بالإضافة إلى امتداده جنوباً في أعماق الخليج العربي. وعلى أساس هذا التوحد الجغرافي ـ الطبيعي حول دجلة والفرات، توحد العراقيون سياسياً وثقافياً وسكانياً. فرغم أن العراق ظل دائماً يستقبل الجماعات من كل أنحاء البلدان المحيطة به، القادمة سلماً وحرباً، فإنه سرعان ما كان يوحدهم ويجمعهم ويصهرهم في روح دجلة والفرات.

ظل العراق منذ انبثاق الحضارة بدولة واحدة رغم المنافسة بين السلالات

(السومرية ثم البابلية ثم الآشورية)، كذلك ظل موحداً لغوياً (اللغة السومرية، ثم الأكدية بلهجاتها البابلية والآشورية). كذلك ظل موحداً روحياً ودينياً حول ديانة (تقديس الكواكب) وثلاثية (آيل الإله الأكبر رب السماء) و(عشتار آلهة الأرض والأنوثة والأمومة)، و (تموز) ابنهما ووسيط خصبهما.

بعدها اعتنق العراقيون الديانة المسيحية وحلت اللغة الآرامية ـ السريانية مكان الأكدية، ثم العربية والاسلام. وبقي العراق موحداً سياسياً حتى في ظل الدول الأجنبية المحتلة. ولكن مثل غالبية البلدان هنالك تمايز اداري سياسي بين الجنوب والشمال كما بيّنا سابقاً، اتخذ مسميات مختلفة، منها: (آشور وبابل)، وعند العرب (الجزيرة وأرض السواد)، وفي زمن العثمانيين: (ولايات الموصل وبغداد والبصرة) تحت ادارة مركزية من قبل والي بغداد.

اما (عيلام ـ الاحواز) فكانت عموما مرتبطة واقعيا واداريا بـ(النهرين: العراق)، إما مع ادارة الجنوب (البصرة) او متميزة اداريا او كإمارة شبه مستقلة. وبسبب موقعها السهلي البحري المجاور لجبال فارس، كانت اول ما يتعرض للاحتلال الايراني لتكون مدخلا لاحتلال باقي النهرين.

التقسيمات الإدارية بعد الإسلام

إذن طبيعة العراق كوادٍ نهري محاط بالسلاسل الجبلية والهضاب، حتَّمَتْ وحدته الجغرافية، ثم إن طبيعة الري في النهرين ومن أجل السيطرة على الفيضانات وتجنب خطر الجفاف والملوحة، حتَّمَتْ إدارة موحدة للنهرين، أي دولة موحدة قادرة على التحكُّم بالري.

بعد الفتح الإسلامي للعراق أبقى العرب على التقسيمات الإدارية القديمة، فقد كان العراق وبلاد الجزيرة أيام الحكم العباسي مقسماً إلى كور، والكور إلى طساسيج؛ وهو ما يقابل الناحية في الوقت الحاضر، وكان لكل كورة قصبة (مركز) ومدائن، ولكل مدينة قرى مرتبطة بها إدارياً.

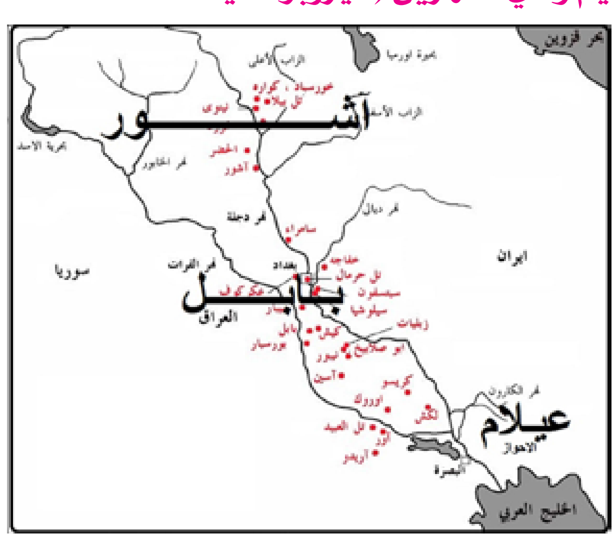
بقيت ديار الجزيرة والعراق بعد اجتياح هولاكو في اضطراب واختلال. ثم في سنة 1534 م تمكن السلطان العثماني سليمان القانوني من التغلب على الصفويين واحتلال العراق. فقسم

العراق الى 17 سنجقاً (محافظة) وقطعت منها ستة سناجق لقواده. أصبح العراق كله (إيالة ـ ولاية) عاصمتها (بغداد) تتبعها الموصل والبصرة، ويحكمها وال يعينه السلطان.

في أوائل القرن الثامن عشر انفصلت إدارياً ولاية (الموصل) عن (بغداد) وخضعت إدارياً لولاية (ديار بكر)، كذلك انفصلت إدارياً (شهر زور: السليمانية وكركوك) ثم أعيدتا إلى (ولاية بغداد) بعد زمن. أما في زمن الوالي العثماني (مدحت باشا) فقد انقسمت ولاية العراق التي كانت تتألف من مقاطعات بغداد والبصرة والموصل، إلى متصرفيات (سناجق)، والمتصرفيات إلى أقضية، والأقضية إلى نواحٍ. وفي سنة 1879م أصبحت (الموصل) مركز ولاية يتبع لها (مركز الموصل وكركوك والسليمانية). وفي سنة 1880م قسمت (ولاية بغداد) إلى سبعة سناجق وهي: بغداد ـ الحلة ـ كربلاء ـ العمارة ـ المنتفق ـ البصرة ـ نجد. وفي سنة 1884م تم تحويل (البصرة) إلى ولاية، ثم تكونت من أربعة سناجق وهي: البصرة ـ العمارة ـ المنتفق (الناصرية) ـ نجد. أما التقسيمات الإدارية قبل الحرب العالمية الأولى، فقد قسم العراق إلى ثلاث ولايات تابعة إلى العاصمة (بغداد)، وهي:

- ولاية بغداد وتتبعها متصرفية بغداد ـ الديوانية ـ كربلاء.
- ولاية الموصل وتتبعها الموصل ـ شهرزور ـ السليمانية.
- ولاية البصرة وتتبعها البصرة ـ العمارة ـ المنتفق.

أقاليم وادي النهرين (ميزوبوتاميا: MESOPOTAMIA)



من المعلوم ان (العراق الحالي) يشكل جغرافياً وسياسياً الجزء الاعظم من (وادي النهرين)، وهنالك (مناطق هي جزء طبيعي وحضاري وسكاني من وداي النهرين) لكنها تتبع حالياً البلدان المجاورة، مثل أعالي النهرين: منطقة الجزيرة السورية، وجنوب تركيا (نصيبين ـ ماردين، وديار بكر، وعرفه ـ الرها)، بالاضافة الى (الاحواز) المحتلة من ايران، وامارة الكويت[35].

طبيعياً، وعبر التاريخ، انقسم (وادي النهرين) الى ثلاثة أقاليم، موحدة حضارياً وسكانياً، لكنها مختلفة جغرافياً وإدارياً:

1 ـ اقليم السهل الرسوبي (بابل: السواد) (من سامراء وتكريت والانبار حتى البصرة والخليج العربي)، وقد عرف قديماً: (أرض بابل)، في العصر العربي الاسلامي: (أرض السواد). وهو سهل منبسط بين وحول النهرين وبمستوى سطح البحر ويعتمد أساساً على ري النهرين.

2 ـ اقليم الشمال أعالي دجلة (آشور ـ الجزيرة)، من شمال تكريت ثم كركوك والسليمانية واربيل ونينوى، صعوداً الى الحسكة السورية، ثم نصيبين وديار بكر في جنوب تركيا. وقديماً اطلق عليها: (بلاد آشور)، وفي العصر العربي الاسلامي: (أرض الجزيرة). وتتميز بأنها منطقة مرتفعة بمتوسط 300 م عن سطح البحر وتحدها من الشرق جبال زاغاروس ومن الشمال جبال طوروس، ومن الغرب البادية الغربية. وهنالك ثلاثة أنهر تنحدر من زاخاروس تصب في دجلة: (الزابابين الادنى والاعلى ونهر الخابور). وتعتمد على الزراعة البعلية (الامطار) بالاضافة الى الري النهري.

3 ـ اقليم عيلام (الاحواز)، ورغم أنها امتداد طبيعي للسهل الجنوبي، إلاّ أنها تتميز بتأثير المناطق الجبلية التي تحيطها من الشرق ومن الشمال، وتعرضها المستمر لاجتياحات قبائل ايران الجبلية المجاورة. ويصب فيها من ايران نهرا الكارون والكرخة، وتتواصل مع محافظة ميسان وأهوارها، وتنفصل عن البصرة بشط العرب.

هذه الاقاليم الثلاثة، مع تمايزها الجغرافي والحدودي، إلاّ أنها تشكل بمجموعها

(35) ـ عن (مناطق وادي النهرين الطبيعية)، نؤكد بأننا لا نقصد أي معنى سياسي وطني، بل فقط المعنى الجغرافي الطبيعي المتداول عير التاريخ.

منطقة جغرافية واحدة: وادي خصيب يصب فيها نهرا دجلة والفرات، ومنفصل عن: هضبة ايران، بجبال زاخاروس. وعن الاناضول، بجبال طوروس. وعن الجزيرة العربية وجزء من الشام، بالبادية الغربية. وهذا يفسر سبب توحدها:

ـ الحضاري (اللغوي والديني). والسياسي، مع صراعات داخلية للسيطرة على دولة النهرين: (بابليون ـ آشوريون ـ عيلاميون)..

علماً بأن وادي النهرين، له تواصل طبيعي مع محيطه فقط من الشمال الغربي، مع بلاد الشام (سوريا)، عبر أعالي دجلة والفرات (الجزيرة) التي يمتد سهلها ودربها التجاري حتى (حلب)، فيتشكل من (بلاد النهرين والشام) ما اطلق عليه بـ: (الهلال الخصيب). وبسبب هذا التواصل الطبيعي حصل هذا التشابه السكاني والحضاري الدائم بين العراق والشام، مع الاختلاف الاداري السياسي (الدولة)، حيث بقيت (بلاد الشام) دائماً يتنازعها سياسياً النفوذ العراقي والنفوذ المصري.

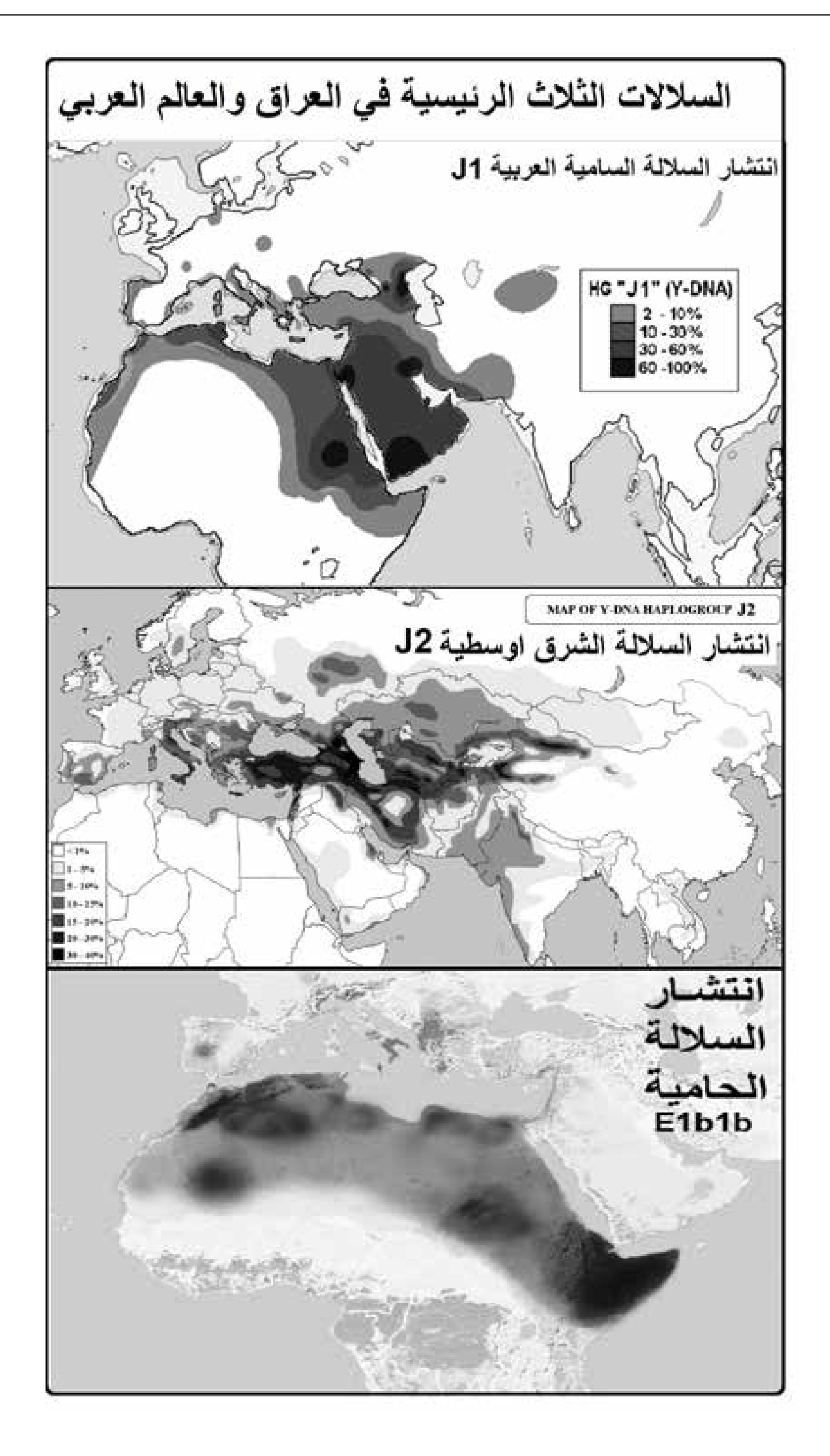


الهوية الجينية للعراقيين

الحقيقة المهمة التي يتوجب التذكير بها دائماً:

في أنحاء العالم، ليس هنالك عرق أو قومية أو شعب، أو حتى قبيلة كبيرة، من أصل وجدٍّ مشترك، إلاّ في حالات استثنائية جداً، في المناطق المعزولة النائية، مثل الواحات والجزر والجبال العصية. إن أية جماعة مهما كانت فإنها مضطرة للاختلاط والتزاوج بالجماعات الأخرى، لأسباب حياتية وسياسية ومصالحية، ومضطرة أيضاً للهجرات والغزو، وكذلك تحسين النسل.

إن وحدة أية جماعة، مثل القبيلة والعِرق والقومية والشعب، لا تقوم على الانتماء البدني ـ النسلي المشترك، بل على الانتماء الحياتي المشترك: التاريخي والثقافي (الديني واللغوي) والمصالحي.


السلالات الثلاث الرئيسية في العراق والعالم العربي
انتشار السلالة السامية العربية J1
HG "J1" (Y-DNA)
2 - 10%
10 - 30%
30 - 60%
60 -100%
MAP OF Y-DNA HAPLOGROUP J2
انتشار السلالة الشرق اوسطية J2
انتشار السلالة الحامية E1b1b

ويُعَدُّ العراق واحداً من أكثر بلدان العالم الذي اختلطت فيه الجماعات القادمة طيلة تاريخه من كل حدب وصوب، بسبب موقعه المركزي والخصيب في وسط الشرق الأوسط الذي هو موطن البشرية والحضارات.

أصول العراقيين، حسب المكتشفات الجينية[36]

إن تاريخ الوجود البشري قديم جداً ويعود إلى حقب بعيدة مجهولة (ما زال العلماء في خلاف وجدل حول زمان ومكان أوائل البشر)[37]، فقد تم الاتفاق على أن تحدد السلالات البشرية قبل حوالي 50 ألف عام، أي في نهايات العصر الجليدي الأخير الذي دام أكثر من 100 ألف عام، وقضى على الكثير من السلالات البشرية القديمة، ومع تنامي الدفء وذوبان الجليد بدأت الجماعات البشرية تتحرك وتنشط وتكوّن سلالات جديدة.

تمكنت المختبرات الخاصة، وبعد سنوات من الفحوصات الجينية لعشرات الآلاف من الأشخاص من جميع شعوب وقوميات وقارات الأرض ذكوراً وإناثاً، من تحديد السلالات الكبرى التي تنتمي إليها البشرية: 20 سلالة أبوية، وأكثر من 20 سلالة أمومية. ثم تم تقسيم هذه السلالات الأولى إلى سلالات فرعية تنتسب لـ (جد) أقرب زمناً، أي بحدود 10 آلاف عام، وهكذا دواليك أمكن تقسيمها إلى فروع أصغر، كل سلالة منها تنتسب إلى جد قبل قرون، حتى القبيلة ثم العشيرة ثم العائلة. أطلق على هذه السلالات الكبرى الأبوية والأمومية، تسميات من حروف: ...A, H , K.[38].

(36) ـ من يرغب بمطالعة تفاصيل موضوع الجينات المعقد جداً، فهو مفصل في دراستنا المنشورة على موقعنا الشخصي، مع صور وجداول توضيحية. ابحث عن عنوان:
سليم مطر: مكتشفات جينات الشعوب، ونهاية أوهام النقاء القومي العرقي!

(37) ـ حول تاريخ ومكان تكون الإنسان، فإن الاكتشافات الجينية والآثارية في السنين الأخيرة، أزاحت نظرية (الإنسان العاقل منحدر من أفريقيا قبل 100 ألف عام)، بل تم العثور على جماجم أقدم في المغرب وفي أواسط آسيا وأوربا وأماكن أخرى خارج أفريقيا. ووفقًا للباحثين: يجب رفض فكرة (مهد الأصل البشري المحلي) تلك؛ وذلك لصالح التفسير الذي يرتبط بالتعدّدية الإقليمية (multiregionalism)، وحتى الآن يمكن افتراض أنه موجود قبل 300 ألف عام.
طالع موضوع: أصل الإنسان ليس من أفريقيا
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_1116000/1116056.stm

(38) ـ عن ماهية (المجموعة المتفردةHaplogroups):) والكثير من المعلومات التي تخص جينات شعوب العالم، طالع أفضل موقع عالمي بهذا الخصوص (Eupedia):
https://www.eupedia.com/europe/origins_haplogroups_europe.shtml =

وكل واحدة من هذه السلالات ـ وخلال هذه الآلاف الطويلة من الأعوام ـ تفرعت إلى سلالات مختلفة. وهذه بعض السلالات الأبوية الكبرى[39]:

ـ السلالة الأصلية (iJ) تكونت قبل 50 ألف عام في الشرق الأوسط (بين شمال العراق وسوريا وإيران والأناضول والقفقاس). ثم انقسمت إلى (سلالتين) مختلفتين كل منها كونت سلالة عالمية خاصة:

ـ السلالة (i) التي تكونت في البلقان قبل حوالي 25 ألف عام، وشكلت أول وأقدم سكان أوربا، وتنتشر في أنحاء القارة، وخصوصاً بين شعوب البلقان والإسكندناف أكثر من 40%. وأما في الشرق الأوسط فتوجد بين شعوب إيران 24%، وبين أكراد العراق 16%، وأكراد تركيا 25%. وبنسب صغيرة جداً أو معدومة بين اليهود والشعوب العربية، وكذلك التركية.

ـ السلالة (J) التي بقيت في الشرق الأوسط، انقسمت قبل حوالي 20 ألف عام إلى سلالتين متداخلتين (J1) و (J2):

ـ السلالة (J2): بقيت في المنطقة حيث ينتشر أبناؤها خصوصاً في الشرق الأوسط والقفقاس وآسيا والبحر المتوسط، وبين الشعوب الناطقة بالسامية والعربية بنسبة أقل أو أكثر من 25%، بين العراقيين والأحوازيين واللبنانيين واليهود والإيرانيين والأكراد الجورجيين، وفي تركمانستان وأوزبكستان وباكستان واليونان وألبانيا وأسبانيا. أما في عموم أوروبا وأفغانستان والهند فبنسب لا تزيد على 7.3%.

ـ السلالة (J1): تكونت عند سفوح جبال زاغاروس وطوروس (شمال بلاد النهرين: العراق وسوريا)، وانتشر أبناؤها خصوصاً في المناطق التي أصبحت تتكلم باللغات السامية بالتداخل مع (السلالة J2) و (السلالة الحامية: E). وتسجل (J1) أعلى نسبها بين سكان جنوب العراق 80%، وعموم عرب العراق 64%، وسريان العراق 28%، وأكراد

= كذلك ابحث في الإنترنت بمختلف اللغات:
ـ هابلوغروب أمومي: DNA(mt) Haplogroupe
ـ هابلوغروب أبوي Y Haplogroupe ـ DNA

(39) ـ لتسهيل البحث عن كل سلالة أبوية أو أمومية، يكفي وضع إحدى العبارات فوق مع إضافة اسم السلالة، مثلا: (J) أو (R).. إلخ.

العراق %11، واليمن %70، والأحواز %35، وفلسطين %38، وسوريا %33، والجزائر %35، وتونس %30، والأردن %48، وبدو النقب %62، والسودان حوالي %50.

ـ السلالة الحامية (E) وبالذات فرعها (E1b1b1) التي تكثر بين شعوب (بلدان المغرب ومصر)، ثم في باقي العالم العربي، وخصوصاً في بلدان الشام: قد امتزجت منذ القدم بالسلالة السامية (J1)، إذ تتقاسم الانتشار بين الشعوب الناطقة بالسامية ـ العربية وكذلك اليهود. وقد تكونت في أفريقيا قبل حوالي 30 ألف عام، ثم قبل حوالي 18 ألف عام انتشرت فروعها المختلفة في مصر والسودان وأثيوبيا والصومال وبلدان المغرب، وبلغت منطقة الشام ثم العراق والجزيرة العربية، واختلطت مع السلالة (J) لتكون أساس الشعوب الناطقة باللغات السامية. وبتأثير الفينيقيين والمصريين والبربر واليهود والعرب انتشرت هذه السلالة في أنحاء الشرق الأوسط والبلقان وعموم البحر المتوسط؛ إنها السلالة الغالبة في مصر وبلدان المغرب وخصوصاً بين الأمازيغ (البربر والطوارق). أما في المشرق فإن أعلى نسبها كانت في بلدان الشام إذ تتراوح بين %20 إلى %30، وخصوصاً في الأردن وبين بدو النقب والبحر الميت. وبين %10 إلى %15 بين عرب الجزيرة العربية، والعراق. وبين عموم الأكراد حوالي %12، وتركمان العراق %17.

ـ السلالة (الآرية ـ الهندوأوربية) (R)، تكونت قبل حوالي 30 ألف عام، في شمال البحر الأسود وجنوب روسيا، ثم انتشرت في أنحاء أوروبا والشرق الأوسط ثم استقرت في الهند. وتُعَدُّ السلالة الأولى في أوربا وتشكل حوالي نصف جيناتهم. ومنها انبثقت قبل حوالي خمسة آلاف عام القبائل الناطقة باللغات (الآرية) التي بفضل اكتشافها استخدامَ الجياد تمكنت من الانتشار وفرض هيمنتها ولغتها التي شكلت أساس لغات غالبية شعوب الهند وأوربا. إذا أضفنا هذه الجينة (R) إلى الجينة الخاصة بالأوربيين (i) لتشكلا (الجينات الآرية ـ الأوربية)، فإنها توجد في الشرق الأوسط بنسب مهمة: عند الإيرانين والأتراك والأكراد حوالي %35، عند العراقيين بمن فيهم العرب %17، وشعوب الشام حوالي %20، السعودية %7، الإمارات %12. بل حتى بين (بدو النقب الأردنية) %16! أما في مصر وبلدان المغرب، فهي أقل من %9 أو معدومة!

جينات العراقيين

ان هذين الجدولين خلاصة لنتائج العديد من الفحوصات العالمية[40].

وهذا يدعم الفرضية الواقعية القائلة بأن سكان (بلاد النهرين) الأوائل هم من نفس سلالة ساكني سفوح (جبال زاغاروس، المطلة على النهرين) أجداد الأكراد (مثل الغوت والكاشيين الذين كانوا يهبطون إلى النهرين سلماً وغزواً، ويحكمون ويمتزجون بسهولة مع أبناء عمومتهم أهل النهرين). أي هم من السلالة (J) التي منها انحدرت (J1) للسومريين والعيلاميين، وغالبية الناطقين بالسامية. ثم فيما بعد أتت (الهجرات الآرية) من (جنوب روسيا) التي (كردت) لغة وثقافة (سكان الجبال الأصليين) وميزتهم عن أهل النهرين. تقريباً كما فعل (التعريب) مع باقي (أهل النهرين) بعد الفتح العربي الإسلامي:

(40) ـ بالنسبة لجينات مكونات الشعب العراقي، كحال الكشوفات التي تخص مختلف الجماعات، تختلف أرقام النسب قليلا بين كشف وآخر، بسبب اختلاف مكان وأشخاص الكشف. ولكن عموماً يتم أخذ أرقام النسب التي تعتمد على أكبر عدد من الأشخاص المكشوفين.
بالنسبة لنوعية جينات العراقيين يمكن مراجعة المواضيع المنشورة التالية:
ـ موقع PMC:
_ A glimpse at the intricate mosaic of ethnicities from Mesopotamia: Paternal lineages of the Northern Iraqi Arabs, Kurds, Syriacs, Turkmens and Yazidis
نفس المصدر أعلاه مترجم إلى العربية في موقع: جينات قبائل الجزائر (tribus algeriennes):
جينات سكان شمال العراق: جينات ((العرب + الأكراد + التركمان + السريان + اليزيديين))
- DNA lineages of the Northern Iraqi Arabs, Kurds, Syriacs, Turkmens and Yazidis
ـ صفحة ويكيبيديا بالإنجليزية الخاصة بجميع سلالات الشرق الأوسط، المعنونة بـ:
Y _ DNA haplogroups in populations of the Near East
ـ حول جينات السلالات الأبوية للأكراد، طالع:
Table 1 _ available via license: Creative Commons Attribution 4.0 International
https://www.researchgate.net/figure/46_tbl1_265947486
ـ في هذا الفحص الثاني العالمي أيضاً، تتضاعف نسبة (E) إلى 15% وتنخفض نسبة (i) إلى أقل من النصف. طالع:
Table 4: Distribution of the in silico assigned Y _ chromosomal haplogroups by the Whit Athey algorithm for the 17 _ loci Y _ STR datasets from Northern
https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC5669434/table/pone.0187408.t004/?report=objectonly
ـ حول جينات السلالات الأمومية للأكراد:
Table 2 _ uploaded by Fatah Zarei
https://www.researchgate.net/figure/MtDNA _ haplogroup _ frequencies _ in _ the _ Kurdish _ groups_tbl2_295667105
ـ حول الجينات الأمومية لجميع شعوب العالم، طالع القائمة الكاملة في موقع (Eupedia) العالمي بالإنجليزية، وبلغات أوربية أخرى:
https://www.eupedia.com/europe/european_mtdna_haplogroups_frequency.shtml

السلالات الابوية الاساسية لمختلف مكونات الشعب العراقي

نوع الجينة السلالية	الجينة J الشرق اوسطية والسامية العربية	الجينة E الحامية: المصرية المغاربية ـ الشامية	الجينة R الأرية ـ الهنداوربية	الجينة i الاوربية	جينات اخرى
عموم العراق	%57	%11	%17		T %9 عربية وشرق افريقية
اكراد العراق	%40	%12	%28	%16	T %6
التركمان	%26	%17	%13		G %10 قلقاسية ـ شرق اوسطية
السريان	%28		%30		T %18
اليزيدية	%22		%21		L %11 هندية شرق اوسطية
الفيلية	%40	%7	%28	%16	T %4 G %4
عرب الجنوب	%85	%7	%4		Q %3
عرب الشمال	%50	%8	%16	%2	T %9

التطابق الكبير بين السلالات الامومية للاكراد مع عموم العراقيين

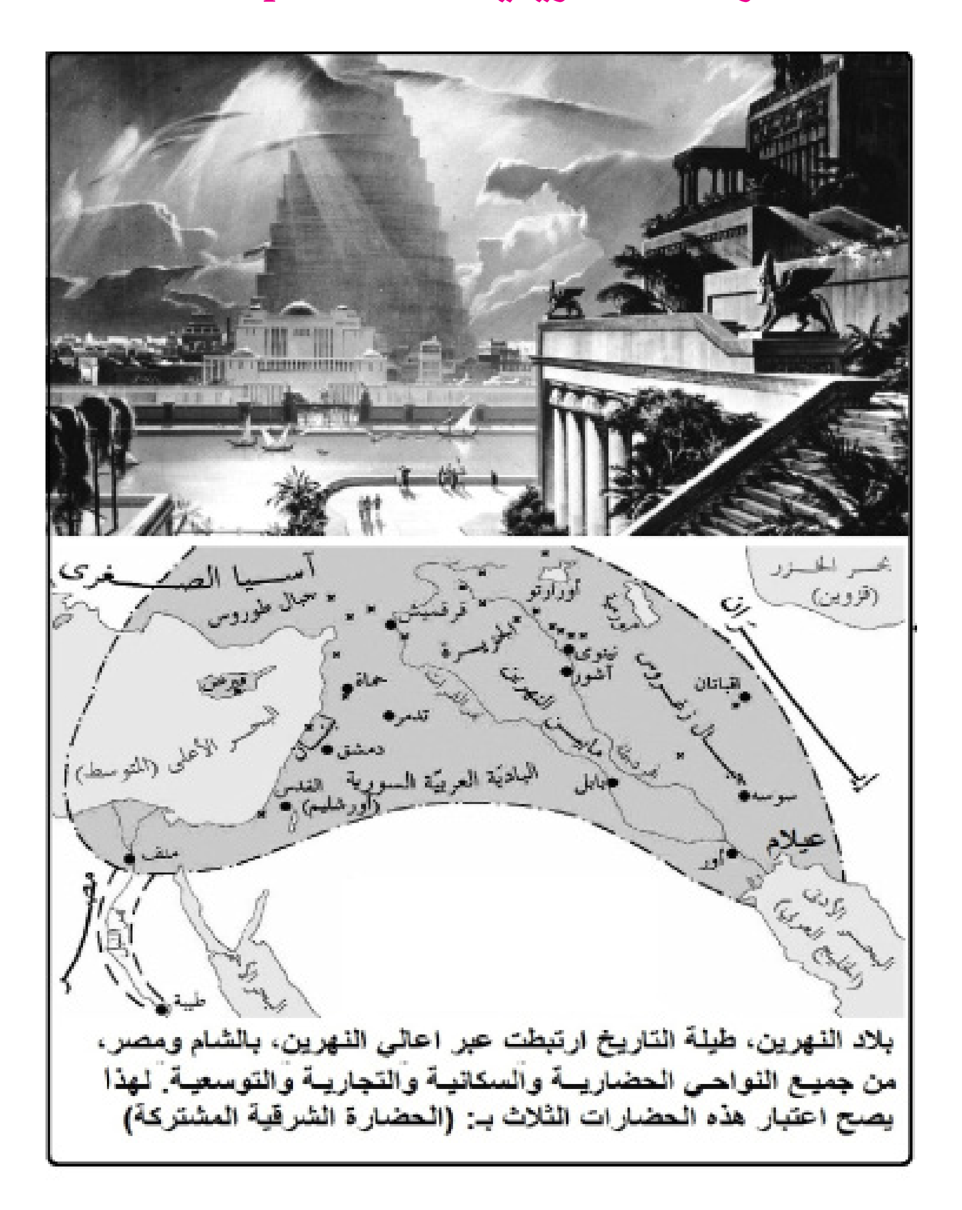
هذه ابرز السلالات الامومية االمشتركة بين الاكراد وعموم العراقيين، التي تمثل %70 من المجموع. اما الـ %30 المتبقيين، فهم ايضا يتحدرون من سلالات امومية مشتركة، ولكنها عديدة وبنسب صغيرة جدا.

السلالة الامومية	H,V	J	U	T	K
أمهات الاكراد	%26	%14	%15	%8	%5
أمهات عموم العراقيين	%28	%13	%7	%8	%5

❊ ❊ ❊

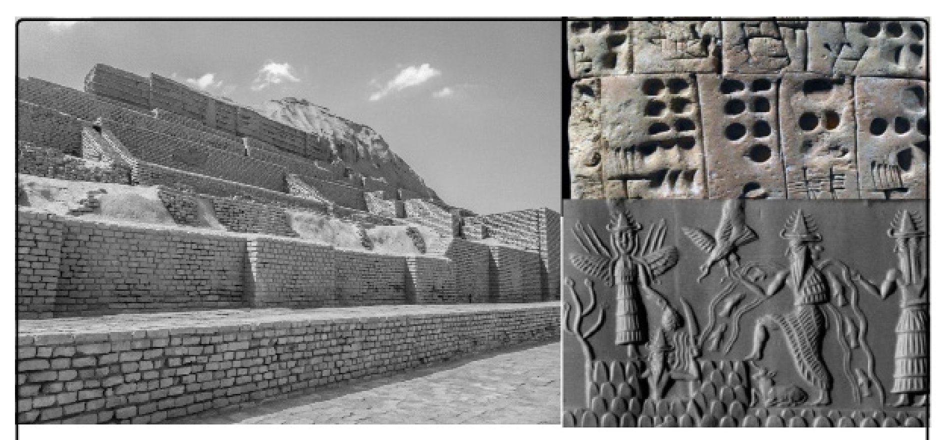
2

المرحلـة النهرينيـة:(Mesopotamian)



بلاد النهرين، طيلة التاريخ ارتبطت عبر اعالي النهرين، بالشام ومصر، من جميع النواحي الحضارية والسكانية والتجارية والتوسعية. لهذا يصح اعتبار هذه الحضارات الثلاث بـ: (الحضارة الشرقية المشتركة)

طبيعة النهرين اساس الانسان والدولة والحضارة



ان (الطبيعة الطينية) لبلاد النهرين قد اثرت في جميع مجالات الحضارة، مثل المعمار من الطابوق المفخور والواح الكتابة والنقوش

كما وضحنا في الفصل السابق، الاهمية الحاسمة للجغرافية والبيئة النهرية في تاريخ العراق قديماً وحالياً. منذ ان وجد فيه الانسان في الحقب المجهولة انتبه الى أن الحياة مستحيلة دون التفاهم مع أنهار هذا الوادي: (دجلة والفرات وما حولهما وما يتفرع منهما)، ومعرفة أسرارها من اجل تنظيمها والاستفادة منها[1]، والقنوات والسدود، وتأسيس شبكة غطائية كثيفة من السواقي من كل مقياس ابتداء من قنوات الحمل وقنوات التغذية إلى مساقي الحقول. فحتى تبقى الزراعة والحياة لا بد من تفّهم الطبيعة وتطبيعها. وهذا يتطلب دائماً وجود مؤسسة مشتركة قادرة على إدارة النهرين، أي (الدولة المركزية). ويكون دورها أيضاً تشكيل إدارات وقوانين للفلاحين كي يقبلوا بالتنسيق العقلاني والسلمي في حصصهم من شبكات الري. ومن هنا يكون التنظيم الاجتماعي والاداري الدولي[2] شرطاً

(1) ـ إن أنصار الطبيعة في العصر الحديث يسخرون من الفكرة الاوربية التي انتشرت في العصر الصناعي القائلة بـ: (الصراع ضد الطبيعة.. التغلب على الطبيعة.. التحكم بالطبيعة.. الخ) وهي مقولات تنم عن سذاجة وغرور العقل الحداثي الاوربي. فمن المستحيل السيطرة على الطبيعة وتغيير قوانينها الازلية: أنظمة المواسم والليل والنهار والمناطق الاستوائية والثلجية، والميلاد والموت والمرض.. الخ.. إن الصحيح هو القول: (التفاهم مع الطبيعة) ومعرفة خفاياها من اجل الاستفادة منها..

(2) ـ نحن مع التمييز بين كلمة (حكومة وحكومي) أي القيادة العليا للدولة، وكلمة (دولة ودولتي) وهي أشمل وأثبت مكانياً وزمانياً، فإن الحكومات تتغير ولكن الدولة شبه ثابتة مهما تغيرت القيادات الحكومية.

أساسياً للحياة. إن هذا (التفهم الضروري للطبيعة، وحتمية تشكيل إدارة مركزية للري)، أساس انبثاق اولى الدول والحضارات في العراق (وكذلك نفس الحالة بالنسبة لمصر)[3].

إن هذه الطبيعة أيضاً حددت ماهية الوجود المعنوي والثقافي، من عقائد وأفكار وكتابة. مثلاً، إن عدم وجود صخور صالحة للبناء (مثلما في مصر)، دفعت أهل النهرين الى الاعتماد الكلي على أطيان النهرين الغرينية النقية، في البناء والفخار والكتابة المسمارية على ألواح الطين. بل بلغ بهم الحال أنهم أطلقوا على (الانسان) تسمية (آدم: اديم الارض: الطين الاحمر: ومنه: دم)![4]

إن طبيعة أرض النهرين هي التي ألهمت العراقيين إبداع الإله (تموز) كرمز للخصب الذكوري المتمثل بالمياه المتدفقة من النهرين الخالدين، مع الآلهة (عشتار) كرمز للخصب الأنوثي المتمثل بالأرض الأم مانحة الخضرة والحياة. بل إن التاريخ العراقي يوضح لنا أن جميع الاجتياحات الأجنبية لبلادنا وهجرات الشعوب والقبائل إليها، كانت مدفوعة أساساً برغبة الاستفادة من خيرات الطبيعة؛ أي خصب النهرين!

إن جميع الهجرات السلمية والحربية والاحتلالات الأجنبية، ظلت مدفوعة برغبة الاستحواذ على خصب النهرين. بل حتى في العصر الحديث، قد بدأ الصراع الاستعماري على (العراق)، منذ (اكتشاف النفط) فيه قبل قرن، منذ ذلك الوقت وهو يعاني من الحروب والاحتلالات والانقلابات والمؤامرات من أجل السيطرة على هذه الثروة الطبيعية، بالاضافة الى الموقع الاستراتيجي الحاسم وسط الشرق الاوسط.

---

(3) ـ لقد برع بتفصيل هذه الحالة (النهرية)، الباحث المصري الراحل (جمال حمدان) في كتابه الموسوعي: شخصية مصر.

(4) ـ يعود تاريخ أقدم توثيق لتسمية (آدم ـ Adamu) في قائمة الملوك الأشوريين بمعنى (انسان)، كذلك الكنعانه، ثم في العبرية (سفر التكوين).

ما قبل الحضارة



الملاحظة المهمة جدا في تاريخ وادي النهرين: ان توطن الانسان بدأ في شماله قرب (نهر دجلة: اربيل كركوك الموصل)، ثم انحدر الناس نحو الجنوب. ولكن على العكس، فإن الحضارة بدأت من الجنوب:(سومر) ثم صعدت نحو الشمال. ان هذا الاختلاف يعود الى سهولة الزراعة في الجنوب لسهولة السقي من النهرين، بينما الشمال فأراضيه المرتفعة عن دجلة ، جعلته يعتمد على (الزراعة الديمية: البعلية: المطرية). وكذلك لبعد المسافة عن نهر الفرات. فهو محصور بين الجبال من الشرق والشمال، وبادية الجزيرة من الغرب. هذه صورة كهف (شاندار: شمال العراق: اربيل) قرب (نهر الزاب الكبير) وبارتفاع اقل من 800 متر. وهو من أكبر الكهوف واقدم موقع توطن لانسان النهرين، قبل حوالي 70 الف عام.

نحن مع الفكرة القائلة بأن (الحضارة: وهي المستوى الارقى والاعقد من الثقافة) مرتبطة بـ (الكتابة)، ولكن (الثقافة: وهي حالة معرفية أولية وأساسية تميز الانسان عن باقي المخلوقات)، لا تحتاج الى كتابة بل هي طبيعية وغريزية مصاحبة للمجتمعات. (تعريف مفصل في نهاية هذا الفصل).

إن وادي النهرين، (ماقبل الحضارة والكتابة)، كان من بين المناطق التي عثر فيها على أقدم وجود بشري، في شمال العراق (كهف شاندر: اربيل) بين عام 65000 قبل الميلاد و35000 ق.م: (إنسان نياندرتال)[5] مع مقابر يعود تاريخها إلى حوالي عام

(5) ـ (كهف شنايدر) يقع على ارتفاع (722 متر) شمال اربيل، وتم إيجاد أدوات مثاقب حجرية مقاشط وسكين حجرية. وبقايا عظام حيوانات ماعز وسلاحف وغنم كذلك 9 هياكل عظمية للإنسان نياندرتال.
كذلك كشف عن موقع آخر وهو (كهف زرزي وهزار مرد) جنوب السليمانية، ويقدر عمر الإنسان فيه 50 الف ق.م.

11.000 ق.م. وقبل ما يقرب من 10000 عام ق.م كان العراق (مع الاناضول وبلاد الشام) مركزاً لأقدم الثقافات البشرية في العصر الحجري الحديث (عهد ما قبل الفخار، حيث ظهرت الزراعة وتربية الماشية لأول مرة في العالم).

كذلك هنالك (موقع جرمو: قرب كركوك) (حوالي عام 7100 قبل الميلاد)، و (ثقافة تل حلف: شمال الموصل: الحسكة السورية)، وفترة (تل عبيد: محافظة ذي قار) (بين 6500 قبل الميلاد و3800 قبل الميلاد)، ثم (الوركاء) وأخيراً (جمدة نصر: محافظة بابل). إن هذه الفترات تظهر مستويات متزايدة من التقدم في الزراعة وصناعة الأدوات والهندسة المعمارية.

مع انتشار القرى الزراعية بدأ الاستيطان في الجنوب بحدود 6 آلاف ق.م، وشرعوا بتحويل البيئة الوحشية من الأهوار والمستنقعات والأحراش أو البادية الجرداء إلى بيئة زراعية مروية معطاء.

لقد شهد النهرين خلال هذه الفترة تشكيل أسس انبثاق المجتمع المتحضر، عبر اتساع الزراعة وبداية الحياة الحضرية ونشوء أولى المدن. وعرف بناة الحضارة أيضاً فن التعدين وابتدعوا دولاب الخزف، وصنعوا الآجر الفخاري والعربة ذات العجلة، وكذلك المحراث فضلاً عن السفن الشراعية. وبدايات فن النحت، وظهرت كذلك المباني العامة كالمعابد حيث كثرت وازدادت أهميتها منذ طور (تل العبيد).

وكان من أبرز المبتكرات التي لها أهميتها الاجتماعية والتاريخية آنذاك هو (الفخار) الذي أصبح تطور صناعته وزخرفته وشكله مقياساً لتمييز حقب من التقدم في العصر الحجري الحديث. وشاع استخدام المعادن وتطور النمط العمراني بتطور المباني وتطور تلوين الخزف، وتطورت المعابد وتطور الفن واتسع انتشار مراكز الاستقرار الاجتماعي في وسط العراق ونموّها السريع وظهور الدولاب الذي يصنع به الفخار وبدأت الحضارة تأخذ طريقها إلى خارج المناطق المجاورة لبلاد النهرين.

والملاحظ على معظم المدن الحضارية تركّزها فيما حول نهر الفرات في القسم الأوسط والجنوبي من العراق. والراجح أن جريان الفرات في أرض مستوية، جانبها الغربي هضبي مرتفع، تنحدر باتجاه دجلة جعل حوضه أكثر ملاءمة للاستقرار البشري،

إذ يمكن التحكم في فيضانه بتحويله عبر قنوات إلى دجلة إضافة إلى إمكانية إقامة المدن على الحافات المرتفعة غربي النهر. والذي يتدفق في قوس المدن الأولى (أور وأريدو والوركاء ونفر).

***

أقاليم النهرين ولغاته وأقوامه

كما وضحنا في القسم (1) فإن (وادي النهرين) رغم توحده الجغرافي حول النهرين، إلّا انه مثل جميع البلدان الواسعة، منقسم الى (خصوصيات جغرافية داخلية) تخلق نوعاً من (الخصوصيات السياسية الادارية). وقد تنازعت بينها للسيطرة الكاملة عليه، من خلال السيطرة على (بابل) التي هي المركز الجغرافي الوسطي والسياسي والحضاري لعموم النهرين (مثلما أصبحت بغداد، فيما بعد):

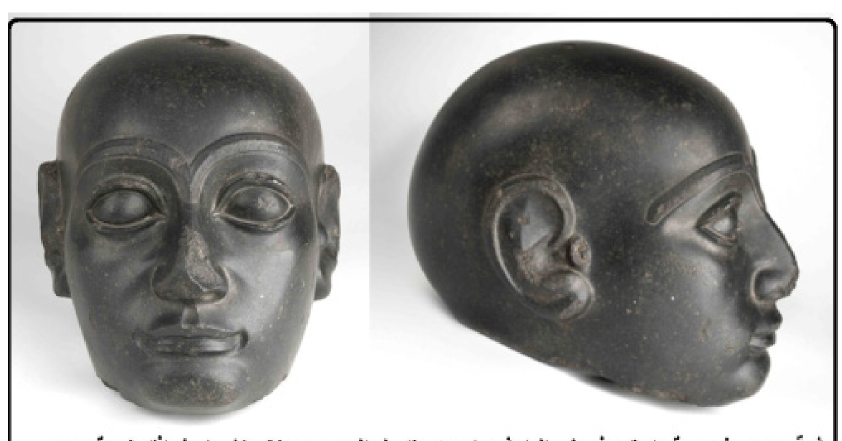
1ـ اقليم بابل، نسبة الى (مدينة بابل) وسط الفرات. وقد ورد اسمه في التوراة بـ (أرض شنعار: شيني نهار: أرض النهرين)، وشملت أساساً جنوب ووسط العراق الحالي. وقد جمعت في شخصيتها بين ثقافة السهل الخصيب المنفتح، وثقافة البادية الغربية المحاذية للفرات، حيث استمر التواصل بين الطرفين لأسباب تجارية وهجرات متبادلة لأسباب مختلفة. وبالنتيجة إن الثقافتين، الزراعية والبدوية كانت مرتبطتين بالسهول المنفتحة والسماء الساطعة، التي تدفع الى الانسيابية والتأمل السماوي الروحي والارتباط بالنجوم والفلك ونظام الابراج..

2ـ اقليم آشور، وتمركز في شمال النهرين أعالي دجلة (مدن نينوى وآشور ونمرود). وشملت ما سمّيّ فيما بعد (منطقة الجزيرة) التي تجمع بين الحياة الزراعية النهرية وحياة أهل الجبال الشرقية المحاذية (زاغاروس). فكان الميل عموماً يجمع بين الروح الثقافية والفنية لحواضر دجلة، وروح أهل الجبال التي تميل الى الفعل والحزم والنشاط الاداري والحربي.

3ـ اقليم عيلام، وتمركز في أقصى جنوب شرق بلاد النهرين (الاحواز الحالية) بين شط العرب وجبال زاخاروس وخليج البصرة. وكان العيلاميون منذ فجر التاريخ في

تواصل دائم مع السومريين وربما كانوا بالأصل نفس الشعب، ولكن اختلاف الجغرافية واختلاف الجيران الجبليين لـ (عيلام)، عن الجيران أهل البادية الغربية لـ (سومر)، قد أثَّر على اللغة والعقلية.

لغات وأقوام النهرين



ثمة هوس غريب قد استحوذ على الباحثين اسمه: (اصل السومريين)؟ وكل باحث افترض قدومهم من بلاد ما! بل ذهب البعض الى انهم نتاج تمازج اهل الفضاء(انوناكي) مع اهل الارض القدماء! لكن المكتشفات الجينية الاخيرة قد اثبتت انهم يحملون نفس الجينات السامية الاكدية:(J1)، اي انهم بكل بساطة من ابناء النهرين ومن المحتمل من شماله العراقي ـ السوري: الجزيرة، موطن الساميين

إن اختلاف اللغات لا يعني اختلاف الاصول السلالية. فهنالك عوامل كثيرة تؤثر في اختلافها ومتغيراتها: سياسية ودينية وجغرافية، وغيرها.. في هذه المرحلة يمكن الحديث عن ثلاث لغات مختلفة:

1. السومريون واللغة السومرية

وهي أقدم لغة مكتوبة في التاريخ، في بداية الألفية الثالثة ق.م. نحن نميل الى الفكرة التي بدأت تنتشر بين المؤرخين في السنين الاخيرة، بأنه لم يوجد (شعب سومري) بل فقط (لغة سومرية) اصطنعها في البداية رجال الدين الأكديون (الساميون)، ثم توسع استعمالها كلغة فصحى ثقافية ودينية، ولم تكن لغة شعب[6]. ليس هنالك أي

(6) ـ حول هذه الإشكالية راجع:
ـ نائل حنون: حقيقة السومريين ـ دار الزمان ـ دمشق 2007. كذلك الفصل الأول: =

مصدر أثري واحد يشير إلى قوم بـ (سومريين)، فهي من إضافات المؤرخين الأوربيين خصوصاً (نوح كريم: Noah Kramer). فإن العبارة السومرية المكتوبة: (خمس جرار إلى الأرض)، يترجمها (كريمر): (خمس جرار إلى أرض سومر). بالإضافة إلى أدلة عديدة منها أن اللغة السومرية تشكل أساس اللغة الأكدية (وعموم اللغات السامية والعربية)، بل ان 80% من (لغة ايبلا) الكنعانية في سوريا هي سومرية. العلاقة بين (اللغة البابلية ـ الآشورية) و (اللغة السومرية) تقارب العلاقة بين العربية والسريانية.

وإن هناك عدداً كبيراً من المفردات والمقاطع السومرية الرمزية وضعت لأول مرة بعد الاختفاء المفترض للسومريين بأكثر من خمسة قرون ما يعزز ويؤكد أن تلك المفردات وضعت من قبل الآكاديين أنفسهم. إذا كان الآكديون وضعوا المفردات السومرية في ذلك الزمن فما الذي يمنعنا من الاعتقاد بأنهم وضعوها قبل ذلك الزمن؟!

ويتفق الجميع على ان (حضارة بابل وآشور) مستمدة من (سومر)، وأن آلهة (بابل ونينوى) وأساطيرهما الدينية هي نفسها التي في (سومر). ثم إن الجدل المستمر منذ قرنين حول (أصل السومريين) و (من أين أتوا) فهو مصطنع لا معنى له، ويمكن أن يطرح عن جميع شعوب العالم: من أين أتوا؟

إن (علم الجينات) في السنوات الأخيرة قد حسم الجدل؛ إذ أثبتت الفحوصات الجينية أن السومريين يحملون نفس جينات الساميين (J1) كما بيّنا سابقاً. إن آثار من أطلق عليهم خطأ: (السومريين) تدل على أنهم لم يختلفوا عن (الاكديين) إذ كانوا يعيشون في كل أنحاء العراق، وقد ظهرت معالمهم في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، في جنوب العراق (أرض شنعار). في هذا السهل الخصب قامت المدن الأولى مثل (أور وأوروك ونيبور ولارسا ولجش وكولاب وكيش وإيزين وأريدو وأدب). وليس صدفة أن تبقى اللغة السومرية متداولة ثقافياً ودينياً في (بابل وآشور) حتى نهاية

=

ـ GEORGES ROUX – LA MESOPOTAMIE – SEUIL – PARIS – 1985

ـ كذلك الكتاب المهم عن العلاقة بين السومرية والسامية: الجذور السومرية لنشأة اللغة العربية واللغات الأفروآسيوية، للباحث الليبي القدير الدكتور عبد المنعم محجوب.

ـ دراسة جيدة منشورة بعنوان: هل اللغة السومرية عربية الجذور؟ محمد ذوق.

الحضارة النهرينية في القرن السادس ق.م. مع انتهاء استعمال الكتابة المسمارية في العراق والشرق الاوسط، لتحل محلها الكتابة (الحروفية) الكنعانية.

السومرية والاكدية ومثال: (لغة القرآن) ولغة الجنوب!

هنا نقترح بعض التعديل والتفصيل عن (أصل السومريين والاكديين، ولغتيهما): بناء على هذا الترابط الكبير بين (السومرية) و(الاكدية السامية) حيث ثبّت هذا أكثر وأكثر في البحوث اللغوية في السنوات الاخيرة[7]. إذن الفرق بين الطرفين، ليس أقوامياً في الاصول، بل الفرق اجتماعي ثقافي لهجوي.

لتوضيح الفكرة، يمكن تشبيه حال (السومريين) بحال (سكان بغداد: البغادلة) في القرن العشرين. حيث بدأت جموع المهاجرين من فلاحي الجنوب (الشروكية: الشرقية) حتى أصبحوا في أواسط القرن هم الغالبية العددية في المدينة. ونحن نعرف إنه ليس هنالك فروق أقوامية وأصولية محددة بين (البغادلة) و(الشروكية)، لكن هنالك فروقاً واضحة في الثقافة والعادات واللهجة (اللغة). يمكن ايضا تشبيه (اللغة السومرية) بـ(العربية الفصحى: لغة القرآن)، و(الاكدية) بـ(اللهجة الشعبية) لغة المهاجرين (الاكديين) الذين يشكلون الطبقة المهمَّشة في (المجتمع السومري) المديني المتحضر. ومثلما حصل مع (اهل الجنوب) (وكما حصل مع جميع المهاجرين في تاريخ البشرية)، إذ تمكنوا مع الاجيال من التمدن والسيطرة التدريجية على المجتمع ثم على الدولة وبالذات بعد عام 2003... هكذا تمكن (الاكديون) من الصعود والسيطرة مع الانقلاب الداخلي الذي قام به (الزعيم سرجون الاكدي)[8]، الذي لم يكتف بالسيطرة على الدولة، بل أنجز تغييراً كبيراً في السيطرة اللغوية: إقرار اعتماد اللهجة الشعبية (الاكدية) كلغة رسمية وكتابتها بطريقة سهلة وشعبية أقل تحجراً وتعقيداً من (السومرية: العربية الفصحى) التي كانت تتقيد بكتابة مقاطع الكلمات. ويبدو أن هذا القرار كان له أساس شعبي قد فرضه التطور الحضاري واللغوي في بلاد النهرين. ولنا على هذا مثال كبير ومعروف، عندما قام الاوربيون في القرون الوسطى بالتمرد على (اللغة اللاتينية المقدسة)، وتدوين لهجاتهم الشعبية: (الايطالية والفرنسية والاسبانية..) لأنها أسهل وأقرب الى حاجات الشعب. ومثلما بقيت (اللاتينية) لغة دينية خاصة حتى الآن، كذلك بقيت (السومرية) لغة مقدسة خاصة بالصفوة طيلة المرحلة النهرينية، بجانب (الاكدية) لغة الشعب والثقافة.

2. الناطقون بالأكدية: البابلية، الآشورية

الكثيرون يظنون أن هنالك لغات مختلفة: اكدية وبابلية وآشورية وكلدانية الخ وهي لغات شعوب مختلفة. ولكن الواقع يؤكد أن هنالك لغة واحدة هي (الاكدية) هي نفسها دامت حوالي 3000 عام، كلغة رسمية ودينية وثقافية وحيدة في جميع الدول

(7) عن العلاقة بين السومرية والسامية، طالع مثلاً الكتاب المعروف:
- ما قبل اللغة، الجذور السومرية للغة العربية واللغات الأفروآسيوية: عبد المنعم المحجوب
(8) ننبه إن وصفنا (الشروكي) مجازي للتشبيه فقط.

والسلالات المختلفة: أكدية، بابلية، آشورية، عيلامية، كلدانية[9]. وإن هذه اللغة هي أقدم واولى اللغات السامية المدونة.

مشكلة أصل الساميين[10]

لقد أشاع العروبيون إن أصل الناطقين باللغات السامية يعود إلى (الجزيرة العربية) ولا زالوا يطلقون عليهم (الجزيرون، واللغات الجزرية)! والحقيقة أن هذه الفرضية أصبحت ملغية بعدما كانت واحدة من عدة فرضيات يتداولها علماء الآثار والتاريخ، منها أن أصل الساميين من القفقاس، أو من الشام، أو من العراق، أو من شمال أفريقيا!!

إن البحوث الجينية بينت أن الشعوب السامية (الجينة J1) هم السكان الأوائل في المنطقة الممتدة بين جنوب العراق وسواحل الشام: (الهلال الخصيب) الممتدة عند سفوح (جبال زاغاروس وجبال طوروس). وهم أشقاء شعوب الشرق الأوسط ذوي (الجينة J2). وأنهم منذ القدم أيضاً قد امتزجوا بالجماعات القادمة من (مصر وشمال أفريقيا) الحاملة للجينة (E) وشكلوا ما سمي بالشعوب السامية ولغاتهم.

قبل أكثر من قرن قال (عالِمُ اللغات السامية: هاري ولفسون:Harry Wolfson):

((فبعضهم يزعم أن المهد الأصلي للساميين إنما هو أرض أرمينية (القفقاس)، وبعضهم يقول: إن هذه المنطقة هي المهد الأصلي للأمم السامية والأمم الآرية جميعاً، ثم تفرعت منها جموع البشر في أرض الله الواسعة)). وللتوراة نظرية خاصة عن أقدم ناحية عمَّرها بنو نوح وهي أرض بابل، وقد تكون هذه النظرية أقرب إلى الحقيقة. فقد أثبتت البحوث التاريخية أن أرض بابل هي المهد الأصلي للحضارة السامية، وقد أيَّد العالم (جويدي) هذه النظرية في رسالة يقول فيها: إن المهد الأصلي للأمم السامية كان في نواحي جنوب العراق على نهر الفرات، وقد سرد عدداً من الكلمات المألوفة

---

(9) ـ أفضل توضيح عن استخدام اللغة الاكدية بلهجتيها (الاشورية والبابلية)، مثال (العربية) التي بقيت هي اللغة الرسمية، ولكن هنالك لهجتان: موصلية وجنوبية..

(10) ـ عن أصل الشعوب الناطقة بالسامية، طالع دراسة مهمة حديثة بالانكليزية:

- Dr. Igor P. Lipovsky Where did the Ancient Semites come from

وقد انتشرت لهذه الدراسة عدة ترجمات وملخصات. ابحث:

- من أين جاء قدماء الساميّين؟ / إيغور ليبوفسكي

في جميع اللغات السامية من العمران والحيوان والنبات، وقال: إن أول من استعملها هم أهل تلك المنطقة، ثم أخذها عنهم جميع الساميين[11].

إن الهلال الخصيب ظل مأهولاً بالبشر منذ عشرات الآلاف من الأعوام، وفيه نشأت أولى المستوطنات الزراعية منذ الألف التاسع ق.م، وظهرت معالم الحضارة في الألف السادس ق.م في حسونة وسامراء وحلف والعبيد وأوروك وجمدة نصر[12].نحن لسنا بحاجة للبحث عن أصول خارج منطقة الهلال الخصيب لهذه الشعوب السامية.

إن أول ظهور في التاريخ لهذه الشعوب ولغتها وحضارتها، حدث في منطقة المشرق[13]. في العراق والشام أسس الساميون أولى الحضارات في تاريخ البشرية (بجانب الحضارة المصرية) في الألف الثالث قبل الميلاد. بالنسبة لسوريا فإن (إيبلا) أول حضارة فيها، وكانت منذ البدء ناطقة بالسامية. بنفس الحقبة ظهرت أول حضارة عراقية، رغم أنها كانت ناطقة بالسومرية إلاّ أن الآثار والمصادر تدل على أن الساميين الأكديين كانوا منذ البدء من المشاركين بها أيضاً. بل هنالك فرضية تنص على أن السومريين والساميين كانوا من نفس العنصر، حيث دلت البحوث الأخيرة على تشابه تام بينهم في الشكل والدين والحضارة. وأن زيادة السكان المفاجئة في هذه الحقبة في الجنوب العراقي كشفت عن وصول هجرات من الشمال العراقي السوري، وربما أيضاً من الأحواز[14].

(11) ـ تاريخ اللغات السامية، أ ـ ولفنسون ص4 ـ 5.. كذلك راجع التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي (توماس طومسن) ص121 ـ 124.

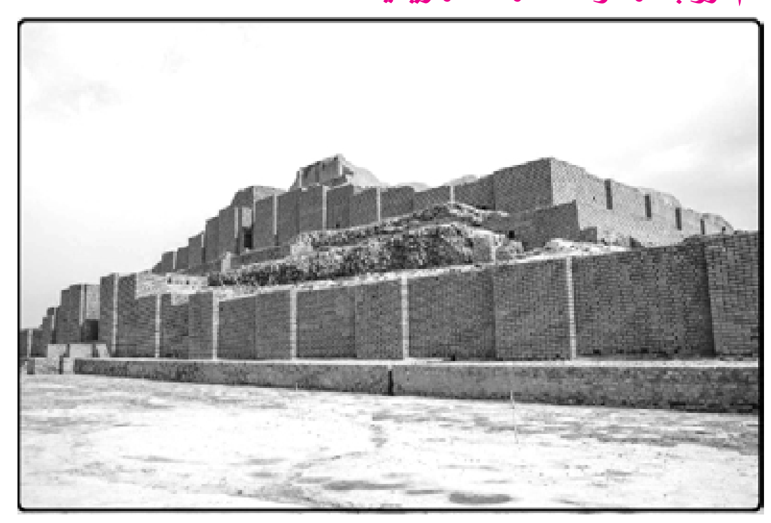
(12) ـ (Georges ROUX/P48/57).

(13) ـ (آرام ودمشق واسرائيل / فراس السواح / ص15).

(14)ـ (Georges ROUX/P 82 - 85)

كذلك الهامش في صفحة (370: 71/2).

3 ـ عيلام، روابطها وثقافتها النهرينية



زقورة عيلام(جغا زنبيل: Chogha Zanbil)، وهي طبق الاصل عن الزقورات(المعابد) النهرينية، ودليل على الارتباط الديني والحضاري مع النهرين.

إن عيلام (الاحواز) امتداد طبيعي لسهل الجنوب العراقي، وليس هنالك أية فواصل طبيعية، تمنع التداخل السكاني والثقافي والسياسي مع بلاد النهرين. بل إن اسم (عيلام) أكدي (ايل ماتي: Elimatu) (الارض العالية، أو أرض الله)[15]. وإن العلاقة عيلام مع سومر قديمة، بل هناك من يعتقد بأن (سكان سومر) نزحوا من (عيلام)[16] لأن الارتباط التاريخي بين بلاد عيلام وبلاد بابل كان وثيقاً بسبب عدم وجود أي حاجز طبيعي بينهم، وهذا ما سمح بتنقل السكان بينهما في فترات السلم والحرب، وفي العصر الاكدي زادت التأثيرات بشكل واضح لدرجة أن اللغة الاكدية حلَّت محل العيلامية كلغة تدوين في الكثير من الاحيان.

إن مشكلة (عيلام) أنها ظلت سهلة الاخضاع من المنطقة الجبلية المحاذية والمطلة عليها مباشرة والتي هي حالياً (محافظة فارس الايرانية)، وفيها تأسست (مدينة انشان)

(15) ـ للتذكير، فإن كلمة (ماتي) التي كانت تستخدم في الاكدية بمعنى (موطن)، هي نفسها بالعربية (مثوى: ماتا).

(16) ـ عن احتمال نزوح أهل سومر من عيلام:

ـ Dr. Igor P. Lipovsky Where did the Ancient Semites come from

وقد انتشرت لهذه الدراسة عدة ترجمات وملخصات. ابحث:

ـ من أين جاء قدماء الساميّين؟ / إيغور ليبوفسكي

التي تمكنت في فترة من حكم عيلام بالتنافس مع (سوس: شمال الاحواز) العاصمة الاصلية والتاريخية لعيلام.

إن ما يؤكد الترابط القديم بين (سومر) و(عيلام) هو ذلك التداخل في الحكم بين المنطقتين. فهنالك نوع من التداول للملوكية بين الاثنين بصورة اعتيادية وكأنهما بلد واحد. تذكر قائمة الملوك السومريين إن الملك انتقل من مدينة (أور) إلى مدينة (أوان العيلامية) التي حكم فيها ثلاثة ملوك 356 عاماً ثم دحرت (أوان) ونقلت ملوكيتها إلى (كيش) في النهرين. ويتكرر هذا بخصوص انتقال الملوكية من (كيش) إلى (حمازي العيلامية) لمدة 360 عاماً. ثم انتقل الملك إلى أوروك وهكذا[17]. ثم سيطرت عليها دول النهرين: الاكدية من 3500 ق.م الى 2100 ق.م / ثم البابلية من 2094 ق.م الى 800 ق.م/ الآشورية من 800 ق.م إلى 612 ق.م / الكلدانية من 600 ق.م إلى 550 ق.م. خلال هذه الحقب الطويلة المتعاقبة، ظلت (عيلام) عنصراً فعالاً في التحالفات والاتحادات والصراعات بين مناطق وقوى بلاد النهرين: (سومريون، أكديون، غوتيون، آشوريون، كاشيون، كلدانيون..) من اجل السيطرة على بلاد النهرين وخصوصاً مركزها (بابل). علماً بأن مثل هذه الصراعات الداخلية قد عاشتها جميع البلدان الكبيرة، بسبب تنوع المناطق الجغرافية وقواها[18].

وأخيراً تم احتلال (عيلام) من قبل (الفرس الاخمينيين) مع احتلال (بلاد النهرين). واستمرت الاحتلالات الاجنبية للبلدين أكثر من ألف عام، حتى الفتح العربي الاسلامي للعراق والاحواز (عيلام).

أما من الناحية الثقافية (اللغة والدين والفنون والمعمار) فإن ثقافة (عيلام) هي ذاتها ثقافة بلاد النهرين، سواء من حيث الكتابة المسمارية والتفاهم باللغة المتشابهة إلى حد بعيد أو العادات والتقاليد المتماثلة. ليس بالصدفة أنه في مدينة (السوس) الاحوازية عاصمة العيلاميين، تم اكتشاف (مسلة حمورابي)، مع الكثير من الآثار العراقية القديمة.

---

(17) ـ Jean Bottéro, Clarisse Herrenschmidt et Jean Pierre Vernant:

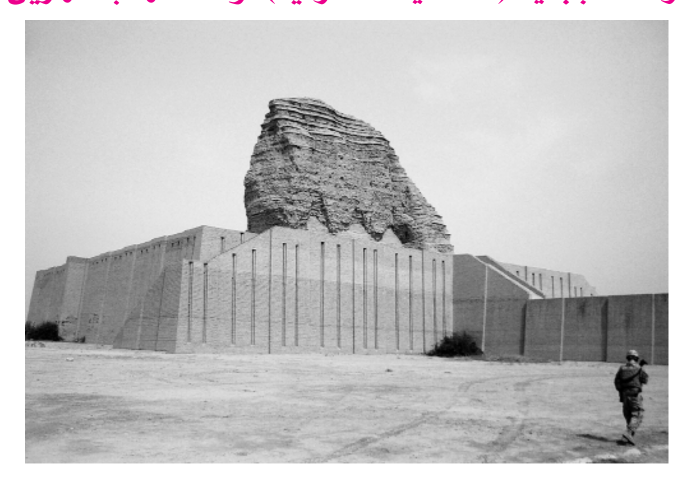
ـ Ancestor of the west: Writing, reasoning, and religion in Mesopotamia, Elam, and Greece, University of Chicago Press, Chicago, 2000.

(18) ـ **عن الصراعات الداخلية التي عاشتها جميع البلدان الكبيرة، بسبب تنوع المناطق الجغرافية وقواها، نذكر بتواريخ: المانيا وفرنسا وايطاليا والصين والهند، قبل التوحد الداخلي لكل بلد، ظلت طيلة تاريخها في صراعات داخلية مستمرة بين دويلاتها المتنافسة.**

ـ التشابه الكبير لمعمار وفنون عيلام مع أمثالها في بلاد النهرين. كذلك الشبه الكبير بين الآلهة السومرية والآلهة العيلامية مثل (إنكي، كي، نرجال، جيرو، أدد، نبو، نسكو، شالا، سين.. وغيرها). كذلك هم تبنّوا عمارة (الزقورة ـ المعبد) النهريني، مثل: (زقورة دور انتاش).

لغة وكتابة عيلام، مرت بثلاث حقب مختلفة، كلها استخدمت الخط المسماري النهريني. العيلامية القديمة ثم الوسطى، وهي حتى الآن لم تفك معانيها. أما الحقبة الثالثة التي بـ (الخط المسماري الاكدي) فقد سهل قراءتها. إن العيلامية تبدو بعلاقة مع السومرية وخصوصاً أنها مثلها (لغة مقطعية). ثم منذ العهد الاكدي (حوالي 2300 ق.م)، سادت في عيلام (اللغة الاكدية) مثل باقي بلاد النهرين، وانتشرت بينهم الاسماء الاكدية[19].

4 ـ المجموعة الجبلية (الكاشية ـ الكردية)، وعلاقتها بالنهرين



(زقورة عقرقوف) قرب بغداد، وقد شيدها ملك بابل الكيشي (كوريغالزو الأول) حوالي 1300 ق.م. وكانوا على نفس الحضارة واللغة والديانة النهرينية.

المقصود بهم، (أسلاف اكراد العراق) سكان (سفوح جبال زاغاروس) في جانبها المطل على (وادي النهرين). وهذه المجموعة الجبلية شكَّلت دائماً رافداً يغذي خصوصاً المناطق المحاذية لها، أي شرق دجلة، وبالذات (منطقة آشور)، بالهجرات الفردية والجماعية سلماً وحرباً. ويمكن تشبيه (هذه الجماعات الجبلية)

(19) ـ عن لغة وكتابة عيلام:
دراسة منشورة بالفرنسية / L'Élam, La civilisation Élamite

بالأنهار المنحدرة من نفس هذه الجبال: (ديالى والزابان الأعلى والأسفل) التي تغذي نهر دجلة بالمياه، هكذا استمرت هذه الجبال والسفوح تغذي (سهول دجلة) بسكان الجبال وسفوحها. إن هذه الجماعات الجبلية في العراق القديم لا نعرف عن لغتها أي شيء، لأنها لم تترك أية نصوص تتحدث عنها، لأنها كانت سرعان ما تذوب في النهرين وتصبح جزءاً منهم.

إن تسمية (كرد) تعود الى السومريين والآشوريين (كاردو/ كاردا) الذي يعنون بهم سكان أعالي دجلة المجاورين لنينوى[20]. ويقيناً هنالك علاقة مع اسم: (كاردونياش: Karduniash) الذي أطلقه (الكاشيون: وهم جبليون من أسلاف الاكراد) على (بلاد بابل) أثناء حكمهم لها خلال خمسة قرون[21].

إننا عرفنا هذه المجموعة بعد هجراتها من المنطقة الجبلية نحو سهول النهرين، مثل الغوتيين ثم الكاشيين في الألف الثالث ق.م[22]، وإنهم قدموا من الجبال واحتلوا (سومر وأكد وبابل) وتبنّوا تماماً اللغة والحضارة العراقية وذابوا بعد فترة مع باقي العراقيين، ولم يتركوا لنا ما يميزهم سوى أسمائهم. أما (اللغة الكردية) التي تعتبر (لغة آرية)، فإنهم قد اكتسبوها فيما بعد من هجرات (القبائل الآرية) التي فرضت لغتها. يبدو أن العنصر الآري بسبب طبيعته الجبلية واكتشافه آلة حربية جديدة (الخيول)، مكنته أكثر من غيره من السيطرة وفرض لغته حيث اعتبرت (اللغات الكردية) لغات (آرية إيرانية)[23].

(20) ـ عن اسم (كرد):

- Reynolds, G. S. (October - December 2004). «A Reflection on Two Qurʾānic Words (Iblīs and Jūdī), with Attention to the Theories of A. Mingana». Journal of the American Oriental Society. 124 (4): 683, 684, 687

(21) ـ عن تاريخ الكاشيين:

ـ بلاد بابل (كاردونياش في العهد الكيشي) سلالة بابل الثالثة/ لمياء محمد الحسيني

ـ عن كاردينياش:

«Karduniash.» In The Encyclopedia of Ancient History. R. Bagnall, K. Bordersen, C. Champion, A. Erskine, S. Huebner eds. Malden, Oxford, Carlton: Blackwell.

Susanne Paulus

(22) ـ (الغوتيون) سيطروا على بلاد النهرين بعد عام 2215 ق. م، لحوالي القرن. وتبنّوا نفس الحضارة واللغة والدين وبعد ان فقدوا السلطة بمجيء السلالة السومرية، اندمجوا مع السكان. اما (الكاشيون) القادمون أيضاً من الجبال المجاورة، فقد كونوا سلاله بابلية دامت حوالي خمسة قرون (1680 ـ 1157 ق م).

(23) ـ من الخطأ الحديث عن (لغة كردية واحدة بعدة لهجات). فهي لغات مختلفة، لأن كل واحدة منها مكتوبة ولا يمكن للناطقين بها التفاهم بينهم. بل إن (اللغة الكرمنجية) وهي لغة أكراد تركيا، مكتوبة بالابجدية =

وقد بينت البحوث الجينية أن نسبة العنصر الآري أقل من نسبة العنصر السامي والشرق الأوسطي بين الاكراد. وهذا يؤكد على أن الأقوام الكردية الأصلية قد تعرضت خلال حقب التاريخ لهجرات القبائل الآرية القادمة من الشرق حيث الهضبة الإيرانية، بالاضافة الى الجماعات السامية النازحة من الغرب حيث وادي النهرين[24]. حيث لوحظ خصوصاً أن الأكراد في غرب زاغاروس ـ أي في المناطق المحاذية لوادي النهرين ـ قريبون عرقياً وثقافياً إلى سكان شمال النهرين[25].

جميع الآثار التي تم اكتشافها في محافظات الاقليم الكردي العراقي: (اربيل ودهوك والسليمانية). وآخرها في عام 2019 تمكن فريق آثار فرنسي، من العثور على بقايا مدينة قديمة مفقودة قرب محافظة السليمانية في موقع يدعى (كونارا)، ويتكون من اسس حجرية يرجع تاريخها إلى حوالي 2200 ق. م. وعثر فيها على عشرات الألواح الطينية المغطاة بالكتابة المسمارية في المدينة، من بينها ألواح تتحدث عن الزراعة وعمليات تسليم الدقيق.



هذه آثار مما لا يحصى، المنتشرة في الاقليم الكردي العراقـــي:
آثار قصر آشوري أكتشف عام 2018 في قرية الفايدة في دهوك!

= اللاتينية، بينما (اللغة السورانية) في العراق بالابجدية العربية. طالع مثلا (موسوعة ويكيبيديا بالانكليزية تقول بكل وضوح عن: (لغات كردية ثلاثة: كرمانجي وسوراني وكوراني):

The three Kurdish languages are Northern Kurdish (Kurmanji), Central Kurdish (Sorani), and Southern Kurdish (Palewani or Xwarîn).

كذلك طالع مثلا، دراسة الباحث الكردي (برزو محمود): اللغة الكردية والصراع اللغوي السورانية أم الكورمانجية؟

(24) ـ راجع موضوع (جينات العراقيين) في المدخل الجغرافي السكاني.

(25) ـ (راجع الموسوعة الإسلامية ـ العراق، كردستان).

الميديون، وعلاقتهم بالأكراد؟


هذه الفخارية، كل ما تبقى من الميديين!

كان من المعقول أن ينتمي (أكراد العراق) الى تاريخ (الكاشيين) وهم أقدم وأعرق في الحضارة، حيث حكموا (بابل) وعموم بلاد النهرين لخمسة قرون. لكن (الحركة القومية الكردية) ومثل جميع الاحزاب العراقية، تفضل دائماً الانتماء لما هو خارج العراق. لهذا تراهم منذ أواسط القرن الماضي، وبتأثير من أكراد إيران، تبنّوا فكرة الانتماء لتاريخ ايراني، والاعتقاد بـ (الأصل الميدي للأكراد) والافتخار بما أسموه (الإمبراطورية الميدية) و(الحضارة الميدية) وحتى نشيدهم الوطني يعلن تقديسه لـ (ميديا)! وهذا الاعتقاد يتناقض تماماً مع الانتماء التاريخي والجغرافي لأكراد العراق وإلى عاصمة إقليمهم (أربيل). إنهم يتطابقون مع رفض (العروبيين) لتاريخ العراق والانتماء الى (تاريخ اليمن)، بحجة الاصل القومي[26]!

تاريخ الميديين

يبدأ تاريخ إيران المعروف والرسمي بظهور (الميديين) في وسط الهضبة الإيرانية بين جبال زاغاروس، وعاصمتهم (أكبتان ـ هماذان حالياً)، في الألف السابق للميلاد، أي بعد ظهور الحضارة العراقية بأكثر من ألفي عام. المصادر الوحيدة التي ذكرتهم من

(26) ـ لا تسجل أية مصادر أكاديمية عن موضوع (الميديين) هذا، لأن المعلومات عنهم متفق عليها من جميع الباحثين، إذ يكفي البحث في الإنترنت عن (MEDES) و(Kurds and Medes) بأية لغة أوربية، مثل (ويكيبيديا بالإنكليزية أو الفرنسية)، حتى تظهر هذه المعلومات بصورة متطابقة مع ما نذكره. أما المنشورات المكتوبة بالعربية بما فيها (ويكيبيديا العربية)، فإن القوميين الأكراد قد نجحوا بفرض تزييفهم الدعائي في جميع المواقع العربية. والطريف أن هؤلاء المزيفين يضطرون إلى وضع صور تمثل آثار حضارات إيران اللاحقة (أخمينية وبارثية وساسانية)، بل حتى آثاراً عراقية، وينسبونها إلى (الميديين)!!

ملوك العراق (الآشوريين) في الحقبة التي كانت فيها السلالة الآشورية تحكم عموم العراق (نينوى وبابل) يكتبون أن (الميديين) جماعات بدوية جبلية تمتهن الغزو وتربية الخيول، وأن الآشوريين مضطرون دائماً لمحاربتهم والسيطرة على مناطقهم كي يمنعوهم من عبور الجبال والهبوط إلى وادي النهرين؛ علماً بأن نزوح البدو في تاريخ (بلاد النهرين الخصبة) أساسي جداً في تكوين تاريخه وسكانه وثقافته. فمن الغرب (بدو بادية الشام: الساميون ـ العرب)، ومن الشرق والشمال (بدو الجبال: القفقاسيون ـ الآريون ـ الأكراد). إن (قلعتي كركوك وأربيل) الباقيتين حتى الآن، قد تم تشييدهما لمراقبة وصدّ بدو الجبال.

إن أول من ذكر (الميديين) هو الملك الآشوري (شلمنصر الثالث: 859 ـ 824) في حولياته وسجل أسماء 36 من شيوخ قبائلهم. وقام غالبية ملوك آشور بشن حملات تأديبية ضدهم لإيقاف هجماتهم البدوية: (شمشي حدد الخامس: 824 ـ 811) (حدد نيراري يي: 811 ـ 783). بل ذكر الملك (تغلات فلاصر الثالث: 745 ـ 727) أنه قام بتهجير 65.000 شخص من سكان زاغاروس إلى مناطق أخرى. وقام الملكان (سرجون الثاني 722 ـ 705)، ثم ابنه (سنحاريب 704 ـ 681) بتشييد ثلاث بلدات في مناطقهم في إيران: بارشوش Parshuash وكيشين Kisheshin وخرخهار Kharkhar، من أجل تشجيعهم على التوطن وكذلك للحصول على خيولهم المعروفة وبعض المعادن الثمينة والنحاس. الملك الآشوري (أسرحدون 680 ـ 669) يذكر بأنه تحالف مع شيوخهم لمحاربة البعض الآخر، بل تم تجنيد الكثير منهم في الحرس الملكي في نينوى زمن الملك (أشوربانيبال ـ 668 ـ 627).

لكن رغم كل هذا، فإن الآشوريين لم ينجحوا في السيطرة الدائمة على مناطق هؤلاء البدو، بسبب وعورة الجبال وصعوبة المواصلات. حتى نجح الميديون أخيراً في تقديم العون إلى الكلدانيين (سلالة من جنوب العراق) لإسقاط حكم السلالة الآشورية. وتقول المصادر اليونانية (الرحالة هيرودوتس) فيما بعد: إنه نتيجة هذا التحالف قام الملك العراقي الكلداني (نبوخذ نصر الثاني 562 و605 ق.م) بالزواج من (أميتس) ابنة الملك الميدي، وشيّد لها (الجنائن المعلقة) في (بابل) من أجل إسعادها وتعويضها عن حياة الجبال.

لغتهم وثقافهم

إن المؤرخين لا يتحدثون عن (حضارة ميدية) ما داموا لم يمتلكوا حتى قدرة على الكتابة، بل يصح الحديث عن (ثقافة ميدية) مثل جميع الشعوب، بدائية أو متحضرة[27]. إن اللغة الميدية لغة مجهولة، ولا نعرف عنها سوى بعض الكلمات التي ذكرها المؤرخ اليوناني (هوردوتس) الذي زار المنطقة بعد زوالهم بعدة قرون. ومن هذه الكلمات القليلة لوحظ وجود علاقة محدودة وغير واضحة مع اللغة الفارسية وطبعاً معها الكردية. مثل كلمة (سباكا spaka ـ كلب) و(أوفاسبا uvaspa ـ الخيول)[28].

أما ثقافتهم فإنه قد تم معرفتها بشكل أفضل من خلال بعض الفخاريات البسيطة التي وجدت في مناطقهم، ولكن ليس من المؤكد تماماً أنها تعود إليهم؛ لهذا لم تعترف بها المتاحف العالمية. كذلك هنالك حصون في المنطقة قد تكون لهم، وبعض جدرها وبواباتها قد سرقوه من القلاع الآشورية.

أما ديانتهم فلا يمكن التعرف عليها بسبب عدم وجود شهادات ولا وثائق، ولكن تم العثور على مطابخ وبقايا مبانٍ في منطقة (تيب نوشي جان Tepe Nush ـ i Jan) شمال همادان قد تكون معابد للنيران. لكن ليس هنالك إشارة واحدة بحرف واحد لديانة زرادشتية، أو غيرها.

هل الميديون أكراد؟!

هذا المقطع ننقله نصاً عن وكيبيديا الإنكليزية لأهميته:

((اقترح المؤرخ الروسي واللغوي فلاديمير مينورسكي Vladimir Minorsky أن الميديين الذين سكنوا على نطاق واسع في الأراضي التي يشكل الأكراد في الوقت

---

(27) ـ هنالك فرق كبير بين (الحضارة) و(الثقافة)، مثل الفرق بين (مستوى الابتدائية) و(مستوى الدكتوراه). فلا يمكن الحديث عن (حضارة شعب) وهو يجهل القراءة والكتابة. لكن يصح الحديث عن (ثقافة).

(28) ـ عن العلاقة اللغوية الغامضة بين (الميدية) ولغات ايران، طالع:

ـ P. Lecoq, Les inscriptions de la Perse achéménide, Paris, 1997, p. 46 ـ 49

ـ R. Schmitt, «Old Persian», dans R. Woodard (dir.), The Ancient Languages of Asia and the Americas, Cambridge, 2008, p. 98 ـ 99

الحالي أغلبيتها، ربما كانوا أسلاف الأكراد المعاصرين. ويذكر أيضاً أن الميديين الذين غزوا المنطقة في القرن الثامن قبل الميلاد، كانوا يشبهون الأكراد لغوياً، وقد قَبِلَ هذا الرأي العديدُ من القوميين الأكراد في القرن العشرين)).

ورغم ذلك، يجادل مارتن فان برويسين ـ van Bruinessen، وهو عالم هولندي، ضد محاولة الاستيلاء على الميديين كأجداد للأكراد. ويقول: (على الرغم من أن بعض المثقفين الأكراد يزعمون أن شعبهم ينحدر من الميديين، إلاّ أنه لا يوجد دليل يسمح بمثل هذا الارتباط عبر الفجوة الكبيرة في الوقت بين الهيمنة السياسية للميديين وأولى الوثائق عن الأكراد)[29].

ويتفق العلماء على الخلاصة التالية: (بشكل عام، العلاقة بين الكردية والميدية ليست أكثر من العلاقة بين الميدية الأخيرة ولغات ايران الاخرى: ـ البلوشية، والتاليشي، وجنوب قزوين، والزازا، والكوراني، إلخ)[30].

علماً بأن (أكبتان ـ همادان) عاصمة الميديين، مقطونة حالياً بأغلبية فارسية وآذربيجانية بالإضافة إلى أكراد. إذن من صالح أكراد العراق، القبول بالحقيقة التاريخية الجغرافية والانتماء إلى تاريخ الأرض التي يعيشون عليها هم وأسلافهم منذ آلاف السنين، أي إلى (كردستان العراق). على الأقل إلى (تاريخ أربيل) التي اختاروها لتكون عاصمة الإقليم الكردي العراقي.

(29) ـ الأكراد وبناء الأمة: مارتن فان بروينسن: معهد الدراسات الاستراتيجية
(30) ـ عن العلاقة المحدودة بين الميدية والكردية، طالع:
G. Asatrian, Prolegomena to the Study of the Kurds, Iran and the Caucasus, Vol. 13, pp. 1 ـ 58, 2009. (p. 21

أربيل، مدينة نهرينية



قلعة اربيل الآشورية، وعند بوابتها نصب العالم العراقي الاربيلي:(ابن خلكان)

يمكننا أيضاً الحديث في هذه المرحلة عن مدينة (أربيل) التي تُعَدّ حالياً عاصمة أكراد العراق. إن تأسيس هذه المدينة يعود أساساً إلى تأسيس (قلعة أربيل) من قبل السلالة الآشورية في الألف الأول ق.م. لأغراض دفاعية لمواجهة هجمات (بدو الجبال)، مثل (قلعة كركوك). إن اسم أربيل قديم جداً وقد جاء بصيغ عدة خلال فترات زمنية مختلفة، إذ ورد في كتابات الملك السومري شولكي (2000) ق.م بصيغة (urbilum) وفي النصوص الآشورية والبابلية ورد بصيغ أربيلا وأربيلو وأربل... إلخ. هذه المدينة الواقعة وسط المسافة بين الزابين الاسفل والاعلى، تتميز طبيعة الأراضي المحيطة بها بالمتموجة أو شبه الجبلية وذات أمطار تكفي لنمو الحبوب البرية والمدجَّنة في أغلب السنين.

كانت أربيل عاصمة شمال العراق الدينية والمركز الرئيسي لعبادة عشتار آلهة الأنوثة والخصب. فيها شيد هيكلاً فخماً رائعاً لهذه الآلهة. وبسبب أهميتها الدينية لم يهجرها سكانها عند الحروب والحصار، وحتى الغرباء المهاجمون لم يعاملوها بقساوة.

إن (تل أو قلعة أربيل الحالية) تضم أطواراً سكنية وعمرانية متعاقبة منذ العصور الحجرية إلى وقتنا هذا وما زالت القلعة الأربيلية الشهيرة مسكونة. الأكراد يطلقون على أربيل اسم (هولير) وهي من تحولات الأسماء (أربيلا.. أروبيل، إلى هولير). في عام 1947 تم اكتشاف لوح تعريفي بالمشروع، بالخط المسماري: (أنا سنحاريب ملك العالم، ملك آشور، حفرت ثلاثة أنهار في جبال خاني إلى الشمال من مدينة أربيلا ـ مسكن الربة المبجلة الإلهة عشتار وجعلت مساراتها مستقيمة).



تاريخ دولة النهرين

كما وضحنا، فإن (بلاد النهرين) رغم توحدها الجغرافي والحضاري، فإنها مثل غالبية بلدان الارض، عاشت انقسامات سياسية ومنافسات بين مناطقها الداخلية، للاستيلاء على عموم البلاد. وحسب الفترات والمؤثرات الخارجية، فإن هذه الصراعات الداخلية قد تهدأ وتختفي وتسيطر الدولة الموحدة، وقد تستفحل ويشتد الانقسام.

إن بداية انبثاق الحضارة النهرينية مع بداية (ظهور الكتابة المسمارية) التي تعود الى حوالي (3400 ق.م) عام قبل الميلاد، حتى انتهت فعلياً كحضارة ودولة مع سقوط بابل على يد (الاخمينيين: عام 539 ق.م)، أي دامت ما يقرب ثلاثة آلاف عام، واتخذت هذه الحضارة شكلها السياسي والثقافي المتكامل مع قيام الملك (سرجون الأكدي) الذي مثل بداية سيادة اللغة السامية الأكدية وتوحيد الدويلات العراقية وتكوين أول دولة موحدة (2350 ق.م) على أرض النهرين.

إن تاريخ العراق القديم عانى من تشويه المؤرخين (المستشرقين) الذين فرضوا عليه المفاهيم التوراتية التي جعلت كل السلالات النهرينية (الأكدية والأمورية والآشورية والكلدانية) شعوباً مختلفة، بينما هي عشائر مختلفة من نفس الشعب واللغة والدين. إن الأكديين والعموريين والآشوريين والكلدان، مجرد سلالات لعشائر عراقية ناطقة بنفس اللغة التي سميت بـ (الأكدية). إن هذه السلالات، إما أنها حملت أسماء عشائر مثل (العموريين والكلدان)[31]، أو أنها انتسبت الى مدينة، مثل: (الاكديون: أكد)، و (البابليون: بابل) و (الآشوريون: آشور) وربما تيمناً بالإله (آشور- عاشور: بمعنى المخصب) إله الفحولة والقوة، وهو مذكر (عشتار) إلهة الأنوثة[32].

رغم المتغيرات السياسية واجتياحات الأقوام (الجبلية والسامية) المختلفة إلاّ أن

(31) ـ إن الكثير من أسماء الشعوب في العصر الحديث، كانت بالأصل أسماء عشائر، مثال: الفرنسيون، حتى القرن التاسع م كانوا يحملون اسم (غاليون: Gaulois)، ولكن بعد أن سيطرت عليهم قبيلة المانية محاربة تحمل اسم (Francs) أي (الفرنجة) حسب تسمية العرب. ومنها ظهر اسم (فرنسا).

(32) ـ هنالك جدالات وفرضيات عديدة عن معنى اسم (آشور) وفي الخلاصة نحن نعتقد أن الافتراش أكثر معقولية والاقرب الى الكلمة نفسها: عاشور.. بمعنى العشرة والكثرة والوفرة.

الوحدة اللغوية والدينية للعراقيين ظلت سائدة طيلة هذه القرون العديدة. إذ سادت (اللغة الأكدية) وهي من أولى وأقدم اللغات السامية المعروفة والمكتوبة، واتخذت تكوينها الثقافي والكتابي من خلال اللغة السومرية (المصطنعة، كما وضحنا) بما تحتويه من ثقافة ومعتقدات دينية وخط مسماري سومري. أصبحت الأكدية (بلهجتيها البابلية والآشورية) اللغة الرسمية لما يزيد على ألفي عام، وخلَّفت لنا الآلاف المؤلفة من النصوص والوثائق الطينية التي سمحت لنا بمعرفة كل شيء عن حياة النهرينيين[33].

وتميزت هذه المرحلة أيضاً بالدين الموحد: (عبادة الكواكب) وما يتضمنه من معتقدات وأساطير مثل أساطير (كلكامش، والخليقة، والطوفان.. وغيرها الكثير)، مع آلهة متعددة ممثلة للكواكب ومسؤولة عن حياة الإنسان والطبيعة: (نظام الأبراج وعلم التنجيم).

ولقد كان لمدينة (بابل) في وسط العراق دور أساسي كعاصمة حضارية كبرى لفترة ألفي عام تعاقبت عليها الكثير من السلالات والدول. كذلك (مدينة نينوى) في الشمال التي قادتها السلالة الآشورية وقدمت الملك الشهير (آشور بانيبال)، فقد لعبت دوراً حضارياً وسياسياً مكملاً ومنافساً لبابل، ومعهما (بلاد عيلام) التي كانت تتحالف أحياناً مع الآشوريين، وتقوم باحتلال (بابل)، أو (بابل) تحتلها. مثل جميع تواريخ العالم، فقد تخللت هذه المرحلة الكثير من الحروب والمتغيرات السياسية.

السلالات النهرينية الحاكمة

كما تبين، إن تاريخ (بلاد النهرين) مثل تواريخ باقي الامم، لم يكن موحداً من الناحية السياسية، بل تخللته الكثير من الانقسامات والصراعات الداخلية. لهذا من الصعب سرده بصورة منسجمة وموحدة بسبب التنوعات الداخلية الكثيرة. اتفق عموماً ولتسهيل الامر،

(33) ـ عن كمية ألواح النصوص النهرينية المحفوظة، قال عالم السومريات التركي، (ويسل دونباز)، إن تركيا تعتبر ثاني أكبر مركز في العالم للألواح المسمارية (الطينية)، بعد المتحف البريطاني. وإن المتحف البريطاني يملك ما يقرب من 200 ألف لوح طيني بابلي، فيما تملك أنقرة ما بين 50 ـ 60 ألف لوح طيني، وإسطنبول 73 ألفاً و213 لوحاً طينياً.
ولفت دونباز أن مكتبة قيصري (وسط) وحدها تضم ما بين 25 ـ 30 ألف لوح طيني، وتنظم اجتماعاً دولياً مرة واحدة كل عامين، حول هذه الألواح. وحول أعداد الألواح الطينية المكتوبة بالسومرية، قال إن تركيا تملك نحو 15 لوحاً مسمارياً مكتوباً بالسومرية، من أصل حوالي ألف و500 لوح سومري حول العالم.
ابحث عن موضوع: (تركيا.. مركز عالمي مهم للألواح المسمارية (مقابلة): موقع تركي بالعربية: وكالة الأناضول).

التركيز على سرد تاريخ المركز الاساسي أي (بلاد بابل)، التي تمحورت حولها جميع غايات وصراعات الفرقاء (خصوصاً آشور وعيلام، وغيرهم)، ولمدة أكثر من ألفي عام، حتى سقوطها النهائي (على يد الفرس الاخمينيين: 539 ق.م)[34].

لهذا ننبه إن هذا السرد لتاريخ السلالات النهرينية، تقريبي، بسبب التقاطعات والتداخلات مع العديد من المتغيرات والتواريخ. وقد جهدنا كي نسرده بصورة أكثر وضوحاً وتحديد أرقام السلالات بالتتابع مع صفاتها:

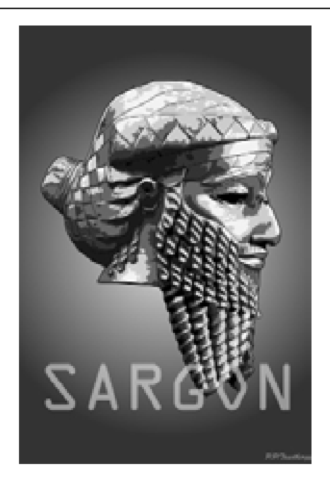
بدأت أولى فترات تشكل الدولة والحضارة في بلاد النهرين منذ الالف الثالث ق.م، وقد حكمت السلالات النهرينية التالية:

1 ـ السلالات الاولى (دويلات المدن السومرية: 2800 ـ 2400 ق.م): استمرت 600 عام، حيث كانت كل مدينة سومرية تحكم نفسها، مثل: (أوروك، أور، لجش، أوما، نفر..)، لكنها تشترك باللغة والثقافة والديانة الواحدة. يستحق أن يطلق عليه (عصر التأسيس الحضاري)، فأعظم ابتكاراته هي (الكتابة) التي بدأت معالمها الاولى قبل ذلك ببضعة قرون حوالي (3000 ق.م) على شكل نقوش صورية، ثم توضحت الى ما نسميه بـ (الكتابة المسمارية) المنقوشة على ألواح الطين المفخور والاختام الاسطوانية، التي دونت فيها السجلات الرسمية والاحوال الشخصية والمعاملات التجارية والشؤون الدينية، وأعمال الأمراء والملوك، والأساطير والأدب. كذلك ظهرت في هذا العصر فنون العمارة: المعابد، والقصور، والقباب. كذلك ظهر فنّ التعدين، وفنّ النحت، وابتكارات كثيرة شكّلت أساس الحضارة النهرينية العظيمة.

2 ـ السلالة الثانية (الاكدية: الدولة النهرينية الموحدة) حوالي 2300 ـ 2150 ق.م: إذ نجح أحد زعماء (مدينة كيش السومرية)، (سرجون الأكدي) بالاستيلاء على الحكم، ثم توحيد مدن النهرين في مملكة واحدة. وشيَّد (مدينة أكد) قرب بابل. وفي هذا العصر أصبحت (الاكدية) اللغة الثقافية الرسمية لبلاد النهرين (مع بقاء السومرية لغة دينية). تطوّرت كذلك فنون العمارة وغيرها. بعد أقل من قرنين انتهت هذه السلالة نتيجة

(34) ـ مع نهاية بابل، انتهت الحضارة النهرينية واختفت لأكثر من الف عام، حتى نهضت من جديد مع نهوض (بغداد: بابل الجديدة) في القرن الثامن م.

ضغوطات (العموريين) من الغرب، و (العيلاميين) حتى انتهت على يد (الغوتيين) وهم من الأقوام الجبلية (أسلاف الاكراد) الذين تمكنوا من السيطرة على (أكد) لحوالي قرن.



سرجون الأكدي (2371 ـ 2316 ق.م) مؤسس أول دولة عراقية موحدة
وهو شخصية حيكت عنها الاساطير وقدَّسه ملوك النهرين طيلة التاريخ، وسرد تاريخ طفولته الذي يعتقد أنه أوحى بـ(حكاية طفولة موسى والنيل والفرعون). عاش في (مدينة كيش) في ظل الحكم السومري، ثم تمكن من أن يستولي على الحكم وتوحيد دويلات المدن السومرية، تحت اسم (بلاد سومر وأكد). شملت الدولة الخليج وعيلام (الأحواز) جنوباً، والشام حتى البحر المتوسط غرباً، وأجزاء من الأناضول شمالاً، حيث كانت مدينة آشور تحتل أحد المراكز الإدارية الأكدية المهمة. وقد عيَّن إحدى بناته (اناهيدونا) ككاهنة لـ(إله القمر) في (أور)، وهي شاعرة حفظت لها ترنيمتان من تأليفها، مع أغاني دينية. مات عن عمر طويل جداً بعد حكم دام أكثر من خمسين عاماً.
هذه المذكرات قد عثر عليها منقوشة في آثار نينوى من القرن الثامن ق.م، أي بعد سرجون بأكثر من 1500 عام! وهذا دليل على استمرار تقديسه وتداول اسطورته طيلة تاريخ النهرين:
((أنا سرجون، ملك الأكاديين، ملك القوة. أمي قديسة، أبي لم أعرفه. أعمامي أحبّوا التلال. مدينتي أزوبيرانو (الزعفرانية)، الواقعة على ضفاف الفرات. أمي القديسة حملت بي، وولدتني في السر. وضعتني في سلة وغطت عينيّ بالقار وألقتني في النهر. التقطني «عكي» من النهر وهو يتناول إبريقه. اتخذني «عكي» ابنًا له. ورباني عينني بستانياً لحديقته. وأنا بستاني، أحبتني عشتار. ومضت الأيام إلى أن صرت ملكاً لمدة 56 عاماً))[35].

(35) ـ طالع:
ـ ويكيبيديا بالانكليزية والفرنسية: Sargon of Akkad
كذلك:

_ Joan Goodnick - Westenholz, Legends of the Kings of Akkade: the texts, Winona Lake, Eisenbrauns, 1997, p. 37 - 49

_ The land of the two Rivers. 63 - 64 Leonard Corttrell.

3 ـ السلالة الثالثة (السومرية الاورية: 2113 ـ 2006 ق.م): خلال أكثر من قرن عاد الحكم السومري، بعد أن تمكن أحد زعمائهم من طرد الغوتيين. انتقلت العاصمة من (مدينة أكد) الى (مدينة أور). استمر الحكم أكثر من قرن، وقد تم إحياء الإمبراطورية الأكدية القديمة، وازدهرت الحضارة والتجارة والفتوحات كما كانت في العصر الأكدي. انتشرت الأعمال العمرانية الضخمة وحسن التنظيم والإدارة. وسنّوا الدستور والشؤون القضائية.

4 ـ السلالة الرابعة (البابلية العمورية: 1894 ق.م 1680): وهم عشائر من البادية الغربية، أول من اتخذوا (مدينة بابل) عاصمة لبلاد النهرين. وقد اشتهر بحكمها (الملك حمورابي)، كزعيم حكيم ومشرّع (قانون حمورابي). وقد تطورت الحضارة وشاع اسم (بابل) كأهم مدينة حضارية لألفي عام. في هذه الحقبة ظهرت لأول مرة القوى الاناضولية وهم (الحيثيون والخوريون ـ الميتانيون) الذين بدأوا بغزوات لشمال النهرين. لقد استولى الحيثيون[36] على بابل ولم يبقوا فيها طويلاً. كما غزا (الحوريون) منطقة كركوك واحتلوها زهاء قرن من الزمن.

(36) ـ الحيثيون والحوريون هم كما يبدو من أقدم الشعوب التي نطقت بلغة آرية، واستوطنوا في (بلاد الاناضول: تركيا الحالية) وشكلوا فيها أول دولة قوية شرق أوسطية (بين 1600 ق.م ـ 1178 ق.م)، قادرة على مواجهة الهيمنة الطويلة على المنطقة لدولتي (بلاد النهرين) و(مصر).

(شريعة حمورابي) أقدم شريعة!



عكس ما هو معروف، إن تركيز الشعب على مجال معين، إنما يدل على حاجته الماسة له ومعاناته من نقصانه. فاوربا الغربية عندما ركزت على ابتكار (الديمقراطية)، فإنما للتحكم بطبيعتها الاستبدادية الرافضة لكل اختلاف. كذلك ليست صدفة أن العراقيين هم أول من ابتكر (الشريعة المكتوبة) (ثم فيما بعد، برعوا في الفقه التشريعي الاسلامي)، وذلك نتيجة لمعاناتهم الدائمة من (حالة اللاّقانون) بسبب فوضى الغزوات وضعف الدولة، مع ميولهم الطبيعية للفردية والتسيب.

دونت القوانين في مسلّة وضعت في (معبد مردوخ)؛ وتتضمن 282 قانوناً متعلقاً بالعديد من القضايا؛ كالأحكام الاقتصادية والأسعار، والجمارك، والتجارة، وقوانين الأسرة؛ كالزواج والطلاق، والقوانين الجنائية المتعلقة بالاعتداء والسرقة، بالإضافة إلى القوانين المدنية؛ كالعبودية والديون، وقد تباينت العقوبات المتعلقة بهذه القضايا حسب وضع الجناة، وظروف الجرائم. وهذه بعض المواد المهمة:

18: إذا لم يطع العبد سيده، فيجب على الباحث إحضاره إلى القصر وإجراء تحقيق معه، ومن ثم إعادته إلى سيده.

48: إذا كان أي شخص مدين لشخص آخر بالمال، وتعرض حصاده للعواصف، أو الفشل، أو عدم النمو نتيجة نقص الأمطار خلال السنة، فإنه لا يعطي دائنه أي حبوب، ولا يدفع الإيجار في ذلك العام.

161: إذا تزوج رجل من امرأة وأنجبت له أبناء ثم توفيت، فإن مهرها يعود لأبنائها وليس لأبيها.

196: إذا تسبب رجل بفقع عين رجل آخر، فإن عين المسبب تفقع.

209: إذا قام رجل بضرب امرأة حامل، وأدى ذلك إلى فقدان جنينها، فإنه يدفع عشرة شيكل تعويضاً عن خسارتها.

221: إذا قام الطبيب بمعالجة العظم المكسور لمريض، فإن المريض يدفع له خمسة شيكل.

224: إذا قام جراح بيطري بإجراء عملية لحمار أو ثور، فإن مالك الحيوان يدفع للجراح سدس شيكل مقابل العلاج.

5 ـ السلالة الخامسة (البابلية الكاشية: 1680 ـ 1157 ق.م): وهم مثل (الغوتيين) قادمون من جبال النهرين المحاذية. وقد حرروا (بابل) من (الحيثيين الاناضوليين)، وأسسوا أطول سلالة نهرينية دامت خمسة قرون. وقد خلقوا دولة مستقرة تسيطر على كل بلاد النهرين، وشاع اسمها (كاردونياش: لاسم له علاقة بكلمة كرد؟!) وقد تمسك بهم أهل النهرين لقدرتهم على حمايتهم من مخاطر (الحيتيين) في الاناضول. كما اتسم عصرهم باستخدام الحصان في النقل والعربات في الحروب فاهتموا بالخيل وأنسابها. وكانت لهم علاقات جيدة مع الدولة المصرية. وقد تبنّوا تماماً الحضارة البابلية ولم تميزهم غير أسماء الملوك[37]. وقد انتهت على يد العيلاميين الذين استمروا فقط بضع سنوات.

6ـ السلالة السادسة (بابلية ايسن: 1154ـ1027 ق.م): وقد بدأها ملك (مدينة ايسن) في الجنوب، وأسس سلالة في (بابل) سلالة حكمت أقل من قرن. ومن أشهر ملوكها (نبوخذ نصر الاول: 1126ـ 1105) لانجازاته المعمارية والعسكرية.

7 ـ السلالة السابعة (الآشورية 1153ـ 612 ق.م): من الصعب تحديد فترة الحكم الآشوري على بلاد النهرين. فهنالك فترات متقطعة من السيطرة المتبادلة بين بابل، ونينوى مقر الآشوريين. إذ كان الآشوريون يميلون إلى الحكم الذاتي عند ضعف الدولة المركزية في بابل، وذلك بسبب تعرضهم الدائم إلى اجتياحات قبائل الجبال والبوادي المجاورة، وكذلك اضطرارهم إلى اجتياح بابل لتحقيق وحدة بلاد النهرين.

برزت هذه المنطقة في زمن الملك الآشوري (شمشي حدد) الذي عاش في القرن الثالث عشر ق.م، وتمكن من تكوين دولة شملت معظم (بلاد النهرين وسوريا) وجنوب الاناضول، قبل أن تسقط بعد وفاته تحت سيطرة البابليين بقيادة (حمورابي)، حيث تحققت وحدة بلاد النهرين.

من أجل كسب أهل بابل وتوحيد البلاد، قام الملك (شمش آداد الخامس) 824 ـ

(37) ـ بسبب أصل الكاشيين المرتبط بأكراد العراق، ثمة موقف عنصري قومي (عروبي) من قبل بعض المؤرخين العراقيين، بوصف حكم الكاشيين بـ (المظلم) لكن جميع تفاصيل المصادر المختلفة تؤكد العكس تماماً. ابحث أيضا بالانكليزي عن: Kassites

810 ق.م. بالزواج من الأميرة البابلية (شميرومات) المعروفة في التاريخ والأساطير باسم (سميراميس) التي صارت الوصية على عرش ولدها الصغير بعد وفاة والده الملك وحكمت بلاد النهرين من العاصمة نينوى.

يعتبر (الملك المثقف آشور بانيبال: حكم بين 669 ـ 627 ق.م) من أشهر الشخصيات، بفضل امتلاكه أكبر مكتبة في التاريخ القديم، حُفِظَت فيها آلاف اللوحات الفخارية باللغتين الأكدية والسومرية، والتي ساعدت على معرفة الكثير من تفاصيل تلك الحقبة. ورث عن أبيه أمر الحرب مع المصريين الثائرين، وواجه في عام 652 ق.م تمرد أخيه شمش في بابل. كان مهتماً بالعلم والأدب والثقافة، ولقد كان مسؤولاً عن البحوث العلمية المستفيضة التي كان يعدّها رجال العلم عن الآثار البابلية القديمة. بعد موته ضعفت الدولة حتى تمكن (الكلدانيون: الخلديون) من جنوب النهرين بقيادة (نابو ـ بولاصر)، بالتحالف مع (الميديين الايرانيين)، من السيطرة على بابل سنة (626 ق.م) ثم على (نينوى) في 612 ق.م.

سميراميس الملكة الحقيقية والأسطورية!

إن اسم (سميراميس) هو التحريف الإغريقي لاسمها الاصلي: (سميرهمات) أي (سميرة الحمام: محبوبة الحمام)، وتقول الاسطورة إنها ولدت من حمامة على الفرات، وعندما أصبحت طفلة فائقة الجمال بيعت كعبدة في نينوى، فتزوجها الملك نينوس (تحريفات الاسم: نينوى، يونس، ذو النون.. ويعتقد أن أصله السامي يعني السمك) (الحمام مع السمك؟). وقد حيكت العديد من الأساطير الشرقية واليونانية والرومانية عن فتنة وأنوثة وجبروت هذه الملكة (البابلية ـ الاشورية)، ونسبت إليها الكثير من الإنجازات الكبرى، مثل الانتصار على الميديين وبناء بابل والجنائن المعلقة وغيرها.

إن الأصل التاريخي لهذه الملكة الاسطورية، يعود الى حقيقة زواج ملك (نينوى) (شمسو حدد الخامس) (823 ـ 811 ق.م)، من هذه الاميرة البابلية. ثم بعد أن توفي زوجها لم يكد يبلغ ابنها ولي العهد (حدد نيراني) (811 ـ 783 ق.م) سن الرشد، فاستلمت (سميرهمات) مملكة (آشور وبابل). وأصبحت وصية على عرش ولدها لمدة 5 سنوات حتى بلغ سن الرشد. لكنها استمرت تشارك الحكم منذ أيام زوجها ثم مع ابنها. وقد تحولت عبر التاريخ، وفي العصر الحديث الى رمز للأنوثة والأمومة والجمال المهيمن.

8 ـ السلالة الثامنة والاخيرة: (الكلدانية: 626 ـ 539 ق.م): وأطلق عليه أيضاً العصر البابلي الحديث (الاخير). الموطن الأصلي للعشائر الكلدانية هو جنوب

العراق. كانوا يحكمون باسم الآشوريين في بابل إلى أن انتزعوا الحكم في عهد (نابو ـ بولاصر). ومن أشهرهم الملك الاسطوري الشهير (نبوخذ نصر الثاني: 605 ـ 562 ق.م)، الذي اعتُبِرَتْ فترة حكمه عصراً مجيداً في تاريخ البشرية وازدهاراً في العصر البابلي الحديث. كان متحالفاً مع الميديين وكذلك تزوج من ابنة الملك الميدي سياخريس الأميرة (أميديا)، وأقام من أجلها الجنائن المعلقة. وقد ذكرته التوراة وأساطير الشعوب، وربطته بـ (السبي البابلي لليهود). وتدَّعي الإصحاحات الأربعة الأولى من (سفر دانيال) بإصابته بنوع من الجنون. توفي بعد حكم دام 44 عاماً أعقبه ملوك ضعاف، آخرهم (نبونيد)، سقطت على يد ملك الأخمينيين كورش عام 539 ق.م

نهاية آخر دولة نهرينية وسيطرة الاحتلالات الأجنبية

إن تاريخ جميع الامبراطوريات والحضارات، أشبه بصعود الجبل، حيث تبدأ بسيطة من السفح حتى تبلغ عظمتها في القمة، ثم تأخذ بالهبوط لتنتهي في الاسفل. هكذا تاريخ (العراق القديم: بلاد النهرين) خلال ما يقرب ثلاثة آلاف عام، عاش عدة حالات صعود وهبوط في منحنيات الجبل الحضاري الجبّار، حتى لفظ أنفاسه الاخيرة من التعب والهرم.

سقطت عاصمة الدولة النهرينية (بابل) في 13 تشرين الثاني عام 539 ق.م ودخلت الجيوش الأخمينية (الفارسية) بقيادة الملك (كورش). هكذا انتهت أكبر حقبة حضارية عاشتها البشرية بالتشارك مع الحضارتين الكنعانية والمصرية: (الحضارة الشرقية المشتركة). طبعاً هنالك أسباب كثيرة، معلومة ومجهولة، داخلية: سياسية اجتماعية مناخية، وإقليمية: ظهور شعوب ودول وقوى حضارية وعسكرية جديدة: بروز الشعوب الناطقة باللغات الآرية (الهندو اوربية)، في ايران والاناضول واليونان..

يمكن تحديد أسباب نهاية هذه الحضارة النهرينية وسقوط دولتها، بالعوامل التالية:

1 ـ اشتداد التنافس بين قطبي الدولة والحضارة النهرينية: (مدينة بابل) الواقعة على الفرات في جنوب العراق مركز السلالة الكلدانية، و (مدينة نينوى) الواقعة شمال دجلة مركز السلالة الآشورية، بالاضافة الى دور (عيلام: الاحواز)، رغم أنها كانت أضعف.

رغم الوحدة السكانية والحضارية (اللغوية والدينية) لهذين القطبين، إلاّ أن وضعهما الجغرافي حتَّم عليهما بعض الاختلافات في الميول والمؤثرات والمصالح. وهذا الانقسام بين قطبين (شمالي وجنوبي) أمر طبيعي موجود في جميع الأوطان الكبيرة، مثل مصر كما هو بين قطبي الصعيد والشمال.

2 ـ انتشار الانحطاط والفساد في النخب النهرينية (الدينية والسياسية). فمن الناحية الدينية استفحل التعصب المذهبي باتهام كهنة بابل لآخر ملك بابلي (نبونيد) بتفضيله الإله (سين ـ القمر) المفضَّل لدى أهل نينوى، على (الإله مردوخ) حامي مدينة بابل. وكذلك إلغائه الاحتفالات السنوية بعيد الربيع والخصب (حجتو). أما من الناحية السياسية، فقد عمَّت الخلافات في الطبقة الحاكمة وتكاثرت الدسائس والانقلابات الداخلية. فبعد وفاة الملك (نبوخذ نصر) تعاقب على الحكم أربعة ملوك خلال سبع سنوات، حتى تمكن (نبونيد) من بلوغ الحكم بانقلاب عسكري.

3 ـ تنامي القوة العسكرية الإيرانية والاناضولية ثم اليونانية، في القرون الأخيرة التي ظلَّت طيلة التاريخ بحاجة حيوية إلى اجتياح (الهلال الخصيب): (وادي النهرين والشام)، من أجل خصبها، وكذلك للسيطرة على شواطئ البحر المتوسط عصب التجارة العالمية. لنتذكر دور (الدولة الميدية الإيرانية) التي لعبت دوراً حاسماً في دعم السلالة البابلية الكلدانية ومساعدتها على إسقاط السلالة الآشورية. بعدها ظهرت (الدولة الأخمينية الإيرانية) التي راحت تحوك المؤامرات داخل (بابل) من أجل كسب المعارضين ضد (الملك نبونيد). وقد استثمر الفرس نقمة المعارضين المذهبيين والسياسيين للملك (نبونيد) حتى تمكنوا أخيراً من اجتياح بابل بالتعاون مع جماعات من النخب البابلية نفسها.

الملك (نبونيد) هل هو جد القريشيين؟



(نبونيد) آخر ملك بابلي، اتخذ من (التيماء، شمال السعودية) معتكفا روحيا لتعبد (سين) اله القمر. وقد اختفى هو وانصاره البابليين بعد سقوط بابل ويحتمل انهم انحدروا بعيدا الى الجنوب

وقد اشتهر هذا الملك لعدة أمور؛ منها أنه آخر ملك بابلي قبل نهاية بابل على يد الفرس الاخمينيين، كذلك لأنه كان ملكاً روحانياً أمضى معظم سنوات حكمه (18 عاماً) معتكفا بعيداً عن بابل في بلدة (التيماء) (مركز عبادة إله القمر سين) وهي في الحجاز شمال مدينة يثرب، وقد جلب معه عدة عشائر كلدانية وبعض اليهود[38]. وبعد سقوط بابل اختفى هذا الملك ولم يعرف أحد مصيره. هنالك من يعتقد أنه قد اعتزل وتنسك في البادية. من المحتمل أن قصة (نبونيد) وهجرته إلى الصحراء العربية، هي التي أوحت للعرب بحكاية (إسماعيل) وأمه اللذين قطنا الصحراء ومنهما انحدر أجداد العرب الشماليين (المستعربة). ولهذا أيضاً يعود اعتقاد أهل قريش، حسب بعض الاحاديث للنبي وللإمام علي: (نحن نبط من بلاد الكوثى)، وهي مدينة بابلية مجاورة لبابل.[39]!

انتفاضات أهل النهرين ضد الاحتلال الاخميني الفارسي

على الرغم من أن (كورش الاخميني) قد تمكن بسياسته المغرية من كسب بعض النخب البابلية ومنهم اليهود، لكن الغالبية العظمى رفضوا هذا الاحتلال الاجنبي، فقاموا بعدة انتفاضات انتهت جميعها بالفشل[40]:

---

(38)ـ راجع: جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 607 /1 وبعده. ويشير إلى وجود بعض الألفاظ الكلدانية في لغة أهل يثرب والمناطق الأخرى التي تقع إلى الشمال منها وخاصةٍ في الزراعة.

(39)ـ قال محمد بن سيرين: سمعت عبيدة يقول: سمعت علياً يقول: من كان سائلاً عن نسبتنا، فإنّا نبط من كوثى. وروي عن ابن الأعرابي أنه قال: سأل رجل علياً فقال: أخبرني يا أمير المؤمنين عن أصلكم، معاشر قريش، فقال: نحن قوم من كوثى. واختلف الناس في قوله: نحن قوم من كوثى، فقالت طائفة: أراد كوثى العراق، وهي سرة السواد التي ولد بها إبراهيم، فإنّا نبط من كوثى، ولو أراد كوثى مكة، لما قال نبط، وكوثى العراق هي سرة السواد من محال النبط، وإنما أراد أن أبانا إبراهيم كان من نبط كوثى وأن نسبنا انتهى إليه. (لسان العرب، مادة كوث).

(40) ـ سياسة الدولة الاخمينية (قراءة تاريخية)

=

انتفاضة بابل الأولى

بين تشرين الأول 522 حتى كانون الثاني 521 ق.م أعلن أهل بابل الثورة بزعامة (ندينتو ـ بعل) الذي لقب بـ (نبوخذ نصر الثالث)، لكنه قتل بعد عشرة أسابيع عام 521 ق.م.

انتفاضة بابل الثانية (آب 521 ق.م)

بعد فترة وجيزة ثار البابليون مرة أخرى بقيادة (ارخا) وقد دعي بـ (نبوخذ نصر الرابع ابن نبونئيد: ملك بابل) ثم قُتل في 27 تشرين الثاني 521 ق.م ودخل (الفرس) المدينة ونهبوها وسرقوا أحد قبور الملوك البابليين وقاموا بإعدام 3000 ثائر.

انتفاضة بابل الثالثة والأخيرة (482 ق.م)

بقيادة (بعل شيماني) الذي اتخذ لقب (ملك بابل وملك البقاع). نجح الثوار بقتل الحاكم الفارسي (زوبيروس). لكن في النهاية تمكن الفرس من القضاء على الثورة وتدمير معابد بابل وأبنيتها الكبيرة وسويت بالأرض وتخريب مرافق الحياة، وكانت النهاية الاخيرة لـ (بابل).

مقاطع من رثاء بابل في المسيحية

سقطت، سقطت بابل العظيمة، وصارت مسكناً للشياطين، ومأوى لكل روح دنسة. يا ويلي يا ويلي أيتها المدينة العظيمة، بابل الجبارة، في ساعة واحدة حلّت نهايتك. تبدد عنك ثراء مغرياتك، وفقدت إلى الأبد خصبك وبهاءك... أيتها المدينة العظيمة، المتسربلة ببز وأرجوان وقرمز وجواهر ولؤلؤ. سيرثيك كل الملوك والتجار ويعفّرون رؤوسهم بالتراب ويصرخون محملقين في دخان حريقك:

يا ويلي يا ويلي أيتها المدينة العظيمة، من نفائسك استغنت جميع السفن، تجّارك كانوا عظماء العالم، وبسحرك انغوت جميع الأمم. وفيك سال دم الانبياء والقديسين، وجميع شهداء الأرض.

(مقاطع متناثرة من سفر الرؤيا ـ 18/ ترجمة ببعض التعديل).



ما الحضارة؟ وما الحضارة النهرينية؟



ان اقدم النصوص المكتوبة في العالم ظهرت بعد الالف الثالث ق.م(قبل 5000 عام) في النهرين ومصر وكنعان(ايبلا سوريا)، والتي تطورت الى اول ابجدية في التاريخ: (الكنعانية الفينقية). بعد ذلك بحوالي 2000 عام تمكنت البشرية:(الصين واليونان) ان تؤسس حضارات كتابية بنصوص حياتية وادبية

قبل الحديث عن (انجازات الحضارة)، يستحسن تعريف معنى مصطلح (الحضارة):

جميع (علماء الاجتماع والمؤرخون) في العالم يهتمون بهذين المفهومين الخطيرين: (الثقافة والحضارة)، منذ (ابن خلدون) وحتى العصر الحديث، أمثال: (تونبي، وشبلغر، وغيرهم). هما مفتاحان أساسيان لفهم المجتمعات والدول والحقب التاريخية، ماضياً وحاضراً.

بسبب أهميتهما تشعبت وتعقدت تعريفاتهما. ومن يقرأ ما مدّون بالعربي وبالاجنبي، من كتب ودراسات لتعريف (الحضارة) و(الثقافة)، فإنه يقيناً سوف يتيه بين الشروحات العجيبة المتنوعة بدرجة اختلافها الجوهري الى حد التناقض، أو الشكلي لحد السفسطة. والاكثر من هذا، كثيراً ما يتم الخلط بين هذين المصطلحين، واستخدامهما بصورة عشوائية وغامضة[41].

(41) ـ عن التعريفات المتعددة لهذه المفهومين، فإن جميع علماء الاجتماع والتاريخ تطرقوا لها منذ أكثر من قرنين وحتى الان. بل إن أول من عرف (الحضارة) هو مفكرنا ومؤرخنا (ابن خلدون) منذ أكثر من ستة قرون.

قبل طرح تعريفنا لهما، نسجل التوضيح التالي:

نحن لا نعتبر (التقدم الحضاري) رديف (التقدم الاخلاقي الضميري) و (التخلف الحضاري) رديف الوحشية، بل إن عموم (التقدم) مهما كان، هو بجوهره (تقدمي مادي ومعرفي) أما (القيمة الانسانية والضميرية) فهي مستقلة تماماً. وأبسط مثال يوضح خلاصة فكرتنا:

إن «المتحضر» الذي يمارس (القتل بالمسدس)، ليس أكثر انسانية وضميرية من «المتخلف» الذي يمارس (القتل بالحجارة)!

إن المقصود بتمييز (الثقافة) عن (الحضارة) التفريق (الوظيفي) وليس (القيمي)، مثلما نميز (البيت البسيط العادي) عن (القصر الفاخر الشامخ). نكتشف مدى أهمية هذا، إذا عرفنا بأن تاريخ البشرية أنتج مئات، بل آلاف الثقافات المختلفة، ولكنه لم ينتج سوى بضع حضارات معدودة. وإن من بين حوالي 3000 لغة في العالم هنالك فقط حوالي 100 تستعمل الكتابة[42].

أمام مثل هذه الوضع المصطلحي الحسّاس والشائك، هنا محاولة لتكوين (خلاصة تعريفية وسطية ممكنة) كالتالي:

ما هي الثقافة؟

الوجود الذي يحيطنا نحن البشر، الكرة الارضية والكواكب، ينقسم الى نوعين:

1 ـ البيئة الطبيعية: كل ما هو موجود طبيعياً خارج تدخُّل البشر، من نباتات وأنهار وبحار وحيوانات، وأفلاك.. الخ.

2 ـ البيئة الثقافية: كل المنتجات المادية والمعرفية المصنوعة والمبتكرة من قبل البشر.

مثلاً: النباتات والحيوانات هي طبيعة، ولكن عندما يبدأ الانسان بزراعتها وتدجينها

(42) ـ **عن عدد اللغات المكتوبة في العالم:**

Georges Jean, L'écriture, mémoire des hommes, Paris, Gallimard, coll. «Découvertes Gallimard / Archéologie » (no 24), 1987, 224 p.

واستخدام خشبها وأثمارها ولحمها وجلودها، ويرعاها ويرسمها ويغني ويتعبد لها ويكتب عنها، فإنها تتحول الى (ثقافة). (الطين) طبيعة، ولكن عندما نستخدمه للبناء والفخار فإنه يصبح (ثقافة).

(الثقافة) إذن هي التي تميز الانسان عن الحيوان، لأنه وحده الذي يؤثر بشكل ابتكاري على الطبيعة ويحولها لمنافعه ومتعه. فأية جماعة بشرية مهما كانت بدائية وأمّية لا بد أن تمتلك ثقافة تعيش عليها وتتوارثها. الحيوانات لا تمتلك ثقافة لأنها غير قادرة على أي إبداع وتراكم مادي ومعرفي، بل هي تحيا أساساً على سلوكيات غريزية محددة ومكررة عبر ملايين السنين. فمثلاً، إن الكلاب والقطط، رغم أنها تعيش مع الانسان منذ عشرات الآلاف من السنين، فإنها حتى الآن لم تضف حرفاً الى نطقها الغريزي: (عو عو) و (ميو ميو)[43]..

تنقسم (الثقافة) الى نوعين متداخلين متكاملين:

ـ الثقافة المادية: أي كل انتاج مرئي ومحسوس مثل الابنية والثياب وأدوات الزراعة والحرفيات والطعام والاسلحة والمصانع حتى القنابل النووية والمركبات الفضائية..الخ

ـ الثقافة المعرفية: وتعني المنتجات المعنوية (الروحية والعقلية) بجميع تنوعاتها: تقاليد وأعراف ونصوص دينية واسطورية وعلمية وفنون وآداب ومعارف مختلفة من فلك وطب وغيره.. الخ

طبعاً هذا التمييز منهجي، إذ في الواقع عموم (المنتجات الثقافية) هي خليطة (مادية ومعرفية): (البيت) يتكون من (جانب مادي) محسوس مثل الحيطان والابواب والاثاث، ولكن أيضاً (جانب معنوي) غير مرئي لعب دوراً أساسياً في تكوين البيت: معارف الهندسة والقياسات والرياضيات وفنون التجميل والتشجير.. الخ..

---

(43) ـ هنالك بعض العلماء الذين باسم محبة واحترام الحيوانات، يصرون على مساواتهم بالبشر، و(إن البشر حيوان ناطق، لا أكثر). لهذا تراهم يقولون بأن (الحيوانات الراقية مثل الشمبانزي، لها ثقافة)!؟ وهذا الاتجاه لدى العلماء أطلق عليه: (Animal culture).

ما (الحضارة) وما علاقتها بـ(الثقافة)؟



يصح تماما القول بـ:(الحضارة الشرقية المشتركة)، بفروعها:النهرينية والمصرية والكنعانية(الفينقية)، مثلما نقول:(الحضارة العربية الاسلامية) بفروعها العراقية والآسيوية والمصرية والمغاربية والاندلسية. وكذلك الحضارة الغربية: الفرنسية والالمانية والامريكية. الخ

حنابعل(هانيبال) القرطاجي الفينقي، آخر زعماء الشرق وبخسارته انتصر الغرب الروماني

يمكن تعريف (الحضارة) بأنها هي نفسها (الثقافة)، ولكن على مستويات أكبر وأعقد وأرقى وأكثر في نتاجاتها المادية والمعرفية، وتشترط وجود الخواص التالية:

1 ـ الحضارة تشترط وجود الكتابة: دون الكتابة لا يمكن تطوير أية ثقافة. فهي وحدها التي تساعد على تسجيل وحفظ المعارف وتراكمها ونقلها للاجيال لتضيف عليها وتطورها. لهذا فإن الحضارة البشرية الاولى (الحضارة الشرقية الواحدة) بمجالاتها: العراقية والمصرية والشامية، (هذه التسمية من عندنا وسنفصلها بعد قليل) ما نشأت إلاّ بفضل اختراع الكتابة الصورية (المسمارية العراقية والهيروغليفية المصرية) في الالف الرابع ق.م، ثم بلغت ذروتها في اختراع الابجدية (السورية ـ الفينيقية) في الالف الثاني ق.م.

2 ـ الحضارة تشترط ابتكار (ثقافة مادية ومعرفية) جديدة لم تعرفها البشرية سابقاً: مثلاً (الحضارة الشرقية: العراقية والمصرية والسورية)، القديمة ابتكرت نظام الدولة والمعبد والكتابة واولى المدن المخططة والاهرامات، والزقورات، والجيوش المنتظمة وتقنيات الزراعة والري، والقوانين المكتوبة والكثير من المنتجات الحرفية

والفخاريات، بالاضافة الى الاديان المنظمة والقوانين وفنون النحت والموسيقى.. الخ. أما (الحضارة اليونانية ـ الرومانية: بين 500 ق.م 300 م) فقد طورت (معارف الحضارة الشرقية السابقة لها) وابتكرت وطورت خصوصاً الفلسفة والمسرح والجغرافية والتاريخ والطب والفلك. أما (الحضارة الغربية: من 1700 م ـ وحتى الآن) فقد ابتكرت الثورة الصناعية التقنية وطوَّرت الفنون والآداب ومختلف العلوم القديمة والجديدة..

3 ـ الحضارة تشترط وجود امبراطورية عالمية أو عدة دول قوية تشترك بنفس (العقيدة واللغة والثقافة) الخاصة بها. لأن وجود دولة قوية شرط لضمان السلام الداخلي ومنع الغزوات الخارجية، وهذا أساسي لاستقرار المجتمع وغناه وقدرته على الابتكار المادي والعقلي. فمثلاً إن (اليونان) كانت بعدة دول متصارعة ولكن (دولة اثينا) كانت هي المركز، ثم انبثقت (امبراطورية الاسكندر المقدوني القرن 4 ق.م) العالمية، التي نشرت عالمياً (اللغة والثقافة وفلسفات اليونان). أما (الرومان) فكانت لهم امبراطوريتهم البحر المتوسطية ولغتهم (اللاتينية وديانتهم). الصين لهم امبراطوريتهم و (لغتهم وعقيدتهم الكونفوشسية والتاوية). الهند، ظلت بدول مختلفة ولكن مع (اللغة السنكسريتية والعقيدة الفيدية ـ الهندوسية). أما (الحضارة العربية الاسلامية) كانت بامبراطورية أموية ثم عباسية، ثم الى دول عديدة من الهند حتى الأندلس، تشترك بنفس الدين مع العربية كلغة الثقافة والدين. أما (الحضارة الغربية الحالية) فهي كانت بعدة امبراطوريات اوربية (انكليزية وفرنسية وهولندية وبلجيكية) ثم أخيراً (الامبراطورية الامريكية)، وكلها تشترك بعقيدة مقدسة هي (الليبرالية) ولغتها السائدة عموماً هي (الانكليزية).

يتوجب التوضيح أنه ليس كل الامبراطوريات أنتجت حضارات، لموانع بيئية وجغرافية وعقائدية، مثل امبراطوريات ايران والاناضول وروسيا والمغول وغيرها[44].

(44) ـ كما وضَّحنا، إن التقدم الحضاري، ليس له علاقة بمستوى الذكاء، لأن الدول والامبراطوريات تحتاج أساساً الى (ذكاء أرضي عملي واداري وعسكري)، أما التقدم الحضاري فيحتاج أساساً الى (ذكاء متسام مخيالي). لهذا فإن جميع الحضارات، مثل الحضارة العربية الاسلامية، وآخرها (الحضارة الغربية الحالية) نشأتً في (السهول وعلى شواطئ البحار). أما الهضاب والجبال مثل الهضبة الايرانية والاناضولية وغيرها، فتساعد على انشاء الدول والامبراطوريات العملية الإدارية.

4 ـ الحضارة تشترط أن تكون واسعة وتنتشر بين شعوب كثيرة، بسبب استيعابها لثقافات عديدة. مثلاً (الحضارة العربية الاسلامية) كانت عالمية حيث اجتمعت فيها ثقاقات عشرات الشعوب التي دخلت الاسلام، من حدود فرنسا الى حدود الصين. وكل هذه الثقافات توحدت بـ (عقيدة الاسلام)، وعبَّرت عن ابداعاتها بـ (اللغة العربية) التي أصبحت لغة الدين والثقافة الاساسية للجميع. كذلك (الحضارة الغربية) منذ عدة قرون أصبحت هي المهيمنة على الكرة الارضية واستوعبت غالبية الثقافات الاخرى السابقة التي استعمرت شعوبها.

5 ـ الحضارة يجب أن تكون تراكمية متصاعدة بالتقدم المادي والمعرفي. بينما (الثقافة) يمكن أن تكون مستقلة عن سوابقها ومحلية ونتاج ظرفها الخاص، وليس ضروة أن تكون على علاقة بالثقافات الاخرى أو السابقة، مثال ثقافات الجماعات المنعزلة في الجبال والبوادي والجزر.

أما (الحضارة) فهي أشبه بالمرحلة الدراسية الأعلى من مرحلة الحضارة التي سبقتها. أي إنها يجب أن تستوعب الحضارات السابقة لها، ثم تضيف عليها وتطورها. (الحضارة اليونانية) قد استوعبت الحضارة الشرقية السابقة (العراقية والمصرية والكنعانية) وتجاوزتها، ثم ورثتها (الرومانية)، ثم (الحضارة العربية الاسلامية) التي استوعبت (الحضارة اليونانية ـ الرومانية) وأضافت اليها الكثير. أخيراً ها هي (الحضارة الغربية الحالية) قد استوعبت جميع حضارات العالم السابقة، وخصوصاً التي سبقتها مباشرة أي (الحضارة العربية الاسلامية). ولهذا من الخطأ العنصري ادعاء الغربيين بأن (الحضارة الغربية) وريثة (الحضارة اليونانية ـ الرومانية)، ويلغون الدور الحاسم والمباشر للميراث الحضاري العربي الاسلامي!

إنجازات الحضارة النهرينية[45]



إن حضارة النهرين ليست فقط أقدم وأول حضارة في تاريخ البشرية، مع الحضارة المصرية ثم الكنعانية، بل هي تتجاوز في بعض النواحي الكثير من الحضارات اللاحقة، لأنها أكثر حضارة قديمة خلّفت لنا هذا الكم الهائل من الآثار الفنية والنصوص المكتوبة على ألواح وأختام طينية، التي لكثرتها لم يتسنَّ الوقت لدراستها كلها[46].

النهرين، الحضارة التي تركت أكبر كمية من النصوص المكتوبة!

تقول الباحثة الانكليزية (إيميلي باجي ـ بيرون):

((لا يعرف الناس كثيراً بشأن تأثير بلاد النهرين على ثقافتنا الخاصة.. لقد أعطتنا بلاد الرافدين العجلة وعلم الفلك والساعة المكوّنة من 60 دقيقة والخرائط وحكاية الطوفان والسفينة الناجية، وكذلك أول عمل أدبيّ في التاريخ «ملحمة گلگامش». لكن النصوص التي وصلتنا من هذه البلاد مكتوبةٌ باللغتين السومرية والأكادية، في أكثر من نصف مليون لوح طيني مُكتشف حتى الآن، وعلى الرغم من فكّ شفرة الكتابة المسمارية منذ 150 عاماً إلاّ أن حوالي 90% من النصوص المسمارية لم تترجم بعد... وهناك أيضاً أكثر من 50.000 من الأختام المنقوشة المتناثرة في مجموعات في جميع أنحاء العالم. على مدى آلاف السنين... مصادرنا من بلاد النهرين تفوق ما نملكه من مصادر متبقية من حضارات الإغريق والرومان ومصر، مجتمعة))[47].

---

(45) ـ هذا الموضع عن (انجازات الحضارة النهرينية) بالمشاركة مع المؤرخ العراقي الراحل (جعفر هادي حسن).

(46) ـ عن كمية ألواح النصوص النهرينية المحفوظة، قال عالم السومريات التركي، (ويسل دونباز)، إن تركيا تعتبر ثاني أكبر مركز في العالم للألواح المسمارية (الطينية)، بعد المتحف البريطاني. وإن المتحف البريطاني يملك ما يقرب من 200 ألف لوح طيني بابلي، فيما تملك أنقرة ما بين 50 ـ 60 ألف لوح طيني، وإسطنبول 73 ألف و213 لوح طيني.

ولفت دونباز أن مكتبة قيصري (وسط) وحدها تضم ما بين 25 ـ 30 ألف لوح طيني، وتنظم اجتماعاً دولياً مرة واحدة كل عامين، حول هذه الألواح. وحول أعداد الألواح الطينية المكتوبة بالسومرية، قال إن تركيا تملك نحو 15 لوحاً مسمارياً مكتوب بالسومرية، من أصل حوالي ألف و500 لوح سومري حول العالم.

ابحث عن موضوع: (تركيا.. مركز عالمي مهم للألواح المسمارية (مقابلة): موقع تركي بالعربية: وكالة الأناضول).

فمن حسن حظ العراقيين أنهم لم يستخدموا مثل المصريين ورق البردي المعرَّض للتلف، بل استخدموا الطين المفخور الذي سَمَحَ ببقاء هذا الكم الهائل من الوثائق. ويمكن تلخيص هذه المنجزات الحضارية فيما يلي:

الكتابة والترجمة والقواميس

للعراقيين إلهة للكتابة أسموها (نيسابا) (التي تحمل في يدها القلم) والتي كانت مهمتها الإشراف على الكتابة وفنها. وقد قام الكتبة بتأليف القواميس للّغتين السومرية والأكدية. فكان هؤلاء مترجمين من الدرجة الأولى (وقد ورث العرب والأوربيون كلمة ترجمانو من الأكدية العراقية). وكان الكتبة يتدربون في مدرسة خاصة بهم تسمى (أدوبَا) وتعني حرفياً (بيت الألواح). وكان على رأس المدرسة شخص يطلق عليه (أومُيا) وهي كلمة سومرية تعني (الخبير/ العارف) ويليه في الرتبة مسؤول الفصول الذي يطلق عليه (أدَا أدوبا) ثم هناك المختصون مثل (طوبشارنشد) خبير/ أستاذ الرياضيات و(طوبشار أشاكا) خبير/ أستاذ الهندسة والمساحة. وكان أهم موضوع يدرَّس هو اللغة السومرية ويطلق على الأستاذ الذي يدرّسها (طوبشار كنكيرا) المختص باللغة السومرية وأستاذها والذي كان له موقع خاص في هذه المدرسة. وبرزت أيضاً عدة نساء كاتبات، وكذلك كانت الكتابة معروفة بين الطبقات الفقيرة.

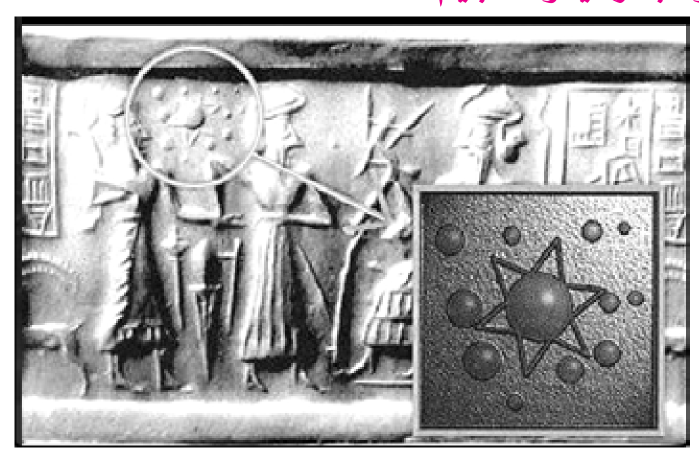
وتعتبر القواميس اللغوية التي ألفها هؤلاء الكتَّاب عملاً جديداً ومن أولى المحاولات في تاريخ المعرفة الإنسانية. ولم يؤلف مثل هذه القواميس بعد ذلك لقرون طويلة، إذ إن الإغريق لم يكونوا يهتمون بلغات الشعوب الأخرى. وأصبحت هذه القواميس مفيدة لبقية الشعوب بعد أن أصبحت الأكدية لغة الدبلوماسية والتجارة في الشرق الأدنى. وبتقدم الزمن اهتم النهرينيون بتأليف قواميس خاصة كقواميس أسماء الأحجار والنباتات والحيوانات والمعادن بل ألَّفوا قواميس لمعاني الأفعال وقواميس لغوية للأضداد والمترادف، بل وللجذور واشتقاقاتها واستعمالاتها وكذلك

(47) ـ ابحث عن مقالة بالانكليزية:

ـ The key to cracking long - dead languages?/ Sophie Hardach BBC - 10 December 2018

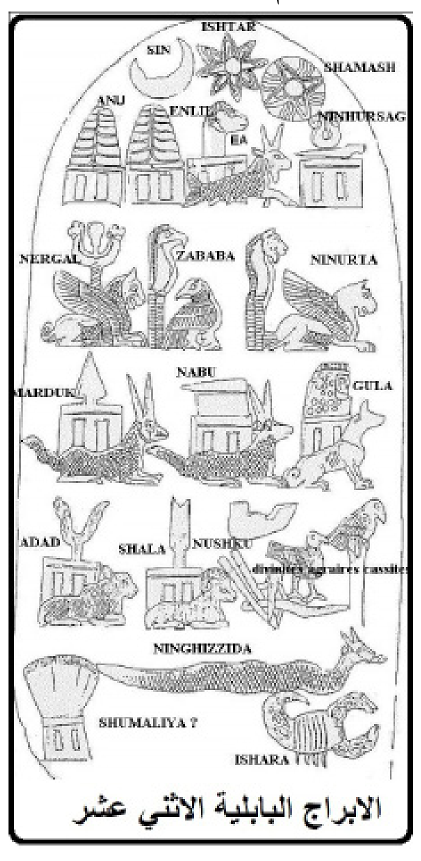
قواميس للكلمات النادرة التي تستعمل في الأدب. كما لم تخل هذه القواميس من توضيحات وتعليقات خاصة من فترة الألف الأول قبل الميلاد.

الفلك والجغرافيا والتنجيم



إن الديانة العراقية كانت قائمة على عبادة الكواكب السبعة، وأهمها الشمس والقمر والزهرة. فطبيعة العراق وانفتاح السماء والنوم في العراء، جعلهم يرقبون القمر والشمس والنجوم بشكل دقيق ويعرفون أسرارها. وكانوا يقومون بهذه المراقبة من على أسطح المعابد الدينية وأبراج خاصة في بعض المدن. كما تنبأوا بخسوف القمر وكسوف الشمس وراقبوا الرياح والسحب أيضاً. وفي ضوء علم الفلك قسَّموا السنة إلى اثني عشر شهراً (وما زالت أسماء الأشهر البابلية تستعمل عند اليهود وكذلك النظام الشمسي ـ القمري). وقسَّموا الشهر إلى ثلاثين أو تسعة وعشرين يوماً، وقسَّموا اليوم إلى أربع وعشرين ساعة، والساعة إلى ستين دقيقة. وقد وردت أسماء علماء فلكيين في بعض الرسائل البابلية التي عثر عليها وسجَّل هؤلاء حالات كسوف وخسوف بشكل دقيق كما يقول بطليموس. وظل الناس يستفيدون من خبرة البابليين في هذا المجال بعد زوال دولتهم خاصة؛ إذ نقرأ أن نابو ـ ريماني (القرن الخامس ق.م) وكدينو والكاهن بل أشور (القرن الثالث ق.م) كانوا من العلماء الذين استفاد منهم الإغريق في علم الفلك وأطلقوا عليهم أسماء إغريقية. وقد ذكر مؤرخون أن الإسكندر الأكبر كان معجباً بخبرة البابليين في علم الفلك وحكمتهم. كما ابتكروا علم المساحة والساعة الشمسية وتقسيم اليوم إلى اثنتي عشرة ساعة. واهتموا كذلك بالجغرافيا وقد عثر على

نصوص تتضمن قوائم لأسماء البلدان والجبال والأنهار والمدن، حتى المسافات بين المدن. وكتب على أقصى الشمال منها (الأرض التي لا ترى فيها الشمس أبداً). كما اكتشفت نصوص تشير إلى اهتمامهم بالجغرافيا التاريخية من عصر مبكر.



الابراج الاثنا عشر وتبدأ ببرج الحمل (نيسان)، وهو برج (الاله تموز) رمز الربيع والخصب الذكوري، الذي مع (عشتار: رمز الخصب الانوثي) يكونان الحياة وبداية السنة البابلية الجديدة!

أما بالنسبة للتنجيم، فهو لا ينفصل عن علم الفلك، فهم أول من أسس (نظام الأبراج) وقسمّوا الكواكب حسب أهميتها وقدسيتها. ودرسوا تأثير النجوم على طباع الأفراد والشعوب. ومن الأمور المهمة التي عثر عليها قوائم طويلة بالطوالع (طوالع الخير والشر) يصل عددها إلى الآلاف. وكان لهذه الطوالع مختصون بها يدرسونها ويتدربون على معرفتها لفترة طويلة يسمى الواحد منهم (الرائي أو الناظر). وهي مفيدة جداً لدراسة العادات والتقاليد والمعتقدات للمجتمع البابلي. وقد تأثرت بعض

الشعوب بهذا العلم ـ كما أطلق عليه بعض الباحثين ـ كالحثيين فجمعوا قوائم لها مماثلة أيضاً.

القوانين

إن (شريعة حمورابي) تُعَدُّ من أقدم القوانين في الحضارات القديمة وأكثرها شمولاً وتفصيلًا. إذ تحتوي على أكثر من مائتين وثمانين فقرة شملت الكثير من مناحي الحياة. كما تميزت شريعة حمورابي خاصة بجمال اللغة ودقتها وصفائها. وقد جاء في بعض ديباجتها التي تعطي بعض أسباب تشريعها: (إنه من أجل أن يسود العدل في البلد ويقضى على الشر والظلم وكي لا يضطهد القوي الضعيف). وقد وضعت نماذج منها في أماكن عامة كالمعابد كما كان التلاميذ يتعلمونها لمضمونها ولجمال لغتها وأصبحت نصوص هذه القوانين نموذجاً لما يسمى اللغة البابلية القديمة.

الطب

كان الطبيب يسمى (أسو) (وهو آسي في العربية / أسا في السريانية) وله موقع مهم في المجتمع، وكان يعد من أبناء الطبقة العليا وكانت مهنته متميزة لا علاقة لها بالدين أو السحر، إذ من كان يمارس السحر كان يسمى (أشيفو- الشافي). بينما كان الطبيب (الذي كان يتميز بين الناس بحمل أدواته معه وطريقة حلاقة شعره) يتعلم مهنته بالدراسة أولاً. وبعد الانتهاء من الدراسة كان يقوم بممارستها مع من هم أقدم وأكثر خبرة منه. وقد وصلنا عدد كبير من الألواح التي تضم قوائم بالأعراض والأمراض والوصفات الطبية التي كتبها أطباء، وهي تحتوي على تشخيص لأسباب طبيعية للأمراض. (ويعتقد أن أقدم وصفة طبية هي تلك التي وصلتنا من سلالة أور الثالثة). ويتبين من بعض هذه الوصفات التي اكتشفت أن العناصر المكونة للدواء ما زالت مستعملة اليوم لنفس المرض. ومن النصوص في مجال الطب مؤلَّف مهم اعتبره الباحثون تحفة علمية راقية يعود إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد على الأقل وعنوانه (رسالة في التشخيصات الطبية والتكهنات). ويعتقد بعض الباحثين أن هذا المؤلَّف ربما كان يحتوي على خمسة آلاف إلى ستة آلاف فقرة، وقد عثر على أربعين لوحاً منها تمثل نصفها تقريباً.. ومما يدل على انتشار الطب هو وجود سبع مواد على الأقل في شريعة حمورابي تتعلق بعمليات

جراحية. ويرى بعض الباحثين أن البابليين قد مارسوا العلاج النفسي أيضاً الذي يعتقد أنه من نتاج العصر الحديث.

الرياضيات والصناعة

لقد عثر على آلاف الرقم والألواح التي تضم أعداداً رتبت بطرق مختلفة وعمليات طرح وجمع ومسائل حسابية تتعلق بالعمارة ومساحة الأرض والسقي. كما عثر على ألواح كثيرة تحوي تمارين رياضية، بعضها مع حلول لها والبعض الآخر بدون ذلك، وبعض هذه التمارين بمستوى متقدم. وإن ما وَصَلنا منها من قضايا رياضية يؤكد قدرتهم النظرية التي قلَّما وجد مثلها قبل العصر الكلاسيكي. وكان تصنيع المعادن شائعاً وأعطوا لمن يمتهن ذلك اسماً عاماً يدل على اختصاصه وهو (نفاخو) (بالآرامية نفاخا وبالعربية نفاخ). ثم خصصوا ذلك بإضافة اسم المعدن إليه فسمي الحداد (نفاخ فرزيلو) والذي يعمل بالذهب (نفاخ خورصي). (ومن هذه الكلمة أخذت الكلمة اليونانية خروسس للذهب). ويقول جورج روكس في كتابه العراق القديم: ليس من شك في أن البابليين (والآشوريين) كانوا يعرفون أكثر مما عثر عليه في كتاباتهم، فنقل الصخور الهائلة ونصبها مثلاً أو إنشاء ممرات مائية طويلة يدل على معرفة متقدمة بقوانين الفيزياء. وكذلك معرفتهم ببعض مبادئ الكيمياء التي كانت قد طبقت بشكل ناجح في الأدوية والأصباغ وعمل الزجاج الملون وتزيين الآجر بالمينا.

العمارة والبناء

فهم أول من أنشأ المدن والأبنية الجبارة. وشيَّدوا الزقورات التي هي أهرامات مفتوحة تنتهي بمعبد كبير. وتُعَدّ مدينة بابل من أعرق وأشهر المدن الحضارية، إذ احتوت على (الجنائن المعلقة) التي هي برج طوابقه من حدائق. كذلك (برج بابل) الذي أصبح خالداً بذاكرته البشرية وبشموخه وعظمته. وقد وصف المؤرخ اليوناني (هيرودتس) بابل وَصْفَ مُعجبٍ بها ومنبهر ببنائها وبتخطيطها وببواباتها فقال عنها: (لا توجد مدينة تشبهها في روعتها في العالم الذي نعرفه). وكان من أشهر هذه البوابات بوابة عشتار التي زينت واجهتها باللون الأزرق وزينت بعدد من التنانين (رمز للإله مردوخ) وكذلك بعدد من الثيران (رمز الإله حدد). وقد بلغ عدد هذه الرموز 575 رمزاً. وكانت البوابة موصولة

بشارع سماه الباحثون (طريق المواكب) وأطلق عليه البابليون إبور شابو (الطريق الذي لن يجتازه العدو). وتوجد بوابة عشتار اليوم في متحف برلين وهي تبهر الإنسان بشكلها وبنائها وروعة تصميمها. وذكر أن بابل ضمت أكثر من ألف معبد من مختلف المقاسات.
وذكر بعض المؤرخين أن الإسكندر الأكبر (الذي كان في بلاد ما بين النهرين ومات فيها) قد أبدى إعجابه بها وأراد أن يجعلها عاصمته العالمية بل ذكر بعض هؤلاء أنه جعلها فعلاً عاصمته واستقبل السفراء فيها[48].

الديانة النهرينية، دنيوية، تقدس الخصب والكواكب!



الملك گوديا يحمل كأس النهرين، رمز الخصب والحياة!

الأدب والاسطورة والفن وتداخلها مع الدين

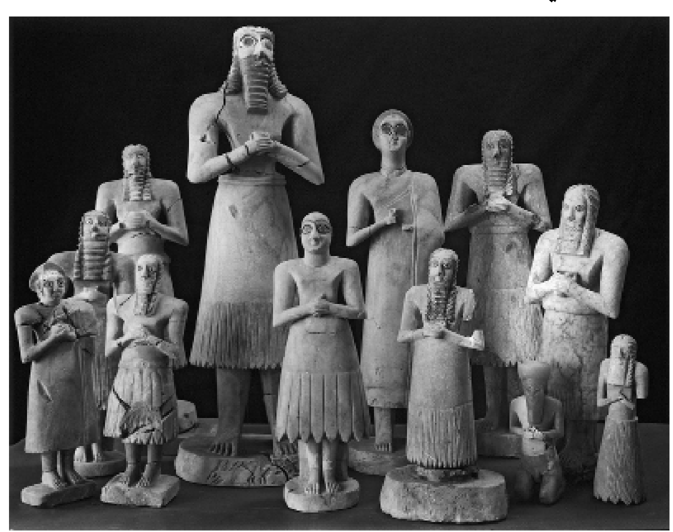
من المعلوم ان الانسان القديم كان يمزج كل نتاجاته وابداعاته ونشاطاته المادية والمعنوية. فالحكايات الاسطورية والاشعار والرسوم والنحت والاغاني والرقص، كانت ممتزجة مع رؤيته وتساؤلاته الدينية والطقوسية عن الحياة والكون.
وقد ترك لنا اهل النهرين اولى واقدم الاساطير المدونة مع نصوص وفيرة شعراً ونثراً من أدب وحكمة وفكاهة وغيرها. ومن اهمها: (ملحمة گلگامش) و (عشتار في العالم

(48) ـ هذا النص كتبناه بالتعاون مع (المؤرخ العراقي الراحل) جعفر هادي حسن.

السفلي) وأسطورة الخليقة (حينموعاليش ـ حينما في الأعالي)، وأساطير وحكايات وقصائد لا تحصى. وكذلك برعوا في الفنون في نشاطهم المعنوي والروحي، فقد كشفت لنا الجداريات عن نشاطاتهم الفنية المختلفة من موسيقى ورسم ونحت ونقوش وتصميم وزينة.

أما الديانة النهرينية فقد ظلت هي نفسها منتشرة في (سومر وبابل ونينوى، وكذلك عيلام) طيلة أكثر من 3000 عام، أي حتى ظهور المسيحية في القرن الأول الميلادي.

أهم ميزات هذه الديانة:



ـ أنها قدَّست السماء واعتبرت الكواكب تتحكم بالبشر؛ لهذا فإن العراقيين هم أول من أبدع الأبراج الاثني عشر التي هي أساس هذه الديانة.

ـ اعتبروا أن نهري دجلة والفرات وخصبهما من هبات السماء وتأثير الكواكب، ولهذا أبدعوا الإلهة (عشتار) رمز الخصوبة الأنوثية الممثلة بكوكب الزهرة، ومعها (تموز) رمز الخصوبة الذكورية والمتمثل عموماً بالقمر.

ـ أنهم لم يهتموا كثيراً بالحياة الأخرى والخلود، بل أكّدوا على الحياة الدنيا، وأن الانسان يخلَّد بأعماله وأبنائه. وكانت (أسطورة گلگامش) أفضل تعبير عن هذا الإيمان الدنيوي. فهذه (سيدوري سيدة الحانة) تختصر عقيدة العراق القديم، وهي تخاطب گلگامش في نهاية رحلته بحثا عن الخلود:

إلى أين تسعى يا گلگامش؟/ إن الحياة التي تبغي لن تجد/ فليكن كرشك مليئاً دائماً/ وكن فرحاً مبتهجاً نهار مساء/ وأقم الأفراح وارقص والعب/ واجعل ثيابك نظيفة زاهية/ واغسل رأسك واستحم بالماء/ دلل صغيرك وأفرح زوجتك/ فهذا هو نصيب البشرية/ إلى أين أنت سائر؟/ لن تجد قط الحياة التي تنشد/ فالآلهة عندما خلقوا البشر/ كتبوا عليهم الموت واحتفظوا بالخلود لهم[49].

أي أنها عكس (الديانة المصرية) التي هي (ديانة أخروية) قائمة على تقديس (الحياة بعد الموت) واعظم رموزها هي (الاهرامات: قبور الفراعنة). وهي التي ابتكرت مفهوم (الآخرة، يوم الحساب) الذي يليه (الخلود في حقول يارو- الجنة).

أسطورة گلگامش



(49) ـ ملحمة گلگامش ـ طه باقر

هي أسطورة سومرية مكتوبة بخط مسماري على 12 لوحاً طينياً اكتشفت لأول مرة عام 1853م في المكتبة الشخصية للملك الآشوري آشور بانيبال في نينوى. ويحتفظ بالألواح الطينية التي كتبت عليها الملحمة في المتحف البريطاني. الألواح مكتوبة باللغة الأكدية ويحمل في نهايته توقيعاً لشخص اسمه شين ئيقي ئونيني الذي يتصور البعض أنه كاتب الملحمة التي تعتبر أقدم أسطورة في التاريخ. وبطلها هو ملك أوروك (گلگامش) مع صديقه المتوحش (أنكيدو) ظلت متداولة لدى النهرينيين في جميع أنحاء العراق والمنطقة طيلة أكثر من 3 آلاف عام، وهي خلاصة العقيدة الدينية لأهل النهرين إذ تتناول أساساً مفاهيم: معنى الحياة والموت والخلود والحضارة والوحشية والصداقة والمرأة، وغيرها.

عشتار وتموز



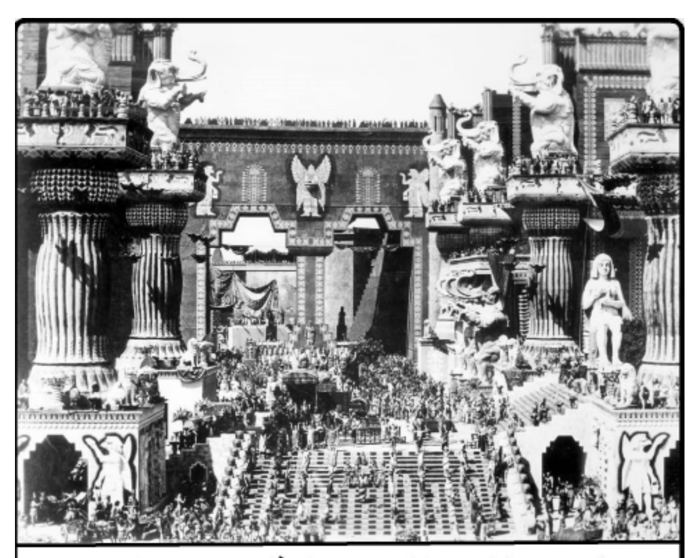
تموز اله الخصب الذكوري مع
عشتار الهة الخصب الاومي

الاسم البابلي لأول إلهة هو (عشتار)، أي (عيش الأرض ـ أي خير وخصب الأرض)، آلهة الأنوثة، وخصوبة الأرض والحياة، ويسميها السومريون (إنانا ـ ابنة السماء)، وعشتاروت عند الفينيقيين، و(عناة) عند العرب، وأفروديت عند اليونان، وفينوس عند الرومان. وهي نجمة الزهرة والصباح والمساء معاً. رمزها نجمة ذات ثماني أشعة منتصبة على ظهر أسد، على جبهتها الزهرة، وبيدها باقة زهر.

ويقابلها (الإله تموز ـ ابن الحياة) رمز الذكورة والخصب الربيعي الهابط من

إله السماء. وهو يأتي في أول كل ربيع ليخصِّب عشتار لتزدهر الأرض وتنتشر الخضرة والغلال.

عيد الربيع النهريني (هگيتو-الحجة)



مشهد(احتفالات بابل) من اول فلم امريكي باهض التكاليف اخرجه عام 1916 المخرج(D. W. Griffith)

وهو عيد الفرح والخصب، ويكون في أول يوم من التقويم العراقي، أي في أول يوم من الربيع وهو 21 آذار، الذي كان في ذلك الوقت يعتبر (أول نيسان). وهي تسمية أكدية لهذا الشهر بمعنى (نيشان أي علامة الربيع). وفي هذا اليوم يظهر إله الخصب الذكوري السماوي (تموز) ليخصب (عشتار) إلهة الخصب الأنوثي الأرضي، فينبثق الربيع والخضرة والحياة. ويكون العيد عشرة أيام (عاشور) تتخلله الكثير من الاحتفالات الرسمية والشعبية، وتزول بعض الممنوعات مثل تساوي العبيد مع أسيادهم وكذلك اعتذار الملك وتعرضه لصفعة من المرجع الديني الأعلى، وغيرها الكثير من المباهج والأفراح. وقد اقتبس الإيرانيون هذا العيد بعد احتلال بابل، وراحوا يحتفلون به في نفس اليوم وبنفس الطقوس، باسم (يوم نيروز).

ملحق[50]

اليهودية ديانة بـابـلية: حقيقة السبي البـابـلي؟



مرقد (النبي عزير: عزرا) في جنوب العراق. وهو المؤسس الحقيقي لليـهودية!

هنالك فكرتان خاطئتان شائعتان عن (سبي اليهود):

ـ أن السبي، عملية عنصرية موجهة فقط ضد (اليهود)!

ـ أن (اليهود) المسبيين عاشوا في (بابل) أسرى وعبيداً يعانون العذاب!

(50) ـ هذا جزء من دراسة مفصلة سبق وأن نشرناها كفصل خاص في كتابنا: موسوعة اللغات العراقية: فصل اللغة العبرية/ سليم مطر

ولكن معاينة التاريخ الحقيقي، تدحض تماماً هذه التصورات التي أشاعتها (التوراة) فيما بعد.

سياسة السبي النهرينية

في الحقيقة إن (سبي اليهود) الى (بابل) لم يكن حالة استثنائية وموجهة ضدهم، بل كانت سياسة عامة للدولة النهرينية (السلالتان الآشورية ثم الكلدانية)، شملت جميع مناطق الهلال الخصيب (العراق والشام)، ودامت عدة قرون. وكانت تبتغي هدفين: نقل النخب المؤثرة (الزعماء والمتعلمين والصنّاع) للمدينة المتمردة، من أجل منع تمردها. ثم الاستفادة من هذه النخب المؤثرة من أجل إعمار مناطق تعاني الاهمال أو صعوبة السكن، مثل المناطق شبه الجبلية، والحدودية. فمثلاً في القرن الثامن ق.م، تم نقل (30) ألفاً من سكان (حما) السورية الى المناطق الشرقية العراقية المحاذية للجبال (ربما ديالى والكوت)، من أجل تعميرها ولمواجهة القبائل الجبلية. في نفس الوقت تم نقل (18) ألفاً من (سكان دجلة) ليستوطنوا (مدينة حما) المسبية! في هذا القرن أيضاً وعلى حملتين متتاليتين، تم نقل حوالي (ربع مليون) من سكان (وسط وجنوب العراق) من أنصار (المتمردين الكلدان)، أفراداً وعوائل كاملة، الى شمال العراق، لتعمير الاراضي والمستوطنات الجديدة. إن سياسة التهجير هذه كانت من القوة والاستمرارية بحيث بلغ عدد الذين تم نقلهم خلال ثلاثة قرون (800 ـ 600 ق.م)، داخل حدود الامبراطورية الآشورية التي شملت العراق والشام: (اربعة ملايين شخص أفراداً وعوائل وعشائر)[51]!؟ إذن إن (سبي اليهود) كان جزءاً صغيراً من حالة كبيرة دامت قروناً وشملت الملايين من سكان العراق والشام.

(51) ـ لمطالعة تفاصيل عمليات التهجير، راجع:

la Mesopotamie/Georges ROUX/P270 ـ 271 /

صدر أيضاً بالعربية: العراق القديم/ جورج رو

كذلك: فراس السواح ـ آرام دمشق ـ ص250 ـ 252

سبي اليهود



السبي البابلي لليهود، لم يكن خاصا باليهود، بل كان جزءا من عمليات تهجير سياسية- اقتصادية طالت عدة ملايين من سكان العراق وسوريا

من المعلوم إن عموم بلاد الشام (بلاد الكنعانيين) وبالذات منطقة (فلسطين) ظلت دائماً ساحة صراع على النفوذ بين الدولتين العراقية والمصرية. وكانت هنالك دائماً أحزاب وأطراف من أنصار إحدى الدولتين. إن عمليات السبي في (فلسطين) شملت (الكنعانيين) الذين هم غالبية السكان، و (العبرانيين) الذين كانوا عشائر بدوية حديثة الاستقرار وقد تمكنوا من تكوين ((مشيختين))[52] محميتين من (مصر): (يهودا ـ اورشليم) جنوب فلسطين، و (اسرائيل ـ السامرة) شمال فلسطين[53].

وقد بدأت عمليات التهجير الاولى في الفترة الآشورية بين القرنين التاسع والسابع ق.م وتركزت أكثر على (مشيخة اسرائيل) وأدت الى نهايتها في 721 ق.م. لكن هؤلاء المسبيين الاوائل قد اختفوا من التاريخ لأنهم قد انصهروا في سكان النهرين[54].

---

(52) ـ بالحقيقة إن البحوث الاخيرة ومنهم (المؤرخون الاسرائيليون الجدد)، يرفضون فكرة (مملكتي اسرائيل ويهودا)، بسبب عدم تركهما أي اثر أو ذكر يؤكد وجودهما. والخلاصة التي تم الاتفاق عليها، إن كانت (مشايخ) بسيطة غير قادرة على ترك أي أثر.
راجع مثلا، كتاب:
ـ أركيولوجيا الاستيطان الإسرائيلي: اسرائيل فلكنشتاين..
ـ كذلك هنالك سوء فهم للكلمة الكنعانية الارامية: (ملخ، ملخا) أي(ملك، مملكة) التي تعني حرفياً: (مشيخة، أو امارة).

(53) ـ الاديان الحية ـ أديب صعب ـ ص129

(54) ـ ملامح التاريخ القديم ليهود العراق ـ أحمد سوسة ـ ص57
كذلك: تاريخ سوريا/ فيليب حتي ـ ج1 ـ ص213

أما موجة السبي الثانية فكانت من قبل الملك الكلداني (نبوخذ نصر)، في حملتين (597 و586 ق.م) وقد تركزت على (مشيخة يهودا)، وقد بلغ عدد المسبيين أكثر من 40 ألفاً، بغالبيتهم من النخب العليا:

((كل الرؤساء وجميع جبابرة البأس... وجميع الصنّاع والاقيان. ولم يبق أحد إلاّ مساكين شعب الارض))(سفر الملوك الثاني 24:14). في هذه المرحلة لم يتم تشتيتهم، بل جمعوا في منطقة بابل (وسط وجنوب العراق) مما سمح بتشكّلهم كجالية متميزة. بما أنهم كانوا كلهم من سكان (مشيخة يهودا)، لهذا شاعت تسمية (اليهود) كتسمية أقوامية مناطقية، وليست دينية، ولكن مع الزمن تحولوا الى طائفة دينية بهذا الاسم[55].

حياة اليهود في بابل

(إن بابل كأس ذهب بيد الرب تسكر كل الارض. من خمرها شربت الامم) (التوراة ـ أيرميا 51: 7)

على عكس الصورة السائدة، إن (يهود بابل) ما كانوا مسبيين مضطهدين، بل هم اندمجوا وأثروا في المجتمع البابلي حتى بلغوا طبقاته العليا[56]. إن المصادر التاريخية ومن ضمنها مصادر يهودية تعترف بأن (نبوخذ نصر) قد سمح للأسرى أن يصحبوا عائلاتهم وينقلوا معهم ممتلكاتهم ومواشيهم، وأنه وهب اليهود أخصب مقاطعاته وأسكنهم فيها مثل منطقة (نفر- نيبور) التي كانت تُعد من أغنى مقاطعات (بابل)، ومنحهم كذلك أوسع الحريات في العمل وممارسة طقوسهم الدينية. ولقد استفاد (اليهود) كثيراً من الحضارة البابلية، فتعلموا وأتقنوا الحرف والصناعات وامتلكوا الأراضي الزراعية، ودخلوا حقل التجارة.

(55) ـ نفس المصدرين: سوسه ـ ص 125 ـ 126 / ثم حتي ـ ص 220
(56) ـ الاديان الحية ـ مصدر سابق ـ ص130

تدوين التوراة والتلمود في بابل



مثل كل جماعة سكانية مهاجرة، كان هنالك دائماً (نخبة من المتعصبين المتشددين: الانبياء) متمسكين بالماضي ورفض الانصهار والتثقيف بالعودة إلى (الاصول: مشيخة يهودا). وهم الذين أدخلوا في اليهودية تلك الفكرة المقدسة الاساسية: (العودة الى الارض الموعودة: فلسطين)!

هذه النخب اليهودية البابلية، هي التي عملياً (أنشأت الديانة اليهودية) أو على الاقل حوَّلتها من (عقيدة شعبية بدائية شفاهية) الى (عقيدة مكتوبة)، إذ بدأوا بتدوين ميراثهم الشعبي القديم في كتاب، ليس صدفة أنه حمل تسمية (توراة: تراث)[57]. وفيه قد مزجوا بين مصدرين:

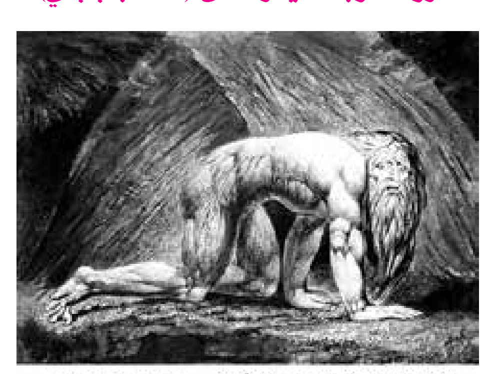
ـ الميراث الشفاهي الكنعاني العبراني (عندما كانوا في فلسطين)، مع الثقافة النهرينية التي يعيشونها في بابل.

(57) ـ يتفق غالبية الباحثين في تاريخ الكتاب المقدس، أنه قد كتب من قبل اليهود أثناء سبيهم في (بابل) بين القرن السابع حتى القرن الثالث ق.م، أو في أحسن الاحوال، أنهم أعادوا كتابته بالاعتماد على ما ورثوه من لفافات متنوعة المصادر والتواريخ والحاوية على معلومات متناقضة ومتكررة، بالاضافة الى ما حفظته ذاكرتهم. إن هذا التناقض والتكرار في (نصوص التوراة) هو الذي جلب انتباه الباحثين الاوربيين منذ القرن السادس عشر.
راجع: موسوعة وكيبيديا باللغات العربية والفرنسية والانكليزية (اليهودية)./ كذلك:
ـ فراس السواح ـ آرام ودمشق واسرائيل ـ ص10

ويمكن تحديد نشأة (الديانة اليهودية) بالمراحل الثلاث التالية:

ـ تدوين (التوراة: التراث) في بابل[58]./ ـ نقل (اليهودية) الى فلسطين بعد سقوط بابل على يد (الفرس:539 ق.م)./ ـ إكمال (اليهودية) بتدوين (التلمود: البابلي: التشريعي) في بابل. (تلمود: تلمذة: تعاليم).

التوراة أقرب ما يكون الى (كتاب بابلي)!



من خرافات التوراة، حكاية جنون الملك البابلي (نبوخذ نصر) بسبب النبي دانيال. هذه اشهر لوحة عن جنون الملك للرسام والشاعر الانكليزي وليم بليك

عن تأثر اليهودية بالثقافة البابلية، احتوت التوراة على الكثير من الميراثات العقائدية والثقافية البابلية، بحيث يصح القول. وهذه بعض الميراثات البابلية المتضمنة فيه: (اسطورة خلق الكون والانسان / جنة عدن والفردوس المفقود / الطوفان ونوح / قصة هابيل وقابيل / أصل الانسان واللغات وبرج بابل / طفولة سرجون وطفولة موسى / محاربة قوى الشر / غضب الرب وانزال الكوارث / العهد بين الرب والعبد / قوانين حمورابي والوصايا العشر / البكاء على تموز وانتظار المخلص / أناشيد الزواج المقدس والمزامير ونشيد الانشاد / صبر أيوب). وغيرها من الحكايات والرموز التي لا تعد، مثل اختيار يوم (السبت) البابلي لـ (السبوت والراحة). ولازالت اسرائيل تطلق عملتها اسم (شيكل: ثقيل) وهو اسم العملة البابلية[59].

(58) ـ من خلال تنوع نصوص التوراة واختلاف أساليبها ومعانيها، يتضح أن كتبتها يتجاوز عددهم الخمسة. والاعتقاد السائد أن (عزرا الكاتب اليهودي البابلي) في القرن الخامس قبل الميلاد، هو الذي جمع وحرر نصوص التوراة. ثم بعده استمرت أجيال من الكهنة الذين أضافوا «طبقات على ظهر طبقات» من النصوص، حتى أصبحت بالشكل الذي نعرفه اليوم.
طالع مثلا:
ـ كتاب بابل والتوراة: الاب سهيل قاشا
ـ اختلاق اسرائيل القديمة: كيث وايتلام

(59) ـ للاطلاع على تفاصيل الأثر البابلي في التوراة، راجع:
ـ فيليب حتي/ تاريخ سوريا ـ ج2ـ ص242 ـ 245
ـ من سومر الى التوراة/ الفصل الرابع
ـ أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية ـ الاب سهيل قاشا
ـ كتاب المؤرخ الاسرائيلي: زلمان شازار ـ تاريخ العهد القديم ـ القسم الثاني

(عزرا البابلي) منجز الدين اليهودي

كان اليهود العائدون الى فلسطين، متعصبين حتى ضد اخوانهم الذين بقوا في فلسطين باعتبارهم قد انحرفوا عن العقيدة الاصلية، وراحوا يتزاوجون مع الكنعانيين ويتّبنون بعض مقدساتهم مثل (عشتار وتموز)[60]!. ولكن رغم ذلك التعصب والحماس، فإن مشروع إعادة بناء الهيكل ما كان ناجحاً، حتى بعد مرور أكثر من قرن على العودة. بعد ذلك قام (نحميا وعزرا البابلي) بمحاوله ثانية لترتيب حال اليهود هناك. في عام (444 ق.م) رحلا من بابل الى فلسطين وقد اصطحبا معهما ألفاً وسبعمئة يهودي بابلي. بعد جهود كبيرة من انشاء تنظيم ديني صارم أجبر يهود فلسطين بالقسم على التمسك بعهد موسى، ورفض تزويج بناتهم لغير اليهود، بل حتى التخلي عن زوجاتهم غير اليهوديات واعتبار نسلهم أبناء زنا. وصار الكهنة هم الحكام الآمرين. إن هذه المجموعة البابلية بقيادة عزرا هي التي قامت بكتابة ما سمي فيما بعد بـ (التلمود الفلسطيني). ومنذ ذلك الحين صارت اليهودية ديانة محددة ومتميزة، تحمل صفات الانغلاق العرقي والديني. وأمست الطقوس الشكلية مقدسة وصارمة مثل يوم السبت والصلاة في هيكل اورشليم والاحتفال بالاعياد والمناسبات اليهودية المعروفة[61].

تمسك اليهود بالبقاء في (بابل)



ضريح النبي(ذو الكفل: حزقيال)
في محافظة بابل

(60) ـ الاديان الحية ـ أديب صعب ـ ص132
(61) ـ عزرا 10:3 ـ 10، 5 وما بعده/ كذلك نحميا 35 :13/ كذلك الاديان الحية ـ ص133

ـ أفضل دليل على أن يهود بابل ما كانوا مضطهدين بل أحرارا وأثرياء: بعد سقوط (بابل:639 ق.م) على يد الفرس، كلفهم (الملك كورش) بالعودة الى (فلسطين) كحكام لها وتابعين له. لكن غالبية اليهود رفضوا العودة. بل حتى الذين رحلوا الى فلسطين سرعان ما عاد غالبيتهم الى (بابل)، التي بقيت محطة إنقاذ لليهود كلما ساءت أحوالهم في فلسطين، خصوصاً في الحقبة اليونانية والمسيحية.

بقي العراق المقر الاساسي للديانة اليهودية، حتى بالنسبة ليهود فلسطين. لهذا تراهم كانوا ما إن يتعرضوا الى ضائقة في فلسطين، سرعان ما يلجأوا الى العراق. هنالك وقائع كثيرة تؤكد هذه الحالة. ففي سنة (63 ق.م) عندما سقطت (الدولة المكابية اليهودية) في فلسطين على يد (الرومان، هاجر الآلاف من اليهود ولاسيما من رجال الدين إلى أرض بابل)[62]. لقد ظل علماء (يهود بابل) فعّالين حتى في المدارس اليهودية في فلسطين. فها هو الرابي «أبا عريقا» ينتقل من العراق إلى فلسطين ويؤسّس أكاديمية «سورا» ويذكر عادة بلقبه الشائع «راب» كذلك (صموئيل) الفلكي والطبيب[63]. والدليل الاكبر على تمسك اليهود بالبقاء في (بلاد النهرين) أن كتابهم التشريعي الكبير (التلمود البابلي) قد استمر تأليفه في (الحوزات اليهودية البابلية) لعدة قرون حتى تمّ في القرن الرابع م.

اليهودية عقيدة بابلية: دنيوية اساسا، ثم سماوية!

إن النقطة الاساسية التي تجمع بين العقيدة اليهودية والديانة العراقية (البابلية ـ الآشورية)،هي: ((الايمان بالحياة الدنيا فقط والاعتماد على رب سماوي جبّار بانتظار المسيح المنقذ، أي تموز لدى العراقيين)). أي إن الديانتين العراقية واليهودية، ليستا

(62) ـ انظر الموسوعة الفلسطينية ـ الأطماع الصهيونية في القدس ـ تأليف عبد العزيز محمد عوض ـ القسم الثاني ـ المجلد السادس ـ الطبعة الأولى بيروت 1990. ص 860.

(63) ـ إن دور (النخب اليهودية البابلية) الحاسم والقيادي في ابداع وتطوير اليهودية، لم يقتصر فقط على المرحلة الاولى للتأسيس الديني، بل استمرت على مراحل متواصلة عدة بلغت أكثر من 1500 عام، أي من (الحقبة البابلية) في القرن السابع ق.م حيث تكونت الجالية اليهودية في بابل، مروراً بالحقبة (ألآرامية المسيحية) في ظل السيطرة الخارجية الاجنبية، حتى الحقبة (الحضارية العربية الاسلامية)، الى ان انتهى الدور اليهودي العراقي الابداعي مع انتهاء الدور الحضاري للعراقيين عموماً مع سقوط بغداد العباسية عام 1258م. وعاد دورهم المتميز مع تأسيس الدولة العراقية الحديثة (1921) في السياسة والفن والتجارة، حتى نهاية وجودهم بعد نشوء اسرائيل 1948.

سماويتين، بل (دهريتين دنيويتين) لأنهما لا تؤمنان بالحياة الأخرى[64]. فليس هنالك يوم حساب وجهنم وجنة موعودة، بل إن الانسان خيره وشره يلاقيه في حياته، ولا تخلده إلاّ أعماله ونسله. ويمكن اختصار هذه الفكرة بقول (سيدة الحانة الى گلگامش):

((لقد قدرت الآلهة الفناء للانسان/ واستأثرت بخلود الحياة/ فاملأ بطنك بملذات الطعام/ وابتهج ماشئت ليل نهار/ فهذا هو نصيبنا من الدنيا))[65]. لكن يتوجب التأكيد على أنه رغم (دنيوية) الديانة العراقية، إلاّ أنها كانت (أخلاقية) تبتغي العدالة والانسانية، ويكفينا دليلاً (شريعة حمورابي).

إن العقيدة السماوية الحقيقية لم تبدأ مع (اليهودية الاصلية)، بل مع (العقيدة العرفانية ـ الغنوصية) التي تعتبر المسيحية والصابئية من اولى أديانها[66].

❋ ❋ ❋

حضارة النهرين (MESOPOTMIA) في الثقافة العالمية

إن حضارة النهرين لها أهمية عالمية في جميع بلدان المعمورة، وتبدأ بها كل الكتب التي تدرس تاريخ الحضارة في العالم بجانب الحضارة المصرية. وهنالك في غالبية الجامعات أقسام خاصة لتدريس هذه الحضارة واللغتين السومرية والأكدية. واكتسبت الحضارة النهرينية أهمية أكثر، لأنها تُعَدُّ مركزية في الكتاب المقدس (التوراة) وفي الديانتين اليهودية والمسيحية؛ لهذا فقد اهتمت بها أيضاً الثقافات الفنية والأدبية في العالم، وأصبحت (بابل) كذلك (نينوى) اسماً شائعاً في الكثير من الإبداعات العالمية المعروفة، من سمفونيات أوبرات ولوحات وأفلام وروايات، وحتى في كتب وأفلام الأطفال.

---

(64) ـ موسى والتوحيد ـ فرويد ـ ص26 ـ 27/ كذلك:
ـ نائل حنون ـ عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد الرافدين ـ ص86

(65) ـ حول وصف عالم الموت في الديانة العراقية، طالع (ملحمة گلگامش) ـ اللوح السابع ـ العمود الرابع ـ اعتمدنا ترجمة السواح.

(66) ـ بالنسبة للعرفانية راجع القسم الاول من ملف المندائية في موسوعتنا هذه/ كذلك Catholic Encyclopedia /Gnosticism

ـ كذلك من الذين ناقشوا أصل العرفانية بصورة واضحة ودافعوا عن أصلها المشرقي، المفكر السوري: جورج طرابيشي ـ مذبحة التراث ـ دار الساقي ـ بيروت 1993 ـ ص 73 ـ 129 / في هذا الكتاب رد طرابيشي بصورة مفصلة وناجحة على المفكر الجابري الذي نجح كثيراً بتفصيل العرفانية، لكنه احتقرها واعتبرها يونانية فارسية.

طالع: محمد عابد الجابري ـ بنية العقل العربي ـ المركز الثقافي ـ الدار البيضاء 1986ـ القسم الثاني فصل خاص بالعرفانية.

3

المرحلة الآرامية ـ المسيحية



من بين اقدم النصوص ألارامية:(5 ق.م)من التيماء شمال السعودية، والتي كانت معتكفا لأخر ملوك بابل:(نبونيد)

منحوتة لأمير آرامي عليها اقدم نص بالآرامية من القرن7 ق.م .عثر عليها قرب حلب السورية

هذا نص بالآرامي واليوناني، كتبه اول ملوك الهند(اشوكا) القرن 3 ق.م. وهذا دليل على عالمية الآرامية التي بفضلها اكتشف العالم الكتابة الحروفية!

ان السيطرة الآرامية على العراق والشام وعموم الشرق، كانت أساسا (سيطرة لغوية)، لأن (الآرامية) كانت اول لغة تستعمل (الكتابة الحروفية الفينيقية) التي تُعتبر سهلة وواضحة مقارنة بالكتابة المسمارية والصورية في العراق ومصر. ولهذا اصبحت لغة ثقافية ودبلوماسية للشرق والعالم، وكان هذا تعويضا ثقافيا لشعوب الشرق بعد فقدانها لدولها وخضوعها لأكثر من الف عام للدول الآرية الجديدة:(الايرانية، اليونانية، الرومانية ثم البيزنطية)، حتى (الفتح العربي الاسلامي) وعودة الشرق الى مجده السالف.[1]

(1) ـ عن اللوح الآرامي ـ اليوناني، قد عثر عليه في (قندهار في افغانستان)، التابعة حينها لاول ملوك الهند(آشوكا: Ashoka) في القرن الرابع ق.م. طالع ويكيبيديا بالانكليزي: Aramaic / وفيه الصورة المعنونة:

The Kandahar Bilingual Rock Inscription (Greek and Aramaic) by the Indian king Ashoka, 3rd century BC at Kandahar, Afghanistan

سقوط المشرق والمتغيرات الكبرى!



منذ الالف الثاني ق.م بدأت القبائل البدوية الارية، بسبب المناخ والتكاثر، بالنزوح نحو اوربا وجنوب آسيا. وقد استفادوا كثيرا في حروبهم من تطويعهم للحصان للركوب والعربات. فظهرت اولى دولهم: الحيثيون في الاناضول. الميديون ثم الفرس في ايران. اليونان والسلت واللاتين والسلاف في اوربا. وقد سيطروا على الشرق اكثر من الف عام حتى الفتح العربي

إن هذه المرحلة تتضمن متغيرات حضارية كبرى حدثت في بلاد النهرين وعموم الشرق الأوسط، من جميع النواحي: السكانية والدينية واللغوية.

حتى الألفية السابقة للميلاد لم تكن هنالك أية دولة ولا حضارة قائمة على الكتابة خارج: (الحضارة الشرقية المشتركة) في بلدان المشرق: (النهرين وكنعان ومصر). فخلال أكثر من ألفي عام، أي منذ الألف الثالث ق.م حتى الألف الواحد، لم تنتج شعوب الارض اية ثقافة بغير الكتابتين المسمارية النهرينية والتصويرية ـ الهيروغليفية ـ المصرية. [2].

(2) الثقافات الأولى في الهند والصين وأمريكا لم تترك أية آثار كتابية واضحة مما يدل على محدودية درجتها المعرفية. فإن (كتابة السند في باكستان) عبارة عن نقوش تصويرية قليلة ومتفرقة على الأواني لم يثبت أنها حقا كتابة تعبيرية. كذلك الكتابة الصينية القديمة فإنها كانت نقوشاً متفرقة على العظام وصدف السلاحف. نفس الحال بالنسبة لأمريكا، فهناك نقش (كاسكاجال بلوك). بالإضافة إلى نقوش عديدة متفرقة عثر عليها في مختلف بلدان العالم، لكنها لم ترق إلى مستوى الكتابة التعبيرية والسجلات، بل هي محاولات أولية بدائية سابقة للكتابة.
لم تظهر الحضارات الكتابية خارج بلدان المشرق:(النهرين والشام ومصر)، إلاّ في الألف السابقة للميلاد: في الصين واليونان، ثم الهند وغيرها، أي بعد حوالي ألفي عام من تواجدها في المشرق. (راجع تواريخ الحضارات في الصين والهند وكذلك مايا).مثل:
ـ Toute l'histoire du monde /Jean ـ Claude Barreau, Guillaume Bigot/Paris 2005
وللسهولة، يمكن مراجعة ويكيبيديا بالإنكليزي: History of writing.

لكن بدايات الثورة تعود إلى الألف السابق للميلاد، حيث ظهر (الآريون، أو الهندو أوربيون) وهم قبائل رعوية بدوية منتشرة في وسط آسيا (جنوب روسيا)، لهم جذورعرقية بعيدة مشتركة ومختلطة مع أعراق أخرى، تمثلت بتحالفات وتبادلات مصالحية ولغوية ودينية[3]، ويبدو أنهم قد برعوا في استخدام (الحصان) لأول مرة في الحروب، مما سهل عمليات انتشارهم البطيء خلال عدة آلاف من السنين في قارتي آسيا وأوربا، حتى تمكنوا أخيراً من تأسيس دول جبارة: إغريق ورومان وإيران وهنود.

بعد محاولات دامت بضعة قرون تمكنت الدول الجديدة الناطقة بالآرية في إيران ثم اليونان وورثتهم الرومان، من الانتصار واجتياح الشرق الأوسط وعموم العالم، واحتلال مراكز الحضارة المشرقية: العراق وسوريا ومصر، وبهذا تغيرت موازين القوى تماماً ومعها الخارطة الحضارية للعالم بصورة ثورية وجذرية.

وهذه المتغيرات من العمق والتأثير لحد أن يصح الحديث عن ثورة تاريخية جذرية كبرى حصلت في الشرق الأوسط وعموم العالم، ومن أهم معالمها:

ـ انتقال مركز الحضارة والقيادة إلى أوربا (اليونان ومقدونيا وإيطاليا) وكذلك إلى

(3) حسب البحوث الجينية، فإن الجد المشترك القديم (قبل 30 ألف عام) للشعوب الناطقة باللغات الآرية، في آسيا وأوربا، يحمل الجينة (R). إن هذه السلالة (الآرية ـ الهندو أوربية)، تكونت قبل حوالي 30 ألف عام، في شمال البحر الأسود وجنوب روسيا، ثم انتشرت في أنحاء أوروبا وأيضاً في الشرق الأوسط، ثم استقرت في الهند، وتعتبر السلالة الأولى في أوربا وتشكل حوالي نصف جيناتهم، ومنها انبثقت قبل حوالي خمسة آلاف عام القبائل الناطقة باللغات (الآرية) التي بفضل اكتشافها استخدام الجياد، تمكنت من الانتشار وفرض هيمنتها ولغتها التي شكلت أساس لغات غالبية شعوب الهند وأوربا.

إن البحوث الجينية الأخيرة أثبتت أن ما اتفق عليه بـ(الجينات الآرية: R) لا تتجاوز في أقصى الأحوال 50٪ لدى الشعوب الناطقة بهذه اللغات الآرية. فمثلا (إيران) التي حملت اسمها من (العنصر الآري)، كذلك الأكراد، فإن نسبة الجينة (R) لا تتعدى 25٪، مع وجود نسبه مضاعفة من الجينة الشرقية ـ السامية ـ العربية (J):

ـ ابحث عن: جينات إيران ـ ADN ـ IRAN Haplogroupes Y.

ـ حول بطلان نظرية الأصل واللغة الواحدة للآريين، راجع:

فتش بالعربي: (هجرات الهندو أوربيين، الآريين) وبالفرنسي والإنكليزي بعنوان: ـ Indo – Aryan migra-tion

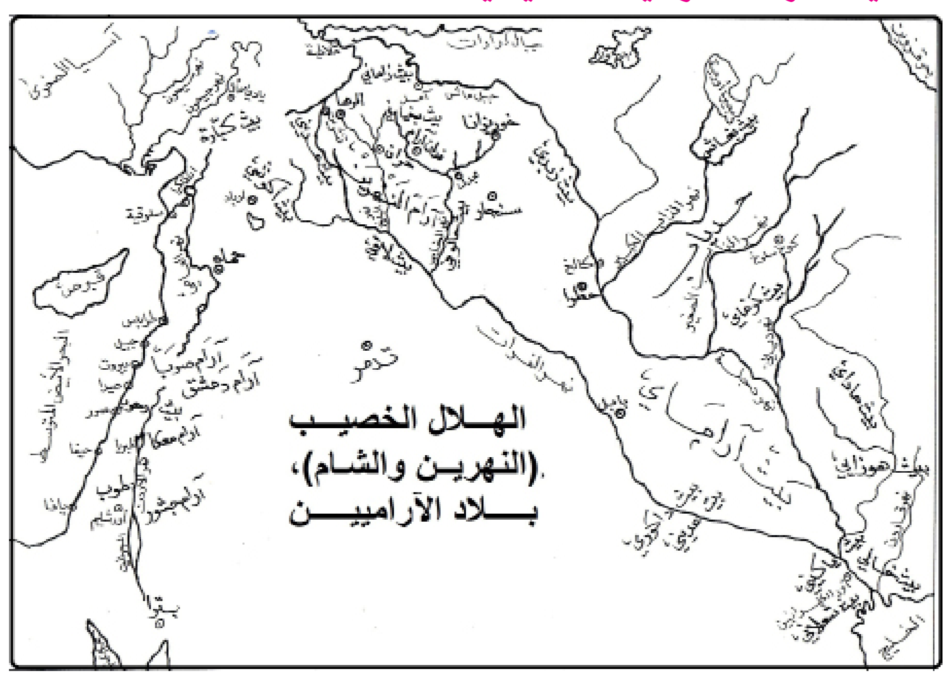
كذلك:

_ Merritt Ruhlen (trad. Pierre Bancel, préf. André Langaney), L’origine des langues: sur les traces de la langue mère

_ [« The Origin of language: tracing the evolution of the mother tongue »], Paris, Belin, coll. «Débats », 1996

آسيا (إيران والهند والصين)، وتحول المشرق العراقي ـ الشامي، المصري إلى تابع رغم احتفاظه بأهميته التاريخية والاستراتيجية الطبيعية.

تسمية المرحلة الآرامية ـ المسيحية



يتوجب التوضيح أننا أول من اعتبر هذه القرون الطويلة التي تتجاوز الـ11 قرناً (حقبة واحدة) تحمل اسم (المرحلة الآرامية ـ المسيحية). وتبدأ منذ سقوط بابل في (539) قبل الميلاد على يد الفرس الإخمينيين، حيث بسط الإيرانيون نفوذهم على بلاد النهرين حتى القرن السابع والفتح العربي الإسلامي، أي ما يقارب (11) قرناً. في هذه الحقبة، كانت الغلبة للسيطرة الإيرانية، التي دامت أكثر من تسعة قرون: الإخمينيون (قرنان)، البارثيون (ثلاثة قرون)، الساسانيون (أربعة قرون)، وقد قطعت السيطرة الإيرانية بسيطرة يونانية دامت قرنين، بين القرن الرابع والثاني ق.م.

لهذا فإن جميع الكتب والنصوص التي تخص تاريخ العراق، اعتبرت هذه المرحلة مراحل عديدة تحمل مسميات الدول المحتلة: الإخمينية.. اليونانية السلوقية.. البارثية.. الساسانية..

أما نحن فنعتبرها (مرحلة واحدة) للسبب البسيط التالي:

ـ رغم تغيير الدول المحتلة، فإن بلاد النهرين، أي العراق وشعبه، ظل موحداً: سياسياً، ولغوياً ودينياً. كالتالي:

ـ أنه ظل موحداً جغرافياً وسياسياً، رغم الاحتلالات الأجنبية المتعاقبة؛ لأن طبيعته الجغرافية وتوحده الطبيعي حول النهرين، كان يفرض على المحتلين احتلاله كاملاً أو التخلي عنه كاملاً.

ـ أنه ظل هو نفسه من الناحية السكانية، مع استقباله كالعادة لهجرات عديدة من الشرق ومن الغرب، وأهمهم: (العشائر الآرامية)، التي ربما قدمت من الحدود السورية أو البادية الغربية.

ـ أنه ظل موحداً من الناحية الثقافية ـ اللغوية، حيث حلت (اللغة الآرامية)[4] محل (اللغة الأكدية: البابلية ـ الآشورية) التي ظلت اللغة الوطنية لحوالي ثلاثة آلاف عام. علماً بأن هذه (اللغة الآرامية) الجديدة شبيهة إلى حد كبير باللغة الأكدية السابقة، و(الكنعانية الشامية)، وهي من نفس العائلة اللغوية السامية الشمالية، وهذه اللغة الجديدة قد فرضت نفسها من خلال استخدامها لطريقة كتابية جديدة أسهل من المسمارية، وهي (الكتابة الحروفية الألفبائية: السورية ـ الفينقية).

ـ أما من الناحية الدينية، فإن العراقيين ظلوا متمسكين بديانتهم النهرينية الأصلية (السومرية ـ البابلية ـ الآشورية) القائمة على عبادة النجوم ورموز الخصب، ولكن في القرن الثاني الميلادي بدأوا يتخلّون عن ديانتهم هذه ويعتنقون المسيحية القادمة من الشام، وقد أصبحت المسيحية ديانة الغالبية الساحقة من العراقيين، مع وجود أقليات دينية: يهودية وصابئية ومانوية، كلها أيضاً ناطقة بالآرامية.

إننا أيضاً كما فعلنا في المرحلة السابقة، تناولنا الوضع في منطقة (الأحواز: عيلام) (التابعة لإيران حالياً)، باعتبارها جزءاً جغرافياً ـ حضارياً من جنوب بلاد النهرين،

(4) ـ اقدم المدونات باللغة الآرامية هو (نقوش برراكب) تعود للفترة نحو 730 ق.م، وهي عشرة نقوش بالآرامية القديمة، وكلها بالأبجدية الفينيقة للملك (برراكب) كشفت في سوريا: مدينة شمال عاصمة مملكة يأدي الآرامية.

وليس صدفة أبداً أن (الأحواز) في هذه المرحلة أصبحت أيضاً مثل باقي العراق (آرامية ـ سريانية بغلبة كبيرة للمسيحية) مع أقليات صابئية ويهودية، بل هي أصبحت مركزاً مهماً للثقافة السريانية من خلال مدينة (بيت العابات ـ جندشابور) قرب مدينة (سوسة) عاصمة العيلاميين الأحوازيين التاريخية.

المتغيرات السياسية



من اقدم رسوم الجمال: مسلة الملك الاشوري ـ شلمانصر الثالث في القرن التاسع قبل الميلاد
كما لعب الحصان دورا حاسما في انتشار القبائل البدوية الارية، كذلك كان دور الجمل مع الاراميين والعرب!

خلال أكثر من 11 قرناً غابت تماماً أية دولة عراقية، وتحول فيها الوطن إلى ساحة للحروب والمنافسة والتآمر بين القوتين الكبيرتين المتنافستين: إيران، والدولة الأناضولية ـ الأوربية التي تنوعت حقبها تحت مسميات: اليونان، والرومان والبيزنط[5].

تخللت هذه الحقبة ثورات وتمردات فاشلة قام بها العراقيون، رغم السيطرة الإيرانية الغالبة، إلاّ أن الرومان وبعدهم البيزنط، عندما كانوا ينجحون أحياناً باجتياح العراق كانوا ينتقمون من العراقيين قتلاً وحرقاً لمدنهم. فالإمبراطور الروماني (تريانوس) بعدما فتح (المدائن) سنة (115م) أضرم لهيب الاضطهاد في العراقيين وأهلك منهم الكثيرين.

(5) ـ لقد تكرر دور (بلاد الأناضول) باحتلال العراق وبلدان شرق البحر المتوسط (العالم العربي)، من خلال (الدولة العثمانية).

إن مدن العراق (بابل) و(سلوقيا: المدائن، عاصمة السلوقيين اليونان)، و(الحضر)، أخيراً (الحيرة)، كانت على الدوام مركز اهتمام الدول الكبرى التي تشرع باحتلال الشرق الأوسط. قد بدأها (كورش) مؤسس دولة (الفرس الإخمينيين) باحتلال (بابل: عام 539 ق.م) وإعلان إمبراطوريته منها. أعقبه (الإسكندر المقدوني) الذي قرر جعل (بابل)عاصمة لإمبراطوريته العالمية، ثم شيد خلفاؤه (مدينة سلوقية: قرب بغداد الحالية) كعاصمة لإمبراطوريتهم. كذلك إمبراطور الرومان (تراجان، عام 116م) الذي احتل (بابل) وقدَّم القرابين في القاعة نفسها التي مات بها (الإسكندر).

في نفس الوقت عمل هؤلاء المحتلون على قمع أية مدينة نهرينية جديدة تشرع بالنهوض البعيد عن سيطرتهم، وهذا ما حصل لـ (دولة الحضر: غرب الموصل) التي قاومت لعدة قرون محاولات الفرس والرومان لاقتحامها، وأخيراً سقطت ودُمرت على يد الفرس الساسانيين سنة 241م.

وقام (الفرس الفرثيون والساسانيون) باختيار مركزهم (سلوقيا: المدائن) وهي العاصمة السابقة للدولة اليونانية السلوقية في العراق، وأطلقوا عليها اسم (قيطسفون)، بل إن الساسانيين أسهموا في تدمير (بابل) تدميراً نهائياً، وجعلوها مهجورة إلى الأبد قبل أن ينتهي القرن الخامس الميلادي، ومع أن الروايات تذكر أن أسوار بابل كانت ما تزال قائمة غير أنها من الداخل كان خرائب تسرح فيها الوحوش، وأن ملوك ساسان اتخذوها مربعاً من مرابع الصيد والنزهة ولا شيء غيرهما.

هذه المرحلة تشبه تماما فترة (الصراع الايراني ـ العثماني)
للسيطرة على العراق وعموم المشرق!

هكذا دائما، ان الجغرافيا تكرر التاريخ[6]. فمشكلة العراق الكبرى، وكذلك ميزته، أنه مركز الشرق الأوسط وساحة صراع الدول المتنافسة المحيطة به. كل دولة تريد السيطرة عليه ليس فقط طمعاً به، بل لكي تمنع الدول الأخرى المنافسة من السيطرة عليه واستخدامه ضدها، وأكبر قوتين متنافستين دائماً للسيطرة على النهرين، هما إيران والأناضول (آسيا الصغرى، أو تركيا). حيث إن العراق (وكذلك الشام ومصر) في هذه المرحلة الآرامية التي أعقبت سقوط بابل، أصبح لمدة 11 قرناً أرض الحروب بين دول إيران المتعاقبة: (إخمين ثم بارث ثم ساسان)، ودول الأناضول المتعاقبة: (إغريق ثم رومان ثم بيزنط). وهذه المرحلة تشبه تماماً المرحلة التي أعقبت سقوط (بغداد) ونهاية الدولة العباسية.

(6) ـ نحن نعتمد منهج الربط بين الجغرافيا والتاريخ: (الجغرافيا التاريخية ـ Historical Geography).

=

دور الجغرافيا في الاحتلالات الإيرانية [7]



لمزيد من الوضوح عن الفروق الجغرافية المهمة بين ايران والعراق، نرجو معاينة الخارطة الملونة في ظهر الغلاف الاخير.

لكل بيئة خصوصيتها ومصاعبها ومباهجها: (جبال، سهول، أدغال، بحار، بوادٍ، ثلوج.. إلخ)، وسكان كل بيئة لهم نقاط قوتهم ونقاط ضعفهم الناتجة عن بيئتهم. هنا محاولة لتحديد جوهر العلاقة التاريخية بين العراق وإيران من خلال تحديد الفروق بين الشخصية العراقية والشخصية الإيرانية؛ لأن سياسة أية دولة، في تكرارها وديمومتها التاريخية، لا بد أن تكون نتاج الخصوصية العقلية المستمرة لمجتمعها وبيئتها:

= ـ طالع مثلا:

CONFERENCE REPORT
What Futures for the Pillar of Geography? A Report on the 16th International Conference of Historical Geographers, London

ـ كذلك الكتاب المهم للباحث المصري (جمال حمدان): شخصية مصر.

(7) ـ سبق وأن نشرنا هذه الدراسة بعنوان: الشخصية العراقية والشخصية الإيرانية، العشق الدامي!

الشخصية الإيرانية

الميزة الأولى والكبرى لكيان إيران: أنها هضبة عالية، بارتفاع يقارب (1000م) شبه منبسطة تشكل نصف مساحة إيران، وتتخللها جبال شامخة واثنتان من أكثر صحاري العالم جفافاً وقحلاً: (لوط، وكوير)، وتحيط هذه الهضبة المثلثة ثلاث من أكبر السلاسل الجبلية: زاغاروس وبورز وجبال باكستان وأفغانستان (لاحظ صور الخرائط المرفقة)[8].

إن البيئة الجبلية عموماً تتميز بالمخاطر الدائمة المحيطة: تساقط الصخور وكتل الثلوج، واحتمالات العزلة السريعة بسبب انقطاع الدروب لتساقط الثلوج والجذوع والصخور، ثم إن السير عادة يكون في دروب ضيقة قد تكون محاذية لحفر ووديان، وأية عثرة قد تسبب سقطة مميتة، كذلك هنالك احتمالات وجود أعداء فوقك مختبئين خلف الصخور. لهذا فإن إنسان الجبال يجب أن يكون حاضراً منتبهاً حوله وإلى دربه المليء بالأحجار والعثرات والمخاطر، وأن يتحلى بمقدرة كافية على التحمل البدني والنفسي، ويتمتع بذكاء عملي واقعي يتجنب بطر الخيال والثرثرة[9].

ولكن هذه البيئة تخلق عيوبها الخاصة؛ ففي الجبال عموماً يكون الأفق محدوداً لأن مد البصر يواجه بجدران الجبال المحيطة، لهذا يكون إنسان الجبال ضيق الأفق يصعب عليه الخيال والتحليل، ويأخذ الأمور مباشرة وبدرجة من السذاجة، ثم إن عزلته الجبلية ومحدودية الاتصالات تمنحه قدرة على تحمل العزلة وعدم الميل إلى الكلام والحوار وروح الفرفشة والنكتة والحيلة. إن روحه العملية الواقعية الملتزمة والمنتظمة

---

(8) ـ راجع مثلا، وكيبيديا: جغرافيا إيران.

(9) ـ بالإضافة إلى الامتياز العسكري للارتفاع، فإن هنالك امتيازاً بدنياً مهماً جداً؛ لأن أهل الجبال عادة تكون رئاتهم أوسع وأنشط. فكلما صعد الإنسان نحو الأعلى، قل الضغط ونقص الأوكسجين بمعدل الثلثين مقارنة مع مستواه عند سطح البحر، فيؤدي هذا إلى ازدياد معدل ضخ الدم من القلب جراء تسارع عملية التنفس ليصل الأوكسجين إلى الدم بأكبر كمية ممكنة، وبالتالي يزداد حجم الرئتين. وعندما يعيشون في السهول يكونون أنشط من أهل السهول لأن رئاتهم النشطة الواسعة تأخذ بسهولة الأوكسجين المتوفر أكثر في السهول. بينما أهل السهول على العكس يفقدون الكثير من قواهم في الارتفاعات بسبب نقص الأوكسجين!
لمزيد من المعلومات عن تأثير الارتفاعات على شخصية الشعب، ابحث بمختلف اللغات عن:
ـ تكيف البشر مع المرتفعات/High – altitude adaptation in humans
ـ كذلك: داء المرتفعات، والمعروف أيضاً باسم مرض الجبال الحاد، hypobaropathy، أو soroche.

لا تسمح له بتفضيل المتع واللعب والتفكير. باختصار فإن الشخصية الجبلية جادة وانطوائية ومنتظمة وصبورة، كذلك عنيدة وضيقة الأفق ولا تحتمل الجدل والخلاف، وذكاؤها عملي أي قليل الكلام وكثير الفعل.

كل هذا ينطبق على الشخصية الإيرانية، وكما يصفها بصورة معبّرة ومكثفة أحد الباحثين الذي ممن عايشها ودرسها: ((الشخصية الإيرانية متدينة بطبيعتها.. باطنية، مركبة، طقوسية، مسكونة بالأسرار، تغرق بالتأمل، وتعشق التجارب الروحية وتدمن الارتياض، وتتسم بالصبر والجلد، والمثابرة، وربما تعيش في حياتها العملية نمطاً مدنياً حديثاً، أي بعيداً عن المدونة الفقهية، لكنها في المجال الشخصي الخاص تنشد الزيارات والمواجيد، والدعاء..))[10]. وليس صدفة انه في جميع البلدان، بما فيها اوربا وامريكا، التي تتكون من قسم سهلي أو ضفاف بحار، وقسم جبلي، فإن سكان السهول يقولون عن اخوتهم اهل الجبال: بأنهم صلبون وعنيدون ومغلقون!

الشخصية العراقية

إنها مناقضة تماماً للشخصية الإيرانية، بمحاسنها وعيوبها؛ لأن بيئة (بلاد النهرين) سهلية ومائية (أنهار ومستنقعات) ومفتوحة بآفاق لا محدودة مثل آفاق البحار والبوادي. ليس هناك مخاطر طبيعية قد تفاجئه بكل لحظة، بل هي مخاطر طبيعية شبه معلومة تتمثل خصوصاً بالفيضان والجفاف، ثم إنه عموماً يسير في دروب عريضة منبسطة متربة لا تتطلب الكثير من الانتباه، وتسمح له بالنظر إلى الآفاق وتأمل السماء والانسراح في الخيال، إضافة إلى أنها طبيعة دافئة معظم السنة، فتعوَّدَ النوم تحت النجوم والغرق في تأملها وحسابها، وتمضية ساعات السمر في عراء الليالي الدافئة.

هذه البيئة السهلية النهرية الدافئة، خلقت أيضاً شخصية سهلة دافئة منفتحة على آفاق عقل وجنون. روح حساسة للجمال وقدرة عجيبة على التخيل والتحليل والإبداع. تميل إلى الحوار والتفكير وحُب المتعة والغناء وإشباع ملذات البدن، من طبخ وطعام وجنس وحياة اجتماعية.

(10) ـ عن الشخصية الإيرانية، طالع:
أزمنة التحديث في إيران (1800 ـ 1979)، عبد الجبار الرفاعي.

ثم إن علاقة العراقي الدائمة مع السماء بنجومها ومجاهيلها المحيرة، جعلت ديانته القديمة (سومر وبابل وآشور) تقوم على (عبادة النجوم) وعلم الفلك والتنجيم و(الأبراج الاثني عشر)[11].

وهي تماماً عكس ديانة الإيراني (المجوسية) الأرضية القائمة على عبادة الطبيعة بأحيائها وظلامها ونارها[12].

كل هذا جعل العراق طيلة تاريخه يمتلك هذه القدرة العجيبة على الإبداع الثقافي المنفتح والمتنوع والخصب، وتشييد الحضارات الزاهية الأصيلة غير المقتبسة في أعظم حواضره العالمية: أور وبابل ونينوى، ثم بغداد والبصرة والكوفة.

العراق حضارة، وإيران دولة![13]

((إن هذه كلها أساطير شاهنامة الفردوسي، هؤلاء الذين يدَّعون بوجود أديان أو حكمة في إيران القديمة أو أي شيء ثقافي أو حضاري قبل نشوء الإسلام، لم يقدموا أية وثيقة ولا أية نقوش صخرية ولا حتى مسكوكة نقدية... كل ما هناك نقوش على بعض الصخور والجدران تظهر أن اللغة البهلوية الفارسية فقيرة للغاية، لا توجد في جميع هذه النقوش حتى 200 كلمة يمكن أن نستخدم منها كلمتين للتعبير عن قضايا ثقافية وفنية ودينية جدية، فكلها كلمات بسيطة يومية لا توجد فيها لا حكمة ولا أدب)).

المفكر والمؤرخ الإيراني (ناصر بوربيرار:1940 ـ 2015)[14].

من يلقِ نظرة على تاريخ العالم وحضاراته، يلاحظ أن جميع الحضارات الكبرى بما فيها الحضارة الغربية الحالية أقيمت في السهول. يكفي معرفة ارتفاعات العواصم الحضارية المعروفة: مصر، العراق، الصين، اليونان، روما، الهند، وصولا إلى إنكلترا وفرنسا وألمانيا. جميعها حضارات سهلية وعواصمها في السهول التي لا ترتفع عن

(11) ـ ابحث في مختلف اللغات عن: علم الفلك البابلي: Babylonian astronomy.

(12) ـ إن المجوسية الأصلية (قبل التأثيرات المسيحية ثم الإسلامية فيما بعد)، هي أقرب إلى المستوى الأول من الديانة البشرية، ولم تبلغ المستوى الثاني (التصويري) أي صنع الأوثان التي تمثل الآلهة، ناهيك عن المستوى الثالث (التجريدي السماوي المطلق) الذي عبرت عنه المسيحية ثم الإسلام، وبعض عقائد آسيا، مثل التاوية والبوذية.

(13) ـ عن تعريف الحضارة، وضحنا ذلك بالتفصيل في الفصل السابق.

(14) ـ ابحث عن اسم هذا الباحث الإيراني (ناصر بوربيرار) وهنالك مقالات وفيديوهات كثيرة له وعنه. عن تصريحه هذا ابحث: الباحث الإيراني ناصر بوربيرار يقلب التاريخ الإيراني رأساً على عقب!

مستوى سطح البحر، أما الجزر والجبال وبوادي الرمال أو الثلوج، بسبب العزلة وصعوبة التواصل، لا تسمح بانبثاق دولة قوية ولا حضارة زاهية. (مثال: جبال كردستان، وصحراء نجد وتركستان وثلوج سيبيريا، وجزر أندونيسيا وجنوب آسيا... إلخ). لكن الهضاب الجبلية العالية والواسعة، مثل الأناضول وإيران عكس ذلك تسمح بتأسيس دول قوية محمية بالجبال، بل إنها تصبح قلاعاً حصينة تتوسع نحو البلدان المحيطة بها لتشكل إمبراطوريات كبرى، آخرها الصفوية الإيرانية والعثمانية التركية، ولكن بنفس الوقت ـ كما ذكرنا ـ فإن طبيعتها الجدية والعملية تمنعها من تكوين حضارات ثقافية متميزة، وأقصى ما تستطيعه أن تكسب الحضارة من الآخرين (سنفصل موضوع إيران والحضارة).

هنا بالضبط يتجلى التناقض بين الشخصيتين العراقية والإيرانية، ويبلغ أقصى درجاته في أخطر موضوع بجانب موضوع (الحضارة)، ألا وهو موضوع (السياسة)، أي طبيعة العلاقة التاريخية مع (الدولة)، ويمكن وصف هذا التناقض كالتالي:

ـ من ناحية تمتُّع إيران بشرط جغرافي مهم جدًّا لتكوين دولتها، فهي هضبة واسعة وعالية محاطة بالجبال المنيعة الشامخة من كل ناحية، أشبه بالقلعة الجبارة المسورة، وهذا ساعد دائماً على تكوين دولة صلبة محمية وقادرة بسهولة على فرض هيمنتها وتوحيد شعوب الهضبة الإيرانية رغم اختلافاتهم القبائلية والقومية. أكبر مثال على مدى قوة الطبيعة التوحيدية للدولة الإيرانية، أن أعظم دولتين وطنيتين وحدَّتا إيران خلال القرون الأخيرة ـ الصفوية ثم القاجارية ـ لم يحكمهما الفرس، بل سلالة آذربيجانية ناطقة بالتركية! بل حتى (رضا شاه) مؤسس إيران الحديثة له أصول قفقاسية تركية. أخيراً لا ننسى أن الكثير من قيادات الدولة الإيرانية الحالية، هم (سادة علويون) أي أصول عربية، مثل الخميني وخاتمي والخامئني. كل هذا لكي نبين كيف أن (قوة وديمومة الدولة الإيرانية) ظلت أقوى من الأصول القومية، وهي صانعة الهوية الوطنية المشتركة.

أما العراق، فمن سوء حظه، رغم سهوله ونهريه وقدراته الفائقة العقلية والحضارية، ظل دائماً أرضاً مفتوحة سهلة الاجتياح، لعدم وجود أية موانع طبيعية تحميه؛ لا جبال ولا صحاري قاحلة ولا بحار شاسعة. إنه وادٍ خصيب سهلي تشرف عليه أعتى الهضاب

العالية الجبارة: هضبة إيران وهضبة الأناضول، بالإضافة إلى البوادي الشاسعة من الغرب والجنوب، وهذا الوضع أدى خصوصاً بعد ظهور الدول في هضبتي الأناضول ثم إيران، منذ أواسط 2000 ق.م إلى كثرة اجتياحات القبائل الجبلية القادمة من جبال زاغاروس المجاورة وكذلك من هضبتي إيران والأناضول: حوريون وميديون.، ثم بدأ الاحتلال الفعلي الإيراني، منذ الإخمينيين الذين أسقطوا بابل (539ق.م)، حتى الخامنئيين في الوقت الحالي!

سبب هوس إيران باحتلال العراق!

إن هذا الاندفاع الجنوني الإيراني للسيطرة على بلاد النهرين، نابع من الوضع التالي:

إن إيران طيلة تاريخها ظلت تعاني من عدم وجود السهول الواسعة المنفتحة، فالسهل الوحيد المتوفر لديها هو شاطئ بحر قزوين، لكنه ضيق يترواح بين 2 كلم وأقصاه 50 كلم، ثم إن هذا البحر بالحقيقة هو بحيرة كبيرة مغلقة لا تمنح أية آفاق اقتصادية أو حضارية، كما هو حال البحر المتوسط مثلا، ثم إن جميع البلدان المحيطة بإيران، هي مثلها، أيضاً هضاب وجبال عصية: الأناضول والقفقاس وأفغانستان ثم الهند (باكستان فيما بعد). أما (تركمانستان) المجاورة فهي سهلية لكنها عموما صحراوية. أما ساحل الخليج، فهو ضيق جداً وتطل عليه جبال زاغاروس مباشرة. فمثلاً إن موانئها على الخليج مثل (بندر عباس وبوشهر) تستفيد من جزر محاذية، (بالمقارنة مع بلاد الأناضول مثلاً، أي تركيا، رغم الهضبة والجبال، فإنها تتمتع بسهول بحرية كبيرة على سواحل المتوسط والأسود والفسفور. يكفي القول أن العاصمة إسطنبول سهلية ساحلية). إذن ليس أمام إيران كي تتوسع وتتنفس هواء السهول والبحار، غير هذا الوادي النهري الخصيب والمنفتح والواقع مباشرة تحت جبالها (زاغاروس) على أطول حدود لها والتي تبلغ (1458 كلم، عدا الأحواز)، والذي يثير الشهوة أكثر، أن هذا الوادي النهري ليس مليئاً بالخيرات الزراعية فحسب، بل فيه الخيرات الحضارية والإبداعية المذهلة، التي طالما خلبت لبّ الإيرانيين المحرومين من هذه الروح الإبداعية الفانتازية، ثم إن احتلال العراق يعني بلوغ شواطئ البحر المتوسط الواعدة، حيث سواحل الشام، ثم مصر.

هكذا تمكنت إيران طيلة التاريخ من استثمار تفوقها الجغرافي وصرامة شعبها الجبلي، لتفرض احتلالها للعراق السهل والممتع أرضاً وشعباً. استمروا خلال قرون طويلة منذ

احتلالهم بابل في القرن السادس ق.م حتى القرن السابع ب.م حيث حرره العرب المسلمون (633م)، ثم عاودت إيران محاولاتها الاحتلالية مع الدولة الصفوية ولكنها فشلت عموماً أمام قوة العثمانيين، وليس صدفة أنها أصرت على احتلال الأحواز العربية العراقية، لأنها السهل الوحيد حالياً لإيران، بالإضافة إلى أهمية موانئ الأحواز على الخليج، ثم ثروتها النفطية الهائلة التي تعيش عليها إيران. (ناهيك عن اغتصاب تاريخ الأحواز القديم وحضارته العيلامية التي هي جزء من حضارة النهرين، وشقيقة للحضارة السومرية)!

ومن عجائب التاريخ الإيراني، والدليل على مدى هوسها بالعراق، أنها دائماً جعلت عاصمتها في (النهرين): بابل، ثم سوسة (الأحواز) و(المدائن) قرب بغداد الحالية. ودائماً تبنَّت الثقافة والكتابة واللغة النهرينية: البابلية ثم الآرامية، بل حتى المسيحية العراقية (النسطورية) تغلَّبت على المجوسية في إيران نفسها، ثم تبنَّت الإسلام العربي العراقي، وأخيراً التشيع العراقي. (سنفصل هذا الموضوع في باقي الفصول).

❊ ❊ ❊

الدول الأجنبية التي تعاقبت على احتلال العراق





الاثر الوحيد الذي تتفاخر به ايران عالميا، ما يسمى بـ(اسطوانة كورش)، وقد سجل فيها هذا الامبراطور بعد احتلاله (بابل) كيف انه قد حقق العدالة بين الجماعات في بلاد النهرين. لكن بناء على هذه الاسطوانة، اعتبر اليهود (كورش) هو محررهم ومعيدهم الى فلسطين. وهذا خيـــال، فليس هنالك كلمة واحدة في النقش تشير الى اليهود او العبريين او اسرائيل، بل جميعها اسماء جماعات نهرينية![15]

(15) ـ عن عدم ذكر أي كلمة عن اليهود، طالع مثلا:
ويكيبيديا بالفرنسي والانكليزي: Cyrus Cylinde وهذا نص ما تذكر: =

علما وهذا مهم جدا: ان النقش مكتوب باللغة والكتابة الاكدية العراقية، وعُثر عليه في بابل!؟ وقد كشفت دراسة جديدة في جامعة (ييل الامريكية)، أن هذه الاسطوانة كانت تعود بالأصل الى آخر ملك بابلي (نبونيد) ولكن (كورش) استولى عليها وأضاف اليها أسطرا باسمه.في عام 2018 اصدرت اسرائيل قطعة نقدية فيها صورتا (ترمب وكورش)، باعتبارهما قد حققا حلم اسرائيل بتحويل القدس الى عاصمة لليهود!

1 ـ الدولة الإخمينية (الإيرانية) (539 ـ 323 ق.م)[16]

دخل (كورش ملك الاخمينيين) والذي مجدته التوراة[17]، إلى (مدينة بابل)[18]

= The Cylinder's text has traditionally been seen by biblical scholars as corroborative evidence of Cyrus' policy of the repatriation of the Jewish people following their Babylonian captivity[4] (an act that the Book of Ezra attributes to Cyrus[5]), as the text refers to the restoration of cult sanctuaries and repatriation of deported peoples.[6] This interpretation has been disputed, as the text identifies only Mesopotamian sanctuaries, and makes no mention of Jews, Jerusalem, or Judea

(16) ـ وهي الدولة التي يفتخر بها عادة الإيرانيون ويبدأون بها تاريخهم الوطني، وحتى الآن يحتفل الإيرانيون بـ(سقوط بابل) كـ(يوم وطني) باسم (يوم كورش)، كل عام نهاية (تشرين الأول ـ أكتوبر): ابحث في اليوتيب: (يوم كورش)، وهنالك فيديوهات عديدة تصور احتفالات القوميين الإيرانيين.

(17) ـ من دلائل الاهمية السياسية الإيرانية والعالمية لـ(الملك كورش)، ذلك النص الذي كتبه وزير خارجية إيران (ظريف) في تويتر في(23ـ3ـ2019)، رداً على وزير خارجية امريكا الذي اتهم إيران بمعاداة اليهودية، وكان رد الوزير الإيراني بالاستناد إلى التوراة: ـ أنقذ (كورش) ملك الفرس اليهود من الاستعباد في بابل./ أنقذ ملوك فارس الآخرون اليهود من الإبادة الجماعية.

ـ جرى تشجيع مخططي الإبادة الجماعية (لليهود) من قبل أهالي النقب وليس فارس./ ملك الفرس هو الأجنبي الوحيد الذي أطلق عليه اسم «المسيح ـ المنقذ».

لكن آثار تلك الفترة تكشف بصورة جلية عن زيف ادعاءات التوراة. فإن (اسطوانة كورش) الشهيرة التي دونٍ فيها انجازاته، لم تذكر كلمة واحدة عن اليهود واسرائيل واورشليم، بل تحدثت فقط عن بلاد النهرين.

علماً بأن المصدر الوحيد المكتوب في زمن الملك كورش، الذي تم العثور عليه حتى الآن، يتمثل بالاسطوانة الشهيرة (اسطوانة كورش: Cyrus Cylinder) التي عثر عليها في «بابل»، الآثاري العراقي العالمي الشهير «هرمز رسام» عام 1879، وهي مكتوبة بالخط «المسماري» و«اللغة الاكدية» العراقية. فيها يتحدث «كورش» على طريقة ملوك العراق، عن اعماله وبطولاته وانجازاته في «بابل».

من تفاصيل نص «اسطوانة كورش» يتضح بصورة جلية بأنه قد تبنى الحضارة البابلية، ثقافة ولغة وديناً. من اولى الادلة على هذا، أنه كتب نصّه بالخط المسماري واللغة الاكدية العراقية.

ـ عن (اسطوانة كورش) يكفي وضع هذه العبارة بالعربية. أو بالانكليزية: Cyrus Cylinde

(18) ـ إن سقوط (بابل) لم يكن فقط نتيجة قوة الغزاة، بل سبقه تدهور الدولة البابلية والانشقاقات بين طبقتها الحاكمة. فقد قرر آخر ملوكها «نبونائيد» هجرها والاستقرار في «التيماء» الصحراوية في شمال «الحجاز» حيث أقام فيها عشر سنوات، وجعل ابنه «بلشاصر» نائباً عنه. ويعتقد أن هنالك دافعا اقتصادياً غايته خلق طريق جديد للتجارة مع الجزيرة ثم الهند، بدلاً من طريق الحرير الذي سيطر عليه الفرس الإخمينيون. كذلك رغبة (نبونيد) بامتلاك حرية تعبده لإله القمر (سين)، الذي يرفضه (كهنة بابل) الذين يقدسون إله النور (مردوخ).

نحن مع الفرضية القائلة بأن (نبونيد) مع أنصاره الذين يعدون بالمئات، والذين انقطعت أخبارهم تماماً، قد انحدروا فيها بعد إلى الحجاز، وربما هم (قبيلة قريش) الذين شيدوا (مكة)، وقد يفسر هذا قول الخليفة (علي): نحن معشر قريش نبط من الكوثى (الكوفة قرب بابل). =

سنة 539 ق.م ليدشن بداية لفترة احتلالية طويلة، وقام بتوحيد بابل مع بلاده في وحدة شخصية وانتحل لقب (ملك بابل وملك الأصقاع)، وعيَّن ابنه قمبيز نائباً للملك وسكن في سيبار (جنوب العراق). اعتمد الإخمينيون على دعم الكهنة وطبقة رجال الأعمال في المدن. في أسطوانة بابلية، يدَّعي كورش بفخر احتلاله لمدينة بابل بطريقة سلمية غير دموية، وبذات الوقت يتحدث عن مردوخ كملك الآلهة. إن اعتداله وتحفظه قد أثمرا، فقد أصبحت بابل أغنى مقاطعة في إمبراطوريته[19].

وقد ازداد تمسك النهريين بثقافتهم الوطنية وأصبح اسم الملك العظيم (نبوخذ نصر) رمزاً لنزعتهم الاستقلالية وحمل اسمه كل ثائر في بلاد بابل، ويظهر من قوائم أسماء المولودين في عهد الاحتلال تدنّي نسبة الذين سموا أبناءهم بأسماء فارسية على عكس الفرس الذين انتقلوا إلى العراق واليهود الذين استخدموا الأسماء البابلية بكثرة، ولم يعتنق السكان الديانة الزرادشتية، فلم تكشف البقايا الأثرية أية آثار لمعبد نار في العراق. ظلت العوائل المالكة الإخمينية تسكن في القصور في بابل، ولكن اللغة الآرامية العراقية أصبحت بالتدريج لغة الإدارة الرسمية. أحد المصادر الأساسية للمعلومات عن هذه الفترة هو أرشيف الرقم الطينية للبيوت التجارية لموراشو وأبنائه في نيبور للسنوات 455 ـ 403 ق.م، والتي تتحدث كثيراً عن الدور المهم الذي لعبه الإيرانيون في البلاد. ملكيات الولاية كانت بأيديهم. فهم يسيطرون على الكثير من الإقطاعيات، وتجمعوا بطبقات اجتماعية وفقاً لجذورهم ووظائفهم. أما رجال الأعمال فكانوا على الأغلب بابليين وآراميين[20].

= ـ ابحث عن (نبونيد والتيماء).

كذلك دراسة: الدكتور سعيد بن فايز السعيد: حملة الملك البابلي «نبونائيد» على شمال غرب الجزيرة العربية: بحوث تاريخية صادرة عن الجمعية التاريخية في السعودية.

(19) ـ أسطوانة قورش (Cyrus Cylinder) هي قطعة صغيرة (طولها 22.5 سم وعرض 8.9 سم) مفخورة اكتشفها في عام 1879 عالم الآثار العراقي (هرمز رسام) في بابل، وهي اليوم في المتحف البريطاني. نقشت عليها كتابة مسمارية باللغة الأكدية بيان باسم (قورش الكبير) ملك الأخمينيين يشيد بنفسه وبنسبه ويذم (الملك البابلي نبو نيد) المهزوم. ويخاطب البابليين لاقناعهم بان اله بابل (مردوخ) أرسله لإنقاذهم.

ومن المعروف ان هذه الاسطوانة استخدمها اليهود في العصر الحالي كدليل على سياسة قورش المساندة لليهود. لكن كان هذا التفسير محل نزاع، حيث إن النص لم يذكر سوى جماعات بلاد ما بين النهرين، ولا يذكر أبداً اليهود أو القدس أو يهودا.

(20) ـ عن الدولة الإخمينية والعراق، طالع:

ـ عن حياة كورش، ينصح بمطالعة ويكيبيديا الفرنسية أو الإنكليزية (Cyrus the Great). =

2 ـ الدولة السلوقية (اليونانية) (320 ـ 141 ق.م)



انتهى الاحتلال الإخميني على يد (الإسكندر المقدوني) (331 ـ 323 ق.م) الذي تقدم على رأس جيش إغريقي ـ مقدوني ليهزم دارا الثالث في معركة (گوگميلا: مكان بين أربيل والموصل) شمال العراق، ويدخل بابل ويستولي على أملاك الإخمينيين في العراق وعيلام وفارس.

وبعد وفاة الإسكندر قسّمت إمبراطوريته بين قادته وكان العراق من نصيب سلوقس عام 311 ق.م مؤسس الدولة السلوقية، وقد اختار موقعاً قرب بغداد (المدائن الحالية) ليكون عاصمة لإمبراطوريته، وأطلق عليها تسمية (سلوقيا، على اسمه)، وقد اتسم هذا العهد بالاضطرابات والنزاعات بين الطامعين بينما وقف السكان موقفاً سلبياً من تلك الأحداث. احترم الحكام الإغريق الكهنة المحليين لبلاد النهرين، ولا يوجد

= أما التي بالعربية فهي مشوهة وغبية.

كذلك عن تبعية الإخمينيين للحضارة العراقية:

ـ بالإضافة إلى (بابل) كعاصمة رسمية وحضارية، اتخذ الإخمينيون عواصم ثانوية أخرى: مدينة سوسا في الأحواز، ومدينتي (أكبتان)، و(تخت جمشيد ـ برسبوليس) في إيران.

ـ عن تقليد الإيرانيين للفنون والبناء في العراق القديم:

ـ دي جوبينو: تاريخ الفرس؛ هنري برستد: انتصار الحضارة ص 65 ـ 273.

ـ د. فريد الشافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية ـ المجلد الأول ـ ص162 ـ القاهرة 1994.

ـ كذلك طالع دراسة مهمة منشورة حول الموضوع للباحث والمعماري العراقي (علي ثويني): الأثر العراقي في العمارة الإيرانية.

سجل لأي اضطهاد ديني، بل بالعكس فقد فضَّل الحكام الممارسات الدينية المحلية، واستمرت الأشكال القديمة للعبادة. استمرت الكتابات المسمارية من قبل الكهنة والذين استنسخوا التعويذات والنصوص الدينية القديمة حتى العهد الفرثي.

لجأ اليونانيون إلى إلغاء الدور المحلي للمجتمعات المحتلة وفرض أسلوبهم من خلال بناء مدن جديدة خصصت لليونانيين. غير أنهم اضطروا إلى منح المجتمع البابلي دوراً، فعادت المدن الكبيرة إلى دورها السابق ولكن بطابع جديد يطمس دور الشخصيات البابلية من خلال تسميتهم بأسماء إغريقية.

كانت تستخدم في العاصمة (سلوقيا) ومراكز الأقاليم اللغتان الإغريقية والآرامية كلغات حكومية مكتوبة. لقد أوقف استخدام الخط المسماري في الوثائق الحكومية لفترة من الزمن خلال العهد الإخميني، ولكنها استمرت في النصوص الدينية لغاية القرن الأول الميلادي، حيث حلَّت الكتابة الألفبائية القادمة من سوريا[21].

انبهار الإسكندر بمدينة بابل

كان (الإسكندر المقدوني) يكنّ إعجاباً وهيبة كبيرتين لبابل، التي كانت لم تزل تحمل سمعتها السابقة كعاصمة حضارية للدنيا كلها. عندما اقترب الإسكندر من أسوار بابل طلب من جنوده الاصطفاف والانتظام في مسيرتهم، وأراد أن يظهر للبابليين أنه جاء لتحريرهم من البطش الفارسي. ففتحت البوابات وخرج كبار المسؤولين لاستقباله يرّشون الأرض أزهاراً ويحملون أواني فضية للبخور والعطور، وجاء قائد الحامية الفارسية بقطيع من الأغنام والخيل، ومن ورائه الكهنة يرتلون أناشيدهم ويعزفون موسيقاهم، ودخل الإسكندر المدينة ممتطياً عجلته الحربية، حتى وصل إلى قصر الملوك وسط بابل الذي بناه نبوخذ نصر. انبهر بالحضارة البابلية وأراد أن يجعل من بابل عاصمة إمبراطوريته العالمية. لكن كما يبدو أن حاشيته قد تخوفوا من هذا الانقلاب الثقافي الكبير الحاصل في ملكهم فقرروا التخلص منه، ويعتقد أنه مات مسموماً، وكان قد أمر بإنشاء أكثر من ميناء في جنوب العراق، في المحمرة (الأحواز) وجزيرة فيلكة، كذلك في البصرة التي سماها (أيبلا) على اسم أمه. كان الإسكندر يريد الذهاب بحملة إلى بلاد العرب لكن موته منع الحملة. قيل إنه بعد وفاته طلب بطليموس ملك مصر بنقل الجثمان إلى الإسكندرية في مصر ودفنه هناك، ولكن لم يعثر على قبره حتى الآن.

(21) ـ عن الدولة السلوقية في العراق: للسهولة طالع ويكيبيديا بالعربي والفرنسي والإنكليزي (Seleucid).
ـ كذلك طالع عن الحضارة الهيلينية: Hellenic: وهي الحضارة اليونانية الأولى، ثم الهيلينستية: Hellenistic وهي الحضارة اليونانية التي نشأت في الشرق وخصوصاً في (الإسكندرية ـ مصر) بعد غزو الإسكندر، بين القرن الرابع ق.م حتى القرن الخامس م.

3 ـ الدولة البارثية (أو الفرثية) (الإيرانية) 140ق.م ـ 266م



قطعة نقد فرثية مكتوب عليها باليونانية. إذ كانت اليونانية هي اللغة الرسمية للفرثيين مع بقاء (اللغة الاكدية العراقية) لغة التداول العام. اما لغتهم (الفرثية: الفارسية الوسطى) فبقيت لغة شعبية ودينية غير مكتوبة. وكانوا يكتبون على نقودهم باليونانية: (philhellène)، اي نحن من اتباع الثقافة الهيلينية(اليونانية).

ويسميهم العرب أيضاً (الأشكانيون). ليست هنالك معلومات كثيرة عن هذه الحقبة، فكالعادة ظل الفرس رغم دولهم، عاجزين عن كتابة تاريخهم، بل عن طريق المصادر السريانية واليونانية. الذي نعلمه أنه بعد أن ثارت القبائل في شمال إيران على حكم السلوقيين اليونان وأقامت على أنقاضهم الدولة البارثية سنة 250 قبل الميلاد، وقد امتد حكم هذه الأسرة في إيران ما يقرب من خمسة قرون، من سنة 250 ق.م، إلى سنة 226 م[22].

من خلال نقودهم يتضح أنهم تبنوا لغة اليونان وافتخروا بحضارتهم، بالإضافة إلى اللغة الآرامية العراقية التي شاعت بينهم. تركوا لمستعمراتهم نوعاً من الحكم الذاتي واهتموا أساساً بجلب الضرائب.

ـ أما ديانة الفرثيين، فهنالك إشارات أنهم كانوا يؤمنون بالمجوسية وبالإله (أهورا

(22) ـ كالعادة فإن الفرس ظلوّا عاجزين عن ترك أي وثائق أدبية وتاريخية (عدا نقوش الملوك). لهذا فإن المؤرخين يعتمدون على المصادر اليونانية والعراقية عن تاريخ الدول الإيرانية.
إن أول نص يذكر (بغاياشا) الملك الفرثي الذي أسقط الدولة السلوقية واحتل العراق، مدون على لوح مسماري بابلي محفوظ في المتحف البريطاني ويحمل الرمز (BM 45709) يتحدث عن جيش فرثي قد دخل مدينة بابل في عام 174 بالتقويم السلوقي و138 بالتقويم الميلادي.

مزدا)، ولكنهم لم يجعلوها ديانة رسمية، وفي العراق كانوا يتعبدون لآلهة بابلية مثل (شمش ـ الشمس) إله النور والعدل[23].

ـ أما لغتهم الفرثية (البعيدة أيضاً عن الفارسية الحالية) فقد تبنت أيضاً (الكتابة الآرامية العراقية السورية)، وأطلق عليها (اللغة والخط الفهلوي أو البهلوي) ويكتب من اليسار إلى اليمين، ولم يترك أية نصوص ثقافية أو دينية، بل بعض النتف المنقوشة على النقود والأواني والفخاريات.

ومن أهم النصوص الفرثية المتبقية، مجموعة أشعار مقدسة لدى المجوس اسمها (الشجرة الآشورية ـ Drakht ـ i Asurig) وهي حوار بين (نخلة وعل)، وقد ترجموها عن نصوص بابلية دينية، ثم نسبوها إلى المجوسية[24]، ومن دلائل ضعفهم اللغوي والثقافي، استمرارهم باستعمال اليونانية كلغة رسمية، فجميع نقودهم مكتوب عليها باللغة اليونانية، بل يكتبون عليها عبارة (philhellènes: friends of the Greeks): نحن أصدقاء الهيلينية ـ أي الحضارة اليونانية[25] ـ ولمعرفة وضعهم اعتمد المؤرخون على منحوتاتهم ونقودهم، وكذلك على المصادر المكتوبة بالآرامية واليونانية والرومانية والصينية[26].

ـ أما بالنسبة للعراق، فإن البارثيين قد اختاروا (سلوقيا ـ المدائن) في العراق كعاصمة شتوية لهم، وأطلقوا عليها تسمية (قيطسفون ـ Ctésiphon). كذلك بدأت المسيحية القادمة من سوريا، تحل محل (الديانة البابلية) في العراق، حيث أصبحت (سلوقيا ـ المدائن) مقر الكنيسة المشرقية (كنيسة بابل) حوالي (79 ـ 116م). إن تسمية (اللغة السريانية) استخدمها المسيحيون في سوريا والعراق بدلاً من الاسم الوثني القديم: اللغة الآرامية! كذلك ظهرت إمارات عراقية شبه مستقلة على طول نهر الفرات ولاسيما إمارة (بيت عديني) الكلدانية وإمارة (ميسان) في الجنوب وإمارة (الحضر) في الشمال، وكانت فترة حكم البارثيين مليئة بالأحداث التاريخية والحروب الكثيرة

(23) ـ عن تقديس الفرث لآلهة بابل:
ـ Garthwaite 2005, pp. 68, 83 ـ 84; Colpe 1983, p. 823; Brosius 2006, p. 125

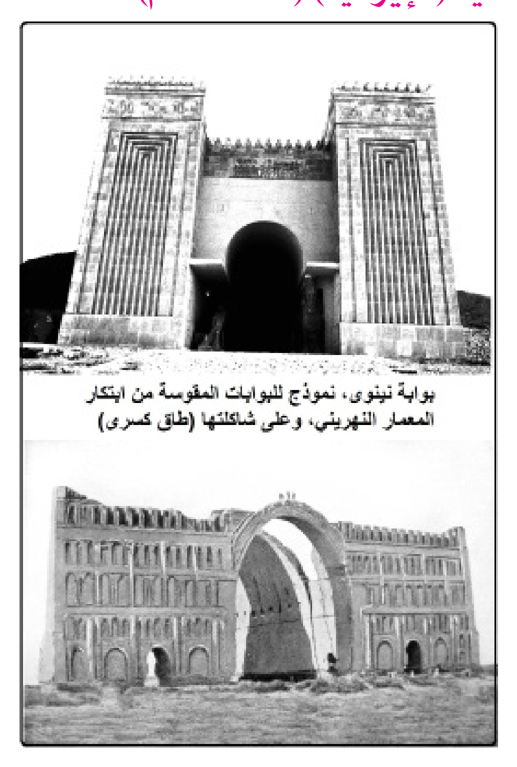
(24) ـ عن نصوص (الشجرة الآشورية ـ DRAXT Ī ĀSŪRĪG) طالع:
الموسوعة الإيرانية: http://www.iranicaonline.org/articles/draxti_asurig

(25) ـ الفرثيون (نحن أصدقاء الهيلينية)، طالع:
Garthwaite, Gene Ralph (2005), The Persians, Oxford & Carlton: Blackwell Publishing

(26) ـ عن كتابة تاريخ البارثيين عبر المصادر اليونانية والآرامية والصينية: نفس المصدر 17، كذلك:
ـ Warwick (2016), Rome in the East: Transformation of an Empire, London & New York

بين الفرس والرومان الذين يسيطرون على كل ضفاف البحر المتوسط، بما فيها سوريا والأناضول المجاورتان للنهرين؛ لهذا قد تحول العراق كالعادة إلى ساحة للحرب بين هاتين الدولتين المتنافستين، ومن أهم الأحداث، عندما هاجم الإمبراطور الروماني (تراجان) العراق في عام 116م، ولكنه وقع أسيراً في (المدائن)[27].

4 ـ الدولة الساسانية (الإيرانية) (224 ـ 637م)



بوابة نينوى، نموذج للبوابات المقوسة من ابتكار المعمار النهريني، وعلى شاكلتها (طاق كسرى)

القصر الملكي(طاق كسرى) في (طيسفون ـ المدائن). وقد تم تشييده بمساعدة من الامبراطور البيزنطي (جستنيان) الذي بعث إلى صديقه (كسرى) الرخام اليوناني والصناع المهرة الذين شيدوا القصر على الطراز الروماني المتأثر بالمعمار النهريني الذي اول من ابتكر الاقواس.[28]

(27) ـ عن ثقافة الفرثيين ولغاتهم، طالع مصدراً سهلاً ومفصلاً (ويكيبيديا الإنكليزية: Parthian Empire).
كذلك:

ـ Green, Tamara M. (1992), The City of the Moon God: Religious Traditions of Harran, BRILL

ـ Skjaervo, Prods Oktor. «IRAN vi. IRANIAN LANGUAGES AND SCRIPTS (2) Doc ـ Encyclopaedia Iranica»

ـ Chyet, Michael L. (1997), Culture, and Language in the Near East.

(28) ـ كتاب قصة الحضارة: ديورانت: الجزء 13 ص/349

وهي عشيرة فارسية كانوا من كهنة المجوسية، وقد تمكن ملكهم (أردشير) من إنهاء (الإمبراطورية الفرثية) في معركة (هرمزدگان 224م) في جنوب العراق والأحواز، التي قتل فيها آخر إمبراطور فرثي (أرطبان الخامس Artaban V)، ثم استولوا على العراق.

كذلك أصبحت (قيطسفون: المدائن) العراقية العاصمة الرئيسة لهذه الإمبراطورية، وهي أيضاً عاصمة الثقافة السريانية، ومقر القيادات الدينية للمسيحية والمانوية واليهودية.

اتسم حكمهم على المستوى الخارجي بحروبهم مع الرومان، وعلى المستوى الداخلي بالانقسامات في الأسرة الحاكمة، كذلك الاضطهادات المستمرة للمسيحيين الذين كانوا يصرون على رفض اعتناق المجوسية، بل ونشر المسيحية في بلاد فارس نفسها وبين أفراد الأسرة الحاكمة.

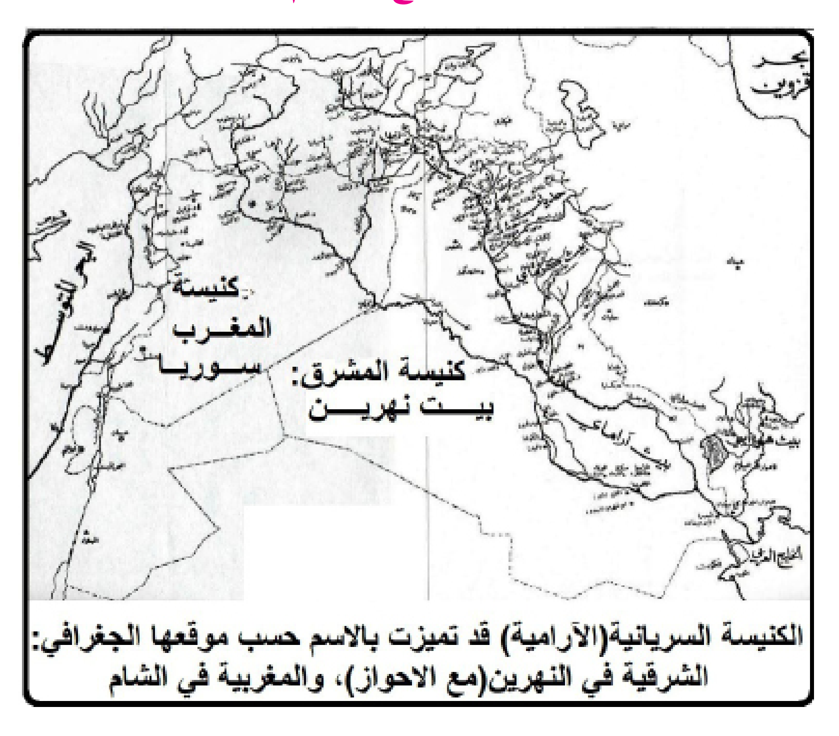
كان الجيش الساساني متكوناً من أقلية فارسية، والغالبية من العراقيين والأتراك والإغريق. بالنسبة للمجتمعات غير المؤمنة بالزرادشتية، كانت تفرض عليهم ضرائب إضافية بين حين وآخر.

(معركة القادسية 636م) ونهاية الحكم الإيراني وحلول عصر الحضارة العربية الإسلامي: وكانت تلك المعركة التي انتصرت فيها الجيوش العربية المسلمة، قد أنهت الوجود الفارسي في العراق، وقد توقف العرب عند حدود العراق وإيران حيث جبال زاخاروس المنيعة الصعبة[29]، لكن المشكلة أن آخر ملك ساساني (يزدجرد الثالث)، بعد هربه إلى إيران، لم يكن حكيماً ليكتفي ببلاده، بل ظل يأمل باسترجاع العراق، رئة الإمبراطورية الإيرانية على مر الزمن. بعد أن استمر باعتداءاته على الحدود وتهديداته المستمرة وتحريك جيشه، اضطر العرب إلى اجتياح إيران والانتصار في (معركة نهاوند 642م)، التي أنهت تماماً حلم (يزدجرد) الذي هرب إلى خراسان حيث اغتاله أحد أتباعه.

***

(29) ـ حول رغبة العرب بتجنب غزوٍ إيران، هنالك قول شهير ينسب إلى الخليفة عمر بن الخطاب: (وددت أن بيننا وبين فارس جبلاً من نار لا يصلون إلينا منه ولا نصل إليهم). تاريخ الطبري 3: 176.

مستجدات المجتمع ومعالم النهضة



الكنيسة السريانية(الآرامية) قد تميزت بالاسم حسب موقعها الجغرافي: الشرقية في النهرين(مع الاحواز)، والمغربية في الشام

رغم الضعف السياسي والعسكري للعراقيين في هذه الحقبة، إلاّ أنهم تمكنوا من الحفاظ على هويتهم السكانية والثقافية والدينية المتميزة عن الإيرانيين والإغريق والرومان، بل إن العراق ظل مركزاً سياسياً مهماً للقوة الحاكمة، بحيث إن الإسكندر المقدوني اتخذ بابل عاصمة لإمبراطوريته العالمية، ومات ودفن في بابل. كذلك من بعده الدولة اليونانية السلوقية التي حكمت الشرق اتخذت من (طيسفون ـ المدائن) جنوب بغداد عاصمة لها. كذلك تحولت هذه المدينة العراقية إلى عاصمة شتوية للإيرانيين.

وقد تعرضت الثقافة العراقية إلى تغيير جذري من الناحيتين اللغوية والدينية، وأكبر دليل على عمق الهوية النهرينية وتجذّرها هو أن هذا التغيير اللغوي والديني لم يأت بتأثير القوى الإيرانية والإغريقية المهيمنة، بل هو تطور داخلي طبيعي، إذ فشل المحتلون بنشر لغاتهم وأديانهم بين العراقيين.

ـ التغيير اللغوي: حلت اللغة الآرامية (النهرينية الشامية) محل اللغة الأكدية،

وهاتان اللغتان قريبتان لبعض، فهما من نفس الأصل، وقد فرضت الآرامية نفسها من خلال الكتابة الأبجدية (الحروفية) التي اخترعها الشاميون وحلَّت محل الكتابة المسمارية (الرمزية) التي لم تعد تواكب العصر.

- التغيير الديني: صمد اهل النهرين بوجه التأثير الإيراني المجوسي والديانة الإغريقية، وظلّوا محافظين على ديانة أسلافهم (عبادة الكواكب ورموز الخصب) حتى القرن الثاني الميلادي، حيث بدأت تحل بالتدريج الديانة المسيحية الشامية، كذلك انتشرت الديانة الصابئية (المندائية) ثم المانوية البابلية.

لقد بلغت قوة العراقيين الحضارية أنهم فرضوا الكثير من موروثاتهم الثقافية على المحتلين أنفسهم. إذ أصبحت اللغة الآرامية (السريانية) لغة الثقافة الأولى في الإمبراطورية الإيرانية نفسها، وانحصرت اللغة الفارسية (البهلوية) في البلاط الحاكم ورجال الدين المجوس، بل إن الإيرانيين اقتبسوا الأبجدية السريانية لكتابة لغتهم البهلوية، بعد تخليهم عن الكتابة المسمارية العراقية أيضاً!

حقبتا السبات والصحوة

يمكن تقسيم المرحلة الآرامية الطويلة الممتدة خلال (11) قرناً، إلى فترتين:

1. حقبة السبات

وتمتد حوالي سبعة قرون، من القرن السادس قبل الميلاد حيث سقطت (بابل) عاصمة آخر دولة نهرينية، على يد الفرس، حتى نهاية القرن الأول الميلادي حيث بدأ انتشار المسيحية الشامية في العراق. وقد ظل العراقيون خلالها في سبات حضاري بسبب شدة الانتكاسات التي توالت عليهم وفشل ثوراتهم المتوالية ضد الفرس والإغريق. رغم أن السلالة السلوقية الإغريقية قد اتخذت (سلوقيا - قرب بغداد) عاصمة لإمبراطوريتهم الشرقية، خلال حوالي قرنين، إلاّ أن هذا لم يشفع للعراقيين ولم يرجع لهم عافيتهم وروحهم الإبداعية المعتادة. يمكن تشبيه هذه الحقبة بالقرون الأولى التي أعقبت سقوط بغداد العباسية. هنالك شحة كبيرة بالمصادر التي تتحدث عن نشاطات العراقيين في هذه الفترة، ناهيك عن غياب ذكر النساء، اللواتي من الطبيعي أن ينزوين في بيوتهن في مثل هذه الحقب المظلمة.

2 ـ حقبة الصحوة

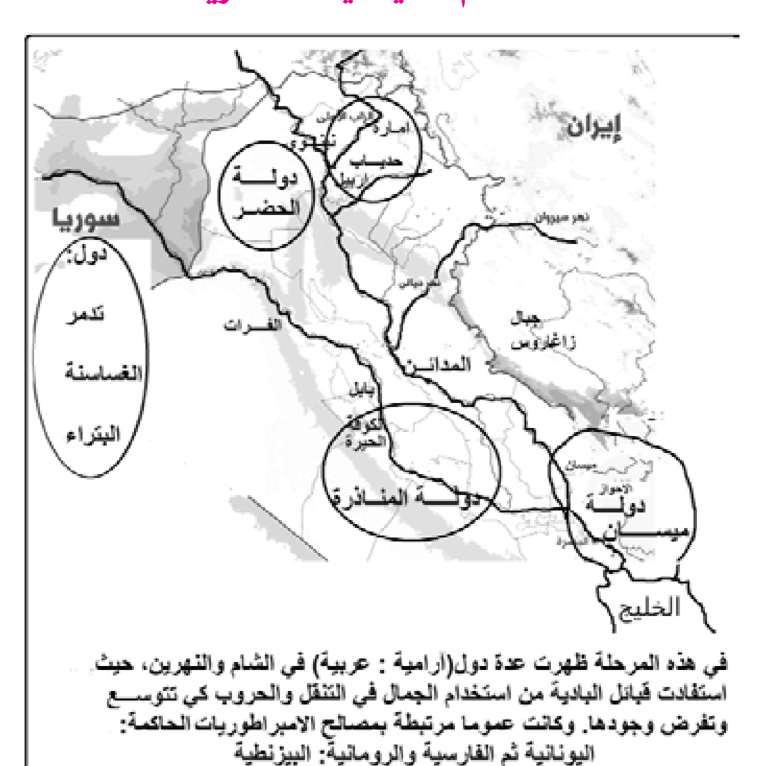
والتي أعقبت الحقبة السابقة، واستمرت حوالي خمسة قرون، وتبدأ بالقرن الثاني الميلادي حتى الفتح العربي الإسلامي في القرن السابع، وفيها بدأ العراقيون بصورة بطيئة جداً يشفون من جراحهم ويصحون من كبوتهم ويستعيدون بالتدريج قواهم الإنسانية والحضارية، وقد اتخذوا من المسيحية وسيلة روحية لهذه الصحوة، واستمرت هذه الصحوة الحضارية بالتنامي، رغم ما تخللتها من نكسات وخسائر كثيرة، حتى بلغت ذروتها مع ظهور الإسلام وصعود العراقيين مرة أخرى إلى قيادة النهضة الحضارية العالمية وإعادة إحياء (بابل) تحت اسم (بغداد).

هنالك عدة معالم حضارية ظهرت خلال حقبة الصحوة هذه، يمكن تقسيمها إلى:

ـ معالم سياسية ـ حضرية تتمثل بنشوء عدة مدن ودويلات عراقية شبه مستقلة.

ـ معالم دينية ثقافية تتمثل بالمسيحية والصابئية واليهودية والمانوية.

المعالم السياسية الحضرية



في هذه المرحلة ظهرت عدة دول(ارامية : عربية) في الشام والنهرين، حيث استفادت قبائل البادية من استخدام الجمال في التنقل والحروب كي تتوسع وتفرض وجودها. وكانت عموما مرتبطة بمصالح الامبراطوريات الحاكمة: اليونانية ثم الفارسية والرومانية: البيزنطية

1 ـ مدينة المدائن (قيطسفون ـ سلوقيا)

إن (المدائن) تسمية عراقية آرامية تعني (عدة مدن أو أحياء). في البداية حملت اسم (سلوقيا) نسبة إلى الملك اليوناني (سلوقس) (حكم للفترة 312 ـ 281 ق.م) وريث الإسكندر المقدوني، لتكون عاصمة شرقية له، وحلّت محل بابل باعتبارها المدينة الأولى في بلاد النهرين وكانت شديدة الارتباط بانتشار الثقافة الهيلينية (اليونانية المستشرقة) في بلاد النهرين. تقع المدينة على نهر دجلة حوالي 20 ميلا (32 كم) جنوب شرق بغداد حالياً. كانت سلوقية مدينة كبيرة، أكثر سكانها من المقدونيين واليونانيين، بالإضافة إلى اليهود والسوريين، وقدّر (بليني الأكبر) سكانها بأكثر من نصف مليون إنسان، وفي فترة الهيمنة البارثية التي بدأت في القرن الثاني ق.م ظلت سلوقية المدينة الأهم في الشرق من حيث الموقع والتجارة، وعاشت عدة تمردات مفتوحة ضد الملوك البارثيين الذين فضَّلوا عليها مدينة طيسفون على الضفة الأخرى من دجلة، وأسسوا فولوجيسياس، أو فولوجيسوكرتا، كميناء نهري منافس، وقد أصبحت عاصمتهم الشتوية، وأخيراً أحرق سلوقية القائد الروماني غايوس أوفيديوس كاسيوس في 165م، ويقال: إن عدد سكانها حينذاك كان أكثر من ربع مليون، ويعتبر تدمير هذه المدينة نهاية الثقافة اليونانية في بلاد النهرين، وفي حملته البارثية في سنة 197م، وجد الامبراطور الروماني سيبتيموس سيفيروس الموقع مهجوراً تماماً. لم يبقَ شيء من المدينة على الأرض، ولم تكشف التنقيبات الحديثة في الموقع (الذي سُمِّيَ فيما بعد تل عمر) عن آثار مهمة.

وقد أعاد الساسانيون إحياء المدينة، ومع اندماج الضفتين: (سلوقيا) و(طيسفون) تكونت (المدائن)، حيث أصبحت أيضاً العاصمة الشتوية للإمبراطورية الساسانية، وقد اعتبر العراقيون (المدائن) عاصمتهم الدينية والثقافية بعد نهاية (بابل). حيث ظلت مقراً لكنيسة العراق النسطورية وسميت بـ (كنيسة بابل)، طيلة الحكم الساساني، وقد وصل المبشرون العراقيون إلى الهند والخليج العربي ومنغوليا والصين.

في عام 637 فتح العرب المدينة، وفي البداية استخدموا طاق كسرى مسجداً مؤقتاً، وفي 763 عندما أسس الخليفة المنصور بغداد، هُجرت طيسفون، ثم نقل الجثليق (مرجع الكنيسة الأعلى) مقره من (المدائن) إلى (بغداد).

2 ـ دولة الحضر (القرن الأول والثاني م)



وتركزت في مدينة الحضر التي تبعد عن مدينة آشور القديمة حوالي 70 كيلومتراً وعن الموصل 110 كيلومترات، ودامت حوالي قرنين، من القرن الأول حتى القرن الثاني ميلادي، وحكمها أربعة ملوك استمر حكمهم قرابة المائة عام، وهي دويلة شبه مستقلة بدرجات مختلفة من التبعية للدولة الفارسية الحاكمة عموماً وأحياناً للرومان في الشام. إن حضارة هذه الدولة كانت ناطقة بالآرامية وتؤمن بديانة الكواكب العراقية، مع تأثر واضح بحضارة الإغريق والرومان، ويبدو أن المرأة الحضرية كان لها دور متميز وعلني من النواحي السياسية والدينية.

ظهرت الحضر اثناء السيطرة الفرثية، وقد أسستها جماعات يعتقد أنها من أصول عربية، رغم أن لغتهم وثقافتهم كانت هي الآرامية. وقد عرف أحد ملوكها (سنطرق) بكتابته الشهيرة (سنطرق ملك عربو) أي (سنطرق ملك العرب). وقد ظهرت (الحضر) مع ظهور عدة مدن، مثل (البتراء وتدمر)، ثم اعقبتها (بُصرى الغساسنة، والحيرة المناذرة)، وكلها في اطراف بادية العراق والشام، على طرق التجارة بين الشام والعراق والجزيرة العربية. وقد قاومت هذه (المدن الدويلات) سلما وحربا الدولتين الرومانية والفارسية. ولكن الرومان والفرس دمروها جميعاً واحدة بعد أخرى. عرفت (مملكة الحضر) بهندستها المعمارية وفنونها وأسلحتها وصناعاتها، الحضر كانت تتشبه بـ(روما) من حيث التقدم حيث وجد فيها حمامات ذات نظام تسخين متطور وأبراج مراقبة ونقوش منحوته وفسيفساء وعملات معدنية وتماثيل. علما بان لغة (الحضر) هي الآرامية، لكنها اعتبرت (عربية) من خلال أسماء قادتها ورموزها ذات الصبغة العربية.

سقطت على يد الفرس الساسانيين عام 241 م، ودمرت تدميراً شديداً ومنع أهلها من حمل السلاح، وانتهت من الوجود التاريخي.

3. دولة ميسان

إن (بلاد الأحواز) ظلت دائماً متداخلة جغرافياً وسكانياً وسياسياً مع منطقة (ميسان) مثل باقي جنوب العراق. لهذا فإن (مملكة ميسان) قد شملت (الأحواز) ومعظم جنوب العراق حيث كانت عاصمتها (خاراكس) في منطقة (المحمرة) حالياً، التي أسسها الملك (إسباوسينو) عام 127 ق.م والذي لقبه المؤرخ يوسفيوس بالعربي، وقد امتدت شمالاً حتى جنوب بابل في وسط العراق وعيلام جنوباً.. تشير أغلب المصادر إلى أن (ميسان) دويلة نشأت في جنوبي أرض بابل تحت حماية السلوقيين الإغريق (311 ـ 247 ق.م) عندما ضعف شأنهم في الفترة الواقعة بين عامي (223 ـ 187 ق.م) استقلت ثم تدرجت في سلم القوة وأصبحت دويلة مهمة. حكمها ثلاثة وعشرون ملكاً ما يقارب ثلاثة قرون ونصف وبالتحديد ما بين عامي 129 ق.م ـ 225 م. وظلت المملكة قائمة حتى اكتسحها الملك الفرثي (متريدتيس الرابع) في الأعوام (147 ـ 128م) واحتل عاصمتها ميشان (كرخا). وتم نقل أهاليها إلى مدينة (فرات ـ ميشان) التي كانت واقعة على نهر دجلة القديم جنوب المحمرة بحوالي (18 كم). في تلك الفترة دخلت المسيحية إلى ميسان خاصة في مدينة (جنديشابور ـ عبادان) وأخذ يطلق عليها (بيت حوزاي ـ منطقة الأحواض) التي هي أصل تسمية (الأحواز). ومنها انتشرت المسيحية السريانية العراقية في عموم الخليج، منطقة بيت قطرايا: قطر والبحرين.

4 ـ دولة الحيرة ودور العرب

إن هذه القرون الأخيرة السابقة للفتح العربي الإسلامي، بدأت معالم الجماعات العربية تتضح كاسم في بعض معالم اللغة العربية، في العراق والشام، رغم بقاء اللغة الآرامية كلغة الثقافة والتعبير لهذه الجماعات العربية الجديدة. ما إن انتهت (الحضر) في القرن الرابع حتى قامت (إمارة الحيرة) في نفس القرن، وبما أنها قريبة من (بابل) القديمة، فإنها حملت الكثير من روحها الحضارية المندثرة. فسكان (الحيرة) هم من

العراقيين الأوائل الذين كانوا قد اعتنقوا المسيحية النسطورية، لهذا كان يطلق عليهم لقب (عباد)، وتعني بالآرامي (المؤمنين)، وكانت لغتهم السائدة هي الآرامية (السريانية) مع المسيحية النسطورية. كانت حدودها تمتد من بابل على الفرات إلى الخليج العربي. اختلفت الآراء في أصل عرب الحيرة، ولكن من الواضح أنهم مثل كل القبائل الكبرى في ذلك الوقت، مجموعة متحالفة من الجماعات العربية والآرامية، التي استوطنت بعد سقوط بابل. لقد حكم الحيرة 25 ملكاً، وكان النعمان بن المنذر (580 ـ 602 م) آخر ملوك آل لخم في الحيرة، وقد عاصر حكم الملك الفارسي أبرويز.

وكان يسود مجتمع (الحيرة) مثل جميع المدن العراقية، نوع من التسامح الديني، بحيث إنه كان هناك الكثير من الطوائف الدينية، بجانب الغالبية المسيحية النسطورية. فهناك بقايا الديانة العراقية القديمة بأوثانهم التي تمثل آلهة الكواكب، وبالذات أتباع مذهب (عبادة القمر)، وهناك أيضاً أتباع لـ (المانوية العراقية)، بالإضافة إلى أتباع المذهب المسيحي (اليعقوبي ـ المنفوزي)، كذلك اليهود والصابئة. وحافظت الحيرة على شهرتها في الطب في العصر الإسلامي، فكان (حنين بن إسحاق النصراني العبادي) من أقدر أطباء العصر العباسي، وكان أبوه صيدلانياً في الحيرة.

5. (الأحواز: عيلام) ودورها المسيحي والعلمي السرياني!

بما أن (عيلام ـ الأحواز) كانت جزءاً من (أرض النهرين)، فإنها ظلت طيلة التاريخ تعيش نفس المراحل الحضارية والثقافية التي تعيشها (بلاد النهرين ـ العراق). فبعد نهاية آخر دولة عراقية في القرن السادس ق.م على يد الإيرانيين، تم احتلال الأحواز وانتهت معها الحضارة العيلامية التي كانت مرتبطة بالحضارة السومرية ـ الأكدية العراقية. مثل العراق، انتشرت الحضارة الآرامية ـ المسيحية في الأحواز في هذه المرحلة، حيث ظهرت في (الأحواز) مدينة (جنديسابور: دزفول: بيت عابات: مكان الهزيمة بالسرياني)أهم مركز للحضارة السريانية، مسيحياً وعلمياً، في الحقبة الساسانية وما بعدها.

بعد انتصار (الملك شابور) عام 259م على (فاليران Valerianus) ملك (الروم البيزنط) في مدينة (أنطاكيا) (المحتلة حالياً من تركيا ضمن لواء الإسكندرونة)، هي

عاصمة (سوريا، وعموم الشام) ومقر (الكنيسة السريانية)، قام (الفرس) بأسر ملك البيزنط ومعه جيشه المتكون من إغريق وسوريين، وكذلك أسقف الكنيسة السورية (ديمتريان ـ Démétrianus) والآلاف من سكان أنطاكيا من النخب الدينية والتعليمية، وتم نفيهم إلى منطقة (الأحواز) جنوب العراق، وجعلهم يشيدون لهم مدينة على (نهر الكارون) أطلق عليها (جند شابور ـ معسكر شابور) ولكن اسمها السرياني (بيت لافات= العابات = بيت العيبة أو الهزيمة)، وتقع الآن بين مدينة (ديزفول) شمال (الأحواز) و (محافظة ميسان العراقية)، وقد استثمر (الفرس) ثقافة وعلوم الأسرى السوريين والإغريق بتشييد الكثير من المنشآت الهندسية مثل الخزانات والجسور، منها السد الضخم الذي لا يزال قائماً ويعرف بـ (سد الإمبراطور) لأن الإمبراطور الأسير هو الذي أشرف على تشييده[30].

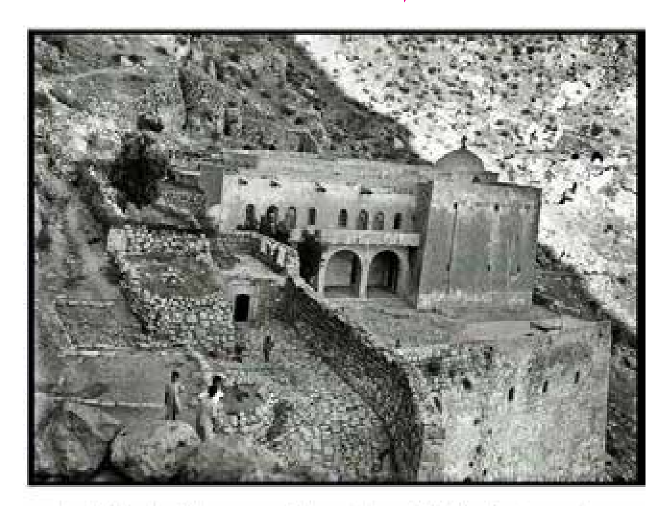
مع الزمن أصبحت (أكاديمية جند شابور = جنديسابور ـ Academy of Gondishapur) مركزاً للنشاط الديني المسيحي والعلمي باللغة السريانية بالإضافة إلى الترجمة عن اليونانية، وفي سنة 489 م، هاجر إليها الكثير من أساتذة وحكماء (مدرسة الرها ـ شمال النهرين) ومقر الثقافة المسيحية السريانية، بعدما أغلقها الإمبراطور البيزنطي (زينون) لاعتناق أساتذتها المذهب النسطوري المرفوض. علماً بأن (الفرس) في أول الأمر قد رحبوا وشجعوا (المذهب النسطوري) في العراق والأحواز، لأنه مخالف ومرفوض من مسيحية الدولة البيزنطية التي تحكم كل شرق البحر المتوسط (اليونان والأناضول والشام ومصر وشمال أفريقيا)، وتحولت (جندسابور) إلى مركز ديني نسطوري أساسي مرتبط بمراكز (المدائن والحيرة والموصل)، وانتقل إليها الكثير من أساقفة الكنيسة النسطورية من العراق، وأنشأ النساطرة فيها مستشفىً كبيراً (المارستان أو البيمارستان)، ونشطت مدرستها خصوصاً في مجالي الدين والطب، واستقبلت الكثير من العلماء والأساتذة اليونان والهنود والفرس، وفي عهد (كسرى ـ خسرو الأول 531 ـ 579م) الذي كان معجباً بالثقافة الإغريقية تم الترحيب بأساتذة

(30) ـ عن عمليات السبي والتهجير نحو الأحواز، طالع كتاب:
ـ إيران في عهد الساسانيين، ص 115 و203 (وكان الأسرى إما يباعون كرقيق، أو يتم سبيهم إلى أماكن بعيدة).
كذلك: تاريخ الكنيسة السريانية، ص22ـ 24.

مدرسة (أثينا) التي أغلقها (الإمبراطور البيزنطي جستنيان)، ومن الغريب أن هذه المدينة أصبحت أيضاً مقراً لأشهر الإعدامات وقطع أعناق الزعماء الدينيين من بلاد النهرين، ومنهم النبي ماني البابلي (أعدم عام276م) وأسقف عموم كنائس النهرين مار شمعون بر صباعي (أعدم عام 344م)[31].

وقد استمر النشاط المعرفي السرياني لهذه المدينة الأحوازية السريانية، حتى الدولة العباسية حيث بدأ يضعف بسبب هجرة العلماء والأساتذة إلى (بغداد) التي أصبحت مركز المعرفة في العالم الإسلامي.





دير مار هرمز في (القوش : الموصل) من بين اقدم اديرة العراق

من أهم المعالم الثقافية لهذه المرحلة، هي ظهور الأديان السماوية وانتشارها

(31) ـ عن نشاطات (جنديسابور) العلمية:
ـ تاريخ الأدب السرياني ـ ص287 ـ روبنس دوفال (مترجم) ـ بغداد 1992.
ـ إيران في عهد الساسانيين: ص407.
ـ في الحقبة العربية الإسلامية، اشتهر عدد من الأطباء الأحوازيين السريان الذين أتوا من (جندسابور) وخدموا في (دمشق) لدى الخلفاء الامويين: (أمية بن أثال) و(أبو الحكم) و(حكم الدمشقي) و(تياذوق). أما في الحقبة العباسية، فبرز في بلاط الخلفاء في (بغداد)، أطباء نساطرة من الأحواز، أمثال (جورجيس بن بختيشوع) وبعده أبناؤه (جرجيس وجبريل)، ثم تلاميذهم (إبراهيم) و(سرجيس) و(عيسى بن شهلانا) و(بختيشوع بن جبريل) و(سابور بن سهل)، والطبيب والحكيم الشهير (يوحنا بن ماسويه)، و(دهشاك) وابن أخيه (ميخائيل)، و(عيسى بن طاهر بخت)، وغيرهم الكثيرون من علماء الأحواز المسيحيين.

في العراق: اليهودية والمسيحية والصابئية وكذلك المانوية، والميزة الأساسية التي تجمع هذه الأديان أنها تتفق على وجود إله واحد (الله) في السماء هو الخالق الأوحد لكل الوجود المادي والروحي. رغم اعتبار الديانة اليهودية من ضمن الأديان السماوية، إلاّ أنها في تكوينها الأوَّلي لم تكن ديانة (عرفانية ـ غنوصية) مثل المسيحية والصابئية والمانوية.

1 ـ التيار الروحاني (العرفانية ـ الغنوصية)[32]

إن الاجتياح الآري (الإيراني ـ اليوناني ـ الروماني) للشرق الأوسط، أدى إلى تحطيم كل البنيان الثقافي والديني (العراقي ـ الشامي ـ المصري) القائم والمهيمن منذ آلاف الأعوام. لقد حدثت في المنطقة خلطة تاريخية جبارة نتيجة حضور تيارين عقائديين جديدين في المنطقة:

أ ـ التيار الروحاني الآسيوي (الهندوسي ـ البوذي) القائم على عقيدة وحدة الوجود وخلود الأرواح الهندوسية.

ب ـ التيار المنطقي (الفلسفي) اليوناني، القائم على العقل المجرد والحسابات والسبب والنتيجة.

وقد امتزج هذان التياران الجديدان بالعقيدتين الأصليتين السائدتين مسبقاً في المنطقة:

أ ـ عقيدة المنقذ المخصب (عشتار وتموز) السائدة في العراق والشام. القائمة على أساس تقديس الكواكب السبعة وانتظار المهدي المخلص (تموز) أو المسيح، حيث يأتي أول كل ربيع (إله الذكورة والسماء تموز) ويخصب (إلهة الأنوثة والأرض عشتار) لينشر الخضرة والحياة.

ب ـ الديانة (المصرية) القائمة على أساس الإيمان بيوم الحساب والخلود الأخروي وبالجنة الموعودة. حيث تقوم الأهرامات التي تمثل قبوراً جبارة تساعد الملوك والنبلاء على الانتقال إلى حياة الخلود بعد ميزان الحساب في العالم الآخر.

---

(32) ـ حول العرفانية ـ الغنوصية راجع: كتابنا (موسوعة اللغات العراقية) كذلك:
ـ Jacques Lacarrière, Les Gnostiques, Collection Idées, Gallimard 1964
ـ Hans Leisegang, La Gnose, Collection Petite bibliothèque Payot, 1951

وكانت المحصلة النهائية لهذا المزيج، هو (التيار الروحاني) بمختلف طوائفه وتنوعاته لكنه يشترك بالإيمان بنبذ البدن وتقديس الروح والزهد بالدنيا والرهبنة والتصوف بانتظار خلود الآخرة، وكان التيار الأكثر تأثراً بالفلسفة اليونانية قد شاعت عنه تسمية (العرفانية ـ الغنوصية)[33].

إن أقدم النصوص الروحانية قد اكتشفت في فلسطين وتعود إلى القرن الثالث ق.م (نصوص البحر الميت)، التي تنسب إلى (الطائفة العيسانية: الأسينيون)، ويقول عنهم مؤرخو ذلك العصر: (يتصفون بالتقوى والتبتّل والزهد في الدنيا، والعيش في مجتمعات تشاركية، والالتزام الصارم بالسبت، ويُعمِدون أنفسهم يومياً في الماء، ويأكلون في جماعات، ويكرِّسون حياتهم لفعل الخيرات، ويمتنعون عن التعبير عن الغضب، ويدرسون كتب الأقدمين ويبحثون في أسرارها، ويقدسون أسماء الملائكة في كتاباتهم)[34].

إن هذا التيار الروحاني (العرفاني) أساس الديانات التوحيدية السماوية، وبالذات مذاهب الزهد الروحاني والرهبنة والتصوف، وقد تنوعت إلى طوائف ومسميات، مثل (المانوية والصابئية) في العراق، و (الهرمسية والأفلاطونية الجديدة) في مصر والبحر المتوسط، و (القبلانية) في اليهودية، و (الرهبنة) في المسيحية، وأخيراً (التصوف) في الإسلام.

إن جوهر (الروحانية ـ العرفانية): الإيمان بوحدانية الوجود، والتسليم بإله الخير والمحبة في ملكوت السماء والنور، واعتبار الحياة الدنيا والبدن المادي ملكوت الظلام والشيطان، وأن الخلاص يكمن في الزهد والتقشف وكبح غرائز البدن من أجل التطهر والارتقاء بالنفس إلى ملكوت النور[35].

(33) ـ الغنوصية من اليونانية gnôsis أي المعرفة.

(34) ـ عن طائفة العيسانيين:

Josephus (حوالي 75). The Wars of the Jews. 2.119-

(35) ـ Pagels, Elaine H (1989). The Gnostic Gospels.

2 ـ المسيحية العراقية وتأسيس كنيسة المشرق السريانية في بلاد النهرين: (بالسريانية: ܥܕܬܐ عيتا شليحَيتا دْمَدنحا)

تعتبر المسيحية من أولى الديانات الكبرى الروحانية العرفانية (السماوية)[36]، ومع انبثاق المسيحية في فلسطين وعموم بلاد الشام في القرن الأول الميلادي، بدأت بالتدريج تتسرب إلى العراق من القسم الشمالي (الرها ونصيبين) ثم نينوى وكرخا سلوخ (الاسم السرياني لكركوك) حتى ولاية بابل ومنها إلى ولاية ميسان في الجنوب (وكانت تشمل كذلك البصرة والأهواز)، ولم يمض القرن الرابع الميلادي حتى أصبحت المسيحية ديانة الغالبية الساحقة من العراقيين وتكونت الكنائس في جميع القرى والمدن العراقية. إن العراقيين قاموا بالتعبير عن خصوصيتهم الدينية الوطنية من خلال (المذهب النسطوري)[37] وتأسيس كنيسة بابل في (المدائن) الخاصة بالعراقيين، والتي تخضع لها أيضاً جميع فروع الكنائس النسطورية في إيران والهند حتى الصين.

وقد توسع النشاط التبشيري للكنيسة العراقية في داخل إيران نفسها واعتنق المسيحية العديد من النبلاء ومن العائلة المالكة الساسانية، بل حتى إحدى زوجات (الملك شابور) المسماة (واسطاسا) التي تم إعدامها[38]. ومن الشخصيات الثقافية النادرة التي تنسب إلى الفرس، في هذه الحقبة، هو (أفراهاط الحكيم الفارسي)، وهو قديس من عائلة مجوسية لكنه ولد في شمال العراق، واعتنق المسيحية وكتب باللغة السريانية[39].

---

(36) ـ بالحقيقة إن اليهودية الأولى (التوراتية)، لم تكن عرفانية روحانية، بل أقرب إلى الديانة النهرينية الدنيوية، لأن التوراة لم تنبذ الحياة الدنيا، ولم تؤمن بيوم الحساب ولا الجنة، ولكن فيها بعد بتأثير المسيحية ثم الإسلام تسربت إلى اليهودية الأفكار الأخروية الروحانية.

(37) ـ النسطورية، نسبة الى (نسطور381ـ 451 م) وهو اسقف سوري من(مرعش وانطاكيا) وتوفي في صعيد مصر. انشق عن الكنيسة الرسمية وخالفها بخصوص(طبيعة المسيح)، وقد انتشر مذهبه اساسا في العراق واصبح هو المذهب الوطني للكنيسة العراقية وفروعها في انحاء آسيا والجزيرة العربية.

(38) ـ عن حادثة إعدام شابور لزوجته المسيحية، طالع كتاب:
ـ تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية ـ الأب ألبير أبونا ـ ص 22.

(39) ـ عن أفراهاط الحكيم الفارسي، طالع:
كتاب: أفراهاط الحكيم الفارسي: بولس الفغالي، دار المشرق، بيروت 2002.
كذلك:
E. J. Duncan, Baptism in the Demonstrations of Aphrahat, Washington, 1945

إن أهم إنجاز حضاري قامت به المسيحية العراقية أنها افتتحت مدرسة في كل كنيسة وفي كل قرية ومدينة، فصار تعليم القراءة والكتابة والعلوم جزءاً من النشاط الديني والإيماني، وكانت هذه الخطوة بداية خروج العراقيين من قمقمهم الظلامي نحو أفق النور والتحرر.

خلال قرنين أصبحت المسيحية ديانة الغالبية الساحقة من العراقيين (كذلك غالبية سكان العالم العربي الحالي: الشام ومصر وشمال أفريقيا، وبعض نواحي الجزيرة العربية)، وانتشرت الكنائس السريانية من شمال العراق إلى جنوبه، بما فيه (الأحواز)[40]، وكانت هنالك أيضاً أقليات من اليهود والصابئة والمانوية (أتباع ماني البابلي)، وجميع هذه الطوائف لغتهم اليومية والدينية هي السريانية، وكان هنالك أساقفة (مراجع) للقبائل العربية المستوطنة غرب الفرات، في (الكوفة والحيرة) ومن أشهرهم (جورج أسقف العرب) الحكيم الذي له عدة كتب بالسريانية[41]، علماً بأنه كانت هناك مراكز وأسقفيات نسطورية في أنحاء الجزيرة والخليج تابعة لكنيسة بابل[42].

(40) ـ عموماً تسمى (كنيسة المشرق، أو كنيسة بلاد النهرين Mesopotamia). لكن من المظالم والتشويهات الكثيرة التي يعاني منها تاريخ العراق، أن بعض المؤرخين الأوربيين وبدوافع عنصرية (آرية وغيرها)، يستخدمون تسمية (كنيسة فارس، ومسيحيو فارس)، لمجرد أن العراق كان خاضعاً لإمبراطورية الفرس!

أما فروع هذه الكنيسة وتسمى (الأبرشيات)، فقد انتشرت في أنحاء (النهرين) كالتالي:

1ـ (كنيسة سالوقيا ـ المدائن)، وهي الكنيسة العليا (البطريكية) ومقر (الجاثليق ـ المرجع الأعلى)، وتتبعها عدة كنائس رئيسية. 2ـ (تكريت) وبلداتها. 3ـ (حدياب ـ أربيل) بلدات الزابين الأعلى والأسفل. 4ـ (بيث عرباي ـ الموصل) وبلداتها. 5ـ (كرخ ـ سلوخ ـ كركوك). 6 ـ (كشكر ـ الكوت) وبلداتها.7ـ (حيرتا ـ الحيرة). 8ـ (ميشان ـ ميسان) وبلداتها. 9 ـ (أبلة ـ البصرة) وبلداتها. 10 ـ (بيث حوزاي ـ الأحواز) وبلداتها.

(41) ـ عن أساقفة العرب، راجع كتاب:

ـ حقائق الإسلام ـ عباس العقاد ـ ص 41.

(42) ـ في الخليج عرفت المراكز النسطورية التالية:

ـ بيت قَطرايا، ويعنون به الإقليم الممتد من جنوب العراق وإلى شبه جزيرة في الساحل الجنوبي للخليج العربي، ومنطقة اليمامة إضافة إلى الجزر القريبة من الساحل الشمالي الشرقي لشبه الجزيرة العربيّة، ومن الجدير بالذكر أنّ لفظة: «بيت» تعني في السريانيّة: «الدّار»، كما تعني: «الإقليم» أو «البلد».

ـ «بيت مَزُونايا»، ويعنون به المنطقة الواقعة في الجزء الجنوبي الشرقيّ من شبه الجزيرة العربيّة، إضافة إلى الجزر القريبة من الساحل.

ـ ديرين، وهي «دارين»، إحدى قرى جزيرة تاروت، وكانت دارين مقر أسقفية نسطورية.

ـ هجر، العاصمة المعروفة في البحرين، وكانت مركزاً مهماً للنساطرة في شمال شرقي شبه الجزيرة العربية.

ـ حطّا أو «حطّو» وهي «الخطّ» الساحل الممتدّ من الكويت إلى شبه جزيرة في الساحل الجنوبي للخليج العربي، وكان لها أسقفها الخاص بها.

ـ «سماهيج» أو «مشماهيج»، وهو اسم قديم لجزيرة المحرّق البحرينية، وتوجد إلى الآن قرية تحمل اسم سماهيج تقع في الجزء الشمالي الشرقي من جزيرة المحرّق، وقد ذُكر أن مشماهيج كانت مقرًّا لأسقفية نسطورية محلّيّة. =

وقد لعبت (مدينة الحيرة: بلاد المناذرة) غرب العراق دوراً أساسياً بنشر المسيحية النسطورية. برز منها القديس حنان يشوع، والقديس مار يوحنا، والقديس عبد المسيح الحيري، والقديس «هوشاع» وغيرهم، وكانت (كنيسة الباعوثة) في المركز الديني الرئيسي في الحيرة وصمدت حتى زمن متأخر، وشهد عام (424م) انعقاد مجمع «داد يشوع» في الحيرة لتنظيم شئون كنيسة المشرق (العراقية)[43].

الاضطهاد الفارسي وإعدام المرجع المسيحي الأعلى![44]

بدأ اضطهاد المسيحيين في العراق بسبب إعلان الإمبراطور الروماني قسطنطين تبنيه للمسيحية في عام 312 م. وهذا ما زرع الخوف لدى الملك الساساني (شابور الثاني 309 ـ 379)، من تعاطف المسيحيين مع خصمه الروماني الذي يحتل الشام والأناضول وباقي المتوسط. فقرر ـ بدفع من الكهنة المجوس ـ فرض (جزية) باهظة على المسيحيين، والحجة الرسمية العجيبة: ((لأنكم ساكنون في أرضنا وموالون لمذهب عدونا القيصر))[45]. ولما رفض (الجاثليق مار شمعون بر صباعي) ـ

= ـ ابحث عن دراسة في مجلة البيان الإماراتية:
الوجود النسطوري في منطقة الخليج.. نصوص وشواهد آثارية 3 ـ 2

(43) ـ عن الحيرة:

ـ John Wesley Etheridge, The Syrian Churches p.242

ـ W. Smith, A Dicrionary, II, p. 370, John of Ephesus, Eccl. Histo, II, 40 f

(44) ـ حول الاضطهاد الأربعيني: قد ذكر المؤرخ السرياني (ماري بن سليمان) أن الملك (شاهبور) خلال ما أطلق عليه (الاضطهاد الأربعيني) الذي دام أربعين عاماً في القرن الرابع م، قتل حوالي مائة وستين ألفاً في بلدات شمال العراق، وأكثر من ثلاثين ألفاً في بلدات الفرات.
عن كتاب: أدب اللغة الآرامية، ص 413، الأب ألبير أبونا.
وقد أكد المؤرخ البغدادي العباسي (المسعودي) هذا الرقم (التنبيه والإشراف ص149).
كذلك طالع كتاب: شهداء المشرق، الأب ألبير أبونا جزء أول / ص 105 ـ 137.

(45) ـ كان نص رسالة (شابور الثاني) إلى حكام بلاد النهرين: (حالما تتلقون هذه الرسالة تلقون القبض على شمعون رئيس النصارى، ولا تخلوا سبيله إلاّ بعد أن يوقع على صك فيه يتعهد بأن يجبي ويدفع جزية مضاعفة من الشعب المسيحي الساكن في أراضينا وتحت سلطتنا، فنصيبنا نحن الآلهة متاعب الحروب، ونصيبهم الراحة والرفاهية. إنهم ساكنون في أرضنا ولكنهم موالون لمذهب قيصر عدونا...).
كان جواب (مار شمعون): (إني أسجد لملك الملوك وأحترم أمره قدر استطاعتي. إلاّ أن ما يقتضيه مني أمره، فإنه ليس من شأني، كما تعلمون حق العلم، أن أطالب الشعب المسيحي بجزية؛ لأن سلطتي ليست على الأمور المنظورة بل على غير المنظورة، ما يقتضيه الإيمان وتعليمك الحق......).
من كتاب: شهداء المشرق ـ جزء أول ـ الأب ألبير أبونا، ص107.
وهنالك مؤلفات عديدة لـ (مار شمعون): صلوات كنسية وتراتيل، وكتاب (كتاب الآباء) الذي ترجمه إلى الألمانية المستشرق (ساخاو) ونشره في برلين عام 1885. =

الترجمة الحرفية: (المرجع السيد سميع بن الصباغ) ـ وأصله من (ميسان) جنوب العراق، تم قطع رأسه (رغم أن عمره يتجاوز 100 عام) مع 109 مع كبار القسس، في يوم1 نيسان من عام 341م، واعتبرت الكنيسة ذلك (يوم شهداء المسيحية).[46] وقد استمرت المجزرة حوالي أربعين سنة حتى وفاة (الملك شابور الثاني)، وحسب المصادر المسيحية فإن عدد الشهداء بين 10000 ـ 16000 من المسيحيين في العراق وباقي أنحاء الإمبراطورية، وكان بينهم العديد من الشهيدات القديسات، ومن أشهرهن أخوات (المرجع شمعون): (طربو وأختها وخادمتها) اللواتي تم الحكم بإعدامهن من قبل (زوجة الملك) التي اتهمتهن بسحرها والتسبب بمرضها، انتقاماً لأخيهن الشهيد. فأمرت بتقطيع جثثهن وتعليقها في الطريق الذي تسير فيه كي ينتهي السحر! بالإضافة إلى الكثير من الشهيدات القديسات، مثل: (تقلا، ماما، مزَحيا، وحنة، وغيرهن..) من مختلف مناطق العراق[47].

وكان القمع أشد ضد المجوس الذين كانوا قد اعتنقوا المسيحية، أمثال الشهداء: (أفراهاط الحكيم)، و(طهمزكرد) المسؤول العسكري وجلاد مسيحي كركوك، و (الشهيد كوشتازاد) رئيس حجاب الملك، وطبعاً العقاب أشد ضد المسيحيين الذين كسبوهم للدين[48].

= طالع: رايت، الوجيز في تاريخ الأدب السرياني. دهوك، دار المشرق الثقافية، 2012 ص27.
عن دراسة للباحث (فؤاد يوسف قزانجي) بعنوان: الجاثليق شمعون بر صباعي
https://www.ishtartv.com/viewarticle,53726.html
كذلك ـ تاريخ الكنيسة السريانية ـ مصدر سابق ـ ص 35 ـ 44.

(46) ـ حسب المصادر المسيحية فإن هذه الحملات المتقطعة خلال عدة قرون، كلفت مئات الآلاف من الشهداء، وقد ذكر المؤرخ المسيحي العراقي (ماري بن سليمان) أن الملك (شاهبور) خلال ما أطلق عليه (الاضطهاد الأربعيني) الذي دام أربعين عاماً في القرن الرابع م، قتل حوالي مائة وستين ألفاً في بلدات شمال العراق، وأكثر من ثلاثين ألفاً في بلدات الفرات.
وقد أكّد المؤرخ العراقي المسلم المسعودي هذا الرقم:ـ (التنبيه والإشراف ص149).

(47) ـ عن استشهاد النساء القديسات، طالع كتاب:
ـ سبستين برك: قديسات وملكات، دار قدمس، حلب 2000.
ـ إيران في عهد الساسانيين ـ ص252 ـ 253.

(48) ـ لا زالت في كركوك كنيسة خاصة بشهداء تلك الحقبة، اسمها (الكنيسة الحمراء):
https://www.qenshrin.com/church/church.php?id=637#.Xf9l2UdKhRY
كانت كركوك تُسمى باسم (كرخ سلوخ ـ قلعة السلوقيين ـ اليونان)، وقد شيدت فيها الكنيسة عند مقبرة (طهمازكرد) وهو القائد المجوسي الفارسي، الذي قام بإعدام عدة آلاف من مسيحي كركوك وضواحيها. لكن معجزة حصلت جعلته يعتنق المسيحية هو وجنوده، فتم إعدامه مع أنصاره وأصبح قديساً شهيداً. طالع كتاب:
ـ تاريخ الكنيسة السريانية، ص74، مصدر سابق.

كنيسة الأقيصر في كربلاء من أقدم كنائس العراق



تقع منطقة الاقيصر إلى الشمال الغربي من حصن الأخيضر وبحدود (1 كم) عن بحيرة الرزازة، وهذه المنطقة عبارة عن تلول أثرية ومقابر مسيحية قديمة، وقد تمخضت أعمال التنقيب في التل الرئيسي عام 78 ـ 79م عن اكتشاف كنيسة عراقية آرامية تعود للقرن الأول الميلادي وعليها كتابات وصلبان محفورة على الجص.

3 ـ السريانية لغة وطنية: دينية وثقافية[49]

في هذه الفترة حملت اللغة الآرامية تسمية جديدة هي (السريانية). هنالك العديد من الفرضيات حول منشأ كلمة سرياني أو سريان فيعتقد البعض أن السريانيين سمّوا بهذا الاسم نسبة إلى سوريا. فباللغة السريانية يقال للشخص السرياني ܣܘܪܝܝܐ Suryoyo أي سوري. أطلق مصطلح (السريان) و(السريانية) منذ القرنين الثاني والثالث الميلادي على الآراميين وعلى الآرامية أي على اللغة والثقافة التي سادت المنطقة، بينما بقي الاسم الآرامي القديم غير مستحب ومرتبطاً بالوثنية، وبالتالي يحسب السريان أنفسهم ورثة الآراميين مباشرة. تبنّى اليهود هذه اللغة حيث حلت محل لغتهم العبرية واقتصر استعمالهم للعبرية فقط في الصلاة وفي قراءة كتبهم المقدسة، ومن المعروف أن السيد المسيح تكلم السريانية، فقد كانت اللغة الدارجة الاستعمال في الحياة اليومية بين

(49) ـ لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا (موسوعة اللغات العراقية ـ ملف السريانية).

اليهود. كذلك استعملها السريان كلغة طقسية في الكنيسة منذ بداية المسيحية، كما كتب بها آباء الكنيسة السريانية مؤلفاتهم العلمية والدينية، كما قاموا بنقل الكتاب المقدس إلى السريانية بنقول مشهورة كالبسيطة، وأيضاً قاموا بترجمته للغات عديدة كالعربية والفارسية والمليالم (لغة جنوبي الهند)، ولا يزال أبناء هذه الكنيسة في كل مكان يقيمون طقوس صلواتهم باللغة السريانية إلى جانب لغاتهم المحلية الوطنية. كذلك دونت بهذه اللغة كتب (المانوية) التي ساهمت بنشرها مع المسيحية. [50].

4 ـ الديانة الصابئية (المندائية)[51]

هذه الديانة تعتبر واحدة من أقدم الديانات السماوية (العرفانية) في العراق، وربما قد سبقت المسيحية، ولكن وجودها الواضح يعود إلى هذه الفترة (الآرامية ـ المسيحية). لغة الصابئة هي اللغة الآرامية الشرقية (العراقية) المتأثرة كثيراً بالأكدية، وهي نفس اللغة التي يستخدمها الصابئة المندائيون اليوم في كتبهم ونصوصهم الدينية. لقد امتهن المندائيون في تلك الحقبة نسخ العقود والمخطوطات وكتابة الرقى وأولعوا بالأرقام ومراقبة النجوم وأفلاكها وزاولوا الطب بنوعيه الروحاني والسريري (الأشيپو والآسي) والتي ورثوها عن الأكديين.

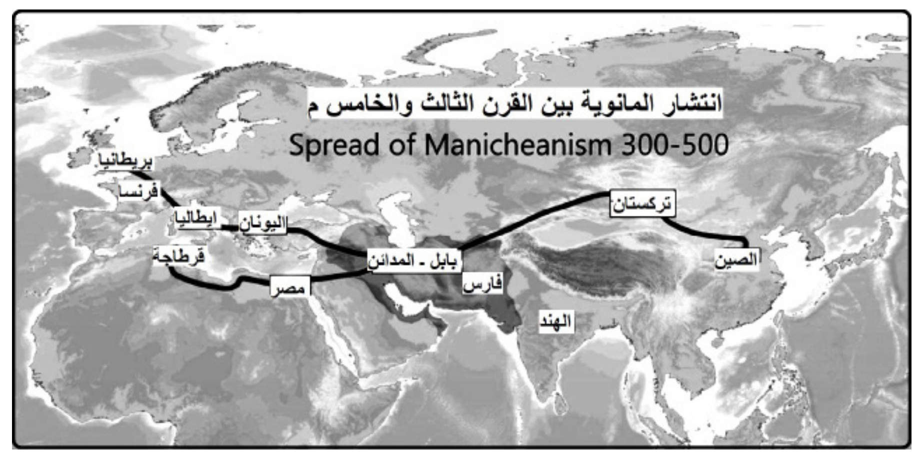
في زمن الدولة الساسانية تمتع المندائيون تحت حكم الملك أردشير الأخير بحماية الدولة (الإمبراطورية)، ولكن الأمر تغير حين جاء إلى السلطة الملك بهرام الأول سنة 273، إذ قام بإعدام (ماني) في بداية حكمه بتأثير من الكاهن الزرادشتي الأعظم (كاردير)، وامتد الاضطهاد الساساني الديني ليشمل أتباع الديانات الأخرى غير الزرادشتية مثل المندائية والمانوية واليهودية والمسيحية والهندوسية والبوذية.

(50) عن الثقافة السريانية في العراق قبل الإسلام، طالع:
ـ اللغة الآرامية وأثرها في اللغتين العربية والفارسية.
كتاب مهم وغني ودراسي، وهو أيضاً موجود كاملاً في الإنترنت:
مازن محمد حسين وإياد محمد حسين: مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية ـ بغداد.
ـ تاريخ الكنيسة / مصدر سابق.
ـ تاريخ الأدب السرياني / روبنسن دوفال / مترجم.
كذلك ابحث: تاريخ اللغة السريانية.

(51) ـ لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا (موسوعة اللغات العراقية ـ ملف الصابئية). كذلك:
_ Handbook of Classical and Modern Mandai, Berlin 1965
_ cf. René Grousset, Histoire de l'Arménie, Payot, 1984

ويمكننا أن ننتهي إلى أن المندائيين قاموا بجمع تراثهم وأدبهم الديني وترتيبه وحفظه، وهذا واضح في الجهود المكثفة التي قام بها الناسخ (زازاي) في هذا المجال، وبالرغم من حملة الاضطهاد الشعواء التي قادها الحبر الأعظم للزرادشت (كاردير) إلاّ أنه لم يستطع القضاء تماماً على المندائية، ولكن التدوين توقف تماماً لعدة قرون، ولم نشاهد التأثيرات والكتابات المندائية إلاّ فيما يسمى بأوعية (قحوف) الأحراز والأشرطة الرصاصية. إن المدونات المندائية التي عثر عليها كانت جميعها قد نشأت في بلاد النهرين والتي يعود بعضها إلى القرن الرابع الميلادي، والقسم الأكبر قد دون قبل ظهور الإسلام، إلاّ أن محاولات التأليف المندائية لم تنقطع بظهوره، وإنما واصلت أعمالها تحت ظله إلى ما بعد قرون عديدة.

5 ـ المانوية البابلية[52]



تعتبر المانوية ديانة عرفانية (صوفية)عراقية وطنية صميمة، لغة وثقافة وإدارة. ظهرت كديانة عراقية انتشرت عالمياً وقد أصبحت (كنيسة بابل) المقر العالمي لهذه الديانة، ورغم قلة الوثائق وعمليات التعتيم والتشويه، إلاّ أن هنالك معلومات أساسية يتفق عليها جميع المؤرخين:

(52) ـ لقد اعتبر بعض المؤرخين أصل (ماني) إيرانياً، دون أي مصدر واحد يؤكد ذلك. فكل تفاصيل حياته ولغته وديانته تؤكد أنه عراقي.
إن (وثيقة ماني كولونيا: Cologne Mani – Codex) هي أقدم وثيقة عثر عليها في مصر تعود إلى القرن الخامس م (مكتوبة باليونانية ومترجمة عن السريانية)، وهي الوحيدة التي تتحدث بالتفصيل عن حياة ماني، ولا تشير بأي كلمة إلى أنه من أصل إيراني، بل إنه ولد ونشأ في العراق من عائلة تنتمي لطائفة مسيحية معمدانية (الصابئة).

ولد (ماني) في 14 نيسان عام 216 ميلادية، قرب (المدائن) التي كانت مركز ولاية بابل والعاصمة الثانية للإمبراطورية الإيرانية، ولهذا يطلق على هذا النبي لقب (ماني البابلي)[53]. ويقول عنه المؤرخ العراقي العباسي (ابن النديم) في (الفهرست): ((نبي الله الذي أتى من بابل))[54]. وكان دين عائلته عراقياً قديماً (عبادة الكواكب)، وفي سن الرابعة رحل به أبوه إلى إحدى قرى ولاية (ميسان) في جنوب العراق. هناك نشأ (ماني) على الدين الصابئي، وفي سن الشباب أخذ (ماني) يتنقل في أنحاء النهرين واستقر في (المدائن) جنوب بغداد حيث أنشأ كنيسته التي أطلق عليها (كنيسة بابل)، وأصبحت المرجعية العليا لجميع الكنائس المانوية في جميع أنحاء العالم من الصين حتى أسبانيا وبلاد الغال، واللقب الذي كان يُعرف به هو (ماني حيا) أي (ماني الحي)، ومنه أتى المصطلح اللاتيني لهذا الدين (Manicheisme) أي (ماني ـ حيا ـ سيم)[55].



كان المسيحيون يشيعون بأن اتباع ماني يتعبدون لتمثاله. هذا رسم من كتاب اوربي من عام 1701 (56)

(53) ـ نحن نستخدم كلمات (نبي ورسول) ليس بغرض التمجيد، بل ندونها كما هي واردة في المصادر القديمة.

(54) ـ فهرست ابن النديم ـ ص 391 ـ 393

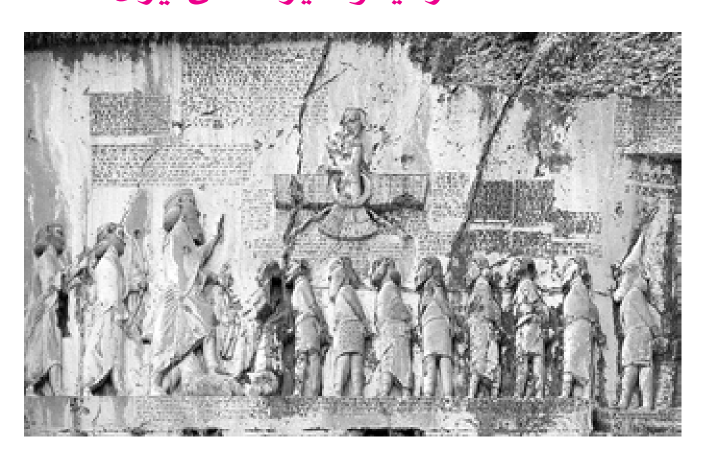
(55) ـ عن (المانوية: Manicheisme) هنالك معلومات كثيرة في جميع اللغات. طالع مثلا:
ـ الموسوعة الكونية الفرنسية ـ جزء 11 ـ ص 646.
ـ للتفاصيل طالع: كتابنا (الذات الجريحة ـ الفصل الثاني ـ ملحق المانوية).
كذلك:
ـ François Decret, Mani et la tradition manichéenne, Seuil, Points Sagesses, 2005

(56) ـ هذه الصورة من كتاب «تاريخ الكنيسة والهراطقة»، ج1: جوتفرايد أرنولد، 1701
ـ "History of the Church and Heretics" book, Volume I, by Gottfried Arnold, 1701

يتفق المؤرخون جميعهم على أن اللغة الأم للنبي (ماني) ولغة كتبه السبعة وإنجيله المقدس، هي (اللغة السريانية) العراقية، وقد ترجمت جميع كتبه فيما بعد إلى اللغات الفارسية والتركية (الإيغورية) واليونانية واللاتينية والقبطية، ومن بين الأقوال القليلة التي توثقت لهذا النبي، ثمة القول التالي الذي يحدد فيه الهوية العراقية لدينه: ((إن الحكمة والمناقب لم يزل يأتي بها رسل الله بين زمن وآخر، فكان مجيئها في زمن على يد الرسول (بوذا) إلى بلاد الهند، وفي زمن على يد (زرادشت) إلى أرض فارس، وفي زمن على يد (عيسى) إلى أرض المغرب (الشام)، ثم نزل هذا الوحي وجاءت النبوة في هذا الزمن الأخير على يديّ أنا (ماني) رسول إله الحق إلى أرض بابل...))[57]. ثم إن الأكثر من كل هذا، إصرار (ماني) على جعل بابل مقر الكنيسة الأم ومركز المرجعية الدينية والحوزة العلمية لجميع الطوائف المانوية في العالم، وبقي هذا التقديس الخاص لبابل لدى المانويين حتى نهايتهم بعد ألف عام.

بعد أن انتشرت ديانته في كل مكان، وفي تاريخ غير محدد بصورة تامة، بين (274ـ277) ميلادية، تم صلب (ماني) على أحد أبواب مدينة بيت العابات (جندشابور) في الأحواز.

الثقافة العراقية وتأثيرها على ايران



احتاج الايرانيون اكثر من 2500 عام بعد العراقيين، كي يعرفوا الكتابة، بعد احتلالهم بابل. إذ تبنوا الخط المسماري واللغة الاكدية. هذا (نقش بيستون: كرمنشاه) الذي يعتبر من اقدم نصوصهم، وفيه يتكلم الملك (دارا الاول 550 ق.م) عن اعماله. وتكمن قيمة هذا النقش انه مكرر باللغات: الاكدية والاخمينية: (شبه الفارسية) والعيلامية الاحوازية، وبفضله تمكن العلماء من فك رموز الكتابة المسمارية.

(57) ـ (راجع: إيران في عهد الساسانيين، ص 172).

التاريخ يظهر لنا نوعين من التأثير الثقافي[58] والحضاري للدول التي تحتل بلداً آخر: اما ان تنقل له ثقافتها وحضارتها، او بالعكس تأخذ منه ثقافته وحضارته، حسب الرصيد الثقافي لكل منهما. مثلا ان (الدولة الرومانية) بعد احتلال (اليونان)، قد اقتبست منها الحضارة اليونانية لتخلق منها: (الحضارة اليونانية الرومانية).

نفس الامر ينطبق على حالة الاحتلال الفارسي الساساني للعراق. [59] إن أسطع دليل على مدى فقر الثقافة الفارسية انها كانت عاجزة حتى عن ترك وثائق تسرد تاريخها. إن تاريخ الساسانيين تمت كتابته أساساً بالعربية بعد الإسلام بالاعتماد على شهادات الناس والمصادر السريانية واليونانية[60].

في هذه الحقبة ظهرت بوضوح اللغة الجديدة التي سميت بـ (البهلوية) وأيضاً أطلق عليها المؤرخون (الفارسية الوسطى) وهي استمرار معدل للغة السابقة (الفرثية)، واستخدموا بكتابتها (الخط السرياني: العراقي السوري). من الأمور المدهشة في (اللغة البهلوية) ودليل لا يصدق على مدى جمود الخيال الإيراني في ذلك العصر، تقيدهم بأسلوب عجائبي يعرف باسم (هزوارش hozvâresh)، أي: كتابة الكلمة الفارسية بنفس حروف الكلمة السريانية ولكنهم ينطقونها بالفارسي. مثلاً: كلمة (لحم)، فإنهم يكتبونها تماماً بالنطق السرياني: (بسرو، أي بشرة: جلد أو لحم)، ولكنهم ينطقونها بالفارسي (gousht ـ كوشت)! كذلك تسمية (شاهنشاه ـ ملك الملوك)، فإنهم يكتبونها (ملكن ملكا) السريانية لكنهم ينطقونها (شاهنشاه)! ولهذا بقيت هذه اللغة عصية على عموم الإيرانيين، وتحدد استخدامها ببعض الأمور الإدارية والدينية[61].

---

(58) ـ تعمدنا استخدام كلمة (ثقافة) بدلاً من (حضارة)، لأن هذه الحقبة السابقة للاسلام، لم تنتج (حضارة) بل (ثقافة) ظلت تتغذى على الحضارة العراقية والشرقية السابقة، وكذلك الحضارة اليونانية المجاورة، أي أشبه بـ(الحقبة العثمانية) التي لم تنتج (حضارة) بل بقيت تعتاش على ميراث الحضارة العربية الإسلامية السابقة، والاوربية المجاورة.

(59) ـ يستحيل الحديث عن (حضارة إيرانية) قبل الإسلام، وهي طيلة أكثر من ألف عام، لم تترك اسم عالم واحد، ولا نصاً علمياً أو دينياً أو أدبياً، بل مجرد نتف من النقوش البسيطة، عكس الثقافة السريانية المسيحية العراقية التي تركت لنا مئات النصوص الدينية والموسوعية والأدبية، التي نتداولها حتى الآن، لكنها رغم ذلك لم ترق إلى مستوى (حضارة ثرية وابتكارية).

(60) ـ عن كتابة تاريخ الساسانيين من قبل العرب المسلمين، طالع:
ـ كريستنسن: / ص 46 ـ 60.
كذلك: تاريخ الكنيسة السريانية ـ جزء أول ـ ص:67 ـ 70.

(61) ـ عن الخط البهلوي طالع:
ـ مجلة طهران بالفرنسية: Petite histoire de l'écriture en Iran/ Revu TEHRAN/ Arefeh Hedjazi
ـ كذلك طالع: الموسوعة البريطانية(Britannica: Pahlavi alphabet)

كذلك ظل العراق مقر النشاطات العلمية والحرفية، ومنه تعلم كهنة المجوس (التنجيم)، وكان معظم الأطباء من أبناء النهرين[62]، الطريف أن الشخصيات المبدعة الإيرانية في هذه الفترة، كانت فقط ممن نشأوا في العراق وتبنوا المسيحية واللغة السريانية، ومن أشهرهم (أفراهاط الحكيم الفارسي 270 ـ 346)، وهو راهب وكاتب مسيحي من أصل فارسي، ربما كردي، لأنه ولد وتربى في شمال العراق وصار أسقفا لـ (دير مار متي) في الموصل[63].



الزرادشتية: المجوسية بين الحقيقة والمبالغات



(62) ـ عن ثقافة الفرس زمن الساسانيين: من الغريب أن جميع النصوص التي يدَّعي بعض المؤرخين المتعاطفين مع الفرس أنها كتبت في هذه الحقبة، هي بكل بساطة ليس لها أي وجود وليس هنالك أي مصدر إسلامي مثلاً يدَّعي أنه اطلع على نسخها، بل كل الذي قيل ادعاء شفاهي بأنها كانت موجودة قبل الإسلام، وقد اعتمد على بعضها شفاهياً الشاعر القومي الفردوسي في الشاهنامة، وهذه النصوص المدعاة: الأفستا، وتراتيل مانوية، بالإضافة إلى (كليلة ودمنة) التي قيل: إن (ابن المقفع) قد ترجمها من البهلوية، ولكن لم يعثر لها على أي أثر، بل هنالك النسخة السريانية الأصلية التي يفترض بالحقيقة أنها كانت أول ترجمة للحكاية عن الهندية.
عن الوضع زمن الساسانيين:
ـ كريستنسن، آرثر ـ إيران في عهد الساسانيين ـ ص 22 ـ 23 ـ 162 ـ دار النهضة ـ بيروت.
ـ كان كهنة المجوسية يحرمون الاستحمام بالماء الساخن، لأنه يدنس (النار المقدسة) التي سخنت الماء. لهذا فهم لم يعرفوا الحمامات، وقد قام الكهنة بثورة ضد (الملك قباد) لأنه جلب نظام الحمامات من شمال بلاد النهرين:
ـ نفس المصدر السابق: حاشية ص 282.
ـ كذلك عن أهمية عاصمة العراق (قيطسفون ـ المدائن) زمن الساسانيين، طالع:
ـ كرستنسن / المصدر السابق: ص 367 ـ 372.
(63) ـ عن (أفراهاط الحكيم الفارسي):
ـ تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية / جزء 1 ت البير ابونا / ص 44.
ابحث عن تفاصيل حياته أيضاً بالإنكليزي:(Aphrahat)

مثلما يحصل غالبا مع تاريخ الاديان، العديد من المؤرخين تبنوا ادعاءاتها المليئة بالخرافات والمبالغات عن تاريخ (زرادشت وعقيدته). ولكن هذه الادعاءات ليس هنالك اي سند اثري او كتابي يدعمها. فحتى كتاب المجوسية المقدس (الافستا: الابستاق) متفق تاريخيا على انه دون لاول مرة بعد اكثر من ثلاثة قرون من الاسلام.[64] ولكن المجوس يدعون بانه كان مكتوبا وقد حرقه (الاسكندر المقدوني)، ثم كتبه وحرقه (المسلمون). كذلك ليس هنالك اي مصدر او شهادة تؤكد ادعاءهم. وحتى الآن لم يتم العثور على تلك (النصوص المجوسية الساسانية)، فأقدمها قد دونت بعد الإسلام، على أمل المحافظة على دينهم أمام اكتساح الإسلام وانتشاره السهل جدا بين المجوس[65]!

(64) ـ طالع كتاباً تفصيلياً مهماً عن تدوين الأفستا في العصر الإسلامي:
ـ تحريف الزرادشتيين للديانة الزرادشتية في العصر الإسلامي/ د. خالد كبير علال.

(65) ـ إن ما يسمى بكتاب المجوس المقدس (أفستا) لم يتم العثورعلى أي نسخة منه، والحجة التي أشاعها الفرس فيما بعد، أن (أفستا) كان موجوداً لكن اليونان قد أبادوا جميع نسخه. (وهذا فعل مستحيل، فلا بد أن يحتفظ بعض المؤمنين بنسخ في أي مكان، تحت الأرض أو الكهوف أو غيرها). طالع:
ـ آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص131 ،130.
ـ أقدم مصدر تم فيه ذكر اسم (زرادشت) يعود إلى القرن الرابع ق. م، إذ ذكر أحد المؤرخين اليونان أن الفرس يقولون: إن (زرادشت) عاش قبل ستة آلاف عام.
ـ L'Avesta, Zoroastre et les sources des religions indo ـ iraniennes par Jean Kellens
ثم إن الطائفة المجوسية بقيت حيّة وإن ضعفت وقل عدد أتباعها، لكنها من المستحيل أن تستمر بدون كتابها المقدس إذا كان فعلا مكتوبا!! ثم لماذا اضطروا إلى تدوينه في القرن الرابع الهجري، إذا كان موجوداً؟! وقد أضافوا إليه الكثير من المؤثرات الإسلامية والمسيحية، وادعوا أنها موجودة منذ القدم!
ـ مثلا، عن حكاية (المعراج) المجوسية، (أردا فيراراز ـ ناماغ) (كتاب أردا ویاراز)، فإن الباحثين اتفقوا على أنه دون في القرن الرابع الهجري بجانب كتابهم الأفستا. طالع:
ـ الموسوعة الإيرانية بالإنكليزية: encyclopaedia iranic/ مفردة(ARDĀ WĪRĀZ)
كذلك ابحث: Zoroastrian visions of heaven and hell/ The British Library
ـ إيران في عهد الساسانيين ـ ارثر كريستنسن ـ ص40 ـ ص41.
ـ عن مشكلة تاريخ زرادشت ونصوص المجوسية: هنالك جدل دائم بين المختصين الغربيين لتحديد الفترة التي عاش فيها (زرادشت) بعضهم يبلغ حد 2000 ق.م، وبعضهم يهبط إلى القرن الأول أي زمن المسيح! لأن المشكلة تكمن في عدم وجود أية أدلة آثارية وشهادات تاريخية على وجوده أصلا. (هيرودوتس الرابع ق.م) لم يتحدث عن زرادشت بل ذكر (دين الفرس)، و(إنجيل متي) يتحدث عن (المجوسية 1 /2ـ 16). أما الشهادات التي تذكر اسم (زرادشت) فهي باليونانية واللاتينية وتعود إلى القرن 1 م أمثال الإيطالي (Pliny the Elder) و(نيقولا الدمشقي)، وكلها نقلا عن مصادر شفاهية وأقاويل تتحدث عن زمن بعيد لقرون مختلفة. طالع بالفرنسي:
ـ Jean Kellens/ L'Avesta, Zoroastre et les sources des religions
ـ بل هنالك من يعتقد بأن هنالك (عدة زرادشت، وليس واحداً)، والطريف أن جدل المختصين يعتمد (فقط فقط) على تقدير تاريخ (لغة ومعاني) النصوص المنسوبة إلى المجوسية والتي تتحدث عن نبيهم. علما بأن =

في هذه الحقبة بالذات بدا التأثير العراقي على (المجوسية). فبفضل المسيحية والمانوية واليهودية، قرر (الكهنة الفرس) الاهتمام بديانتهم والعمل على تنظيمها. ففي هذه الفترة لاول مرة يتم الذكر الواضح اسم (زرادشت والزرادشتية)، ولهذا يعتقد المؤرخون أن (الساسانين) هم الذين منحوا هذه الديانة الإيرانية الشعبية الشفاهية صيغة رسمية منتظمة، وبدأوا بتدوين بعض نصوصها. ولأول مرة تم تشييد (معابد النار المجوسية)، وأشرف على هذا النهوض الديني المدعو (كارتير Kartir: القرن الثالث م)، وهو (الموبدان الأكبر: أي الرئيس الأعلى لكهنة المجوس)، الذي جهد لجعل المجوسية الديانة الرسمية للإمبراطورية، على أمل مواجهة الاكتساح المسيحي والمانوي القادم من العراق.[66]


نقش رجب في ايران(قرن 3 م)، يصور الكاهن كارتير يمجد انجازاته في تحديث المجوسية لمواجهة خطر المانوية والمسيحية واليهودية

= أقدم نسخ هذه النصوص الحالية يعود تاريخ كتابتها إلى ما بعد الإسلام، وهي نصوص (الخليقة: بنداهيش Būndahišn.). ابحث بالإنكليزي والفرنسي والألماني:

ـ Zoroaster

ـ كذلك طالع:

ـ آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص131، 130.

(66) ـ عن الدور الحاسم للكاهن كارتير في احياء المجوسية، طالع في ويكبيديا الانكليزية والفرنسية: Kartir

وعلى غرار شخصيتي (ماني البابلي) و(النبي عيسى) جهد المجوس لإبراز شخصية نبي خاص بهم أحيوه من تراثهم الشعبي: (زرادشت)، ربما من شخصية زاهد إيراني قديم مقدس. كذلك بدأوا بتدوين بعض النصوص الشعرية الدينية التي نسبوها لنبيهم بأسم: (الزند الزرادشتي: أبستاق ـ الافستا: Avesta)! الذي ارجعوه الى شخصية زرادشت، كما ارجع اليهود توراتهم الى موسى قبل قرون طويلة من كتابته الفعلية في بابل.

شخصيات تاريخية

خلال هذه المرحلة، برزت شخصيات عراقية، ثقافية وسياسية، من أشهرها:

أفرام السرياني (306 م ـ الرها 373 م)

من أعظم كتّاب وشعراء الشرق المسيحي. قد لُقِّب بقيثارة الروح القدس، أفرام هو قديس وأحد آباء ومعلّمي الكنيسة، ولد عام 306 م في مدينة نصيبين (شرقي نهر الخابور حالياً في جنوب تركيا)، من أسرة مسيحية. سميَ شماساً قبل عام 338 م وبقي كذلك حتى وفاته. أسس المدرسة اللاهوتية في نصيبين. لقد ترك لنا أفرام كتابات كثيرة لم تأخذ حقها من الدراسة، كانت كتاباته تدور حول المحور الأخلاقي. الكثير منها تُرجِمَ فوراً إلى عدة لغات منها اليونانية والأرمنية، ومن الجدير بالذكر أن الترجمة اللاتينية قد أُخِذَت عن هذه الترجمات.

شيرين الميسانية ملكة ساسان

(شيرين) هي بطلة الحكاية الأسطورية الشهيرة (شيرين وفرهاد) أو (خسرو وشيرين).[67] لا زالت هنالك خرائب على الحدود بين العراق (خانقين) وإيران، وهي بقايا قصر اسمه (قصر شيرين) وتحمل هذه المدينة اسمها، وهو القصر الذي بَنَتْهُ هذه الملكة، لتمضي فيه الصيف ليس بعيداً عن أهلها وناسها في أرض النهرين. وقد اتفق

(67) ـ حول اصل (شيرين) بعض المصادر تخلط بين الاصل (الآرامي) و(الارمني). لكن شبه المؤكد انها (آرامية مسيحية يعقوبية: مذهب سوريا ونينوى) واصلها من (منطقة ميسان: الاحواز ومدينة ميسان). طالع:
ḴOSROW O ŠIRIN - Encyclopædia iranica -

المؤرخون جميعهم على أنها آرامية مسيحية. أما بالنسبة لأصل موطنها، فهنالك أقلية من المؤرخين قالوا بأصلها الأحوازي، بينما الأغلبية اتفقوا على أصلها من منطقة (ميشان) أي (ميسان)، وتؤكد المصادر على أن (شيرين) رغم زواجها بإمبراطور إيران، إلاّ أنها فضلت دائماً السكن في بلادها العراق، وبالذات في (المدائن) على ضفاف دجلة، بل إنها أجبرت زوجها على السكن في هذه المدينة، رغم أنه كان متشائماً منها لأن المنجمين قالوا له: إنه سوف يقتل فيها، لكنه خضع لإرادة زوجته، حتى تحققت النبوءة وتم قتله في (المدائن) على يد ابنه.

أحيقار الحكيم[68]

رغم أن هذه الحكاية يعود تاريخ حدوثها إلى الحكم الآشوري في القرن السابع ق.م، إلاّ أنها اعتبرت من الأدب الآرامي، لأنها كتبت ونضجت في الفترة الآرامية، أي بعد عدة قرون. إنها أقدم نصوص القَصص الآرامية إطلاقًا والتي وصلت إلينا، والتي لا مجال للشك في صحتها. إن (أحيقار) هو كاتب الملك سنحاريب وحامل أختامه، وقد سجلها خطّاط آرامي على إحدى عشرة ورقة من البردي، عثرت عليها البعثة الألمانية سنة (1906 ـ 1908) في جزيرة الفيلة قرب أسوان المصرية التي كانت مقطونة باليهود ولغتهم العامية الآرامية، ومطلع الحكاية (قصة أحيقار الحكيم كاتب سنحاريب ملك آشور ونينوى) ونُقلت إلى العربية، بعنوان: (خبر أحيقار الحكيم وزير سنحاريب الملك ونادان ابن أخته).

الملك النعمان بن المنذر (582 ـ 609 م) و(معركة ذي قار 609م) الشهيرة

وهو من أشهر ملوك المناذرة، وقد حكيت عنه الكثير من الحكايات ومنها (يوما البؤس والنعيم)، هو باني مدينة النعمانية على ضفة دجلة اليمنى، والذي غزا مدينة قرقيسيا (بين الخابور والفرات). كان أبرش أحمر الشعر، قصيراً، وكانت أمه يهودية من خيبر. تحالف معه أسقف العراق (شمعون بن جابر)، وبسبب (النعمان) حدثت (معركة ذي قار) الشهيرة، وهي أول معركة في التاريخ ينتصر فيها العرب على الفرس،

(68) ـ راجع: ـ كتاب: حكيم من نينوى وأثره في الآداب العالمية القديمة ـ تأليف سهيل قاشا.

حيث انكسر جيش كسرى الجبار أمام تحالف القبائل العربية العراقية، وكان سبب المعركة أنه بعد سجن (النعمان) ثم إعدامه من قبل (كسرى) رفض شيوخ العرب بزعامة (هاني بن مسعود الشيباني) تسليم عائلة النعمان وأمواله إلى الملك الساساني الذي قرر معاقبتهم بجيشه الجبار في منطقة (ذي قار ـ الديوانية) القريبة من الكوفة، ويقال بأن النبي محمد (ص)عندما بلغه خبر الانتصار قال: (هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نصروا).

إسحاق السرياني أو إسحاق النينوي القطري

هو أحد أساقفة ولاهوتيي القرن السابع، ويعتبر من أكبر المعلمين الروحيين في الشرق المسيحي، وأقواله وكتاباته معروفة عالمياً، ولد في شرق الجزيرة العربية في المنطقة التي كانت تعرف قديماً بالسريانية (بيث قطرايي) أي (القطر البحري)، وهي منطقة تمتد مساحتها الجغرافية من الكويت شمالاً وحتى أقصى عُمان جنوباً. انخرط إسحاق في السلك الرهباني مع شقيقه وهو لا يزال شاباً يافعاً، وذاع صيته في المنطقة فاختير من قبل أهل نينوى ليرتسم أسقفاً عليهم، وكانت النسطورية حينها هي السائدة في تلك المدينة. نال رسامته من الجاثليق النسطوري جرجس بين عامي 660 و680، وبعد ذلك بخمسة أشهر فَرَّ إلى الجبال ليحيا حياة التوحد والزهد قبل أن يستقر أخيراً في دير رابان شابور حيث توفي ودفن هناك. كان قد أصيب بالعمى في أواخر أيامه فكان يملي مؤلفاته على تلاميذه.

يوسف الأحوازي مؤسس علم النحو الآرامي 580م

كان يوسف الأحوازي مدرّساً بجامعة نصيبين وهي جامعة كان يُدرَّس بها تفسير الكتاب المقدس والطب والفلسفة واللاهوت، بالإضافة إلى قواعد اللغة السريانية الآرامية، وتعتبر حينئذ من أفضل الجامعات في العالم. تقع بلدة نصيبين حالياً في جنوب شرقي تركيا. كان يوسف مدرساً بهذه الجامعة وهو من منطقة الأحواز وكان خبيراً باللغة والنحو والترجمة، وأقدم من يذكر ممن ألف في اللغة السريانية المشتقة من اللغة الآرامية، ويعتبر يوسف الأحوازي أستاذ مدرسة نصيبين (المتوفي 580م) صاحب أقدم مؤلف سرياني عُرِفَ في النحو.

الأميرة الراهبة هند ابنة النعمان

وتعرف في التاريخ بـ (هند الصغرى) تمييزاً عن (هند بنت الحارث). هند بنت النعمان بن المنذر ملك الحيرة، قيل عنها: إنها تزوجت من الشاعر عدي بن زيد العبادي، ثم قتله النعمان لوشايةٍ، ثم آثرت الترهب، وكانت هند تنظم الشعر الرقيق، ولدت ونشأت في بيت الملك بالحيرة. قيل: إنها ترهّبت لما حبس (كسرى) (النعمان الأصغر) أباها، ومات في حبسه. ترهّبت ولبست المسوح وأقامت في دير بَنَتْهُ بين (الحيرة) و(الكوفة)، عُرف بـ (دير هند الصغرى)، وهو من أعظم ديارات (الحيرة) آنذاك، التي جميعها غابت آثارها، وقيل: إن هند عاشت حتى زمن الحجاج بن يوسف الثقفي (95هـ)، وقيل: زارها سعد بن أبي وقاص عند دخوله الكوفة.



شمال العراق والأكراد في هذه المرحلة



الفكرة التي نكررها بخصوص دور الاكراد في تاريخ العراق: ان شعب العراق مثل غالبية شعوب العالم، اشبه ببحيرة كبيرة تغذيها مختلف الانهر الكبرى والصغرى والامطار، ومن الصعب ملاحظة نشاط مياه احد الانهر في داخل البحيرة. كذلك

من الصعب البحث عن دور مميز لـ(لأكراد) كجماعة متميزة، في التاريخ العراقي. مثل صعوبة تحديد دور (عشائر البادية) التي نعلم أنها طيلة تاريخ العراق، قد مدته بالهجرات الدائمة. وبالتالي فإن دور (البدو: الاموريين ثم الآراميين ثم العرب) في مختلف مراحل تاريخ العراق، لايحمل مباشرة أسماءهم، بل من خلال دور العراقيين بصورة عامة. نفس الحال بالنسبة لـ(الاكراد بدو الجبال) الذين استمروا طبيعيا بمد العراق بالهجرات الجماعية والفردية والانصهار في باقي (شعب النهرين) لغة وثقافة وعقيدة، كما رأينا مع (الكاشيين الجبليين) الذين حكموا (بابل) خمسة قرون. هكذا بين حين وآخر يعطينا التاريخ بعض اسماء الشخصيات والجماعات التي كما يبدو انها تعود باصولها القريبة او البعيدة الى المناطق الجبلية.

الامكانية الوحيدة، ان نعاين تاريخ المدن التي يقطنها الاكراد في العصر الحديث، اي شمال العراق مثل مدينتي (أربيل) و (كركوك):

حدياب وعاصمتها أربيل[69]

لا تذكر الوثائق التاريخية أي معلومة عن (الأكراد) ولا سكان جبال العراق في هذه الحقبة، لكن هنالك معلومات كافية عن مدينة (أربيل) التي شاع أيضاً اسمها كعاصمة لمقاطعة (حدياب) وهي المنطقة المحاطة من ثلاثة أطراف بنهر دجلة ونهري الزاب الأعلى والأسفل، وتمتد شرقاً الى الموصل لتصل إلى بحيرة أورميا. وهي مثل كل العراق في هذه الحقبة، يقطنها الناطقون بالآرامية، ولم تظهر فيها أية آثار كردية واضحة. وقد اشتهرت مع (نينوى) بأنها من أولى مراكز انتشار المسيحية في العراق، منذ نهاية القرن الأول الميلادي، لقربها من سوريا التي تأتي منها هذه الديانة الجديدة.

وقد نشأت فيها دويلة تابعة للفرث المحتلين للعراق، باسم (مملكة حدياب) أو أديابين، بين 15م ـ 116م. كانت عاصمتها أربيل. اسمها مشتق من اللغة الآرامية

(69) ـ ان كتابات الجغرافيين الإغريق والرومان مثل استرابون [ر] Strabon، بطلميوس المجسطي، بلينيوس[ر] Plinius من أهم المصادر التي تلقي الضوء على تاريخ مملكة أديابين. طالع:

ـ David BARISH, Adiabene: Royal Converts to Judaism in the First Century C.E., Study of Source (Cincinnati ـ 1983 (

ـ نوري بطرس عطو، تاريخ حدياب (أربيل 2011).

(حذاب، أو ذاب) أي (زاب)، وأطلق عليها البلدانيون العرب والمصادر العربية اسم (حزة) ويبدو أن هذا الاسم مصحف مع اختزال عن اسم حدياب، وتكتب بالسريانية: ܚܕܝܒ حَذياب. لقد تعاقب على حكم حدياب في هذه المرحلة، مثل باقي العراق: الإغريق والفرثيون والأرمن والرومان والساسانيون، حتى الفتح العربي الإسلامي. فبعد سقوط آخر دولة عراقية في القرن السادس ق.م وسيطرة الفرس الإخمينيين، اشتهرت هذه المنطقة بأكبر واقعة تاريخيةانتصر فيها الإسكندر المقدوني على داريوش الثالث ملك الاخمين: (معركة أربيلا سنة 330 ق.م)[70] وقد جرت في سهل برطلة (في الموصل حالياً). فتح الإسكندر (أربيل ـ حدياب) سنة 331 ق.م ومنها باقي بلاد النهرين، ليتخذ من (بابل) عاصمة لإمبراطوريته العالمية. وقد استمر حكم اليونان نحو قرنين، حتى مجيء الفرثيين ثم الرومان وبعدهم الساسانيون الذين انتهوا عند الفتح العربي الإسلامي للعراق.

وقد حفظ لنا التاريخ أسماء حكّام وملوك آراميين أربيليين كانوا يحكمون مملكة حدياب طوال العهد الفرثي، وهنالك ذكر لملكتها (هيلينا الحديابية) التي يعتقد بأنها يهودية في القرن الأول الميلادي حسب المؤرخ اليهودي يوسفوس، ومنهم على سبيل المثال (الأمير إيزاط) الذي حكم لغاية 60م وكان قد اعتنق المسيحية، وحكم ملك آخر من بعده يدعى (سين ـ طروق) بين (91 ـ 109) م، ثم الملك (رَقبختْ) الذي مات في الحرب ضد بدو الجبال سنة 149م. أما (نرساي) فهو أمير أربيل الآرامي العراقي الذي اعتنق المسيحية وصار حاميها، لكن ملك الفرث الإيراني قتله لعدم مشاركته إياه في حربه ضد منافسيه الفرس. معظم سكان المملكة كانوا من الآراميين الذين اعتنقوا المانوية والمسيحية في القرون اللاحقة، بالإضافة إلى أعداد من اليهود والفرس الزرادشتيين.

وكان لمملكة ميسان في جنوب العراق علاقات حميمة في بداية القرن 1م مع مملكة (حدياب)، وكان أحد الأمراء الحديابيين وهو (عيزات) قد قابل أحد التجار اليهود في ميشان واقتنع بالإيمان باليهودية، فلما عاد أصبح ملكاً على حدياب بين 30 ـ 36م بحسب ما جاء في كتاب (تاريخ يهودا) لفلافوس يوسف.

(70)ـ ويطلق على هذه المعركة تسمية ثانية(معركة كوكملا: Battle of Gaugamela)

الأسقف نوح الأنباري (القرن 2 م) اسقف حدياب

ومن شخصيات (حدياب) المعروفة الأسقف (نوح الأنباري) الذي ولد في الأنبار، وقام بالحج مع أبويه إلى أورشليم (القدس) حيث أصبح هناك مسيحياً، ثم عاد معهما إلى (حدياب) وزار أسقفها (إبراهيم) فأحبه جداً واصطفاه لخدمته ثم نصَّبه أسقفاً ليخلفهُ، وقاسى شدائد كثيرة فسُجن خمس دفعات وجُلد اثنتي عشرة مرة وآتاه الله تعالى موهبة صنع العجائب، فشفى أحد أبناء رز شاه وهو أمير إيراني مقيم في (حدياب ـ أربيل) وأقنعه بالمسيحية، ثم رحل (نوح) إلى الموصل ونشر المسيحية في قرية ريشي، ثم عاد إلى كنيسته في أربيل وتوفي سنة 181م، وابتنى النصارى فوق ضريحه كنيسة سمّوها باسمه.

كركوك



(الكنيسة الحمراء) في كركوك، نسبة الى دم الشهداء الذين تم اعدامهم من قبل الفرس

تعتبر كركوك من أهم مدن شمال العراق في هذه المرحلة، وكانت أيضاً ناطقة بالآرامية وبأغلبية مسيحية. هناك آراء مختلفة عن أصل تسمية المدينة، واسم هذه المدينة مرتبط بقلعتها الشهيرة (قلعة كركوك) النهرينية العريقة التي تقع في مركزها.

من المعلوم أن غاية تشييد قلعة كركوك ومعها قلعة أربيل، هي من أجل حماية بلاد النهرين من غزوات بدو الجبال، وكذلك قاعدة للتفاهم معهم وكسبهم إلى الحضارة النهرينية، وقد أنشأ هذه القلعة الملك (آشور ناصر بال الثاني (884 ـ 858 ق.م) فوق مستوطنة قديمة ورد اسمه في الألواح المستخرجة منه وعددها 51 لوحاً يعود تاريخها إلى منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد، تم العثور عليها في سفح القلعة عام 1923،

وتقول المصادر: إن البابليين سموها (أرابخا)، وسمى الآشوريون المستوطن القريب منها (أرافا)، والتي حرفت في التاريخ القريب إلى (عرفة).

وفي 311 ق.م. من الدولة السلوقية اليونانية تم تطوير هذه القلعة وأطلق عليها (كرخ سلوقس)، أي (مدينة سلوقس)، وتعتبر هذه التسمية منحوتة من التسمية الآرامية (كرخا ـ بيت سلوخ) ومنها يعتقد أتى اسم (كركوك). يعتقد التركمان أن المدينة سميت بكركوك لأول مرة في عهد دولة (قه ره قوينلو) حيث اشتق اسم المدينة من كلمة كرك التي تعني الجمال بالتركية القديمة.

إن كركوك من أكثر المدن العراقية التي قدَّمت شهداء مسيحيين، بسبب وجود حامية إيرانية فيها مع جماعة دينية مجوسية متعصبة أرادت القضاء على المسيحيين وتحويلها إلى مدينة مجوسية!!

فمثلاً في فترة ما يسمى بـ (الاضطهاد الأربعيني) الذي دام أربعين عاماً وشمل العراق بأكمله والذي بدأه الملك (شاهبور) في أوائل القرن الرابع م، قامت سلطات كركوك بالتعاون مع (الموباد ـ رجال الدين المجوس)، بشن حملات وحشية من إعدامات ومطاردات ومصادرة أملاك ضد المسيحيين، وقد قدمت المدينة الكثير من الشهداء وعلى رأسهم المطران الشهيد (مَعْن) رئيس الكنيسة. كذلك هنالك الكثير من الشهيدات المسيحيات اللواتي دخلن تاريخ القديسات الخالدات لدى المسيحيين العراقيين، مثل (باعوثا) وهي سيدة من عائلة نبيلة.

كذلك الشهيدات (ثقلا، دنَحة، طاطون، ماما، مزَحيا، وحنة، حابيت، حَساي ومزَحيا، شيرين) وجميعهن من الراهبات المكرسات اللواتي أقسمن على البتولية (العذرية)، وفي مكان استشهادهن نبتت شجرة تين أخذت تشفي كل من يلتجئ إليها. فلما رأى المجوس المعجزة التي حدثت، قطعوا الشجرة وأحرقوا المكان. لكن هذه البقعة بقيت مقدسة وتدعى (مكان شجرة التين)، وفي كل عام عندما تقام ذكرى إحياء اليوم العظيم للصلب، تصعد رعية الكنيسة بكاملها إلى مكان الاستشهاد.[71]

---

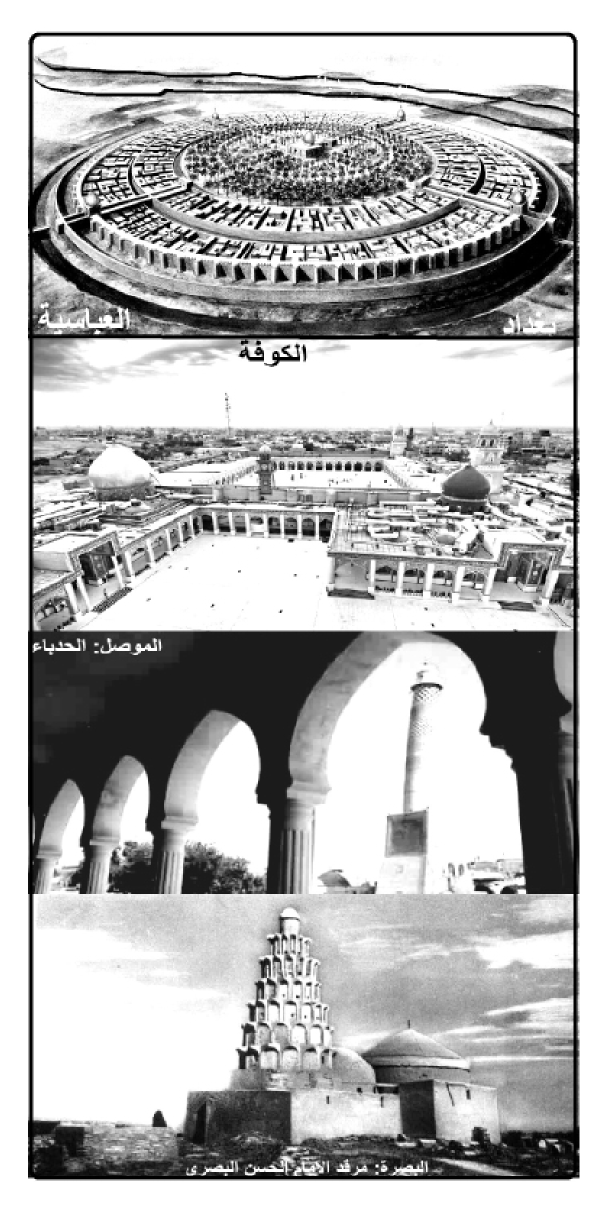
(71) ـ من معالم تاريخية كركوكلية (الكنيسة الحمراء ـ كنيسة قرمزي): وهي من آثار عمليات الاضطهاد الإيرانية ضد المسيحيين التي تأسست في القرن الرابع للميلاد، وتعرف أيضاً بمقبرة (طهمازكرد) وهو القائد المجوسي الفارسي الذي استشهد على يده عشرات الآلاف من مسيحيي مدينة كركوك وضواحيها، ويبدو أنه حينما =

لغز بطارية بغداد

في المتحف الوطني العراقي، توجد جرَّة صغيرة بحجم قبضة اليد تتكون من عدة قطع تعود للقرن الأول الميلادي في فترة حكم البارثيين. اكتشفت عام 1936م في قرية خوجوت رابه، قرب بغداد، وهناك حوالي 12 جرة أخرى مثلها. ظهرت عدة نظريات حول استخدامها، منها أنها كانت تستخدم في طلاء التماثيل بالذهب، أو ربما في العلاج الطبي حيث وجدت بعض الإبر قريباً منها، وهذا الاكتشاف يعني أسبقية العراقيين باختراع البطارية قبل (العالم فولتا) بحوالي 18 قرناً.

= أعدم امرأة اسمها (مرتا) مع طفليها، شاهد هو وجنده في السماء الملائكة ترفرف على الشهداء، قرر اعتناق المسيحية مع جنوده. لكن الإمبراطور الفارسي (يزدجر الثاني) أعدمه ودفنه في نفس مقبرة الشهداء، ومنذ ذلك الوقت يقام فيها احتفال ديني كبير في (25 أيلول) من كل عام. لكن هذه الكنيسة لم تعد موجودة حيث تحولت إلى مقبرة كبيرة للمسيحيين، وخاصة بعد أن تهدمت أثناء انسحاب القوات العثمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1918 بعد أن تحولت إلى مخزن للعتاد ثم انفجرت بكاملها. لكن اعيد تشييدها في اعوام 1924 و1948

4
المرحلة العربية الإسلامية



مراكز الحضارة العراقية العباسية: بغداد والكوفة والموصل والبصرة

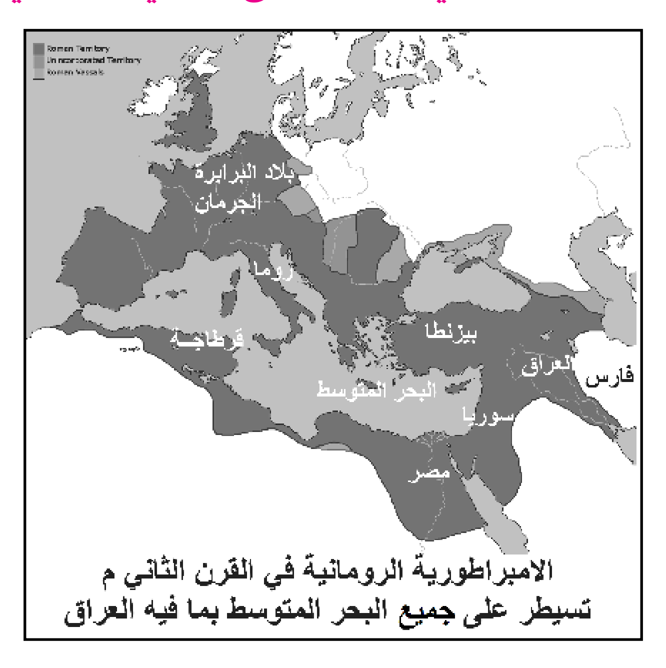
أما العراق فمنارة الشرق، وسرة الأرض وقلبها، إليه تحادرت المياه، وبه اتصلت النضارة، وعنده وقف حد الاعتدال، فصفت أمزجة أهله، ولطفت أذهانهم، واحتدت خواطرهم، واتصلت مسراتهم، فظهر منهم الدهاء، وقويت عقولهم، وثبتت بصائرهم. وقلب الأرض العراق، وهو المجتبى من قديم الزمان، وهو مفتاح الشرق، ومسلك النور، ومسرح العين، ومدنه المدائن وما والاها، ولأهله أعدل الألوان، وأنقى الروائح، وأفضل الأمزجة، وأطوع القرائح، وفيهم جوامع الفضائل، وفوائد المبراة، وفضائله كثيرة لصفاء جوهره، وطيب نسيمه، واعتدال تربته، وإغداق الماء عليه، ورفاهية العيش به.

(حكيم يصف لعمر بن الخطاب العراق وأهله: مروج الذهب للمسعودي، ج1، ص63).

***

توضيح: هنالك اعتراض من قبل البعض، على استخدام تسمية: (الحضارة العربية الإسلامية) وتفضيل تسمية (الحضارة الإسلامية) فقط.. لكن هنالك تبرير منطقي لاستخدام الصفتين(عربية إسلامية) معا:
أولاً، لأن (الاسلام) دين 90% من قادة هذه الحضارة ومبدعيها وصانعيها.
ثانياً، لأن (العربية) هي لغة 90% من إبداعاتها وعلومها وصانعيها مهما اختلفت لغاتهم الأصلية.
نحن عادة نتقبل تسمية: (الحضارة اليونانية او الاغريقية) رغم مشاركة جميع شعوب البحر المتوسط بصنعها، وليس الاغريق وحدهم، لكن لأنها استخدمت (اللغة اليونانية). نفس الحال تماماً بالنسبة لتسمية (الحضارة الرومانية) لأنها استخدمت (اللاتينية) لغة الرومان. ثم هنالك أمر مهم جداً يستحق الانتباه ودليل على الدور الحاسم لـ(اللغة العربية) في (حضارة الاسلام):
منذ اواخر الدولة العباسية بدأت تنشأ في بلدان آسيا المسلمة: (ايران وافغانستان وتركستان والهند، ثم في الأناضول) وغيرها، عدة دول وإمبراطوريات مثل (الصفوية والعثمانية)، كانت دينيا(مسلمة) لكنها تخلت عن (العربية) كلغة اساسية ثقافية واستخدمت اللغات الفارسية والتركية والهندوسية. وهي رغم جبروتها السياسي والمادي، إلّا انها عجزت عن ابداع (حضارة عالمية مزدهرة) بمستوى تلك التي كانت خلال قرون طويلة في ظل (اللغة العربية)!؟

الاساس التاريخي السابق للفتح العربي الإسلامي!



الامبراطورية الرومانية في القرن الثاني م
تسيطر على جميع البحر المتوسط بما فيه العراق

لكي نتفهم بوضوح أكثر هذه المرحلة يتوجب تفهم الوضع الذي سبقها وهيأ لها. إذ تعرض تاريخ الفتح إلى سوء فهم كبير من قبل القدماء والمعاصرين، بسبب المفهوم التقليدي للتاريخ ومتغيراته، الذي يقوم بالتركيز فقط على دور القيادات الدينية والسياسية وطموحاتها العقائدية والسياسية، أي تجاهل العامل الأول لجميع المتغيرات الكبرى في المجتمعات البشرية وظهور الدول والأديان:

ـ العامل التاريخي الجغرافي، المتمثل بتراكم الظروف والحاجة الطبيعية التي تحتم تخطي مرحلة معينة أصبحت عتيقة، إلى مرحلة اجتماعية وسياسية وعقائدية أكثر تلاؤماً.. أي بالضبط، نفس الحاجة الطبيعية التي تحتم انتقال الإنسان من مرحلة عمرية إلى أخرى: طفولة، مراهقة، شباب.. إلخ.. أي ما أطلق عليه في العصر الحديث:

عوامل التغيير الجذري والثوري، اجتماعياً وسياسياً وعقائدياً (أو دينياً)..

لأن جميع الانتقالات السياسية والحضارية والعقائدية في التاريخ، ما هي إلّا

ثورات طبيعية وثمار أنضجها الزمن وتراكم الأحداث، كان من السهل على الزعماء الدينيين وغير الدينيين قطفها وقيادتها.. إن الزعيم أو المصلح والنبي، مثل الفلاح، مهما كان ماهراً وقديراً، يستحيل عليه إنضاج الثمار قبل موعدها الطبيعي[1].

لهذا من الخطأ التعامل مع (تاريخ الأديان) بالتركيز فقط على إرادة وسياسة مؤسسي وزعماء ذلك الدين، سلباً أو إيجاباً، بل يتوجب معرفة المرحلة التاريخية بكل جوانبها الاقتصادية والسياسية وحتى الجغرافية، التي ظهر وسيطر فيها ذلك الدين (أو الفكر والنظام).

الظروف التاريخية

من المعلوم إن شعوب شرق المتوسط (العالم العربي الحالي) منذ القرن السادس ق.م قد فقدت دورها الحضاري وانتهت دولها التي سيطرت على المنطقة لعدة آلاف من السنين: النهرينية (العراقية)، والكنعانية، والمصرية، ثم آخرها (القرطاجية) في شمال أفريقيا. في نفس الوقت انبثقت أولى الدول (الآرية: الهندو أوربية)[2] في أوربا، وكذلك في الأناضول وإيران: اليونانية ثم الرومانية، التي سيطرت على عموم البحر المتوسط، الأوربي والشرقي، حتى الفتح العربي الإسلامي.. (العراق وحده، خلال هذه الحقبة تم احتلاله، من قبل إمبراطوريات إيرانية: إخمينية، وفرثية، وساسانية، تخللتها حوالي ثلاثة قرون احتلال يوناني). نفس الحالة الاحتلالية حصلت مع جميع بلدان الشاطئ الشرقي (العالم العربي الحالي).

لكن شعوب الشرق تمكنت بالتدريج من التعافي من جراح هزائمها التاريخية، والشروع البطيء بالنهوض، عبر مرحلتين متصاعدتين:

---

(1) ـ إن أفضل من أكد على العوامل التاريخية والطبيعية في تشكيل الأديان والحضارات، مؤرخنا (ابن خلدون: المقدمة)، والمؤرخ الإنكليزي (توينبي: تاريخ العالم)..

(2) ـ منذ أواسط الألف الثالث ق.م بدأت القبائل الآرية تخرج من موطنها جنوب روسيا (شمال بحر قزوين)، وبفضل اكتشافها استخدام الحصان وامتطائه للتنقل والحرب، تمكنت من غزو أوربا وآسيا، ويعتقد أن أولى هذه الجماعات هم (الحيثيون) في بلاد الأناضول بين 1600 ق.م ـ 1178 ق.م

المرحلة الأولى: المسيحية الشرقية وتأسيسها لنهضة الشرق

من المعلوم أن المسيحية ظهرت في القرن الأول الميلادي، حيث رعاها أساساً ونشرها أهل الشام وعموم شعوب شرق البحر المتوسط، وقد انتشر مبشِّروها وكنائسها في أنحاء الشرق[3]، وعموم أوربا ثم آسيا.

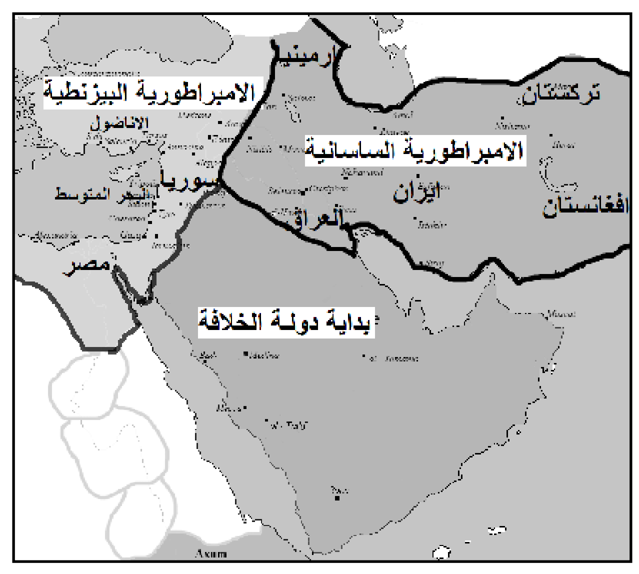
إن أعظم مهمة تاريخية أنجزتها هذه المسيحية الشرقية، أنها أتت كـ (تعبير ثقافي عقائدي) عن (بدء الصحوة) لدى شعوب الشرق بعد قرون طويلة من الانحطاط والاحتلال. فقامت هذه المسيحية بتضميد الجراح وبث روح السلام والثقة بوجود (إله تنويري) يدعو للمحبة والتسامح. وأصبحت الكنائس مراكز للتعليم والتفكير والفنون والآداب، وأنتج رجال الدين أعظم النصوص السريانية خصوصاً، كذلك القبطية، في مختلف المعارف الدينية والموسوعية والأدبية، وتمكنت بذلك من إحياء الهويات والخصوصيات الوطنية: دينياً، بواسطة المذاهب المسيحية الوطنية المستقلة عن الدول الحاكمة: (اليعقوبية الشامية، والقبطية المصرية، والدوناتية الشمال أفريقية، والنسطورية العراقية). كذلك إبراز (الهويات اللغوية) من خلال تنشيط وإحياء الآرامية السريانية في العراق والشام، والقبطية في مصر، والفينيقية الكنعانية في شمال أفريقيا[4]، وبسبب هذا الدور النهضوي للكنيسة، تعرضت إلى أشنع عمليات القمع والمذابح من قبل السلطات المجوسية الفارسية في العراق، بل حتى الدولة المسيحية البيزنطية مارست نفس الجرائم ضد مسيحيي الشرق، في الشام ومصر وشمال أفريقيا[5].

(3) ـ عن انتشار الكنائس المسيحية في الشرق: طالع:
ـ تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية ـ جزء أول ـ الأب ألبير أبونا ـ دار المشرق ـ بيروت ـ ط 3: 1992/ وهو موجود أيضاً على الإنترنت. كذلك طالع:
ـ دراسة جيدة وشاملة للمفكر اللبناني المسيحي «أدمون رباط»: (المسيحيون في الشرق قبل الإسلام).

(4) ـ عن استعمال الفنيقية في غالبية الكنائس في شمال أفريقيا (بعضها باللاتينية)، طالع:
- Païens et chrétiens: la religion et la vie religieuse dans/Robin lane Fox/ P288
- Revue Africaine V62 p340: H.Basset
- Saint Augustin et la survivance de la langue punique [article]/ Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles – Lettres Année 1950

(5) ـ عن اضطهاد المسيحيين الأقباط من قبل الرومان ثم البيزنط، طالع، كتاب:
ـ تاريخ الكنيسة القبطية ـ القس منسي يوحنا / ص180 ـ 190.

المرحلة الثانية: الفتح العربي الإسلامي وتحقيق الاستقلال السياسي والحضاري



ليس صدفة أبداً أن الإسلام اعتبر متمماً لأديان المنطقة (الإبراهيمية) لأنه حقيقة نتاج تراكمي لقرون طويلة من الثقافات والعقائد التي ورثتها وصنعتها شعوب المنطقة، بل حتى اللغة العربية، هي نتاج آلاف الأعوام من تطورات اللغات السامية وتمازجها مع اللغات الحامية، المصرية والبربرية.

إذن عندما أتى الفاتحون العرب المسلمون، مهما بَدا أنهم مدفوعون بروح العقيدة، أو الاستيلاء والمغانم، إلاّ أنهم في الحقيقة وبصورة غير واعية، ما أسسوا عقيدتهم الشرقية (الإسلام) وشرعوا بفتوحاتهم، إلاّ تلبية لذلك النداء التاريخي الخفي الذي كانت تئنُّ به شعوب الشرق تشكياً من ظلم واحتقار المحتلين الأجانب[6].

= ـ كذلك دراسة مختصرة من قبل الباحث (أحمد عثمان): حقائق عن اضطهاد الرومان لأقباط مصر/ جريدة الشرق الأوسط.

(6) ـ عن حال مسيحيي الشرق قبل الفتح، طالع دراسة جيدة وشاملة للمفكر اللبناني المسيحي «أدمون رباط»: (المسيحيون في الشرق قبل الإسلام)، التي يورد فيها هذا المقطع المهم جدًّا:
وحسبنا الاستشهاد ببعض الأقوال من هذا القبيل، كميخائيل السرياني، بطريرك السريان الأرثوذكس في القرن الثاني عشر، أي بعد خمسة قرون من الفتح، وفي تاريخه الطويل نجد عبارات استهجان لسياسة الروم، كالتالية:
(لأنّ الله هو المنتقم الأعظم، الذي وحده على كل شيء قدير، والذي وحده إنما يبدّل ملك البشر كما يشاء، =

نعم إن (المسيحية الشرقية) أنجزت الخطوة الأولى لصحوة شعوب الشرق والبدء بالاستقلال الثقافي الديني، ثم أتى (العرب المسلمون) لينجزوا الخطوة الثانية الكبرى والمنتظرة التي هيأت لها المسيحية: تحقيق الاستقلال الفعلي سياسياً وحضارياً، من خلال إسقاط الإمبراطوريتين المحتلتين الفارسية والبيزنطية، وتأسيس دولة جديدة يتشارك في تكوينها وقياداتها وجيوشها وفتوحاتها ومغانمها جميع شعوب الشرق حتى الذين لم يدخلوا الإسلام، وكانت العبارة السحرية العجيبة التي تسمح لمن يقولها أن يكون عضواً فعالاً في الدولة الجديدة، هي: (الشهادة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله).

وأكبر دليل على تمثيل هذه (الدولة العربية الإسلامية) لشعوب الشرق، أنها بسرعة فائقة تمكنت من نشر دينها الجديد والمتمم للمسيحية، بين هذه الشعوب التي انتقلت بغالبيتها المسيحية إلى الإسلام، لأنه يلبي مصالحها وطموحاتها التاريخية، ويصح القول: إن هذه المسيحية الشرقية هي التي هيأت هذه الشعوب لتقبل الإسلام الذي اعتبر نفسه متمماً للمسيحية؛ ولهذا فإن الشخصيات المسيحية (وكذلك من اليهود والصابئة وغيرهم) قد لعبت دوراً كبيراً في صنع هذه (الحضارة العربية الإسلامية)[7].

ثم إن الإسلام أتى كـ (حل وسط) للطوائف المسيحية الشرقية التي كانت تعاني من انشقاقات مذهبية شديدة وعنيفة متداخلة مع الصراعات الدامية المستمرة بين الإمبراطوريتين المحتلتين: البيزنطية والفارسية[8]، أي عكس (المسيحية الأوربية)

= فيهبه لمن يشاء، ويرفع الوضيع بدلاً من المتكبّر، ولأنّ الله قد رأى ما كان يقترفه الروم من أعمال الشر، من نهب كنائسنا ودياراتنا، وتعذيبنا بدون أيّة رحمة، فإنما قد أتى من مناطق الجنوب ببني إسماعيل، لتحريرنا من نير الروم... وهكذا كان خلاصنا على أيديهم من ظلم الروم وشرورهم وحقدهم واضطهاداتهم وفظاعاتهم نحونا).

وهي شهادة رهيبة، نجد مثلها، مما يتعلق بأقباط مصر، في تاريخ يوحنا النيقوسي، الذي تولى أسقفية نيقو في دلتا النيل، بعد فتح مصر بقليل، وكذلك في تاريخ سواروس الأشموني، الذي جاء من بعده، وهي شهادة لا شك بأنّها تدل على ما كان عليه مسيحيو مصر وسوريا والعراق من الشعور نحو البيزنطيين والفرس من جهة، وحيال العرب المسلمين من جهة ثانية.

(7) ـ عن إسهام المسيحيين في صنع الحضارة العربية الإسلامية، طالع:
ـ الأب البير أبونا: تاريخ الكنيسة السريانية ـ 3 أجزاء ـ دار المشرق ـ بيروت ـ 1986.
ـ نينا بيغوليفسكايا: ثقافة السريان في القرون الوسطى ـ دار الحصاد ـ دمشق ـ 1990.
ـ الأب جورج قنواتي: المسيحية والحضارة العربية ـ المؤسسة العربية ـ بيروت.

(8) ـ عن انشقاقات المسيحية الشرقية، ظهرت في الشرق مذاهب متنافسة عديدة ومعظم خلافاتها كلامية سطحية، مثل النسطورية والمنوفزية والثنوية والدوناتية والأريوسية، لكنها تغذى وتستخدم من قبل الإمبراطوريتين =

التي كانت أكثر استقراراً وتوحداً تحت سلطة كنيستين كبيرتين: الكاثوليكية في غرب أوربا، والأرثوذكسية في شرق أوربا.

حتى بالنسبة للشعوب (التركستانية والآرية) في إيران وأفغانستان وآسيا الوسطى والتي كانت خاضعة للإمبراطورية الفارسية (الساسانية)، فإنها سرعان ما تقبلت الإسلام والعربية وتخلت عن المجوسية[9]، لأنها كانت مسبقاً متقبلة سلمياً وبشكل كبير للمسيحية النسطورية (العراقية)، بالإضافة إلى أن اللغة الآرامية السريانية (العراقية) التي كانت اللغة الثقافية الوحيدة لجميع الإمبراطوريات الإيرانية[10]، ولأن الإسلام

= المتصارعتين: الفارسية المجوسية والبيزنطية المسيحية، اللتين تساوتا في تآمرهما وقمعهما لمسيحيي الشرق... طالع نفس المصدر السابق.

(9) ـ عن سرعة تقبل الإسلام من قبل الإيرانيين والتركستان، طالع مثلا:
ـ كتاب: الإسلام وإيران/ مرتضى مطهري/ الجزء الأول ـ ص70ـ 76/ مترجم عن الفارسية.

(10) ـ إن موضوع انتشار اللغة الآرامية السريانية والمسيحية العراقية في إيران وعموم آسيا، مهم جداً وأساسي لفهم المرحلة العربية الإسلامية، وهذه بعض المصادر المختلفة لعدة جوانب من هذا الموضوع الهام:
ـ اللغة الآرامية وأثرها في اللغتين العربية والفارسية/ مازن محمد حسين وإياد محمد حسين: مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية/ بغداد/ وهو أيضاً موجود كاملاً في الإنترنت.
ويبين فيه المؤلفان انتشار الأبجدية الآرامية بين الكثير من لغات العالم ومنها الفارسية والهندية والتركية القديمة. كذلك كيف أن الكثير من الكلمات العربية، التي احتسبتها القواميس بأنها من جذور فارسية، هي بالحقيقة (سامية ـ سومرية). مثل: آجر، أرجوان، أنجانة، أوزة، إيوان، بارية، بستوقة، تخوم، جاموس، جص، خان، زنبيل، وغيرها الكثير..
ـ عن انتشار التعليم بواسطة الكنائس، طالع كتاب:
ـ إيران في عهد الساسانيين/ مصدر سابق ـ ص35 و411.
لمزيد من الاطلاع على تاريخ الأدب السرياني في العراق وفي الشام، طالع كتاب:
ـ تاريخ الأدب السرياني: روبس دوفال ـ ترجمة لويس قصاب، بغداد 1992.
ـ كذلك: تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية/ مصدر سابق.
منذ القرن الرابع م ظهرت أسماء لامعة في مؤلفات الأدب السرياني، ومن أشهرهم: (أفرام السرياني، وبرديصان)، ووجدت في العراق أكثر من خمسين مدرسة صغيرة وكبيرة، مثل مدارس: (الرها ونصيبين ـ شمال النهرين) و(جندشابور ـ الأحواز) وقنسرين (سوريا)، وفيها يدرس اللاهوت والفلسفة وعلوم الطب والفلك والفيزياء والرياضيات والطبيعيات والتاريخ والآداب وغيرها.
ـ عن تأثير السريانية في الفارسية البهلوية، طالع كتاب: إيران في عهد الساسانيين/ آرثر كريسنر/ ص35 و67 و411.
ـ كذلك: الموسوعة البريطانية britannica: Pahlavi alphabet.
ـ كذلك موسوعة طهران بالفرنسية:
ـ Petite histoire de l'écriture en Iran/ Revu TEHRAN/ Arefeh Hedjazi
كل الآثار التي وجدت بهذا الخط البهلوي، هي عبارة عن نقوش متفرقة على (النقود)، و(الأواني)، وجرافيتي، والعديد من المنتجات الحرفية، وكذلك كتب الزرادشتية الموسعة بالفارسية الوسطى.
ـ يذكر الباحث الإيراني في جامعة طهران (محمود جعفري دهقي) في كتابه: «دليل النقوش الفارسية الوسطى البهلوية الساسانية»: أن كل ما تم العثور عليه من الكتابة البهلوية هي نقوش منتشرة، مثل نقش رستم في كازرون ومعبد زرادشت في سرمشهد كازرون وإقليد وبيشابور وكرمانشاه ورادكان في كركان وفي القوقاز =

قد حقق لهذه الشعوب خلال أقل من قرن، ما لم تحققه إمبراطورياتهم (الإخمينية والفرثية والساسانية) خلال ألف عام: انتماءهم لدين كتابي حضاري مساواتي معاكس تماماً للمجوسية التي كانت تحتقر الكتابة والمدنية، بل ترفض حتى دفن الموتى والاغتسال بالماء، مع واجب تقديس الملوك والنبلاء، والاحتقار العنصري الشرعي للفقراء[11].

والأهم في هذا، أن العرب المسلمين شجعوا هذه الشعوب على المشاركة الفعالة في إدارة الدولة الجديدة والاستفادة من مناصبها ومغانمها، وأكبر دليل أنها قد شاركت بصورة رائدة في صنع الحضارة العربية الإسلامية ونشر الإسلام في عموم آسيا. لكن تمايزها التاريخي اللغوي الثقافي، جعلها تتقبل العربية كلغة ثقافية دينية وليست شعبية، على عكس العالم الشرقي الذي تقبل شعبياً العربية وأصبح (العالم العربي).

= وحتى الصين...كتبت من قبل الملوك والقادة وكذلك التجار والمسؤولين وأخيراً النقوش الموجودة على شواهد القبور.

(11) ـ عن تخلف المجوسية وعموم الثقافة الإيرانية قبل الإسلام، طالع:

ـ آرثر كريستن ص131: يؤكد أن كتاب المجوسية قد دون في القرن التاسع م، أي بعد الإسلام بثلاثة قرون. كذلك ـ خرافة الوحي والنبوة والتوحيد في الديانة الزرادشتية/ د. خالد كبير علال/ ص17ـ 19.

ـ عن احتقار الفرس للكتابة، يقول المؤرخ (إيفار ليسنر Ivar Lissner) في كتابه المعروف والمترجم (الماضي الحي): إن الفرس كانوا ينظرون إلى الكتابة على أنها مهارة لا تليق بالرجال، إذ كانت الحرب والصيد والحريم أهم في نظرهم من الكتابة.، وأن ما يسيء إلى سمعتهم هو أن يحطوا بأنفسهم إلى درك وضع مؤلفات أدبية، ولهذا فإنهم لم يخلفوا لنا سجلات مكتوبة ذات شأن (ص124).

ـ طالع كذلك: إيران في عهد الساسانيين (مصدر سابق): ص400 و407 و413.

حتى تاريخ الساسانيين اعتمد على مصادر سريانية:

ـ نفس المصدر السابق ـ ص67.

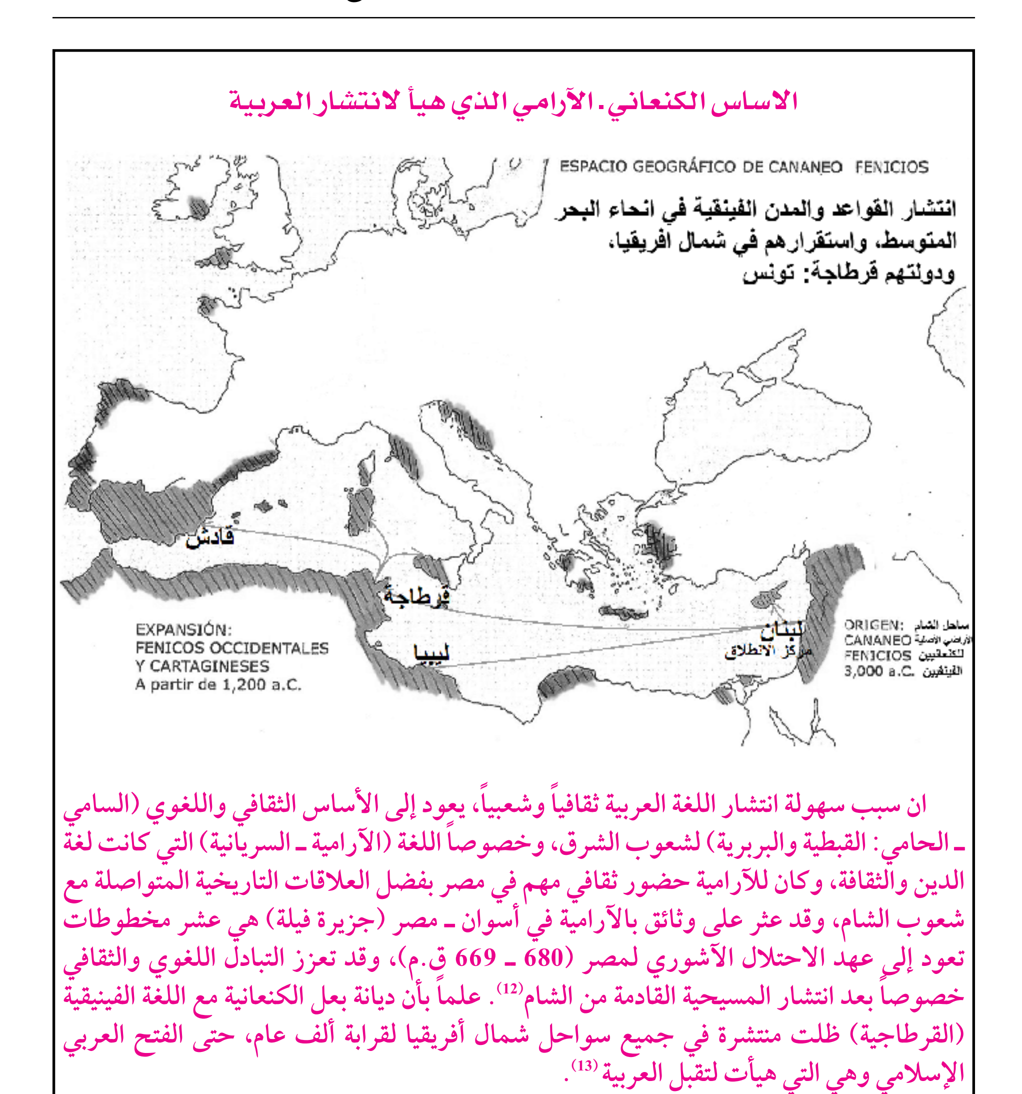
ـ عن انتشار المسيحية بين نبلاء الفرس:

ـ إيران في عهد الساسانيين (مصدر سابق):399 و410.

ـ من الطريف أن الدولة الفارسية قد ساهمت بصورة غير مقصودة بنشر المسيحية في أنحاء الإمبراطورية، من خلال سبي الجاليات المسيحية السورية في أنحاء الإمبراطورية. طالع كتاب:

ـ تاريخ الكنيسة السريانية ـ البير أبونا ـ ص23ـ 24.

ـ كذلك عن ضعف المجوسية وانهيارها قبل الإسلام: طالع: نفس المصدر السابق: ص431.



ان سبب سهولة انتشار اللغة العربية ثقافياً وشعبياً، يعود إلى الأساس الثقافي واللغوي (السامي ـ الحامي: القبطية والبربرية) لشعوب الشرق، وخصوصاً اللغة (الآرامية ـ السريانية) التي كانت لغة الدين والثقافة، وكان للآرامية حضور ثقافي مهم في مصر بفضل العلاقات التاريخية المتواصلة مع شعوب الشام، وقد عثر على وثائق بالآرامية في أسوان ـ مصر (جزيرة فيلة) هي عشر مخطوطات تعود إلى عهد الاحتلال الآشوري لمصر (680 ـ 669 ق.م)، وقد تعزز التبادل اللغوي والثقافي خصوصاً بعد انتشار المسيحية القادمة من الشام[12]. علماً بأن ديانة بعل الكنعانية مع اللغة الفينيقية (القرطاجية) ظلت منتشرة في جميع سواحل شمال أفريقيا لقرابة ألف عام، حتى الفتح العربي الإسلامي وهي التي هيأت لتقبل العربية[13].

* * *

(12)ـ عن العلاقات الثقافية والدينية بين الشام ومصر، طالع مثلا هذه الدراسة القبطية مفصلة: نبذة مختصرة عن العلاقات القبطية السريانية عبر العصور.

(13)ـ عن استمرار الكنعانية لأكثر من ألف عام في شمال أفريقيا: طالع:
- ماضي شمال أفريقيا ـ أ.ف. غوتييه ـ ص100ـ 101/ مترجم/ ص91.
- تغريبة الأدب الكنعاني: ألف عام وعام على ضفاف المتوسط الأفريقي/ حفناوي بعلي/ دار دروب.

سكان العراق قبل وبعد الفتح

الإسلام والتعريب في العراق[14]

((علم الأنساب: هذا علم لا ينفع، وجهالة لا تضر)). الرسول الكريم.

((فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون)) سورة المؤمنون101

هذه الاقوال الحكيمة، تنطبق على جميع أقوام وشعوب الأرض، إن الانتماء الجمعي، لا يتم عن طريق النسب والأصل العرقي، بل عن طريق المعيشة والاختلاط والتزاوج، التي مع الزمن تخلق مصالح وثقافة مشتركة، مع مشاعر بالانتماء الواحد. أما حكاية النسب، فإننا بعد الجد الثالث أو الرابع، ندخل في مجال الافتراضات والادعاءات، فكيف إذن الحال مع (الأصل القبائلي والأقوامي) الذي يدَّعي الانتماء إلى أجداد بعيدين إلى ما قبل قرون، بل آلاف الأعوام، مثل عدنان وقحطان ويعرب وإسماعيل...؟!

إنها محض خيالات وخرافات قد تخلت عنها غالبية شعوب الأرض، لأنها لم تعد نافعة، ثم إن البحوث الجينية في السنوات الأخيرة أثبتت عدم صحتها[15].

سكان العراق قبل الفتح

عندما دخلت الجيوش العربية الإسلامية إلى العراق وجدت أمامها حوالي سبعة ملايين من السكان العراقيين بأغلبيتهم الساحقة من المسيحيين (النساطرة) مع أقليات من الصابئة واليهود والمانوية، بالإضافة إلى بعض المجوس من الإداريين والعسكريين الإيرانيين (الدهاقنة)، وكانت لغة هؤلاء جميعهم هي اللغة السريانية (الآرامية) العراقية، التي سبق لها وأن سادت في الإمبراطورية الفارسية، وأصبحت لغة الثقافة الأولى جاعلة من اللغة الفارسية البهلوية محصورة في البلاط ورجال الدين المجوس (الموابد).

---

(14) ـ حول سكان العراق وأعدادهم، راجع:
ـ فيليب فارج: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي ـ الفصل الأول ـ دار ابن سينا ـ القاهرة ـ 1994.
ـ شارل عيساوي: تأملات في التاريخ العربي ـ الفصل الثاني ـ مركز دراسات الوحدة ـ بيروت ـ 1991.

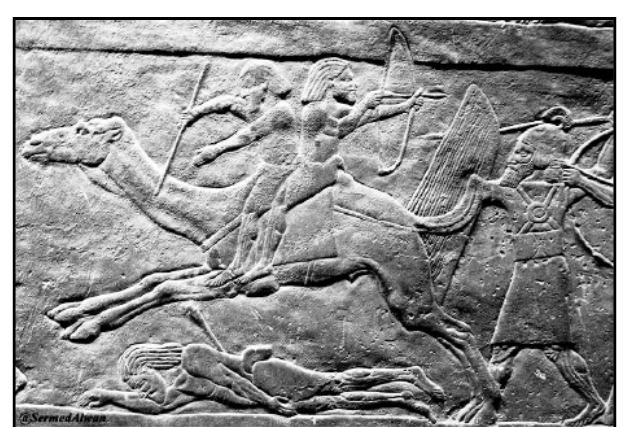
(15) ـ راجع بداية الفصل الأول من كتابنا هذا: سكان النهرين من الناحيتين الجينية والسلالية.

الطوائف في الفترة الاولى من الفتح العربي الاسلامي، بناء على تقديرات الضرائب المجتباة من السكان في الامبراطوريتين البيزنطية والساسانية، مع مصادر أخرى:

الاقليم	اجمالي السكان	المسيحيون	اليهود
شبه الجزيرة العربية	1 ملايين	100 ملايين	10 آلاف
سوريا	4 ملايين	حوالي 4 ملايين	40 ألفاً
بلاد النهرين	9 ملايين	حوالي 9 ملايين	91 ألفاً
مصر	اقل من 3 ملايين	اقل من 3 ملايين	27 ألفاً
الاجمالي	حوالي 16 مليوناً	اقل من 16 مليوناً	168 ألفاً

من كتاب ((المسيحيون واليهود في التاريخ الاسلامي ـ فارج وكرباج ـ ص 44 ـ 45))

من هم العرب والاعراب؟



أقدم نص مكتوب لتسمية: "عرب" في نقش الملك الآشوري شلمنصر الثالث عن (معركة قرقير 854 ق.م)، وانتصاره ضد ملك دمشق وحلفائه من القبائل الآرامية العربية، ومن بينهم "جندب"، ملك العرب، أو (ملك: عريبي). وقد وقعت في منطقة "قرقر"، قرب حماه. وهذا النقش ايضا هو من اقدم ما صور لـ(الجمل) ويمتطيه امير العرب.

((ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلَّم بالعربية، فهو عربي)) حديث شريف

هذا الحديث النبوي ينسجم تماما مع كل ما وارد في القرآن عن معنى: (عرب).

مما يجلب الانتباه ان جميع الآيات لم تطلق ولا مرة واحدة: (عربي) على شخص او قوم او مكان، بل جميعها تصف (اللغة) فقط:

((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [2 يوسف]/ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا [37 الرعد]/ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ [113 طه]/ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ [28 الزمر]/ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ [103 النحل] بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ [195 الشعراء] أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ [44 فصلت] [16]

ان هذا التحديد (اللغوي) لـ(عربي) من قبل القرآن ينسجم ايضا مع المفهوم الحالي لاصل الشعوب جميعها إذ قبل ان تتميز عن بعضها البعض بالعرق والشكل والاصل، تميزت اولا وقبل كل شيء بـ(لغتها الخاصة بها). وهذا يتفق مع الفكرة التي طالما دافعنا عنها: بأنه من العبث البحث عن (اصل العرب) من الناحية العرقية والاجداد الافتراضيين الاسطوريين مثل (عدنان وقحطان). بل من المجدي والمعقول البحث عن الظهور الاول لـ(اللغة العربية) وانتشارها ثم تميز الناطقين بها بلقب: (عرب) عن باقي الاقوام القريبة والبعيدة بلغتهم.

اقرب تشبيه لتكون الاقوام والتحالفات القبائلية الكبرى في العالم اجمع: انها اشبه بـ(الاحزاب في العصر الحديث) حيث ينتمي اليها كل راغب ومتفق، أفراداً وجماعات، يشتركون بالمصالح والتجاور والتحالف، وينصهرون في اسم مشترك ولغة وثقافة واساطير. وكلما استقووا كلما توسعوا، وانضمت اليهم جماعات اخرى جديدة مع مرور الزمن يحملون اسمهم ولغتهم واساطيرهم عن مهد واصل قديم واجداد مشتركين.

العرب والتعريب في العراق

بعد تحرير العراق أصبح جزءاً من الدولة العربية الإسلامية الآخذة بالتوسع حتى أواسط آسيا وشمال أفريقيا وجنوب أوربا، وقد استقر الجيش الإسلامي في معسكرين

(16) ـ باستثناء: عُرُبًا أَتْرَابًا [37 الواقعة]، وهي بالضمة وليس بالفتحة. وحسب اتفاق المفسرين المقصود بها وصف نساء الجنة المحبوبات الى ازواجهن: تفسير ابن كثير: ص 535

هما الكوفة والبصرة اللتان مُصِّرتا لتصيرا قاعدتين للجيوش ثم مقراً للإدارة. قسَّم عمر بن الخطاب الدولة إلى ولايات، فأصبحت الكوفة ولاية والبصرة ولاية، والجزيرة (الموصل) ولاية.

عملية التعريب كانت سهلة بسبب التقارب الكبير بين سكان الجزيرة العربية وأهل العراق بقسميهما الناطق بالآرامية والناطق بالعربية (مثل عرب الحيرة)، لغوياً وثقافياً واجتماعياً. خلال فترة وجيزة وبطرق سلمية عموما سيطرت اللغة العربية كلغة دينية على الحواضر العراقية مع بقاء اهل الريف على لغتهم الآرامية (النبطية).[17] وقد صاحبت التعريب، عملية انتماء أهل الحواضر ثم اهل القرى إلى القبائل العربية الفاتحة والشرفاء العرب الحاكمين من خلال ما يسمى بنظام (الموالاة والتحالف)، وخلال قرنين تقريباً أصبح غالبية سكان العراق المسيحيين الآراميين مسلمين عرباً![18]

بما أن موضوع (من هم العرب وأصلهم؟)، واسع ويخرج عن نطاق كتابنا هذا، نقول باختصار:

- إن العرب، مثل جميع شعوب وأقوام الأرض، من المستحيل البحث عن أصلهم العرقي الأنسابي، لأن الشعوب مثل البحار تتكون عبر قرون طويلة من مختلف الأصول واختلاطات الأنهر والمصبات والأمطار، وتمتزج لتنتمي إلى اسم ولغة وأسطورة عن أجداد مشتركين. إن أقصى ما يمكن أن يقدمه البحث التاريخي، هو أصل وتاريخ ظهور اسم العرب ولغتهم، وبعد الفتح الإسلامي، مع انتشار العربية والإسلام توسع عشرات الأضعاف الانتماء العربي بعد استعراب وأسلمة شعوب العالم العربي الحالي. مثل جميع شعوب الأرض، إن العربي الحالي، هو عربي كامل، ولكن ليس بالضرورة أنه منحدر من الجماعات العربية الأولى[19].

---

(17) - عن سكان العراق في هذه الحقبة طالع:
- تاريخ العراق الاقتصادي:عبد العزيز الدوري
- كذلك ابحث عن دراسة جيدة عن (نبط العراق): النبط تغييب الهوية والامتداد الاثني في العراق: حكمت البخاتي
- عن سهول التعريب يؤكد هذا الباحث المستشرق(المستشرق بارتولد): الحضارة الإسلامية ص30.

(18) - عن تعريب الانباط: Ency of Islam (art Nahw) T3.P. 894 – 895

(19) - بالحقيقة إن المعلومات عن أصل اسمي (عرب) و(أوربا) معروفة ومتفق عليها من غالبية الباحثين العرب والأجانب، ولكن حسب ظننا، نحن أول من انتبه وربط بين الاسمين بالمعنى والأصل.

ما الفرق بين (العرب) و(الاعراب: البدو)؟



«وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ... وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ». القرآن الكريم

إن «الاعراب»[20] إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب (المقدمة: 26)

هكذا فإن القرآن قد ميز بين العرب مثل جميع الاقوام المهاجرة التي ظهرت عبر تاريخ البشرية التي اجبرت على ترك موطنها والتنقل بحثا عن موارد الحياة. أي كانوا (قبائل رحل) يتنقلون في بوادي الشام والعراق والحجاز بحثا عن موارد الحياة.

ساد في العصر الحديث مفهوم تعسفي وعنصري يربط (العرب) وحدهم بـ(البدو). والحقيقة ان جميع شعوب الارض مرت بمرحلة (البداوة) بمعنى: (الناس الرحل: Nomad)[21]، اي: عدم الاستقرار بمكان ثابت وامتهان الزراعة، بل التنقل بحثا عن

(20) ـ لقد سمحنا لانفسنا بتعديل الكلمة من(العرب) الى (الاعراب)، إذ اتفق الباحثون وبالاعتماد على سياق كتاب المقدمة نفسه، ان(ابن خلدون) قصد استخدام هذه الكلمة(اعراب). لأن كلمة(عرب) ترد في كثير من مواضيع المقدمة بمعنى اهل الحضر والحضارة.

(21) ـ عن البدو: الرحل، ابحث مثلا عن كلمة:(Nomad) بمختلف اللغات الاوربية.

النبات ومراعي الحيوان. وكان تعريف مؤرخنا (ابن خلدون) اكثر واقعية وانسانية من مثقفي عصرنا، إذ قال:

((البدو يعيشون على المعاش الطبيعي من الزراعة والرعي والضروري من الأقوات والملابس والمساكن دون اهتمام بالكماليات، والمزارعون يقيمون في القرى والجبال وهم عامة البربر والأعاجم... والرعاة ينتقلون حسب الكلأ والمياه، وإذا كانوا رعاة أغنام وبقر فلا ينتقلون كثيرا، مثل البربر والترك والتركمان والصقالبة، أما رعاة الإبل فهم أكثر وأبعد في التنقل، فالإبل أصعب الحيوانات، فاضطر رعاتها إلى الابتعاد بها، فكانوا أشد الناس توحشا، وذلك ينطبق على العرب (الأعراب) وقبائل زناته بالمغرب، والأكراد والتركمان والترك بالمشرق. إلا أن العرب أكثر توغلا في الصحراء وأشد بأسا وذلك لأنهم تخصصوا في الإبل فقط، وغيرهم يرعى الشاة والبقر مع الإبل. وهكذا فجيل العرب طبيعي، لا بد منه في العمران)).[22]

بناء على هذا يصح الحديث عن عدة انماط من البداوة،: (عدم الاستقرار، والتنقل الدائم بحثا عن الصيد والكلأ)، ونحددها نحن:

- بدو البوادي، مثل العرب والطوارق واتراك آسيا الوسطى
- بدوالثلوج مثل (الاسكيمو) سكان القطب الشمالي
- بدو البحار، مثل (الفيكنغ) الجرمان الشماليين الذين غزو اوربا
- بدو الجبال، مثل (الاكراد) و (اللور) و (البختيار) في ايران..

اسما (عرب ARABE) و(أوربا Europe)

نفس الأصل والمعنى: غـرب EREB!

إن التاريخ يقدم لنا الكثير من الغرائب والطرائف التي لا تبدو معقولة، لكن التشابكات والصدف قد أدت إلى حصولها، ومن بين هذه المفارقات تلك العلاقة والأصل الواحد بين اسمي (عرب) و (أوربا)!

(22) ـ عن البدو: مقدمة ابن خلدون: الفصل الثاني: في أن جيل العرب في الخلقة طبيعي

لفهم هذا الموضوع يتوجب التوضيح الهام التالي:

إن حرفي (ع) و(غ) في اللغات السامية مختلطان، وتكاد اللغة العربية وحدها تحتوي على حرف الـ (غ)، فمثلا إن اللغة الأكدية تخلو من هذين الحرفين وتلفظهما (أ)، فكلمة: (عرب) و(غرب) تلفظان: (أرب)[23]. أما اللغتان السريانية والعبرية فتعتبران الحرفين واحداً هو: (ع). فكلمة: (عرب، عربو عربا) في السرياني تعني: (العرب، الغرب، الغريب)..

بالحقيقة إن اللغة العربية وحدها ميزت باللفظ كلمة (غرب) عن (عرب)، من خلال استخدام حرف (غ). وهذا التشابك بين الكلمتين: (عرب) و(غرب)، لا يكمن في الحروف، بل لأن الكلمتين فعلاً بالأصل كلمة واحدة في اللغات السامية، والسبب لأن سكان العراق الأوائل ربطوا بين (الغرب) و(البادية) التي تقع جهة الغرب: البادية الغربية[24]، كذلك الحال في العبرية القديمة[25].

إن هذه العلاقة بين كلمة (غرب) ومعاني (البداوة والتنقل والابتعاد)، منبعها من حالة (غروب الشمس) وابتعادها واختفائها في (ظلمات الغرب). أي أن الجهة الغربية دائماً مرتبطة بغروب الشمس وابتعادها!

المرة الأولى في التاريخ التي تم فيها ذكر اسم (عرب) في نقش الملك الآشوري (شلمنصر الثالث 858 ـ 824 ق.م.) أثناء حملته (معركة قرقور: قرب حماة) ضد (القبائل الشامية الآرامية) المتمردة، ومن بينها قبيلة عربية، كتب عنها: (أنا أحرقت 1200 مركبة بالنار و1000 جَمَل لـ: جنديبو عريبي ـ أي جندب العربي) وهو أقدم

(23) ـ عن خلو الأكدية من الحروف الحلقية، طالع مثلا:
ـ فقه اللغات العروبية وخصائص العربية: د. خالد نعيم الشناوي: ص58 ـ 61.
ـ مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب ج3 ص53.
ومن المعلوم أن اللغة العربية تتميز بوجود ستة أحرف تسمى «الروادف» وهي: ث، خ، ذ، ض، ظ، غ.

(24) ـ عن كلمة (عرب، عربا) بالسرياني:
ـ قاموس دليل الراغبين في لغة الآراميين سرياني ـ عربي ص 565 ـ 566، وقاموس الحسن بن بهلول، سرياني عربي عمود 1458.
ـ بنيامين حداد، قاموس روض الكلمات: عربي ـ سرياني ج1 ص 104، 604، ج2 ص704)، كلمات: غرب وصحراء وبيداء..

(25) ـ تاريخ اللغات السامية: أ، ولفنسون: ص164.

ذكر تاريخي لـ (عرب) و(جمل)؛ لأن استخدام الجمال ومعها الرحال (المقعد فوق ظهر الجمل)، بدلاً من الحمير، ارتبط بظهور العرب، فهذا الحيوان هو الذي ساعد هذه القبائل السامية المعتكفة والمنسية في البوادي منذ فجر التاريخ، على الخروج والتنقل السهل، والظهور كقوافل تجارية وقوى محاربة. بالضبط كما ساعد (استخدام الحصان) القبائل الآرية (الهندو- أوربية) على الظهور وغزو آسيا وأوربا والشرق الأوسط.

ويستمر ذكر (العرب) في النقوش العراقية دائماً مقترناً بـ (سكان البادية الغربية راكبي الجمال). فبعد قرن يتحدث ملك بابل عن حملته في (البادية الغربية جنوب الأردن): (أمّا شمسي، ملكة العرب في تلّ سقوري، فقد قتلتُ 9400 من مقاتليها، وأسرت مائة ألف من رجالها، وأخذت 30.000 من جمالها و20.000 رأس من قطعانها، و5000 حِقّ مليئة بالتّوابل، وأخذت آلهتها وممتلكاتها)[26].

إذن طبيعة اللغات السامية وتبادل حرفي (ع) و(غ)، وكذلك الوقائع التاريخية، تكشف لنا بوضوح العلاقة بين تسمية (عرب) و(غرب: بادية)، وليس صدفة أن أولى مواطن العرب التي تم ذكرها رسمياً في الإدارات اليونانية والفارسية والبيزنطية، هي: (عربايا) أي بادية أعالي الجزيرة غرب الموصل، وفيها تكونت مملكة (الحضر: بين القرون الثاني ق. م، والثاني م)، ثم (وادي عربة) جنوب غرب الأردن (غرب بلاد النهرين).

---

(26) - عن ذكر العرب في تاريخ العراق القديم:

- Retso, Jan (4 July 2013). The Arabs in Antiquity: Their History from the Assyrians to the Umayyads.

- Eph'al, Israel (1982). The Ancient Arabs: Nomads on the Borders of the Fertile Crescent, 9Th
5Th Centuries B.C

- يان ريتسو: العرب في العصور القديمة: 7007 - 1679 - 3، صفحة: 105.

- العرب في التاريخ: لويس برنار: ص9.

كذلك دراسة جيدة ومفصلة عن ذكر العرب في الحوليات الآشورية، وحضور العرب في العراق القديم:

- العرب وبلاد ما بين النهرين في الألف الأوّل قبل الميلاد/ الدكتور صباح الناصري.

مرتبطة بدراسة أصلية بالإنكليزية:

- THE ARAB CAMPAIGNS OF ASSURBANIPAL: SCRIBAL RECONSTRUCTION OF THE PAST/ Pamela Gerardi

ولا زال أهل العراق حتى الآن يسمّون: (البادية الغربية)، ويطلقون تسمية (الغربية) على سكان مناطق أعالي الفرات (الأنبار)، مقابل (الشروگية ـ الشرقية) سكان جنوب شرق العراق، وإذا أردنا تلفظ كلمة (الغربية) بالأسلوب الأكدي والآرامي فتكون: (عربيو)..

لهذا فإنه من المعاني العديدة لكلمة (عرب) و (غرب):

ـ الغرب: الغريب: أغرب، تغرب، أي ابتعد، (وهي معاني مرتبطة بالتنقل).

ـ العرب: أعرابي (بدوي)، العربة (أداة التنقل): العرّاب (الشخص الغريب الذي يكفل الطفل عند المسيحيين)[27].

اسم أوربا Europe أيضاً من كلمة (عرب: غرب: Ereb)[28].

يتفق الباحثون الأوربيون على إرجاع أصل هذه التسمية إلى الأسطورة اليونانية، المأخوذة من الفينيقيين الشاميين، والتي مختصرها: أن (أوربا ـ Erbe:عوربا، غوربا، أوربا)، أميرة فينيقية، ابنة ملك صور (لبنان)، عندما كانت تتمشى على شاطئ البحر، شاهدها (زيوس، إله اليونان) وانبهر بجمالها، فتنكر على هيئة ثور واختطفها نحو

(27) ـ هنالك شك من الباحثين بوجود حرف (غ) أصلاً في اللغات السامية، طالع بحث منشور: إشكال التبدلات الصوتية في اللغات السامية: الدكتور وحيد صفية.

(28) ـ جميع المصادر تتفق على هذه القصة، ابحث في العربي: (أسطورة اسم أوربا)، بالإنكليزي (Myth of Europa)

ـ لتسهيل الأمر على القراء، ولمن يعرف أية لغة أوربية، مثل الإنكليزية والفرنسية والألمانية، ليضع في البحث هاتين الكلمتين

كذلك ابحث عن (Europa) في الموقع الإنكليزي العالمي الخاص بأصل الكلمات: Online Etymology Dictionary.

وتقول موسوعة ويكيبيديا بالإنكليزية (Europe):

There have been attempts to connect Eurṓpē to a Semitic term for «west», this being either Akkadian erebu meaning «to go down, set» (said of the sun) or Phoenician ʽereb «evening, west»,[20] which is at the origin of Arabic Maghreb and Hebrew ma'arav. Michael A. Barry finds the mention of the word Ereb on an Assyrian stele with the meaning of «night, [the country of] sunset», in opposition to Asu «[the country of] sunrise», i.e. Asia.

كانت هناك محاولات لربط اوربا بمصطلح سامي لكلمة «الغرب»، من الأكادية (إريبو erebu) ويعني «النزول، والغروب» (يقال عن الشمس) وبالفينيقية «المساء، الغرب»، وهي أصل تسمية (المغرب العربي) والعبرية (معاراف). وقد وجد (مايكل أ. باري) ذكر كلمة Ereb على شاهدة آشورية بمعنى «الليل،]بلد[الغروب»، على عكس (آسو Asu)]بلد[شروق الشمس»، أي آسيا.

الشواطئ الغربية من البحر المتوسط، وتخليداً لذكرى هذه الأميرة أطلق الفينيقيون واليونان اسمها على (قارة أوربا).

من الواضح أن هذه الأسطورة تُعبّر عن (مشكلة غياب الشمس)، أي اختطاف (الأميرة غوربا: غروب) نحو الشواطئ البعيدة في (الغرب: أوربا). ليس صدفة أنه حتى الآن اسم (الغرب، وأوربا الغربية) شائع. على هذا الأساس اتفق غالبية الباحثين على أن (اسم أوربا) كلمة سامية (أكدية ـ فينقية) تعني (أرض الغروب: الغرب: أوربا: عوربا: غوربا)[29].

وعكسها الكلمة السامية الأكدية (آسو: Assu)، بالعربي (واسا، اسّ: شيّد، رفع) بمعنى (شروق الشمس وارتفاعها)، ومنها أتت تسمية (آسيا)، وهي (عكس أوربا)، أي الجهة التي (تتأسس وترتفع) منها الشمس بالنسبة لشعوب (شرق) البحر المتوسط[30].

(الموالي) و(الأعاجم) و(الأنباط)[31]

الموالي: رغم طبيعة العرب المتفتحة وسهولة امتزاجهم مع غيرهم، إلاّ أنه بسبب تعصب الأمويين للعنصر وتحزّبهم القبائلي العربي، سادت تسميات تحقيرية ضد السكان الأصليين وخصوصاً في العراق، بسبب تمردهم الدائم ضد الأمويين.

(29) ـ في السنوات الأخيرة هنالك محاولات فاشلة (معادية للعرب)، لإعطاء (أصل هندوأوربي: يوناني) لاسم (أوربا) وتقسيمه إلى مقطعين، ويعني: (الوجه العريض)، لكن غالبية الباحثين لا يعترفون بهذا الأصل بسبب لا منطقيته.

(30) ـ عن الأصل الأكدي الفينيقي لاسم (آسيا)، طالع مثلا ويكيبيديا الإنكليزية:

ـ List of continent name etymologies:

It could derive from the borrowed Semitic root «Asu», which means varyingly «rising» or «light», of course a directional referring to the sunrise, Asia thus meaning 'Eastern Land'.

ـ والفرنسية (Asie) تقول نفس الكلام:

ـ La première mention connue du mot proviendrait d'une stèle assyrienne qui distingue les rivages de la mer Égée par deux mots phéniciens: Ereb, le « couchant », et Assou, le « levant ».

(31) ـ حول سكان العراق في هذه الحقبة وتنوع مسمياتهم وفئاتهم، راجع:

ـ هشام جعيط: الكوفة، بيروت 2005.

ـ لويس ماسينيون: خطط البصرة وبغداد، ترجمة إبراهيم السامرائي، بيروت 1981.

ـ محمد سعيد الطريحي: الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها، بيروت 1981.

ـ ياقوت الحموي، معجم البلدان.

فقد أشيعت تسمية (الموالي)[32] على العراقيين الأصليين (الآراميين) الذين اعتنقوا الإسلام واستعربوا من خلال (موالاة) إحدى القبائل العربية أو الارتباط بأحد الأشراف العرب، وهذا يعني حمل اسم تلك القبيلة أو الشريف العربي، وبهذا خلال بضعة أجيال أصبح غالبية العراقيين الأصليين مستعربين ويدعون بالانتماء إلى القبائل العربية المعروفة، مثل طي وتميم وخزرج وغيرها.

ـ أعجمي: إن المؤرخين المعاصرين أساءوا عمداً وجهلاً فهم كلمة (أعجمي) معتبرينها تعني (فارسي، إيراني)، وهي بالحقيقة تعني (الجاهل باللغة العربية)، (أعجم الكلام أي أعربه)، وقد شاعت في العراق خصوصاً حيث أطلقها العرب على كل العراقيين الذين كانوا يجدون صعوبة في تكلم العربية، لأن لغتهم الأصلية هي الآرامية (النبطية).

ـ النبط، كثيراً ما يتم الخلط بين استخدامين لهذه التسمية:

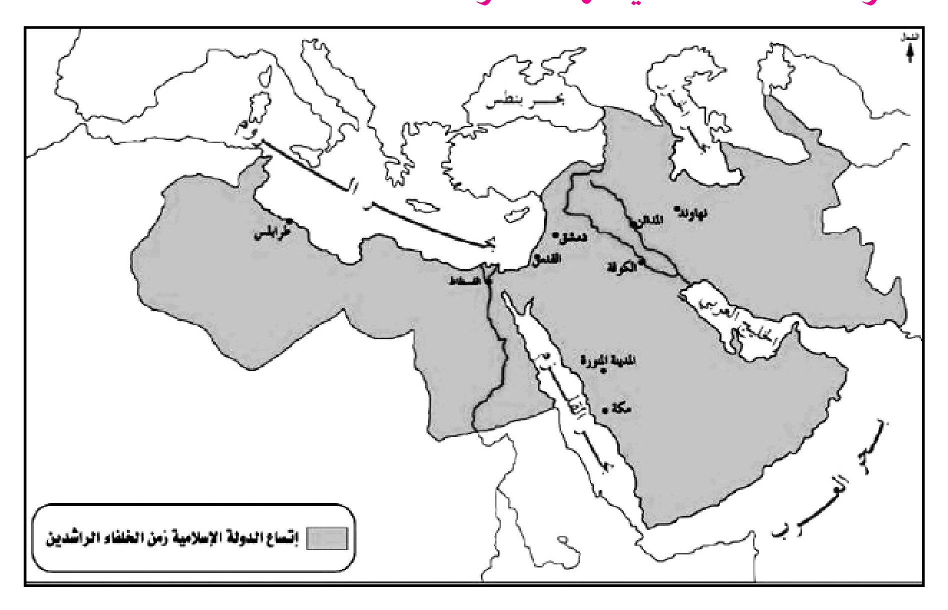
ـ نبط البتراء في الأردن الحالية ومملكتهم التي قامت بين (169ق.م ـ 106م)، وهم أول من أشيع عنهم هذا الاسم، وحسب مسمياتهم كانوا (عرباً) دون أن يتكلموا العربية، بل الآرامية، وكلمة (نبط) تعني (الحضر)، أي كل من (استنبط، استنبت الأرض) أي زرعها.. أي عكس البدو.

ـ أما (نبط العراق) فهي التسمية التي أشاعها العرب بعد الفتح، عن سكان العراق الناطقين بالسريانية، وليس هنالك تفسير واضح للسبب، ربما يقصدون بها الفلاحين (لأنهم يستنبطون، أي يستنبتون الأرض).

---

(32) ـ دراسة جيدة عن الموالي:
ـ دور العناصر غير العربية في الفتوحات الإسلامية في العصر الاموي/ امجد ممدوح الفاعوري/ المجلة الاردنية للتاريخ

الفترات الثلاث الأساسية لهذه المرحلة



ان السائد والرسمي هو التقسيم الثلاثي: (الراشدية والاموية والعباسية)، لكن نحن نعتقد بأن هذه المرحلة تنقسم الى قسمين:

ـ فترة تأسيس الدولة ثم الامبراطوية التي دامت 120 عاماً. وقد بدأها (الخلفاء الراشدون: 632ـ 661 م). ثم أتمها (الامويون:661ـ 750 م)) الذين شيدوا اكبر امبراطورية عربية اسلامية تمتد من حدود الصين الى حدود فرنسا. وقد لعب خلالها الشاميون والحجازيون الدور القيادي المركزي في الفتوحات والتنظيمات. وخلالها ظل العراق تابعا لعاصمة خارجه: (المدينة ثم دمشق).

ـ فترة التدوين وتأسيس الحضارة وازدهارها في ظل الخلافة العباسية في (بغداد) والتي دامت خمسة قرون (750ـ 1258 م). وقد لعب خلالها العراق والعراقيون الدور المركزي والاعظم.

فيما يخص العراق، فإن فترة التأسيس تنقسم الى:

1 ـ الفترة الراشدية (632 ـ 661م)

وهي فترة الخلفاء الراشدين الأربعة الذين خلفوا النبي محمداً في قيادة الدولة الإسلامية الناشئة، ودامت قرابة ثلاثين سنة: (11 هـ ـ 41 هـ/ 632 م ـ 661 م)، وتسمى

أيضاً فترة (صدر الإسلام)، والخلفاء هم: (أبو بكر الصديق)، (عمر بن الخطاب)، (عثمان بن عفان)، (علي بن أبي طالب). كانت (المدينة المنورة) عاصمة الخلافة، إلى أن اتخذ الخليفة الرابع والاخير (علي بن أبي طالب) مدينة (الكوفة) في العراق عاصمة له. في عهودهم تمت الفتوحات وتوسعت دولة الإسلام إلى خارج حدود شبه الجزيرة العربية.

فتح العراق وتحريره من الاحتلال!

يصح اعتبار (الفتح العربي الاسلامي) نوعا من التحرير وليس احتلالا جديدا:

ـ لأن الفاتحين العرب سرعان ما امتزجوا بالسكان الاصليين، الذين مجرد ما إن يعتنقوا الاسلام حتى يشاركوا في ادارة بلدانهم، بل قيادة دول مسلمة مستقلة خاصة بهم، كما حصل في غالبية البلدان التي ساد فيها الاسلام.

منذ البدء، كان قادة الإسلام الحديث التكوين، يدركون أن دولتهم لن تنجح وتستمر إلّا بالاعتماد على شعوب شمال الجزيرة العربية، أي الشام والعراق ومصر. ففي هذه البلدان تمركزت الحضارة عبر التاريخ، ومن دون مشاركة هذه الشعوب لا يمكن أبداً لأي دين أن ينتشر ويصبح امبراطورية قوية وحضارة مزدهرة. ليس بالصدفة أن قادة الإسلام بمجرد أنهم فتحوا العراق والشام ومصر، حتى هجروا سياسياً وثقافيا جزيرتهم العربية، وجعلوا عاصمة الإسلام في الشمال: (الكوفة، دمشق، ثم بغداد.. الفسطاط.. القاهرة.. القيروان، إلخ).

لقد استمرت عمليات فتح العراق في زمن الخليفة الثاني (عمر بن الخطاب) حتى احتلال إيران وإنهاء الإمبراطورية الساسانية بصورة تامة حوالي 20 عاماً بين (633 ـ 651م)، وقد بدأت تلك الفتوحات عام 11هـ/ 633م في زمن الخليفة الأول (أبي بكر الصديق) وبقيادة (خالد بن الوليد)، الذي استكمل فتح العراق بالكامل، ثم انتقل خالد بعد ذلك إلى الجبهة الإسلامية الرومية بالشام لاستكمال الفتوحات، فتعرض المسلمون في العراق لهجوم مضاد من قبل الفرس مما أفقدهم ما فتحوه سابقاً.

معركة القادسية وفتح العراق

بدأت الموجة الثانية من الفتوحات تحت قيادة (سعد بن أبي وقاص) فانتصر المسلمون على الساسانيين في (معركة القادسية) التاريخية الحاسمة في 13 شعبان 15هـ/ 16 ـ 19 تشرين الأول 636م. فانتهى الوجود الساساني في العراق للأبد، وقد تم الاستيلاء على بابل، ثم فتحت (المدائن) العراقية التي تقع جنوب بغداد، وهي العاصمة الشتوية للدولة الساسانية في صفر 16هـ/ مارس 637 بعد حصار دام ثلاثة أشهر، ثم أرسلت الجيوش غرباً لفتح (قرقيسيا) و(هيت) وهما حصنان بيزنطيان لحماية الحدود، وتقدمت جيوش المسلمين لتحرير شمال العراق مما تبقى من الجيوش الساسانية.

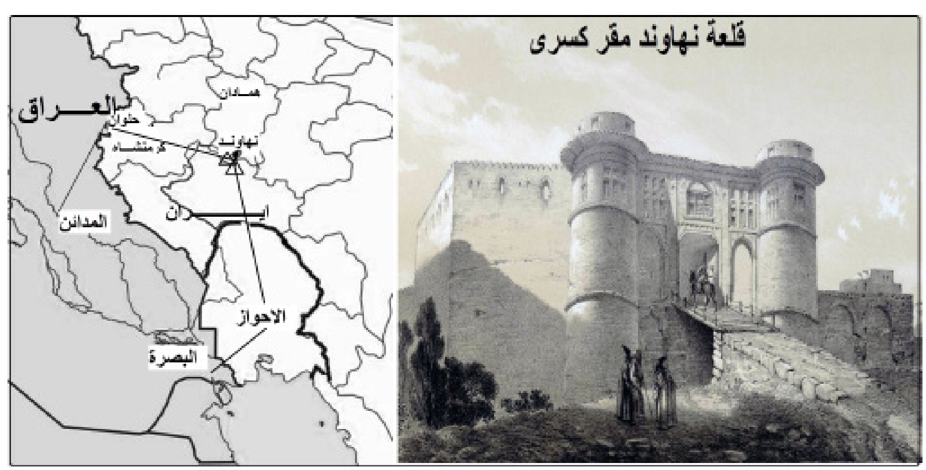
وفي معركة (جلولاء) فتحت (تكريت)، أما (الموصل) فقد استجاب واليها الساساني للصلح ودفع الجزية، ثم تَمَّ التقدم إلى باجرمي (كركوك) وخانقين وشهرزور (السليمانية)، وانسحب الفرس إلى حلوان (حالياً في إيران عند حدود العراق الوسطى)، فحاصرها القعقاع حتى فتحها في ذي الحجة سنة 16هـ/ يناير 638م، واستمر تعزيز عمليات الفتح، فتمكن قائد البصرة (أبو موسى الأشعري) من إكمال فتح الجنوب بما فيه ميسان والأحواز.

كاد الاسلام ان يكون دينا عربيا خالصا، خاصا بشعوب «شرق البحر المتوسط»، مثلما الهندوسية خاصة بشعوب شبه القارة الهندية!

ان الواقع الجغرافي ـ السياسي، يؤكد معقولية هذا الاحتمال: بعد إكمال فتح العراق، توقف المسلمون أمام (جبال زاغاروس) الصعبة الشبيهة بالجدار العملاق، وهي افضل حدود طبيعية وسياسية فاصلة عن شعوب إيران وعموم آسيا:(الآرية والتركية والهندية) المختلفة كثيرا عن شعوب(شرق المتوسط) الناطقة بـ(اللغات السامية ـ الحامية) من جميع النواحي الاقوامية والثقافية والدينية. مثلما البحر المتوسط يشكل حدودا طبيعية بين اوربا والعالم الشرقي(العربي). وقد عبَّرت عن ذلك مقولة تاريخية تُنسب إلى عمر بن الخطاب:

(ليت بيننا وبين الفرس جبلاً من نار لا ينفذون إلينا ولا ننفذ إليهم): تاريخ الطبري 3: 176

معركة نهاوند ونهاية الدولة الفارسية



إن الخطأ القاتل الذي اقترفه قادة الدولة الفارسية، أنهم لم يرتضوا بفقدانهم العراق، بل أصروا على استرجاعه، لأنهم يدركون بسليقتهم التاريخية، أن إيران دون العراق، تجف روحياً وتفقد قواها الثقافية والحضارية، بالإضافة إلى أن العراق بوابتها نحو الشام حيث شواطئ البحر المتوسط.

لولا هذا الإصرار الساذج لبقيت إيران وعموم آسيا بعيدة عن الفتح العربي الإسلامي، ولتغير وجه التاريخ، ولأصبح الإسلام ديناً خاصاً في شرق البحر المتوسط، أي العالم العربي الحالي، ولكن (معركة نهاوند) التاريخية الشهيرة في 21هـ / 642م، التي حدثت في منطقة (نهاوند) القريبة من الحدود العراقية وبوابة الجبال حيث تم إلحاق الهزيمة بالفرس، عرفت بفتح الفتوح لأنها أجهزت تماماً على الإمبراطورية الساسانية وفتحت أبواب الهضبة الإيرانية وعموم آسيا لانتشار الإسلام، ولم يمضِ عام 23هـ / 644م حتى استكمل القضاء على تلك الإمبراطورية وفتح إيران بأكملها، وبعدها باقي آسيا: أفغانستان والسند وتركستان، حتى حدود الصين.

الخليفة (علي بن أبي طالب) رائد النهضة التاريخية العراقية

((قال علي عن أصل قريش: «نحن قومٌ من كُوثى». أراد كوثى العراق.. وهي سُرَّةُ السَّوادِ من مَحالِّ النَّبَطِ..)) ابن منظور في لسان العرب:2/ 182

هنالك حقيقة طالما تغاضى عنها المؤرخون بمن فيهم العراقيون: إن (علي بن أبي طالب) ليس فقط رمزاً دينياً لكل المسلمين والشيعة منهم خصوصاً، بل هو يستحق عن جدارة وموضوعية أن يعتبر من قبل جميع العراقيين بمن فيهم غير المسلمين، رمزاً وطنياً عراقياً والمشيّد الأول لنهضة العراق التاريخية بعد انقبار وظلام دام أكثر من ألف عام.

إن دوره في نهضة العراق يكمن في قراره الشجاع والتاريخي التالي:

التخلي عن الدور القيادي للحجاز ومكة بالذات، واختيار (العراق) كمركز للإسلام، وأن تكون (الكوفة) كعاصمة للخلافة بدلاً من (مكة)[33].

ففي 18 ذي الحجة سنة 35 هـ ـ 16/ 6/ 656 م تمت مبايعة (علي بن أبي طالب) خليفة بعد مقتل الخليفة الثالث (عثمان بن عفان). في 25 ذي الحجة 35 هـ ـ 23/ 6/ 656 م باشر الإمام علي مهامه كخليفة للمسلمين، حيث اختار (الكوفة) في العراق لتكون عاصمة الخلافة.

وهذا قرار خطير وجبار لصالح الإسلام عموماً والعراق خصوصاً، لأن (الخليفة علي)، بسليقته التاريخية وحكمته العميقة كان يدرك أنه لا نهضة تنبثق ولا حضارة تشيَّد في الشرق دون الدور الحاسم للعراق، (كذلك الشام ومصر)، وليس صدفة أن جميع المحتلين السابقين للعراق اضطروا إلى أن يتخلوا عن بلدانهم الأصلية ويجعلوا عاصمتهم في العراق: اليونان والإيرانيون اختاروا بابل ثم المدائن كعاصمة لهم[34].

ولم يكتف باختيار العراق كمركز للدولة الإسلامية الناهضة، بل قام بدور المصلح والمدافع عن كرامة العراقيين واستعادة حقوقهم المهضومة. فمن المعلوم أنه في عهد الخليفة الثالث (عثمان بن عفان) كانت أوضاع العراقيين الأصليين الآراميين (الأنباط الموالي) من غير العرب الذين دخلوا الإسلام واستعربوا، قد

(33) ـ كما يصح أن يعتبر الشاميون والمصريون الخليفة معاوية والسلالة الأموية رمزاً إيجابياً لأنهم اتخذوا من الشام ومصر مركزاً للإمبراطورية العربية الإسلامية الصاعدة.

(34) ـ عن انتقال الخليفة علي إلى الكوفة: تاريخ الطبري 5/ 579.

تردت رغم اعتناقهم للإسلام. لقد تفاقم سوء حالتهم عندما أرادت الأرستقراطية العربية أن تجعل من سواد العراق بستاناً لقريش. شرع القادة العسكريون في انتزاع أراضي العراقيين وسلب أرزاقهم واستغلال جهودهم دون رحمة، مما دفعهم إلى الانحياز إلى جانب (الخليفة علي) الذي أدخلهم في صفوف جيشه، إذ كان منهم ثمانية آلاف عراقي، وساوى بين الموالي والعرب في العطاء، وكتب إلى عمّاله يأمرهم بحسن معاملتهم[35]، بل زاد (الخليفة علي) في تقربه من العراقيين عندما صرَّح بأن قريش أصلهم من العراق، وذلك في قوله الشهير: (من كان سائلاً عن نسبنا، فإنا نبط من كوثى)[36].

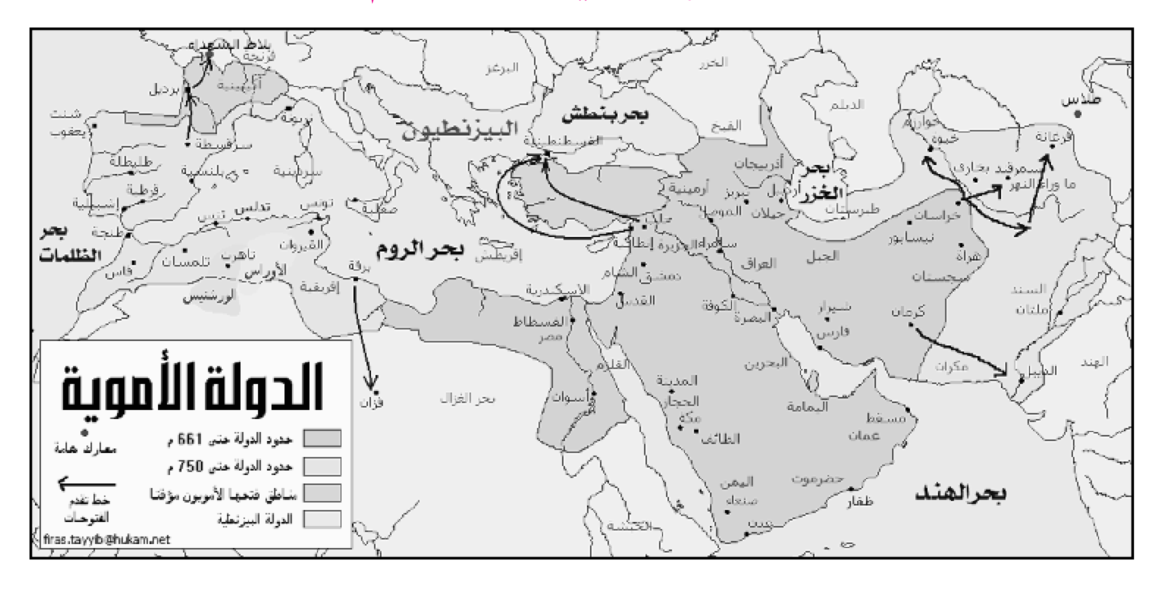
وبعد انقسامات حادة بين المسلمين والمعارك بين الأمويين والعلويين، ثم بين (أنصار الخليفة علي) حيث انشق (الخوارج)، في يوم الجمعة 17 رمضان 40 هـ/ 23 كانون الثاني 660 م، تم اغتيال (الخليفة علي) على يد (عبد الرحمن بن ملجم) عند باب مسجد الكوفة. وفي 20 رمضان 40 للهجرة/ 26 كانون الثاني عام 660 م تمت المبايعة لـ (الحسن بن علي) خليفة، وانتهاء عصر الراشدين الذي اغتيل فيه ثلاثة خلفاء: عمر وعثمان وعلي، أما الخليفة الأول (أبو بكر الصديق) فهو الوحيد الذي لم يقتل.

واحتاج العراقيون إلى أكثر من قرن من الانتظار والخيبات والنكسات على يد الأمويين، لكي ينضجوا أخيراً ويعدّوا مشروعهم الحضاري وحركتهم السياسية (العباسية ـ العلوية)، ليقوموا بثورتهم ويشيّدوا (الدولة العباسية) وعاصمتها (بغداد) لتحل محل (بابل) التي بقيت ذاكرتها دفينة في العقل الباطني، ليقودوا حضارياً النهضة الإسلامية وأكبر إمبراطورية عالمية لحوالي خمسة قرون.

❊ ❊ ❊

(35) ـ عن رعاية الخليفة علي للموالي:
ـ كتاب الفتوح: جزء 4/ ص 149.
ـ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: جزء 7/ ص37ـ 42.
(36) ـ (ويعني كوفة العراق: راجع لسان العرب ـ حرف الكاف).

2. الفترة الأموية (661 ـ 750 م)



في عام 661 م، بعد اغتيال (الخليفة علي بن ابي طالب) في الكوفة، وتنازل الحسن عن الخلافة ومبايعته لـ(معاوية)، انتقلت الخلافة إلى العائلة الأموية في سوريا، وأصبح العراق ولاية تابعة للشام، بالرغم من كونه أغنى منطقة في العالم الإسلامي وبلد أكبر عدد من المسلمين. أنتج هذا الوضع شعوراً مستمراً لدى العراقيين بعدم الرضا من حكم الأمويين واتخذ هذا أشكالاً عديدة.

ثورات العراقيين وحركاتهم!

رغم وجود عاملين مهمين جمعا شعوب الإمبراطورية العربية الإسلامية في زمن الأمويين، ألا وهُما: (سيادة الدين الإسلامي) كدين لغالبية شعوب الإمبراطورية، ثم (سيادة اللغة العربية) كلغة رسمية وثقافية ودينية مقدسة في أنحاء الإمبراطورية، إلاّ أنهما ما كانا كافيين لفرض التوحد السياسي والحضاري، بل سرعان ما بدأت الخصوصيات الوطنية تفرض نفسها على الدولة الإسلامية. فكانت هنالك الخصوصيات: المصرية والشامية والأندلسية والمغربية والفارسية والتركية، وغيرها. كذلك طبعاً الخصوصية العراقية التي لعبت دوراً حاسماً في تغيير تاريخ الإسلام. فبسبب الظلم الاقتصادي والاجتماعي واستمرار فرض

الجزية على العراقيين رغم إسلامهم، واغتصاب أراضيهم من قبل القادة والأمراء العرب، وبالتالي استمرار ثوراتهم التي كانت تنتهي بالفشل وزيادة القمع والظلم، فقد توسعت الحركات المعارضة للهيمنة الأموية ولسيطرة الأقلية القبائلية العسكرية العربية.

قام العراقيون بعدة ثورات معروفة بالاشتراك مع الجاليات العربية المقيمة في العراق والتي عانت هي أيضاً من اضطهاد الأمويين:

ثورة الحسين: 61 هـ

بعد استشهاد (الخليفة علي) وقيام الدولة الأموية ساءت أحوال العراقيين، ولهذا حاولوا الاستعانة ب (الحسين بن علي بن ابي طالب) الذي أتى من المدينة إلى العراق للثورة ضد الأمويين. لكن في 10 محرم سنة 61 للهجرة ـ 9/ 10/ 680 م قتل (الحسين) ومعه أهل بيته في (كربلاء). رغم ان هذه الواقعة بشريا وعسكريا ثانوية جدا، إلا انها من الناحية المعنوية والعقائدية كانت واقعة تاريخية كبرى، منحت العراقيين الفرصة المنتظرة كي يخلقوا من واقعة (استشهاد الحسين واخوته وانصاره) اسطورة عاطفية عظيمة افرغوا فيها كل ميراثهم العقائدي والعاطفي عن: (موت «تموز» عطشا في لهيب الصيف) و (عذابات گلگامش حزنا على فقدان صديقه انكيدو، وخيبته بالعثور على الخلود)، و (عذابات المسيح على الصليب)..

ثورة التوّابين: 65 هـ

بعد (واقعة كربلاء) شرع العراقيون يندبون ويعلنون اعتذارهم من (الحسين) لخذلانهم له في كربلاء. ومن هنا بدأت (طقوس الندب واللطم) في العاشر من محرم كل عام. ثم تطورت هذه الحالة الشعبية الى حركة منظمة في (الكوفة) بقيادة الصحابي (سليمان بن صرد الخزاعي، الكوفي)، لتتحول الى اول (انتفاضة انتحارية) تطالب بثارات الحسين. ففي الثاني والعشرين من جمادى الأول 65 هـ، جرت في منطقة (عين الوردة في الشام) الحرب بين (التوابين) وجيش الشام، حتى مقتلهم جميعاً.

انتفاضة المختار الثقفي: 66 هـ

بعد (التوابين) بعام قامت حركة مطالبة بثارات الحسين والانتقام من قتلته بزعامة القائد العسكري (المختار الثقفي) المقيم في الكوفة. وتمكن من الاستقلال بالكوفة حتى67 هـ، وانتهت بهجوم الامويين واستشهاد المختار الثقفي، واعدام المئات من انصاره.

ثورة عبد الرحمن بن الأشعث الكوفي، والمولى أبي علي الكوفي: 80 ـ 82 هـ

اشترك فيها من موالي الكوفة والبصرة أكثر من مائة ألف. علماً بأن (الموالي) هم سكان البلاد الاصليين الذين أصبحوا بموالاة وحماية عشيرة أو شريف عربي. ولهذا أمر (الحجاج) بإرجاع الموالي إلى قراهم وختم (بالنار) على يد كل مولى اسم قريته لكي لا يغادرها إلى المدينة.

ـ ثم شارك (موالي العراق: بثورات (الحارث بن سريج) و (أبي مريم) و (نافع بن الأزرق) و (عبيد الله الماحوز) و (قطري بن الفجاءة)، ثم ثورة (المختار الثقفي) الذي احتوى جيشه على عشرين ألف مولى عراقي.

الحركات العقائدية والسياسية المعارضة

طبعاً إن الحركات الشيعية والمعارضة كانت بأغلبية ساحقة من الموالي العراقيين بالإضافة إلى الجاليات العربية، ولقد ساهمت الجاليات العربية المستوطنة والتي أصبحت عراقية مع الزمن، بصورة فعّالة في قيادة وتنظيم هذه التيارات والتي تجلَّت فيما بعد بالتيارات التالية:

ـ مذهبيا بـ (الحركة الشيعية) التي تقدّس الإمام علي كرمز للعدل والحكمة، وتهتدي بثورة ابنه الحسين، كرمز للشهادة والتضحية.

ـ سياسياً بـ (الحركة العباسية) التي يقودها أحفاد (العباس) عم النبي، وتدعو إلى عودة الحكم إلى (بني هاشم)، ولجأت إلى التنظيم السري والإعداد الفعلي للثورة.

ـ ثقافياً بـ (الحركة الشعوبية) (أهل التسوية)، وكلمة (شعوبية) تعني حرفياً

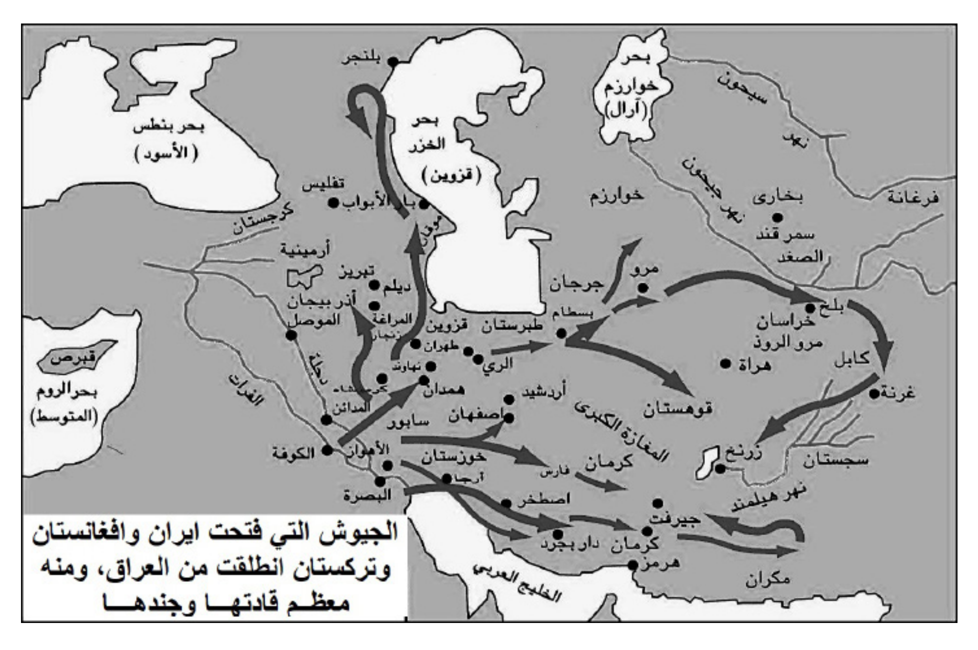
(العالمية والأممية)، أي المساواة بين الشعوب، وكانت خصوصاً بين المثقفين حيث تنشر الأفكار التي تدعو إلى المساواة بين السكان الأصليين مع العرب الحاكمين.

جميع هذه الحركات كانت عراقية أصيلة، لأنها نشأت ونشطت في العراق ومؤسسوها وقادتها من أهل العراق، لكنها فيما بعد انتشرت وأثَّرت في الفرس والتركستان، وغيرهم.

❊ ❊ ❊

3 ـ الفترة العباسية (750ـ 1258م)

ودور العراق والعراقيين بانطلاقة الحضارة العربية الاسلامية



ان دور العراقيين بفتح بلدان آسيا، قد لعب دورا حاسما في تاريخ هذه المرحلة. حيث بقيت الجاليات العربية العراقية على علاقة مباشرة مع مجريات بلدهم. ومن هنا يكثر الحديث عن (دور الخراسانيين) وهم في الحقيقة بغالبيتهم من عرب العراق.

في أوائل القرن الثامن الميلادي، تمكن العراقيون وبعد ثورات وتمردات لا تحصى، وبقيادة (التحالف العلوي العباسي) من إسقاط الدولة الأموية وتكوين الدولة العباسية.

يتوجب التأكيد بأن الحركة العباسية لم تكن حركة (سنية) ولا (شيعية)، بل هي (هاشمية)، أي البيت الهاشمي نسبة إلى (هاشم) جد النبي محمد، ويضم (البيت العلوي) نسبة إلى الإمام علي، و(البيت العباسي) نسبة إلى (العباس) عم النبي. إن مفهوم (السنَّة) بالمعنى المذهبي والطائفي لم يكن موجوداً في ذلك الحين، فجميع المذاهب الإسلامية تنتمي إلى (القرآن والسنَّة النبوية). والانقسامات لم تكن (سنية ـ شيعية) بل سياسية. هنالك (الأمويون)، وهم أنصار الحكم الأموي، ثم (الهاشميون). بالإضافة إلى مذاهب شتى مختلفة مثل المرجئة والخوارج. أما (الشيعة) فكانوا حركة سياسية ملتفة حول البيت العلوي، ولم يشكّلوا حركة مذهبية فقهية إلاّ في بدايات الدولة العباسية في أيام (الإمام جعفر الصادق)، وتلميذه العراقي (هشام بن الحكم).

انتصار التحالف الهاشمي (العباسي ـ العلوي) وقيام الدولة العباسية

رغم أن العراقيين كانوا هم قادة ومؤسسي الحركة العباسية ـ العلوية، إلّاّ أنَّ ظروف العراق وقسوة الأمويين وتشددهم في القمع والسيطرة، حتَّم أن تكون قيادات الحركة خارج العراق. إذ كان مقر قيادة الحركة العباسية، في الأردن، ولها فرعان رئيسيان، واحد في الكوفة بقيادة (أبي سلمة الخلال الكوفي)، ثم في خراسان (حالياً مقسمة بين أفغانستان وإيران وتركمانستان) بقيادة القائد العراقي الكوفي (أبي مسلم الخراساني). وظل العمل مستمراً من قبل الدعاة العباسيين حتى كانت ليلة الخميس الخامس والعشرين من رمضان سنة 129هـ، إذ ظهر العباسيون براياتهم السوداء وأعلنوا الثورة على الدولة الأموية. انطلقت الجيوش العباسية بقيادة (أبي مسلم الخراساني وقحطبة بن شبيب)، تزحف على ولايات الدولة الأموية وتستولي عليها. وبمرور الوقت دانت كل المدن الأموية للعباسيين من أقصى الشرق حيث كابول، وأقصى الغرب حيث قرطبة وإشبيلية، مروراً بالقدس والخليل والرها وغيرها.

(الأردن. قرية الحميمة) مقر القيادة السرية العباسية وميلاد الخلفاء الأوائل!

من المعلوم والمتفق عليه أن مقر القيادة السرية العباسية كان في (الأردن) في (قرية الحميمة) حيث مقر (محمد بن علي العباسي) مؤسس الحركة العباسية، وكذلك ولد فيها: (أبو العباس السفاح) أول الخلفاء. كذلك ابنه الخليفة الثاني ومشيّد (بغداد) (أبو جعفر المنصور)، ثم ابنه الخليفة الثالث محمد بن عبد الله (المهدي) مؤسس حياة الترف والبذخ والتمتع في المجتمع البغدادي والعباسي.

أكذوبة قيادة الفرس للدولة العباسية



ان الخطأ السائد يتمثل بتوهم الكثيرين بأن (خراسان) هي(ايران). بينما هي في الحقيقة لا تشمل سوى مدينة واحدة منها: (نيسابور، وهي نفسها منطقة «طوس» و«مشهد»)، اما قسمها الاكبر فيشمل افغانستان حيث مدينتا (بلخ وهرات)، وتركمانستان حيث (مرو: عاصمة خرسان)، واوزبكستان حيث(بخارى).

هنالك أكذوبة خيالية بعيدة تماماً عن الوقائع التاريخية، ظهرت في العصر الحديث، تدَّعي بأن الدولة والحضارة العباسية قد قامت بفضل الفرس وظلت خاضعة لهم. هذه بعض الشواهد التي تدحض ذلك:

1. مشكلة الدولة الأموية، لم تكن مع (الفرس)، بل مع (العراقيين)!

إن مشكلة الامويين تكمن في عدم قدرتهم على التواؤم مع التطورات الاقوامية والثقافية والعقائدية الجديدة لمجتمعات الامبراطورية الممتدة من حدود فرنسا الى حدود الصين. لم يفهم الامويون حقيقة أن العرب كانوا أقلية عددية في هذه الإمبراطورية الشاسعة، ولا يمكن الإبقاء على سياسة التفضيل ضد غير العرب. ثم ان غالبية حركات المعارضة والثورات، كما رأينا، كانت بقيادة او مشاركة العرب.

ان أول تمردات وانفصالات الفرس بدأت ضد العباسيين، وليس قبلهم:

هنالك ادلة كثيرة ومن مؤرخين ايرانيين، بأن (الفرس) قد رحبوا بالدين الجديد ودخلوه بسهولة، حيث ابقى الامويون على الاداريين الفرس الذين كانوا لدى (الدولة الساسانية) المنتهية، وهم الذين اشرفوا فعليا على فرض الدولة الاسلامية ونشر دينها.[37] أي ان الحقيقة هي العكس تماما: ان اولى حركات وثورات الفرس بدأت بعد نهاية الأمويين وقيام الحكم العباسي في العراق، ابتداء من (ثورة بابك الخرمي) في عهدي المأمون والمعتصم، ثم قيام (الدولة السامانية) كاول دولة يحكمها فرس، على (اجزاء من ايران وافغانستان وتركمانستان) منفصلة عن حكم العباسيين.[38]

إن العراقيين بطبيعتهم العالمية ولتحول غالبية سكانه الاصليين (السريان: النبط: الموالي) الذين استعربوا ودخلوا الاسلام، قد ساهموا بصورة فعالة مع (النخب العربية من الصحابة والتابعين) في التمردات والثورات ضد الامويين، منذ الحروب بين (الخليفة علي) و (معاوية) و (ظهور الخوارج) في العراق، ثم (واقعة كربلاء) وثورات التوابين والمختار، والعديد من الثورات العراقية، طيلة الحكم الاموي. ثم اصبح (العراق

---

(37) ـ عن تعاون الفرس مع العرب، يقول المؤرخ القومي الايراني (محمد القزويني):

((ان خونة الفرس من اولياء الامور حكام الولايات ومحافظي الحدود الايرانية حينما شعروا بتضعضع في اركان الدولة الساسانية وهزيمة الجنود الفرس امام الاسلام مرتين او ثلاثا، طرحوا بأنفسهم في جحور العرب المسلمين، ولم يكتفوا بمساعدتهم في فتوحاتهم فحسب، بل دعوهم الى الاستيلاء على سائر الاراضي الايرانية التي كانت تحت سلطتهم مما لم يكن العرب بعد دخلوها، وكانوا يقدمون لهم مفاتيح القلاع والخزائن مقابل استمرار حكمهم على تلك النواحي التي كانت بايديهم قبل دخول المسلمين)).

كتاب: الاسلام وايران ـ آية الله مرتضى المطهري ـ جزء اول ـ ص 88

(38) ـ منذ بدايات العصر العباسي، بدات تظهر الدويلات شبه المستقلة او المستقلة عن العاصمة بغداد:

الدولة الطاهريَّة821 ـ 873/ الدولة السامانيَّة819 ـ 999/ السُلالة الصفاريَّة867 ـ 1002

ـ الكوفة) مركز قيادة الثورة والتنظيم السري (العباسي ـ العلوي). حتى تمكنوا بعد أقل من قرن من اسقاط (الدولة الاموية) وتأسيس (الدولة العباسية) في بلادهم.

2. حقيقة دور (الخراسانيين) في الحركة العباسية

المسألة المهمة ان سكان (خُراسان) ليسوا من الفُرس فقط، وإنما غالبيتهم من الأتراك، فهذه المنطقة كانت تشمل ما يقع الآن في (غالبية بلاد الأفغان)، وجزء من (شرقي إيران)، وبلاد (تركمانستان). إن هذه المناطق تضم اليوم سكاناً من الترك بأكثريتهم، وكذلك كانت يومذاك، وإن ضمت ـ إضافة إلى ذلك ـ مجموعاتٍ من الناطقين بالفارسية. بالاضافة الى ذلك ان الحركة العباسية، تركزت أساساً بين (عرب خراسان) حكام المنطقة. هذه النخب العربية الحاكمة كان لها الدور الأول في الحركة العباسية، وإن الحديث عن (دور الخراسانيين في الحركة) لا يعني أبداً (دور الفرس) بل (دور عرب خراسان) بالاضافة الى أنصارهم من الخراسانيين[39].

3. أبو مسلم الكوفي الخراساني، قائد كوفي عراقي[40]

وهو ضمن الحجج الاساسية لمؤرخينا المعاصرين. هو القائد العباسي الشهير الذي

(39) ـ من المعلوم إن الكثيرين من أهل العراق قد توطنوا في (خراسان وعموم بلدان آسيا المسلمة)، من خلال الجيش الاسلامي الذي فتحها، لانه كان قادماً من العراق وبقيادة (القائد البصري قتيبة بن مسلم) وغالبية جيشه من أهل العراق، وهم الذين نشروا الاسلام والعربية.
ـ (قتيبة بن مسلم) من أعظم الفاتحين المسلمين، ولد في البصرة سنة 49 هـ لأسرة من قبيلة باهلة النجدية. ولاّه عبد الملك بن مروان الري وخراسان التابعة لوالي العراق (الحجاج). ومن خراسان سنة 86هـ شرع بفتح بلاد ما وراء النهرين (تركستان)، وعاش فيها ثلاث عشرة سنة ومات هنالك وقبره في (اوزبكستان)!

(40) ـ إن شخصية (أبي مسلم الخراساني) نموذج ساطع على تعقيد حكاية النسب والأصل، حيث اختلف المؤرخون في أصله، مع اتفاقهم الكامل أنه: نشأ وتعلم في الكوفة في عائلة كوفية عربية، وأصبح في شبابه ممثلاً للحركة العباسية في خراسان تلبية لطلب عرب خراسان من أنصار الحركة، ولهذا السبب قد حمل لقب (خراساني) وليس لأنه خراساني، بل هو كوفي عراقي. طالع ماذا يسجل (ابن كثير) عن هذا الاختلاف حول أصله واسمه الكامل، في (موسوعة البداية والنهاية)، ابن كثير الدمشقي ـ الجزء العاشر:
ـ لقد كرس (ابن كثير) في (البداية والنهاية) مبحثاً خاصاً في اختلاف المصادر في أصل (ابي مسلم):
قال الخطيب: يقال له: (عبد الرحمن بن شيرون بن إسفنديار، أبو مسلم المروزي) ان (مرو) في تركمانستان.
وقال أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان: كان اسمه: (عبد الرحمن بن عثمان بن يسار)، قيل: إنه ولد بأصبهان.
وقيل: كان اسمه: (إبراهيم بن عثمان بن يسار بن سندوس بن حوذون)، ولد بزرجمهر، وكان يكنى: أبا إسحاق، ونشأ بالكوفة، وكان أبوه أوصى به إلى عيسى بن موسى السراج، فحمله إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين، فلما بعثه (إبراهيم بن محمد الإمام) إلى خراسان قال له: غير اسمك وكنيتك.
ـ ابن كثير/ البداية والنهاية/الجزء العاشر/أبو مسلم الخراساني

قاد الجيوش من خراسان (الأفغانية التركستانية الإيرانية) وإسقاط الدولة الأموية. اتفق المؤرخون أن اسمه (اسحاق) وأن أصله غير متفق عليه، ولكن المؤكد والمتفق عليه أنه عراقي النشأة والتربية، حيث عاش وكبر في (الكوفة) في عائلة العجلي العربية حيث تعيش أمه الخادمة. قيل: إن أمه كانت تعيش سابقاً في أصفهان الإيرانية، وليس هنالك أي تأكيد على أن له أصلاً (خراسانيّاً) ولكنه حمل هذا اللقب بعد أن تم إرساله من قبل الحركة العباسية إلى (خراسان) لنشر الدعوة فيها: (فلما بعثه إبراهيم بن محمد الإمام، إلى خراسان قال له: غير اسمك وكنيتك).[41]

4. العباسيون أقاموا دولتهم في العراق (بغداد) وليس في ايران!

ظلت (بغـداد) عاصمـة الخلافة العباسية لحوالي خمسة قرون، وظل العراقيون من العرب والمستعربين (الموالي) العنصر الفعّال والقيادي في هذه الدولة. فلو كان للفرس هيمنة ونفوذ على القرار العباسي لكان من الطبيعي أن يكون مركز الخلافة هو إيران، وليس العراق. والدليل ان الدويلات الايرانية التي نشأت حينها في ايران كانت عواصمها في ايران نفسها، مثل: (الطاهرية: نيسابور/ البويهية: شيراز). كذلك كانت الخلافة العثمانية كانت تركية؛ لأن عاصمتها ظلت دائماً (إسطنبول) لحوالي خمسة قرون، والخلافة الفاطمية كانت مصرية لأن عاصمتها (القاهرة).

5. حقيقة النفوذ الفارسي على الخلافة؟

خلال خمسة قرون من عمر خلافة بغداد، خضع الخليفة العباسي لنفوذ القوى التالية:

- العصر العباسي الأول (750ـ 833): سيطرة عربية عراقية خالصة.[42]

- العصر العباسي الثاني (833ـ 945) نفوذ الاتراك وتشييد (سامراء) لهم.

- العصر العباسي الثالث (945ـ 1055) نفوذ بويهي ايراني

(41) ـ نفس المصدر السابق

(42) ـ من بين العديد من الحجج عن تأثير الفرس، ان الخليفة المأمون من (أم) فارسية. ولكن المصادر تؤكد انها من منطقة (Bādghīso: بادغيس) في افغانستان عند حدود تركمانستان لا يتكلمون الفارسية. واسمها(مراجل) وقد ماتت بعد الولادة. طالع مثلا ويكبيديا بالانكليزية:

Al _ Ma'mun

ـ العصر العباسي الرابع (1055 ـ 1136) نفوذ السلاجقة الاتراك

ـ العصر العباسي الخامس (1036 ـ 1258) استقلال الخليفة بالعراق

علماً، بأن جميع هذه الانواع من النفوذ ظلت فقط في الناحية السياسية العسكرية، ولم تمس حتى الجهاز الاداري الذي بقي بين مواطني كل بلد مسلم، وفي العراق ظل بيد العراقيين[43]. أما الحياة الثقافية والاجتماعية في العراق، فلم تتأثر بهذه المتغيرات العسكرية في الخلافة، إلاّ في حالات محدودة، كما حصل مع (الاتراك) إذ اضطر (الخليفة المعتصم) أن يشَّيد لهم (مدينة سامراء) ليبعدهم عن (بغداد). هكذا بقيت حواضر العراق: (بغداد والكوفة والبصرة والموصل) مزدهرة بالثقافة واللغة العربية ومختلف نواحي الفنون والابداع الحضاري.

البويهيون الشيعة الزيدية، والحروب الشيعية الشيعية!

البويهيون (945 ـ 1055م): وينتمون إلى (بويه) من الديلم في جنوب غربي بحر قزوين شمال إيران، وهم من الأقوام الجبلية المحاربة ومختلفون عن الفرس، بل مزيج من الآريين والأتراك. في عهد (معز الدولة البويهي) عام 945 م ودخلوا (بغداد) وبسطوا نفوذهم ولم يبقوا للخليفة سوى نفوذه الاسمي. رغم أن البويهيين كانوا على المذهب الزيدي الشيعي، إلاّ أنهم رفضوا إعطاء الخلافة للشيعة خوفاً من سيطرتهم عليها. بل هم تحالفوا مع (خلفاء بغداد) وحاربوا جميع الدول والحركات الشيعية الرافضة لحكم العباسيين: (الدولة الحمدانية الشيعية: 930 ـ 1003) في الموصل وحلب، (الدولة الفاطمية الشيعية: 909. 1171) في مصر، (حركة القرامطة 908) الشيعية الاسماعيلية في جنوب العراق والخليج العربي. وقد اضطربت أحوال العراق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ولم تنفع محاولات الخلفاء، حتى اضطروا أخيراً للاستعانة بالسلاجقة الترك.

(43) ـ مثلاً، إن اسرتي (البرامكة) و(بني سهل) المتنفذتين في بغداد، ما كانتا (فارسيتين)، بل في الأصل من (افغانستان ـ بلخ) و(تركمانستان ـ مرو)، ثم توطنوا في العراق وانجبوا أبناءهم في بغداد، حيث نشأوا واستعربوا وتعلموا واصبحوا من أهل البلاد.

عصور الدولة العباسية



بعد مرور قرن من قيام الدولة العباسية، بدأت تتكون دول مستقلة في المشرق والمغرب، حتى انتهى الامر بأن اصبح الخليفة لا يحكم فعليا سوى العراق.

يمكن تقسيم العصر العباسي إلى حقب بحسب القوة العسكرية والسياسية المتنفذة:

العصر العباسي الأول (750. 833)

وقد حكم هذا العصر سبعة خلفاء، لأقل من قرن، وهو العصر الذهبي من الناحية السياسية والحضارية، ويستحق أن نسميه: (العصر الإمبراطوري الحقيقي)، حيث كان (خليفة بغداد) هو الحاكم الفعلي للإمبراطورية الممتدة من حدود الصين إلى بلاد المغرب، وخلاله تم ضبط أسس الدولة والحضارة من خلال تشييد (بغداد) لتكون أعظم مدينة حضارية في التاريخ لمدة خمسة قرون.

1. أبو العباس السفاح 750 ـ 754
2. أبو جعفر المنصور 754 ـ 775
3. أبو عبد الله محمد المهدي 775 ـ 786
4. أبو محمد موسى الهادي 786 ـ 787
5. هارون الرشيد 787 ـ 809
6. الأمين 809 ـ 814
7. المأمون 814 ـ 833

الاصل البابلي لمدينة بغداد!



يبدو أن اختيار (الخليفة المنصور) لمكان تشييد بغداد، قد تم على انقاض بلدة قديمة ورد اسمها في أكثر من وثيقة بابلية يعود تاريخها الى عصر الملك البابلي حمورابي بحدود العام 1700 قبل الميلاد، بالكتابة المسمارية: (بكدادو، بكدادا) ويكتبان بالمقاطع المسمارية (باك ـ دا ـ دو) و(باك ـ دادا). وتكرر الاسم بعد قرون منقوشاً على حجر (كودورو) من عهد الملك الكاشي. ثم تكرر مجدداً بصيغة (بغدادو ـ بغدادا) في الوثائق الاشورية ما بين (1300 ـ 900) قبل الميلاد وظل هذا الاسم بالهيئة التي نعرفها الآن في وقتنا الحالي!

في عام 1848 جرت تنقيبات سريعة في بغداد وتحديداً في منطقة الكرخ إثر مشاهدات القنصل البريطاني في بغداد «السير هنري رولنسون» بعد هبوط منسوب نهر دجلة، فشوهدت بقايا جدار مشيد بالآجر ومغطى بالقار، إحداها مختومة باسم الملك البابلي (نبوخذ نصّر). هذا دليل على وجود مستوطنة أو قرية بابلية تحمل اسم بغداد. وتم تأييد هذا الاكتشاف لاحقاً (بحدود 1889 م) بسلسلة من التنقيبات[44].

فترات النفوذ التركستاني والايراني في الخلافة

بعد العصر العباسي الاول، أتت عصور ثلاثة متتالية دامت حتى نهاية الخلافة على يد المغول في 1258، وكل عصر منها دام حوالي القرن، أي مجموعها ثلاثة قرون. قرنان منهما تحت النفوذ التركستاني، وقرن واحد تحت النفوذ الايراني البويهي، وقد تميزت بـ:

(44)ـ عن الاصل البابلي لاسم بغداد:
ـ كتاب من تراثنا اللغوي القديم/ د. طه باقر
ـ كتاب مقدمة في تاريخ الحضارات/ طه باقر/ جزء 1

ـ تحول دولة الخلافة عملياً إلى (دولة عراقية إدارياً وجغرافياً)، بسبب فقدان الخلفاء السيطرة العسكرية الفعلية على باقي أنحاء الإمبراطورية. فرغم بقاء (بغداد) المركز الحضاري الأكبر والأول للإمبراطورية جمعاء، إلاّ أنها بدأت تفقد سيطرتها الإدارية على غالبية البلدان الإسلامية. حيث راحت تظهر دول مستقلة عملياً عن الخلافة في مختلف أنحاء الإمبراطورية: مثل الأموية في الأندلس، والطولونية والفاطمية والأيوبية في مصر، والأدارسة والتغلبية وغيرها في المغرب، والسامانية والغزنوية والبويهية والسلجوقية في آسيا (إيران وأفغانستان وتركستان). بل هنالك دويلات شبه مستقلة ظهرت حتى في العراق، مثل الحمدانية والقرمطية والزنج وغيرهم. وقد تنوعت القوى العسكرية المتنفذة في الدولة حسب العصور الثلاثة، كالتالي:

العصر العباسي الثاني (833 ـ 945)

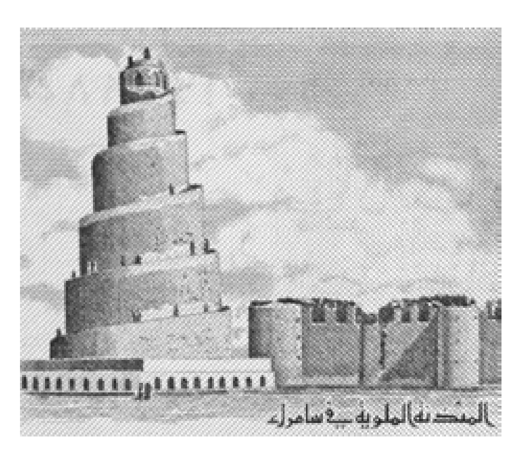
امتاز بالنفوذ التركي الذي بدأ مع الخليفة المعتصم، وقد حكمه 14 خليفة، ابتداء من (المعتصم بالله) وأخيراً (المتقي بالله).

بروز الترك: كما حصل في جميع الإمبراطوريات في أنحاء العالم، فإنها تنشأ على يد جماعات رعوية محاربة قادرة على الاجتياح والانتصار، ثم بعد ذلك يستقر هؤلاء الرعاة المحاربون ليتمتعوا بانتصارهم وازدهار دولتهم، فيفقدون مع مرور الأجيال روحهم الحربية الصارمة، فينتشر الكسل والتخمة والفساد، وتضعف الدولة، فتستغل جماعات رعوية أخرى هذا الضعف لكي تجتاح الدولة وتبني دولة أخرى، وهكذا دواليك.

هذا بالضبط حصل أيضاً للعرب؛ في العراق خصوصاً بدأوا يفقدون روحهم الحربية بسبب تمتعهم بخصب النهرين ومُتَعِ وجماليات المجتمع العراقي، لهذا ما كان من قادة الدولة العباسية إلاّ الاستعانة بجماعات جديدة لم تزل محتفظة بالروح الحربية، وبما أن أهل العراق لهم علاقات تاريخية عريقة مع أتراك وسط آسيا، تعود إلى قرون قديمة منذ سومر وبابل وآشور، بل إن المبشرين المسيحيين والمانويين العراقيين كانوا نشيطين بين الترك قبل الإسلام. كذلك فإن الجيش الإيراني الساساني في العراق كان جزء كبير منه من أصول تركية، ثم إن فتح آسيا الوسطى في زمن الحجاج تم بجيش

عراقي، وقد استوطن العراقيون بين الترك وعاشروهم، وكانت الحجة لجلب الأتراك إلى العراق، هو أن (الخليفة المعتصم) من أم تركية، أي أن الأتراك أخواله.

تشييد سامراء للترك



من أجل تجنب المواجهة بين المدنيين والعسكر، بادر (المعتصم) إلى إيجاد عاصمة جديدة في سامراء، على أرض دير مسيحي قديم يطلق عليه بالآرامي تسمية (شمرا). كان موقعاً على دجلة حوالي 100 ميل إلى الشمال من بغداد. إن اسمها مشتق من اسم مستوطن قديم عرفه الآشوريون والبابليون باسم (سومورم sumurim) أو باسم (سورمارتا)[45]. تم تشييد مدينة سامراء بقصور ومساجد، وشوارع عريضة ومستقيمة، وبيوت مبنية بنظام موحد، ثم وسَّعها بعده الخليفة المتوكل (847 ـ 861). أصبحت سامراء مدينة واسعة ولكنها تفتقر إلى الخصائص الطبيعية التي تتمتع بها بغداد، فإن المواصلات النهرية، والقناة التي تربطها بالفرات وجنوب العراق كانت أكثر صعوبة، وبالرغم من الاستثمار الهائل فإن تجهيز الماء كان دائماً غير كاف. احتفظت سامراء بمكانتها فقط عندما كانت عاصمة الخلافة، من 836 ولغاية 892.لقد انتعشت سامراء، وكذلك استمرت بغداد بالانتعاش تحت حكم عائلة الطاهري، وبقيت البصرة مركزاً تجارياً عظيماً على الخليج.

(45)ـ حول أصل تسمية سامراء:
ـ السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم، تاريخ مدينة سامراء، ج 2، ط1، بغداد، سنة 1971م، ص146.
ـ موسوعة العتبات المقدسة، المدخل وج 12، ط 2، بيروت، سنة 1987.
ـ العميد، د. طاهر مظفر، العمارة العباسية في سامراء:
يقول أنستاس الكرملي: (أما اسم المدينة فليس من وضع المعتصم نفسه بل هو قديم في التاريخ، فقد ذكره المؤرخ الروماني أميانوس مرسيلينوس الشهير الذي ولد سنة 320م وتوفي سنة 390 بصورة (سومرا sumeral)، ونوه به زوسميس المؤرخ اليوناني من أبناء المائة الخامسة للمسيح صاحب التاريخ الروماني بصورة (سوما souma).
وهناك رأي للدكتور مصطفى جواد قريب من هذا في تخريج اسم سامرا فيقول: (سامرا اسم آرامي وهو في أصله مقصور كسائر الأسماء الآرامية بالعراق مثل: كربلا، وعكبرا، وحرورا، وباعقوبا).

العصر العباسي الثالث (945 ـ 1055)

سيطر فيه النفوذ البويهي (الإيراني) حيث خضعت الخلافة للقوة العسكرية الجديدة، وقد حكم خمسة خلفاء. البويهيون (945 ـ 1055م): وينتمون إلى (بويه) رجل من الديلم الذين يسكنون جنوب غربي بحر قزوين شمال إيران، وهم من الأقوام الجبلية المحاربة ومختلفون عن الفرس، بل مزيج من الآريين والأتراك، وفي عهد (معز الدولة البويهي) تقدموا في عام 945 م بجيش إلى العراق ودخلوا بغداد وبسطوا نفوذهم ولم يبقوا للخلافة سوى نفوذها الاسمي. رغم أن البويهيين كانوا على المذهب الزيدي الشيعي، إلاّ أنهم رفضوا إعطاء الخلافة للشيعة خوفاً من سيطرتهم عليها، وقد أشاعوا الفتن والاضطرابات ليشقوا الوحدة الاجتماعية ويضمنوا استمرار احتلالهم، كما فرضوا الرقابة على الحياة الفكرية، وقد اضطربت أحوال العراق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ولم تنفع محاولات الخلفاء، حتى اضطروا أخيراً للاستعانة بالسلاجقة الترك.

العصر العباسي الرابع 1055 ـ 1136

وفيه سيطر السلاجقة الترك، بعد أن دخل (طغرل بك) مدينة بغداد بطلب من الخليفة للتخلص من الخطر الشيعي البويهي والفاطمي، إذ كان السلاجقة متعصبين للإسلام السنّي. وهم من القبائل التركستانية التي انتشرت في الشرق الاوسط بفضل دورها في محاربة الصليبيين. وقد اسسوا دولتهم في آسيا الوسطى (تركانستان) بقيادة (طغرل بك)، ثم توسعوا في ايران. وقد استعان بهم الخليفة (القائم بأمر الله) للتخلص من خطر قوتين شيعيتين: الدولة البويهية الشيعية الزيدية التي سيطرت على خليفة بغداد، وكذلك الدولة الفاطمية الشيعية الاسماعيلية في مصر والشام، التي تعمل على اسقاط الخلافة. فدخل (طغرل بك) بغداد عام 1055 ثم قام بإخماد عصيان في العراق من قبل «البَساسِيرى» أحد انصار الفاطميين في مصر. وفي زمن (ألب أرسلان: 1060/ 63 ـ 1072 م) برز الوزير المصلح الشهير (نظام الملك) الذي شيد المدرسة النظامية في بغداد. وقد تمكن السلاجقة من السيطرة على أرمينية والشام والحجاز وفلسطين منذ 1070 م. كما حققوا انتصارا حاسما على البيزنطيين في (معركة ملاذكرد

سنة 1071 م). وكالعادة بسبب كثرة المتسابقين على عرش السلطنة بين أفراد العائلة، انقسمت المملكة ممالك عدة متصارعة. وقد انتهى نفوذهم على العراق عام 1136، ثم انتهوا تماما حوالي 1194على يد (الخوارزم) الاتراك مثلهم.

العصرالعباسي الخامس (1136 ـ 1258)

بعد ان ضعف (السلاجقة) استطاع (الخليفة المقتفي لأمر الله) أن يستقل، وتحالف مع الامارة (الزنكية الاتابكية التركستانية) في شمال العراق وسوريا ومركزها في (اربيل والموصل وحلب)، والمكلفة بمواجهة الصليبيين. وقد برز في هذه الامارة احد قادتها وهو (صلاح الدين الايوبي) مؤسس الدولة الايوبية في الشام ومصر بعد اسقاطه للدولة الفاطمية في (1171م)، المعادية للعباسيين. بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي عام 1193م ودفنه في دمشق، اقتسم أولاده السبعة عشر دولته الممتدة من الشام حتى ليبيا والحجاز واليمن. وانتهت بصعود المماليك الترك والشركس وتكوين (دولة المماليك) في مصر والشام، والتي بقيت في تقارب مع خلافة بغداد.

وفي هذه الاثناء برزت الدولة المغولية في(منغوليا) بقيادة(جنكيز خان) وتوسعت نحو الصين وتركستان وايران. وكان اخر الخلفاء المصلحين (المستنصر بالله: 1926 ـ 1942م) الذي أسس الجامعة المستنصرية في بغداد، مع اصلاحات اخرى. وفي خلافته سيطر المغول على بلاد فارس. ثم اعقبه آخر الخلفاء وافسدهم (المستعصم بالله) الذي بضعفه وبخله سارع بانتصار المغول واجتياح بغداد عام 1258 ونهاية الخلافة والحضارة العراقية العباسية. ودخول العراق في حقبة مظلمة لقرون طويلة. خلال خمسة قرون من الخلافة العباسية قد حكمها 11 خليفة، آخرهم (المستعصم بالله) الذي قتله زعيم المغول (هولاكو) في 19 شُباط 1258م[46].

(46) ـ أعيد إحياء الخلافة العباسية في مصر، من قبل المماليك بين (1261 ـ 1517)، ولكن الخليفة كان رمزياً، أما الحاكم الحقيقي فهو السلطان المملوكي، وقد انتهت مع سيطرة العثمانيين على مصر، وموافقة الخليفة العباسي على مبايعة (السلطان العثماني سليم الأول) خليفة للمسلمين.

الحروب الصليبية (1096 ـ 1291) ودور الأتراك

وهي الحملات التي قام بها فرسان أوربا الكاثوليكية (الغربية) واجتياح الشام بدعوى تحرير الأراضي المقدسة وقبر السيد المسيح، وكانوا يحملون الصليب. وهي في الحقيقة بدفع من الكنيسة والمسؤولين الأوربيين للتخلص من برابرة شمال أوربا الجرمان الذين ما كفّوا عن اجتياح أوربا. وأكبر دليل على أن هذه الحملات لم تكن فقط بدوافع دينية مسيحية، أن الصليبيين كانوا في كل حملة يمرقون على (القسطنطينية) عاصمة البيزنط والمسيحية الشرقية، وينهبونها ويحرقونها، مما أدى مع الزمن إلى ضعفها واضطرارها إلى الاستسلام للجيش التركي العثماني المسلم. وكانت هذه الحملات هي السبب الأكبر الذي جعل العباسيين يجلبون المحاربين الترك الذين كانوا محافظين على بداوتهم، كي يقفوا بوجه الخطر الصليبي.

أبرز الخلفاء

(أبو جعفر المنصور) مشيّد بغداد

نجح التحالف العباسي العلوي بإسقاط الدولة الأموية، وتحت قيادة (أبي العباس السفاح 749 ـ 754) الذي قام هو وأخوه (أبو جعفر المنصور 754 ـ 775) باتخاذ تدابير عقلانية من أجل تثبيت الدولة وتحقيق الازدهار. اختيرت أولاً مدينة (الكوفة) كعاصمة، ثم انتقل إلى مدينة (الهاشمية) التي أنشئت بالقرب من الكوفة، ثم جاء الخليفة الثاني (أبو جعفر المنصور) وأسس مدينة (بغداد)، وقد بدأ العمل بإنشائها سنة 541هـ، وانتقل إليها المنصور في العام التالي وأسماها (دار السلام).

الخليفة الشهير هارون الرشيد

إن أزهى عهد عاشته الخلافة العباسية العراقية هو عهد الخليفة الثالث هارون الرشيد (170 ـ 193 هجرية/ 781 ـ 809 م) الذي تولت وزارته أسرة البرامكة (حتى سنة 803م) وهم عائلة عراقية جدهم الأكبر كان بوذياً قَدِمَ من شمال أفغانستان. هذه الفترة تعد من أقوى وأزهى فترات الدولة العباسية في جميع عصورها، فقد استطاع بشخصيته القوية أن يقضي على حركات النزاع على الحكم التي تضعف الدولة، وكان الرشيد كثير الغزو لبلاد الروم مما أدى إلى تأمين الحدود الخارجية للدولة، وبذلك استتب الأمن واستقرت الأحوال، وقد كان العراق مركز الإمبراطورية، وكانت الخيرات تأتي إلى العاصمة من كل بقاع العالم الإسلامي.

المأمون الخليفة المثقف

لقد كان العراق إبان حكم المأمون من بغداد (819 ـ 833) مركزاً لفعاليات ثقافية مميزة، وخاصة ترجمة علوم وفلسفة الإغريق إلى العربية.. لقد تبنى المأمون مذهب (المعتزلة) الذي كان نزعة عقلانية، وهو مذهب عراقي تأسس في البصرة، ولقد جمع الخليفة نفسه نصوصاً، وشغلَ مترجمين مثل الشهير حنين بن إسحاق، وأسس (دار الحكمة) في بغداد. بلغت بغداد قمة فخامتها عمرانياً وظهر الجانب الشرقي من المدينة حافلاً بقصوره وحماماته وأسواقه ومدارسه ومساجده غير أن ازدهارها الحقيقي تمثل بازدهار العلم والمعرفة والأدب وانتقال الثقافة العراقية (العربية الإسلامية) إلى آفاق عالمية واكبت تعاظم الدور الاجتماعي والاقتصادي لبغداد. فلم تكن بغداد مجرد ظاهرة عمرانية أو سياسية على أهمية ذلك، إنما بداية لعصر من الإبداع الحضاري حيث انتقل إليها العلماء من المدينة المنورة والكوفة والبصرة، وأصبحت رمزاً لمدرسة فكرية موحدة وقبلة للعلم يقصدها الطلاب من مختلف الأنحاء، فازدهرت فيها الترجمة والإبداعات الأدبية والفكرية والعلمية في مختلف المجالات.

صلاح الدين الايوبي، التكريتي العراقي

المولود في 1137م في مدينة تكريت شمال بغداد، وعاش فترة في الموصل وبغداد، وكان على المذهب الاشعري، ويميل الى التصوف القادري.[47] وكان جده(شادي) قد قدم الى تكريت من (قرية دوين الكردية) في ارمينيا لانه كان موظفا لدى الترك السلاجقة. وهنالك جدل حول اصل العائلة، فبعض الأيوبيين يقولون: إنهم عرب أموية[48].

في كل الاحوال ان (صلاح الدين) قد تربى وتثقف بين (عرب العراق) وابيه (ايوب) قد عاش وتثقف ايضا في تكريت. وظلت العائلة وفية للعمل لدى (الترك). فعمل (صلاح الدين) لدى (الاتابكة الترك) في الموصل وأربيل وحلب. ولم يُذكر ان جيشه ولا دولته (الأيوبية) قد نطقت بالكردية او حملت اسمها، لأن أساسها كان تركمانيا بالاشتراك طبعا مع الشاميين والمصريين. كذلك ثقافة ولغة هذه الدولة هي الإسلام والعربية. وقد اشتهر هذا القائد بانتصاره على الصليبيين وتحريره بيت المقدس في (معركة حطين). وتوفي عام 1193 وقبره في دمشق. إذن (صلاح الدين) قبل كل شيء هو عراقي بالولادة والعائلة والتربية والثقافة، و(شامي ـ مصري) بكفاحه ودولته وسلالته الايوبية، ثم مكان وفاته. ولكن جدّه (شادي) كردي الاصل والميلاد والنشأة.[49]

***

(47)ـ عن صلاح الدين: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، حوادث عام 564 هجري

(48) ـ اختلف المؤرخون القدماء حول أصل الأيوبيين، والبعض يرجح أنهم من أصل عربي. طالع:
ـ كتاب الأمراء الأيوبيون عبر التاريخ / عبد الغني محمد إسماعيل الأيوبي / رئيس جامعة الأمراء الأيوبيين في لبنان.

(49) ـ ان عراقية (صلاح الدين) هي امر متفق عليه انسانيا وعالميا. إذ ينتمي الانسان الى مكان ميلاده وتربيته. وهذا ما اطلقنا عليه:(المفهوم البلادي). اما المنطق العرقي العنصري الذي ينفي (عراقية صلاح الدين) ويركز فقط على اصله (الكردي)، فعليه إذن ان يعتبر(الخميني) هنديا وليس ايرانيا، لانه جده(سيد أحمد الموسوي الهندي) قد هاجر من الهند.(طالع نهاية هذا الفصل: الملحق)

فئات المجتمع العراقي في هذه المرحلة

خلالها تحول العراق و(بغداد) خصوصاً إلى مركز استقبال لما يحصى من الجماعات من مختلف الشعوب والأجناس، محاربين وتجار ومثقفين وعبيد ومماليك وجوار: أتراك وأرمن وفرس وهنود وبربر وأفارقة الأساسية للمجتمع العراقي، المتميزة عددياً وفعالياً:

العرب

كما بينا سابقاً، إن انتشار لغة ما، لا يعني أبداً أن جميع المتكلمين بها ينتمون إلى المجموعة العرقية (القومية) صاحبة تلك اللغة. يكفينا أمثلة عديدة معروفة، مثل اللغة الإنكليزية والأسبانية والبرتغالية المنتشرة في قارتي أمريكا بين شعوب مختلفة عرقياً عن الإنكليز والأسبان والبرتغال. إن انتشار أية لغة يعتمد أساساً على هيمنة المجموعة الناطقة بها على باقي المجاميع المختلفة لغوياً. على هذا الأساس يمكننا النظر إلى عملية التعريب التي جرت في العراق حيث تحول سكان العراق بغالبيتهم إلى العروبة مع الإسلام.

النصارى السريان

وهم جزء من سكان العراق الأصليين الذين لم يدخلوا الإسلام والتعريب، بل حافظوا على لغتهم ومسيحيتهم، وكان لهم حضورهم في بغداد وتكريت والرقة والموصل، وكان الخليفة يحترم رئيسهم (الجاثليق) ومقره في بغداد، حيث كانوا يحتفلون بأعيادهم بشكل شعبي يشاركهم بها حتى المسلمون. قامت الطبقة المتوسطة من (السريان) بدور مهم في الحركة الثقافية في العراق وأخرجت عدداً من الأطباء الكبار، والفلكيين والعلماء والمترجمين، وقد كانت حرّان المركز الأول للثقافة الآرامية وفيها بقية الدين الصابئي القديم الذي يدور حول عبادة الكواكب.

الصابئة

في الحقيقة إن هنالك إشكالاً وخلطاً بين الصابئة الحقيقيين في جنوب العراق والأحواز، والذين في شمال العراق (حران) الذين ادَّعوا أنهم صابئة لحماية أنفسهم

من تهمة الكفر؛ لأن عقيدتهم كانت من بقايا عقيدة عبادة الكواكب العراقية القديمة، وبما أنهم حافظوا على العلوم البابلية، فقد توفروا على الاهتمام بالفلك والعلوم المتصلة به من عهد عريق في القدم، وبرز منهم علماء فلكيون كبار مثل (البتاني).

اليهود

استقبل يهود العراق، مثل غالبية العراقيين من مختلف الطوائف، الفاتحين المسلمين بالترحاب والتعاون، بسبب ما عانوه من ضيق وقمع أيام الفرس الساسانيين. عاش اليهود فترة من الازدهار والأمان في ظل الخلفاء الراشدين ثم الدولة الأموية. أما في العصر العباسي فقد تمتعوا باعتراف كامل بخصوصيتهم، حيث قرَّبهم الخلفاء واحترموا شيخ الطائفة (رأس الجالوت ـ رأس الجالية) وأعادوا ما كان قد هدّم من معابدهم على عهد الساسانيين. انتعش النشاط الثقافي اليهودي ونشطت الكثير من الحركات الفكرية والدينية. فمثلاً في القرن الثامن م تكونت حركة فقهية يهودية في العراق اسمها (حركة القرائين) الاجتهادية الرافضة للتلمود.

الأكراد



طبعاً كما هو الحال في كل تاريخ العراق، إن مساهمة الأكراد في الحضارة العراقية مستمرة ولكن ليس بالضرورة تحت اسم (الأكراد). فكما ذكرنا سابقاً، إن جبال الأكراد

المطلة على وادي النهرين، كانت دائماً تغذي سكان العراق بالهجرات الكردية الفردية والجماعية، التي كانت تذوب بين باقي العراقيين وتتبنى ألقابهم ولغتهم ودينهم. في أواخر العصر العباسي، أي في زمن السلاجقة الأتراك تم لأول مرة الاستخدام الرسمي لتسمية (كردستان) في منطقة سكناهم في إيران. إذ قام (السلطان السلجوقي سنجر) في القرن 13م، بتكوين مقاطعة باسم (كردستان) كانت جزءاً من إقليم الجبال، ومركزها (كرمنشاه) و(سنندج) في إيران.

وبدأ دور الأكراد يبرز بالاعتماد عليهم كمحاربين تابعين للدويلات والإمارات التركية في شمال العراق وسوريا مثل (دولة الأتابكة)، التي برز فيها المحارب الكردي العراقي القائد الشهير (صلاح الدين الأيوبي).

التركمان

كما وضَّحنا سابقاً في حديثنا عن الترك، يعتبر التركمان من الجماعات التي تعود بأصولها القديمة إلى آسيا الوسطى الناطقة بالتركستانية والتي تتكون من بلدان (آسيا الوسطى): أوزبكستان وقرغيزستان وكازخستان وطاجكستان وتركمانستان، وقد ارتبطت منطقة آسيا الوسطى بعلاقات تاريخية قديمة مع العراق. إن الحضور التركماني الحقيقي الذي دونه التاريخ يعود إلى أوائل الفتح العربي الإسلامي. إن معظم أفراد الجيش الإسلامي بقيادة (عبيد الله بن زياد) عام (54هـ) الذي فتح تركستان كانوا من المحاربين العراقيين، الذين استقروا هناك وتزاوجوا مع التركستان، ولم يكتف العراقيون بالاستقرار والتزاوج مع الترك، بل إنهم بعثوا بالمقاتلين الترك ليستقروا بدورهم في العراق. يقول الطبري: ((إن عبيد الله بن زياد قام في شهر ربيع الأول سنة 54هـ (673م) بهجماته عبر (جيحون) على (بخارى) ثم على (بيكند) فقاومه الجيش التركي تحت إمرة الملكة (قبج خاتون) مقاومة شديدة جداً، جلبت انتباهه وإعجابه لما لمسه فيهم من شجاعة فائقة وحسن استعمال الأسلحة، فاختار منهم ألفي مقاتل يحسنون الرماية بالنشّاب فبعثهم في العراق وأسكنهم البصرة))[50].

(50) ـ **عن تركمان العراق: تاريخ الطبري**: (ص221ـ ج4).

طائفة المانوية

وهي الطائفة التي أسسها (مانو البابلي) في العراق، القرن الثالث م (كما وضحناها في المرحلة الثانية). وشاعت عنها تسمية (زنديق) في الفترة الإسلامية. يبدو أن الفتح العربي منحها بعض الزخم بسبب كثرة اتباع المانوية في العراق بعد هجرة الأعداد الكبيرة منهم من الشاميين والمصريين إلى العراق بعد حكم الاعدام الذي كان قد أصدره البيزنط بحقهم. ثم إن الإسلام في أول الأمر لم يكن موقفه واضحاً من المانوية، وقد اعتبرها في البدء من أديان أهل الكتاب. في العصر الأموي تمتع أتباع المانوية ببعض الحرية خصوصاً في زمن الخليفة (الوليد الثاني 743 ـ 744).. ومما ساعد على نشاطها استخدام الكثير من اتباعها كُتّاباً في الدواوين في العراق بدل المجوس الفرس، وذلك بعد قرار تعريب الدواوين في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي. وهذا ساعدهم[51].

في الفترة العباسية، تزايد الاضطهاد ضد المانوية باسم مكافحة الزندقة والمثنوية والإلحاد والدهرية والمجون، إلاّ أن أتباعها كانوا نشيطين خصوصاً في المجال الفكري، وشكلوا الحلقات الثقافية التي يطلق عليها (إخوان الصدق)، لاحظ التشابه مع (اخوان الصفا). وقد شملت تهمة المانوية كتّاباً وشعراء مثل: صالح ابن عبد القدوس، بشار بن برد، أبو النواس، أبو العتاهية، حماد الراوية، عبد الله بن المقفع.. وغيرهم. وقد حكم بالموت على الكثير من هؤلاء المثقفين. وقد قام بالرد عليها وتفنيدها: واصل بن عطاء، الجاحظ، أبو محمد بن الحكم، الجبائي، النوبختي، المسعودي، الرازي، الرقي... وغيرهم[52].

يعتبر الخليفة العباسي (المهدي) (775 ـ 785)، أول من أعلن الحرب ضد المانوية وجميع التيارات الفكرية المعارضة باسم مكافحة الزندقة، حتى سمي (قصاب الزنادقة). وقد أنشأ من أجل ذلك (ديوان الزنادقة) بقيادة (عريف الزنادقة). وفي

(51) ـ يستغرب المؤرخ القومي (عبد العزيز الدوري) هذا التحول نحو المانوية في الدواوين الأموية، لأنه لا يدرك أن الزرادشتيين فرس ولا يتقنون غير الفارسية، أما اتباع المانوية فهم عراقيون ويتقنون العربية القريبة من السريانية، لغتهم الأصلية. ولهذا تم استخدامهم في عملية تعريب الدواوين. (راجع ـ الدوري ـ الجذور التاريخية للشعوبية ـ ص22).

(52) ـ التاريخ الاسلامي ـ فاروق عمر ـ ص 193،213

أواخر العهد العباسي توسعت تهمة (الزندقة) حتى وصلت على يد الإمام الغزالي الى كل محاولة اجتهادية تخالف المذاهب السلفية وتنحرف عنها في التفسير[53]. واستمر الاضطهاد وتعاظم مع الخليفة (المقتدر) (908 ـ 932)، وحسب (فهرست ابن النديم)، إنه في أواخر القرن العاشر الميلادي قد هبط عدد رموز المانوية في بغداد من 300 شخص إلى 5 أشخاص فقط. بسبب اضطهاد العباسيين اضطر الكثير من اتباع المانوية إلى الهروب من العراق إلى خراسان وكردستان وتركستان (ربما يكون اليزيديون في شمال العراق من بقايا المانوية الذين هربوا من اضطهاد العباسيين)[54].

أربيل المسيحية السريانية، ثم التركمانية

في تلك المرحلة لم يكن هنالك وجود واضح وموثق للأكراد في هذه المدينة (وهي حالياً عاصمة إقليم كردستان العراق). فبعد الفتح العربي الإسلامي لشمال العراق، أخذت أربيل السريانية المسيحية، مثل كل الحواضر العراقية، بدفع الجزية، وكان (مار إيشوعياب الحذيابي) شيخ المشاهير أسقفاً لنينوى، ومن ثم مطراناً لأربيل، وبعدها بين (650 ـ 659م) بطريركاً على الكنيسة المشرقية الجامعة. هذا المطران الأربيلي كان قد خلف للبشرية أكثر من خمسة عشر مؤلفاً قيماً.

أربيل والأربيليون أيام الأتابكة التركمان: استطاع (عماد الدين زنكي) مؤسس (أتابكية الموصل) أن يضم إليه إمارة أربيل من خلال اتفاق سياسي حوالي (1160) م، وقد اعتمدوا كثيراً على المسيحيين في أربيل وسائر أرجاء مقاطعة حذياب لإدارة شؤون إماراتهم وسلطانهم. كان القرنان الثاني عشر والثالث عشر متميزين بالتغيرات الاجتماعية والديموغرافية الكبيرة حيث اجتمعت أقوام جبلية كردية بدأت تهبط إلى أربيل ومعظم مقاطعة حدياب الخصبة، وعلى الرغم من ذلك كان عدد السريان فيها هو أكثر من نصف السكان، وقد عرف العديد من الذين نالوا السطوة والوظائف البارزة لدى الأتابكة من أبناء (عائلة شماشا) المشهورة في أربيل آنذاك، وبعضهم اعتنق الإسلام مثل (أبي الحسن) وهو (جلال الدين علي بن شماس الأربيلي) رئيس ديوان وأمين سر (السلطان مظفر الدين كوكبري) حاكم اربيل الشهير (1153م ـ 1232م).

التنوع المذهبي والخلافات الطائفية

هنالك حقيقة مهمة طالما أسيء فهمها: إن الانقسام في المجتمع الإسلامي ولعدة قرون، خلال الفترة الأموية وحتى أواسط الفترة العباسية، لم يكن انقساماً بين (شيعة وسنة)، بل انقسامات عديدة بين عدة مذاهب سائدة حينذاك: (علوية، خوارج، معتزلة،

(53) ـ نفس المصدر السابق/ فاروق عمر
(54) ـ عن المانوية: طالع دراستنا المنشورة في كتابنا (الذات الجريحة):

مرجئة، أهل الحديث.. إلخ). كذلك كانت هنالك انقسامات عديدة وتناحرات في داخل (شيعة علي): (الإمامية الاثني عشرية، الزيدية، الكسائية، الإسماعيلية)[55].

أما من الناحية الفكرية والثقافية فإن الخلاف كان شديداً خصوصاً بين أهل الكلام والعقل ـ أي الفلاسفة ـ وعلى رأسهم المعتزلة، وأهل الحديث والنقل ـ أي السلفية ـ أي الرافضين للاجتهاد الفكري والداعين للتمسك الحرفي بالنصوص المقدسة وعلى رأسهم (الحنبلية)[56]. فقد حدثت صراعات حادة في بغداد بين (المعتزلة) وخصومهم، وكذلك حدثت شجارات بين أنصار (الحنبلية) و(الشافعية). أما أنصار (الإمام علي) فلم يكن الشيعة وحدهم، بل غالبية المسلمين من مختلف المذاهب ضد أنصار الأمويين. حتى الفقيه (أحمد بن حنبل) في القرن الثامن، رغم تشدده الديني، إلاّ أنه خصص معظم كتابه (فضائل الصحابة) لمناقب (الإمام علي) (جزء 1/ 528 ـ 551، 2/ 555 ـ 738).

أما قيادات الدولة العباسية فلم تكن سنية ولا على مذهب واحد، بل تنوعت مذاهب الخلفاء حسب الظروف. فخلال خمسة قرون من عمر الخلافة في بغداد، كان دين الدولة يتأثر بطائفة الخليفة، فالمأمون والمعتصم والواثق أعلنوا (الاعتزال) عقيدة الدولة، وقام المتوكل بتعيين (الشافعية) مذهباً رسمياً، أما المستعصم بالله فكان يميل نحو (الشيعة) وكذلك الخلفاء الذين تعاقبوا خلال النفوذ البويهي الشيعي (945 ـ 1055م).

شيعة العراق (عملاء مصر)؟! وتحول الخلاف السني ـ الشيعي، من سياسي الى مذهبي!

من طرائف التاريخ، أن الخلاف الشيعي السني قد بدأ فعلياً بتهمة: (العمالة للدولة الفاطمية المصرية)!

لقد ظهرت الدولة الفاطمية (909 ـ 1171) في (المغرب) أولاً، ثم استقرت في

(55) ـ لقد اتفقت على هذا غالبية المصادر التي بحثت في موضوع مذاهب الإسلام. راجع مثلاً: تيارات الفكر الإسلامي ـ محمد عمارة ـ قسم الشيعة الاثني عشرية.

(56) ـ عن الحنبلية: نفس المصدر السابق/ قسم الأشعرية، حيث يقارن مع الحنبلية.

(مصر) حيث شيدت عاصمتها (القاهرة)، وضمت إليها بلاد الشام. كان الفاطميون شيعة إسماعيلية، يدعون إلى الباطنية (السرية) والعمل العنفي، على عكس (الشيعة الجعفرية) الذين يميلون إلى العمل الثقافي العلني. إن خطر الدولة الفاطمية وتهديدها بإسقاط الدولة العباسية، كان جدياً وعلنياً، وهذا ما أثار مخاوف الخلفاء وعموم السنّة، من شيعة العراق، الذين بدؤوا يميلون ويتعاملون فعلاً مع الفاطميين، بحيث أصبحت مصر ملجأ للكثير من المثقفين والشخصيات العراقية الهاربة، أمثال (ابن الهيثم) العالم البصري الشيعي[57]، وكذلك (المسعودي) المؤرخ البغدادي الشيعي الشهير وصاحب كتاب (مروج الذهب)، والاثنان قد لجآ إلى (مصر) وتوفيا فيها.

وقد بلغ هذا الخطر إلى درجة أن أحد أعوان الفاطميين (البساسيري: وهو مملوك تركي) سيطر على (بغداد) نفسها لمدة عام (1058)، وذكر اسم الخليفة الفاطمي في مساجدها بدلاً من اسم الخليفة العباسي. لكن السلطان السلجوقي (طغرل بك) استطاع القضاء عليه. لهذا التف أهل السنَّة حول السلاجقة الترك الذين أتوا كمدافعين عن الإسلام السني إزاء الخطر الفاطمي الشيعي. وقد بلغ الأمر بالقيادات الشيعية العراقية، أنهم اضطروا إلى توقيع بيان باسم علماء بغداد لصالح الخليفة يتهم (الفاطميين) بالكفر وزيف انتمائهم إلى سلالة الرسول وابنته فاطمة[58].

إذن هكذا في هذه الحقبة بالذات تحول (الخلاف السياسي التحزبي) الى (خلاف مذهبي طائفي)، حيث اعلن الخليفة القادر (991 ـ 1031) قيادته للسنَّة، ثم تلاه ابنه الخليفة القائم العباسي (1040م/ 433 هـ) الذي أصدر وثيقة (الاعتقاد القادري)[59] التي تتضمن بعض البنود التي تعارض (مذهب المعتزلة) و(مذهب الشيعة)، مثل:

1 ـ تكفير كل من لا يُسلِّم بأن كلام الله قديم وأن أفعال الإنسان مُقدرة سلفاً، وأن المؤمن ليس له أن يسأل عن أسباب الله حتى وإن عاقب المحسن ونعّم المسيء.

---

(57) ـ جاء في (إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي أن (ابن الهيثم) لجأ إلى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الذي دعاه إلى مصر لتنظيم فيضانات النيل/ وتوفي في القاهرة في 1021، وفيها ألف كتابه الأشهر المناظر.

(58) ـ الشيعة في مصر ـ صالح الورداني ص26.

(59) ـ يقول الذهبي في حوادث سنة 420هـ:

«وفي شعبان جُمع العلماء والقضاة في دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب طويل عمله القادر بالله، يتضمن الوعظ، وتفصيل مذهب السنة، والطعن على المعتزلة، وفيه أخبار كثيرة في ذلك».

ـ المنتظم 15/ 280 ـ 282 و15/ 197، تاريخ الإسلام 28/ 286، البداية 12/ 26 و12/ 4.

2 ـ تكفير من يُقَدِّم الإمام علي بن أبي طالب على الشيخين ـ إخراج من ينتقد عائشة من الملة ـ نفي صفة المسلم عمن يجحد معاوية ـ تارك الصلاة لا يصلى عليه، ويحشر يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون. [60]

أكذوبة زواج الحسين بـ(شهربانو) ابنة آخر ملك فارسي(يزدجر)!؟

اتفق غالبية المؤرخين بأن (ام الامام علي السجاد، ابن الحسين) هي (ام ولد) أي اجنبية: من (الاماء). وكان هذا امرا معيبا في قريش. لهذا فقد اصطنع بعض رواة الشيعة اكذوبة بأنها:(ابنة الملك يزدجر)! ثم مع الزمن حولها انصار الفرس الى دليل على اختلاط العلوية من نسل الحسين بـ(الدم الملكي الفارسي)!

ولكن هذه الرواية قد دحضها غالبية المؤرخين القدماء والمعاصرين، وانها من اصطناع الغلاة. هذه بعض المصادر القديمة التي تذكر بغالبيتها بان اسمها(سلافة) وهي من(السند او بلوشستان: منقسمة حاليا بين ايران وباكستان):

البلاذري: أمه ام ولد، سجستانية(اي بلوشستان) تسمى سلافة: الأنساب ج 3 /ص/102,103/146.

الخوارزمي: أمه أم ولد أمه سلافة: المناقب: ص 143.

اليافعي: أمه ام ولد من أسراء بلاد السند / مرآة الجنان /ج1 /210ص.

اليعقوبي: امه ام ولد من أسراء كابل. تاريخ اليعقوبي: ج3/ص 43.

ابن طولون في الائمة الاثني عشر: امه سندية يقال لها سلافة /ص 78.

الاربلي في «كشف الغمة ج2/ص 80: امه ام ولد اسمها غزالة.

احمد أمين في ضحى الإسلام ج 1/ص 11: كان أكثر أهل المدينة يكرهون الإماء حتى نشأ منهم علي بن الحسين.

وقال سعد بن عبد الله القمي الأشعري: ام ولد يقال لها سلافة. المقلات والفرق ص 70

وقال ابن سعد في الطبقات: ج 5/ ص 156: ام ولد واسمها غزالة.

قال الباحث الإيراني الدكتور سعيد نفيسي في كتابه « تاريخ ايران الاجتماعي» ج1/ص13 «ان يزد جرد الثالث لم تكن له أصلا بنت باسم « شهربانو»... كما أن « يزدجرد» في فترة خلافة عمر كان عمره خمسة عشر عاما فكيف تسنى ان يكون له بنت بعمر الزواج![61]

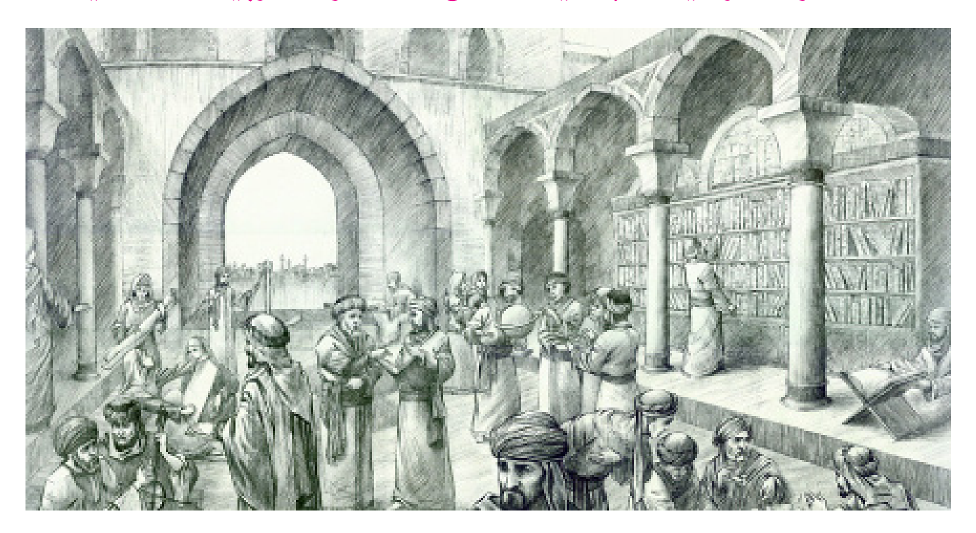
* * *

(60) ـ عن الاعتقاد القادري: (انظر شرح العقيدة للإمام السنوسي ت: 895 هـ).

(61) ـ عن اصل زوجة الحسين، طالع دراسة مفصلة:

ـ زواج الحسين بابنة كسرى بين الحقيقة والأسطورة: صباح الموسوي

الحضارة العراقية العباسية، اساس الحضارة العربية الاسلامية



الكثيرون يجهلون بأن جميع تراثنا العربي الاسلامي قد دون بعد قيام الدولة العباسية: السيرة النبوية والاحاديث وواقعة كربلاء ونهج البلاغة، شعر المعلقات، كلها قد دونت لاول مرة في العراق العباسي، من مصادر اما سمعية او وريقات غير منتظمة او عن سجلات قد اختفت.[62] مثل (السيرة النبوية) التي دونها (ابن هشام: متوفى في 218هـ)، بناء على ما سمعه من (الشيخ البكائي الكوفي)، الذي بدوره كان قد سمعها من (ابن اسحاق المديني البغدادي) والثلاثة عاشوا وابدعوا في العراق العباسي.[63]

فلا يمكن الحديث عن (حضارة) دون وجود كتابة وتدوين ونصوص ادبية وعلمية ودينية. ولم يبدأ عصر التدوين إلا بعد مرور اكثر من قرن على قيام دولة الرسول، أي

(62) ـ لو عاينا جميع الكتب الحالية عن تاريخ الدولتين الراشدية والاموية فإن مصادرها من الفترة العباسية، بالاعتماد على مصادر اقدم سمعية او بعضها قيل انها مكتوبة لكنها لم يعثر عليها.

ـ كذلك تدوين الاحاديث النبوية، حيث ظهرت كتب المسانيد، وكتب الصحاح، واستفاد مؤلفو هذه الموسوعات من كتب الحديث التي ألفت من قبل؛ ككتب مالك، والأوزاعي، وحمّاد بن سلمة، وتنوّعت تلك الموسوعات في أسلوب كتابتها وتصنيفها وترتيبها، وعُرف منها: صحيح البخاري الذي صنّفه الإمام البخاري، وصحيح مسلم الذي صنّفه الإمام مسلم.

ـ (واقعة كربلاء) نقلها لنا(الطبري البغدادي) نقلا عن(ابو مخنف الكوفي).

(63) ـ من الامثلة المعروفة عن عدم وجود نصوص مؤكدة قبل الفترة العباسية، (كتاب الملوك واخبار الماضين) الذي يقال ان (الخليفة معاوية) قد ادلى به الى مؤرخ يماني اسمه(عبيد بن شرية). لكن ليس هناك من قرأ الكتاب او شاهده. بل حتى المؤلف غير مؤكد الوجود. راجع دارسة جادة ومختصرة في ويكيبيديا بعنوان: عبيد بن شرية

مع بدء الدولة العباسية في العراق. فخلال الحقبتين الراشدية ثم الاموية[64]، انشغل المسلمون بالفتوحات وتشيد اعظم امبراطورية عربية اسلامية من حدود الصين الى حدود فرنسا. اما (الحضارة: التدوين) فانها لم تبدأ إلا بعد قيام الدولة العباسية حيث اصبحت حواضر العراق مركز شعاعها. [65]

التنوعات البلدانية للحضارة العربية الاسلامية

كما يصح الحديث عن: (الحضارة الفرنسية، والايطالية والالمانية والامريكية، واليابانية، وحتى الصينية) كتنوعات وطنية لـ(الحضارة الغربية) المشتركة والمتكاملة، كذلك يصح الحديث عن: (تنوعات وطنية: عراقية ومصرية وشامية، ومغاربية، وايرانية، وتركستانية، واندلسية، وهندية.. الخ) لـ(الحضارة العربية الاسلامية) المشتركة والمتكاملة، خصوصا بالاسلام كدين مشترك وبالعربية كلغة ثقافة وابداع. إذن يصح الحديث عن (الحضارة العراقية العباسية) التي نشات وازدهرت في حواضر العراق وابدعها اهل العراق بمختلف اصولهم وعقائدهم وغذوها بأرواحهم وعقولهم وميراث اسلافهم في سومر وبابل وآشور.

ان اوضح دليل أن (العراق وعاصمتة بغداد) كان هو مركز وروح هذه الإمبراطورية العباسية، انها استمرت حية رغم جميع الدول الانفصالية العديدة التي قامت حولها خلال عدة قرون، ولم تنته فعلياً إلاّ بعد سقوط (العراق ـ بغداد) واحتلاله على يد المغول في 1258. [66]

(64) ـ حكم الخلفاء الراشدين 29 عاماً، (632 ـ 661م). اما (الدولة الأموية)استمرَّت 91 عاماً (41 ـ 132 هـ / 662 ـ 750 م)

(65) ـ ورد في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص416:

((قال الذهبي: في سنة (ثلاث وأربعين ومائة 143 هـ):(أي بعد عشرة اعوام على قيام الدولة العباسية)، شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنف ابن جريج بمكة، ومالك الموطأ بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ومعمر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنف ابن إسحاق في المغازي، وصنف أبو حنيفة رحمه الله الفقه والرأي، ثم بعد يسير صنف هشيم والليث وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب. وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس. وقبل هذا العصر كان الناس يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة))

(66) ـ أفضل وصف لخصوصية العراقيين وسر قدرتهم على الإبداع الحضاري:

قال الجاحظ: (العلة في عصيان أهل العراق على الأمراء... أن أهل العراق أهل نظر وذوو فطن ثاقبة، ومع الفطنة والنظر يكون التنقيب والبحث، ومع التنقيب والبحث يكون الطعن والقدح، والترجيح بين الرجال، والتمييز بين الرؤساء، وإظهار عيوب الأمراء).

ـ (وطينة العراق ما زالت تنبت أرباب الأهواء وأصحاب النحل العجيبة، والمذاهب البديعة، وأهل هذا الإقليم =

منذ فجر التاريخ، ظل طبع العراقيين هو (الروح العالمية الخارجية)، حيث كانت (بابل) من قبل، وهكذا أصبحت (بغداد) التي جذبت إليها مختلف مبدعي الأرض من مختلف الشعوب والأعراق. فكانت تضم بالإضافة إلى المبدعين العراقيين مسلمين ومسيحيين وصابئة ويهوداً، الفرس والترك والشاميين والحجازيين والأرمن وغيرهم. كذلك رغم سيادة الإسلام والدولة الإسلامية، إلاّ أن روح الانفتاح جعلت (بغداد) تستقبل المبدعين من مختلف المذاهب والأديان: المسيحيين والصابئة واليهود والمانوية، وهنالك أيضاً الشيعة والسنَّة والمتصوفة من مختلف التيارات والطرق.

بيت الحكمة أول جامعة في التاريخ

كان أكبر مؤسسة علمية في العراق، ويعتبر (أول جامعة في التاريخ). أنشئ في عصر الخليفة (هارون الرشيد) ثم ابنه (عبد الله المأمون) وأحدَثَ نقلة نوعية في الترجمة تمهيداً للعصر الذهبي الإسلامي في بداية القرن التاسع م. كان يضم مساكن للطلاب والمعلمين وساحة جامعية بالإضافة إلى مطعم لتزويد الطلاب والأساتذة بالغذاء. يتكون البيت من طابقين، السفلي يضم قاعات خاصة بخزائن الكتب وأقسام الترجمة والنسخ والتأليف والتجليد والمطالعة والدراسة في كل مجال من مجالات المعرفة والعلوم والآداب، أما قاعات الطابق العلوي فكانت خاصة لإقامة المؤلفين والمترجمين والدارسين والعاملين وغيرهم، وظل بيت الحكمة قائماً حتى اجتاح المغول بغداد سنة (656هـ/ 1258م)، حيث تم تدمير معظم محتوياته في ذلك الوقت والتي كانت تبلغ ما يزيد على 300 ألف كتاب.

= أهل بصر وتدقيق ونظر، وبحث عن الآراء والعقائد، وشبه معترضة في المذاهب، وقد كان منهم في أيام الأكاسرة مثل ماني وديصان ومزدك وغيرهم). عن: ابن أبي الحديد (1258م)، شرح نهج البلاغة/ج2 ص344 و279.

دور العراقيين في ابداع المذاهب الفقهية



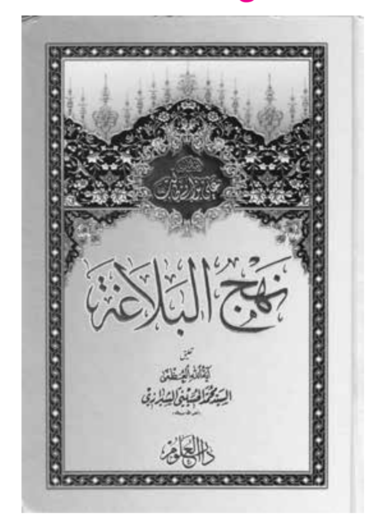
في تأسيس التشيع[67]

هشام بن الحكم، مؤسس المذهب الجعفري

إن التشيع أخذ بعداً فكرياً مذهبياً على يد الإمام الحجازي (جعفر الصادق 699 ـ 765م) وتلميذه العراقي الكوفي (هشام بن الحكم)، ولد هشام في الكوفة (توفي في 179هـ)، ونشأ في واسط، وكان يعمل في التجارة في بغداد، ثُم استقر فيها. ارتبط بالإمام (جعفر الصادق) منذ بداية شبابه ثم مع ابنه الإمام (موسى الكاظم). بَرَعَ في علم الكلام والجدل وله الكثير من المناظرات مع علماء عصره الذين عرفوا بقوّة المناظرة. له عدّة مؤلفات، منها: (علل التحريم) (الفرائض) (الإمامة)، وغيرها.

(67) ـ سنعود إلى تفصيل تاريخ التشيع العراقي، في الفصل القادم.

الشريف الرضي مدون كتاب نهج البلاغة



ولد وعاش وتوفي في بغداد (359هـ ـ 406هـ/ 969 ـ 1015م) شاعر وفقيه ونقيب الطالبيين (العائلة العلوية) حتى وفاته، وهذا الكتاب من أهم كتب الأدب الإسلامي والحكمة الإنسانية وأحد مصادر التشيع، وجمع فيه المختار من كلام (الإمام علي بن أبي طالب) في الخطب والمواعظ والحِكَم وغيرها توزعت على 238 خطبة، و79 نصوص مختلفة.

الإمام المهدي المنتظر (محمد بن الحسن المهدي)

حسب عقيدة الشيعة الجعفرية، هو آخر أئمة الشيعة الاثني عشرية، ولد و (غاب) وهو طفل في سامراء. وأنه سيعود (ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)، وحسب الروايات فإن الإمام الحادي عشر (الحسن العسكري) عندما كان تحت الإقامة الجبرية في سامراء عام (255هـ) أنجب طفلاً من زوجته المسيحية (نرجس) ويعتقد أنها من نسل شمعون الصفا وصي (السيد المسيح عيسى ابن مريم)، وبعد وفاة الإمام الأب عام 260هـ ـ حيث كان عمر المهدي خمس سنين تقريباً ـ بدأت (غيبته الصغرى) التي استمرت قرابة 70 سنة حتى عام 329هـ، فكان لا يظهر للناس بل يمثله كل فترة شخص (سفير) يتحدث باسمه، وبعدها بدأت (الغيبة الكبرى) التي ستدوم حتى اليوم الموعود.

المذاهب السنيّة

إن المذاهب السنية في الحقيقة خمسة: الحنفية والحنبلية والمالكية (الإمام مالك ـ الحجاز) والشافعية (الإمام الشافعي فلسطين)، أما (الأشعرية) فرغم أهميتها ودورها التاريخي وتأثيرها الفكري المستمر حتى الآن، إلاّ أنها لسبب غير واضح لم تعد تذكر بين المذاهب السنية، وثلاثة من هذه المذاهب، أسسها عراقيون في بغداد، وهم:

إمام الرأي أبو حنيفة النعمان (699 ـ 767م)

ويسمى مذهبه بمذهب (أهل العراق)، وُلِد بالكوفة وعاش في بغداد وتوفي بها، وهو عراقي نبطي (أي من السكان الأوائل)، وكان يعمل بالتجارة، حيث كان له محل في الكوفة لبيع الحرير. نشأ مذهب أبي حنيفة في الكوفة مهد مدرسة الرأي، وتكونت أصول المذهب على يديه، واختصرها هو في قوله: (إني آخذ بكتاب الله إذا وجدته، فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله، فإذا لم أجد فيها أخذت بقول أصحابه من شئت، وأدع قول من شئت، ثم لا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبي والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب فلي أن أجتهد كما اجتهدوا)، ولم يؤلف أبو حنيفة بنفسه كتاباً في الفقه بل دون عنه تلميذه (أبو يوسف) أهم كتبه (الآثار).

إمام السلفية أحمد بن محمد بن حنبل (780م ـ 855م)

ولد في بغداد وتنقل بين الحجاز واليمن ودمشق. سمع من كبار المحدثين ونال قسطاً وافراً من العلم والمعرفة، حتى قال فيه الإمام الشافعي: (خرجت من بغداد فما خلّفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقَهَ من ابن حنبل). مذهبه أكثر المذاهب السنية محافظة على النصوص وابتعاداً عن الجدل والرأي؛ لذا تمسك بالنص القرآني ثم بالبيّنة ثم بإجماع الصحابة، ولم يقبل بالقياس إلاّ في حالات نادرة، وله مؤلفات عديدة مثل (كتاب السنَّة) و (أحكام النساء)، وغيرها، وقد استمرت الحنبلية وتطرفت مع (ابن تيمية) وبلغت ذروة تطرفها النصوصي والفعلي في (الوهابية).

إمام الوسطية أبو الحسن الأشعري (874 ـ 936م)

ولد وعاش في البصرة، وهو من أحفاد أول ولاة البصرة (أبي موسى الأشعري). أول شبابه كان من (المعتزلة) أهل الكلام والفلسفة، ثم اختلف معهم لأنه كان يريد أن يقيم مذهباً وسطاً يجمع بين منهج المعتزلة العقلاني والفكر السني الحنبلي المعتمد على الرواية والحديث. له مصنفات عديدة بلغت الخمسين، منها: (إيضاح البرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان) و (تفسير القرآن) وغيرها الكثير.

تيارات فكرية وعقائدية

حركة المعتزلة

فرقة كلامية (فكرية وفقهية) ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري (80هـ ـ 131هـ) أي القرن (الثامن م) في البصرة (في أواخر العصر الأموي)، وقد ازدهرت خلال العصر العباسي الأول. اعتمدوا على العقل الفلسفي في تأسيس عقائدهم وقدَّموه على النقل والحديث، وقالوا بأنّ العقل والفطرة السليمة قادران على تمييز الحلال من الحرام بشكل تلقائي. من أشهر المعتزلة (الجاحظ)، والخليفة العالم (المأمون). كما كان تأكيد المعتزلة على التوحيد وعلى العدل الاجتماعي قد أعطاهم أهمية كبرى لدى الناس في عصر كثرت فيه المظالم الاجتماعية، وكثر فيه القول بتشبيه وتجسيم الذات الإلهية. يعتقد أن أول ظهور للمعتزلة كان في البصرة ثم انتشرت أفكارهم في مختلف مناطق الدولة الإسلامية كخراسان وترمذ واليمن والجزيرة العربية والكوفة وأرمينيا إضافة إلى بغداد. انطوى تراث المعتزلة لقرون ولم يعرف عنه سوى من كتابات آخرين سواء من أشاروا إليهم عبوراً أو من عارضوهم، إلى أن اكتشف مصادفة في اليمن قبل بضعة عقود أهم كتاب في مذهب الاعتزال وهو (المغني في أبواب التوحيد والعدل) للقاضي البصري عبد الجبار.

التصوف

ان التصوف قد عُرف اولاً في العراق، حيث برزت شخصيات كبرى قد ساهمت بالتعريف به ونشره، ومن أهم أعلامهم بين 800 م ـ 1300م: داود بن نصير الطائي

(الكوفي)، رابعة العدوية (البصرية)، معروف الكرخي (البغدادي)، السري السقطي (البغدادي)، الحارث المحاسبي (البغدادي)، منصور الحلاج (الواسطي)، الجنيد البغدادي، الإمام عبد القادر الجيلاني (البغدادي)، الإمام الرفاعي (بطائح البصرة)، وغيرهم الكثيرون[68].

إن التصوف هو امتداد طبيعي لتيار (العرفانية ـ الغنوصية) التي بدأت تنتشر في الشرق الأوسط، بالذات في العراق والشام ومصر، منذ القرن الثالث قبل الميلاد. وهي عقيدة تحاول أن تمزج بين روحانية الشرق الآسيوي ومنطق الإغريق مع ديانتي العراق ومصر القديمتين، وقد تمثلت العرفانية بمسيحية الإنجيل، وكذلك بالقبلانية اليهودية، والمانوية البابلية والصابئية المندائية. أما في (الإسلام) فقد تمثلت العرفانية في التصوف السني والعرفان الشيعي[69].

إخوان الصفا وخلان الوفا

هم جماعة شيعية نشأت في البصرة (القرن 4هـ / 10م)، تبنَّت الفكر الفلسفي العرفاني (الروحاني التصوفي)، وحاولت التوفيق بين الفلسفة والإسلام. لهم اثنتان وخمسون رسالة سمّوها (تحف إخوان الصفا) وقد ذاع صيتها حتى في الأندلس. من مؤلفيها أبو سليمان المقدسي، وأبو حسن الزنجاني والنهرجوري والصوفي وزيد بن

(68) ـ طبعاً لا ننسى أن هنالك العديد من كبار المتصوفة الذين ظهروا في بلدان اخرى، ومن أهمهم (ذو النون المصري)، و(بشر الحافي) التركمستاني العراقي. و(أبو القاسم القشيري) النيسابوري الايراني. و(ابن عربي) الاندلسي.

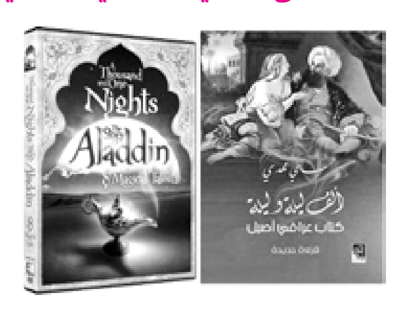
(69) ـ عن كلمة (تصوف)، إن المستشرقين يرون أنها مأخوذة من (صوفيا) اليونانية بمعنى الحكمة. ولكن هذه الكلمة اليونانية، مثل الكثير من الكلمات اليونانية مقتبسة من الكنعانية الفينقية المرتبطة بالاكدية:
ان (أفلاطون) نفسه على لسان (سقراط) في محاورة كراتيليوس في فلسفة اللغة، عندما سئل عن كلمة (سوفي). قال: كلمة (سوفيا) غامضة جداً، وتبدو أنها ليست من أصل محلي.
هذا اعتراف بأن الكلمة ليست من أصل يوناني. ففي الأكادية، تجد كلمة (Safu) : صافو" التي تعني (يدعو، يصلي) وكلمة (Sufu : صوفو) ومعناها (دعاء، صلاة). وثمة عبارة في الأكدية تقول: Semat tisliti u su-pia. وفي الجذر العربي (صفا: شفو) (شافي وصفاء) و(آسي: حكيم وطبيب). عندما فلسف العرب (الفكر الروحاني) اطلقوا عليه هذه الكلمة.
طالع:
ـ ترجم المحاورة وقدم لها بدراسة تحليلية الدكتور عزمي طه السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة، ط1، عمان، 1995، ص149.
ـ انظر ما كتبه الدكتور علي فهمي خشيم في تأصيل كلمة «فيلاسوفيا» في كتابه: رحلة الكلمات: الرحلة الأولى، مركز الحضارة العربية، ط2، القاهرة، 2001، ص، 97 ـ 98.
(هذه الاقتباسات والمصادر من دراسة منشورة: ـ رأي في تأثيل كلمة صوفي/ د. أمين عودة)

رفاعة، وهي موسوعة في علوم مختلفة في مبادئ الرياضيات والمنطق وعلم النفس وما بعد الطبيعة والتصوف والتنجيم والفلك وغير ذلك، وكانت تحت تأثير الفكر الإسماعيلي الشيعي ويعتبر البعض هذه الرسائل بمثابة موسوعة للعلوم الفلسفية. كان الهدف المعلن من هذه الحركة (التضافر للسعي إلى سعادة النفس عن طريق العلوم التي تطهِّر النفس).

الخوارج والاباضية

هي فرقة إسلامية نشأت في العراق بين أنصار (الخليفة علي بن ابي طالب) في القرن الاول الهجري، إذ تمردوا عليه لقبوله التحكيم مع معاوية. كانوا عموما يميلون الى الثورة ويدَّعون بالبراءة والرفض للخليفة (عثمان بن عفان)، والخليفة (علي بن أبي طالب)، والحكّام الأمويين، والدعوة الى إيقاف الحروب بين المسلمين. أطلق عليهم خصومهم اسم (الخوارج) لخروجهم على أئمة الحق، ولكن هم فسَّروه على أنه: خروج على أئمة الجور والفسق. وقد انقسموا الى عدة مذاهب بقي منها (المذهب الاباضي) الذي اسسه في (البصرة) (عبد الله بن إباض التَّمِيمِي البصري). وانتشرت (الاباضية) في جنوب الجزيرة العربية، لكنها تركزت بين بربر بلدان المغرب حيث أسسوا (الدولة الرستمية: 776 ـ 909 م). الاباضية حاليا هي المذهب الرسمي لـ(سلطنة عمان)، وكذلك هنالك جماعات اباضية متميزة في ليبيا وتونس، وخاصَّةً في (وادي ميزاب) في الجزائر، وفي زنجبار بتنزانيا.

ألف ليلة وليلة إبداع عراقي ـ مشرقي ـ انساني خالد[70]



إن هذا الكتاب في الحقيقة عبارة عن موسوعة للحكايات الشعبية السائدة في بغداد العباسية، وطبعاً هذه الحكايات ليس لها مؤلف مثل جميع الإبداعات والحكايات الشعبية في العالم، وقد كتب بلغة عربية فصيحة ولكن بأسلوب وكلمات واضحة أقرب إلى اللهجة البغدادية العباسية، وتم الربط المصطنع بين هذه الحكايات بحكاية أساسية (شهريار وشهرزاد) تشكل أشبه بالشبكة الجامعة. أما الميزة العظمى لهذه الحكايات فهي أنها تعتبر خلاصة للثقافة الشعبية الحكواتية السائدة في بغداد العباسية.

بما أن بغداد كانت عاصمة لكل الثقافات واللغات المجتمعة تحت راية الإمبراطورية، فإن هذه الحكايات قد عبرَّت عن جميع هذه الثقافات: أولها ثقافة العراقيين الموروثة من أيام بابل وآشور ثم آرام، حتى الحضور العربي الإسلامي، ثم باقي الثقافات العربية (المصرية والشامية والحجازية) ثم التركية والهندية والفارسية والرومية (اليونانية)، ويمكن اعتبار هذا الكتاب العظيم، أشبه بشجرة بذرتها كانت في الهند وبرعمها في إيران ثم تلقفها العراقيون لتصبح على يدهم شجرة عملاقة فيها مختلف الثمار العجيبة، وليس صدفة أن الخليفة الشهير (هارون الرشيد) يلعب بها دوراً أساسياً، كذلك (بغداد) و(البصرة) من مسارحها المميزة.

طبعاً احتاجت هذه الحكايات لقرون كي تكتمل، ويبدو أنها كانت معروفة منذ القرن العاشر م. إذ تحَّدث عنها عدة مؤرخين بغداديين من العصر العباسي مثل (المسعودي) و(ابن النديم) في (الفهرست) و(الصولي). أما الميزة الكبرى الثانية لهذه الحكايات، فإنها تعبّر عن الروح الأنثوية التي كانت سائدة في بغداد ذلك العصر. فمثل كل عصور الازدهار والرخاء والبذخ كانت النساء تلعب دوراً حاسماً في الحياة العامة وخصوصا في مجال الثقافة الفنية والأدبية. إذ كانت بغداد تزخر بالنساء من زوجات الخلفاء والقادة، مع الجواري والقيان من مختلف الأصول والثقافات، وقد أثّرن بشكل كبير في المجتمع البغدادي خصوصاً والعراقي عموماً. لكن (ألف ليلة وليلة) أخذت قيمتها في الثقافة الرسمية العربية والعالمية بعد عدة قرون من تأليفها، بعد أن أعاد اكتشافها الأوربيون، وتعرف لدى الغرب (بالإنجليزية: Arabian Nights) أي (الليالي العربية)، بعد أن عثر على نسختها في (حلب) المستشرق الفرنسي أنطوان غالان عام 1704 م، وترجمها وقدمها إلى الفرنسيين، ثم ترجمت عن الفرنسية إلى مختلف لغات أوربا طوال القرن الثامن عشر وما تلاه.

لقد اضطررنا الى اختصار العرض اعلاه عن الحضارة العراقية العباسية، وخصوصا في مجالات الادب والعلوم والفلسفة، لاننا سنوضح هذا من خلال الملحق ادناه، والذي نقدم فيه أهم المبدعين العراقيين في هذه المرحلة، مع العديد من مبدعي البلدان الاخرى:

(70) عن عراقية ومشرقية الف ليلة وليلة، طالع كتاب بحثي مهم:
ـ ألف ليلة وليلة... كتاب عراقي أصيل / سامي مهدي/ دار ميزوبوتاميا

ملحق تعريفي

(الهوية البلادية) للشخصيات الفاعلة، وكشف أكذوبة (دور الفرس) في الحضارة العربية الإسلامية[71]



الخريطة الحالية لانتشار اللغات القومية في ايران: الفارسية حوالي 50% / التركية حوالي 25% / الكردية حوالي 10% /البلوشية حوالي 2% / العربية حوالي 3%

في الحقيقة اننا ما تطرقنا لهذا الموضوع المعقد والحساس، رغبة باثارة (مشكلة الاصول العرقية القومية) للشخصيات التاريخية التي برزت في مختلف المجالات، بل اضطررنا الى هذا لمواجهة التشويه العنصري السائد عن قصد او عن جهل، باحتساب غالبية الشخصيات السياسية والثقافية في (الحضارة العربية الاسلامية) على (الفرس وايران)! فدائما تسمع وتقرأ، شعبيا واعلاميا واكاديميا:

ـ العرب بدو جهلة، والفرس هم من صنع الحضارة الاسلامية.. غالبية العلماء من الفرس.. لولا الفرس لما انوجدت الحضارة الاسلامية.. الفرس.. الفرس.. الفرس!؟

(71) ـ كما وضحنا سابقاً، إن المقصود بكلمة (بلادي) من (بلاد)، أي التعامل مع الشخص حسب انتمائه للبلاد التي ولد ونشأ وتعلم ونشط فيها، وليس حسب أصوله العنصرية والاسلافية القديمة والافتراضية، والتي من المستحيل اثباتها. ولم نستخدم كلمة (وطني) لأنها توحي بالمعنى العقائدي والميول السياسية (الوطنية).

حتى الاطفال والأميون يرددون هذا.. العرب واعداء العرب يرددونه.. الشيعة والسنة يرددونه.. انصار ايران واعداء ايران يرددونه!!؟؟

لكن لو تمعنا في الحقائق التاريخية خارج هذا التهويش الاعلامي، لتبين لنا بكل سهولة ويقين زيف هذا التهويل. يكفينا ان نعتمد، مثل جميع بلدان العالم، على المفهوم (البلادي) لتحديد هوية أية شخصية تاريخية. للتوضيح نسرد هذا المثال من ايران نفسها:

(السيد الخميني)، لا احد يعترض باعتباره: (ايراني ـ فارسي)، لانه بكل بساطة ولد ونشأ وتعلم وتوفي في (ايران). لكن لو اعتمدنا (المنهج العرقي القومي) فإن الامر سوف يتعقد:

ـ من ناحية اصول الاجداد القريبين، فان الخميني «هندي». لأن جدّه اسمه (سيد أحمد الموسوي الهندي) من سكان (دولة اوده الشيعية المسلمة، شمال الهند). هاجر هذا الجد اولا الى (النجف) موطن اجداده العلوية، ثم بعد سنوات هاجر الى (بلدة خمين: لقب خميني) في ايران واستقر هناك. أما من ناحية اصول الاجداد القدماء، فان الخميني، كما هو متداول رسميا (علوي موسوي، اي عربي)!

لكن رغم هذه الاصول (العرقية والاسلافية) السابقة، فقد تم الاعتماد تلقائيا وطبيعيا على (المفهوم البلادي) واتفق الجميع دون اي جدل بأن (الخميني) (ايراني فارسي) ونحن مع هذا تماما. لانه هو وابوه وعائلته نشأوا في ايران، وكرس حياته من اجل ايران. علما بانه ايضا عاش وتثقف في (العراق ـ النجف) في منفاه لحوالي 13 عاماً (65 ـ 1978).[72]

(72) ـ نفس الحال بالنسبة للسيد علي الخامنئي، مرشد الثورة: من ناحية الاصول العرقية اللغوية، فإنه جده (حسين الخامنئي) (تركي من آذربيجان). ومن ناحية الاصول العرقية القديمة فان(اجداده علوية عرب).
نفس الحال بالنسبة للكثيرين من قادة وشخصيات ايران في مختلف المجالات. ومنهم مثلا الرئيس السابق(علي خاتمي، العلوي).
ثم هنالك امثلة من التاريخ الايراني القريب:
ـ حتى عام 1500م ظلت ايران خاضعة وممزقة بين دول وامارات عدة داخلية وخارجية. ولكنها عادت من جديد موحدة وقوية بفضل دولتين ما كانت (فارسية) بل (تركمانية آذربيجانية متزاوجة مع جورجيين وشركس واكراد وارمن): (الدولة الصفوية: 1501 ـ 1736)، التي فرضت التشيع، ثم (الدولة القاجارية: 1779 ـ 1925).
=

كي لا يبدو بأننا منحازون لصالح دور العراقيين والعرب ضد دور الفرس، نضع هذا الجدول الحيادي، المختصر جداً، بأهم الشخصيات الإيرانية، والشخصيات التي احتسبت ظلماً على (الفرس)[73]:

الشخصيات الإيرانية (أو الفارسية) التي ولدت ونشأت في إحدى حواضر إيران

ـ **الإمام المؤرخ الطبري، ولد في طبرستان:** عاش وتثقف وأبدع ومات في بغداد[74].

ـ **إمام الحديث مسلم القشيري النيسابوري:** ولد في نيسابور. أصله عربي من (بني قشير)[75].

ـ **الإمام الفيلسوف الغزالي:** ولد في طوس، يحتمل أن أصله من عرب إيران.

ـ **الطبيب الفيلسوف أبو بكر الرازي:** وُلد في الريّ.

ـ **الإمام المفسر فخر الدين الرازي:** ولد في الري (أصله قريشي عربي).

ـ **ابن ماجه:** محدِّث ومفسر ومؤرخ. ولد وتوفي في قزوين. عاش وتعلم في البصرة وبغداد والشام ومصر ومكة والمدينة.

ـ **أبو الفتوح السهروردي:** صوفي إشراقي، ولد في سهرورد وتعلم في حلب وبغداد، وتوفي في سوريا.

= .(رضا شاه) مؤسس ايران الحديثة، وفارض(عقيدة القومية الفارسية العنصرية المعادية للعرب)، هو من (أب غير فارسي: لوري علوي. وأم غير ايرانية: قفقاسية)، وكان (ضابطا قوزاقيا) لدى القاجارين الترك الآذربيجانية، قبل انقلابه البريطاني عام 1925.

(73) ـ نرجو أن يتفهم القارئ مقصدنا من التوقف عند (موضوع التفريس) باعتبار (الجميع مسلمين) ولا داعي للبحث في الأصول. نعم هذا الرد يبدو صحيحاً لو لم تكن السياسة حاضرة بقسوة في سرد التاريخ. إذ إن المشكلة تتضح عندما في كل مرة يتم فيها الحديث عن الحضارة العربية الإسلامية، نواجه بهذا الرد العنصري الظالم:

(العرب بدو أصحاب غزو، والحضارة صنعها الفرس)!! وهذا الكلام لا يردده الإيرانيون فحسب، بل المشكلة أنه منتشر بصورة عجيبة بين الناطقين بالعربية: في الكتب والجامعات والإعلام وحتى في العقلية الشعبية، وفي الأعوام الأخيرة تبنته جهات دولية تدعم الحركات العنصرية والحداثية لتحطيم شعور الشعوب العربية بكرامتها، ولتعميق جراح هزائمها، والسحق الروحي والنفسي لأية محاولة للنهوض.

(74) ـ عن أصل الطبري: راجع ويكيبيديا بالعربي والفرنسي والإنكليزي. كذلك:

«al ـ Ṭabarī.» [archive] Encyclopédie de l'Islam. Brill Online, 2014. Reference. BULAC (Bibliothèque universitaire des langues et civilisations). 06 August 2014

(75) ـ عن أصل الإمام مسلم:

ـ النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج2، ص89، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، الإمام مسلم بن الحجاج، ج12، ص558، طبعة مؤسسة الرسالة.

ـ **الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني**: ولد في بلوشستان بين إيران وباكستان. عاش وأبدع في بغداد ومات في البصرة.

ـ **حسن الصباح الحميري**: (شيخ الجبل زعيم الحشاشين) وُلد ومات في إيران. من عائلة عراقية كوفية عربية، تثقف في العراق ومصر[76].

ـ **المتصوف أبو يزيد البِسطامِي**: ولد ومات في إيران، وتعلم في العراق.

ـ **أبو منصور الثعالبي**: ولد في نيسابور. جغرافي وأديب.

ـ **أبو حنيفة الدِّينَوَرِيُّ**: وُلِدَ في دِينَور، مؤرِّخ، ونباتي. يحتمل أن أصله فارسي أو كردي أو عربي[77].

ـ **عمر الخيام**: عاش ومات في نيسابور. شاعر وعالم رياضيات وفيلسوف. هناك من يقول: إنه من أصل عربي[78].

ـ **الفقيه أبو المعالي الجويني**: الملقب بإمام الحرمين، ولد في إيران ونشط في العراق والشام.

ـ **ابن مسكويه**: ولد في الري، مؤرخ وفيلسوف.

ـ **الصاحب بن عباد**: ولد في إصطخر، وزير وأديب وعالم.

ـ **عبد القاهر الجرجاني**: ولد في جرجان. عالم النحو والبلاغة.

---

(76) ـ عن أصل (حسن الصباح)، راجع ويكيبيديا بالعربي والفرنسي والإنكليزي. كذلك طالع:

Son père, `Alî b. Muhammad b. Ja`far b. al ـ Husayn b. Muhammad b. al ـ Sabbâh al ـ Himyarî, était un érudit de Kûfa d'origine yéménite

Lewis, Bernard (November 2002). «3. The New Preaching». The Assassins. Basic Books. p. 38. ISBN 978 0 ـ 00498 ـ 465 ـ 0 ـ. Hasan ـ i Sabbah was born in the city of Qumm, one of the first centres of Arab settlement in Persia and a stronghold of Twelver Shi`ism., His father, a Twelver Shiite, had come from Kufa in Iraq, and was said to be of Yemeni origin ـ more fancifully, a descendant of the ancient Himyaritic kings of Southern Arabia

عن ويكيبيديا بالإنكليزي:

Hassan ـ i Sabbah

https://en.wikipedia.org/wiki/Hassan ـ i_Sabbah#Early_life_and_conversion.

(77) ـ عن أصل الدينوري، راجع:

Dinawari | astronomer, botanist, and historian». Encyclopedia Britannica ـ al» (باللغة الإنجليزية). مؤرشف من الأصل في 19 يونيو 2018. اطلع عليه بتاريخ 18 فبراير 2017.

أبو حنيفة الدينوري Encyclopedia of Islam, by M. Th. Houtsma, Brill Academic, 1993 p. 977

(78) ـ عن أصل عمر الخيام، دكتورعبد المنعم الحفني، عمر الخيام والرباعيات، دار الراشد، القاهرة، 1992، ص 14

ـ **أبو الوفاء محمد البوزجاني**: ولد في نيسابور، عالِم رياضيات وفلك، تعلم وأبدع ومات في بغداد.

ـ **أبو قاسم الفردوسي**: ولد في طوس. أول من أبدع باللغة الفارسية بعد موتها خلال أكثر من ثلاثة قرون، واشتهر بتأليفه «الشاهنامة» بالفارسية، السيرة العنصرية ضد العرب.

ـ **أبو بكر البيهقي**: ولد ومات في نيسابور، فقيه شافعي، وتعلم ونشط في العراق.

ـ **بديع الزمان الهمذاني**: ولد في همدان وكان يفتخر بأصله التغلبي العربي، أبدع (مقامات بديع الزمان الهمداني)[79].

ـ **نصير الدين الطوسي**: ولد في طوس، عالم ومتكلّم ومرجع شيعي كبير.

ـ **محمد بن إسحاق الكليني**: ولد في الري، من كبار فقهاء ومحدثي الشيعة.

الشخصيات التركية المحسوبة ظلماً على الفرس وإيران



وهم أبناء شعوب (آسيا الوسطى) التي لغتها الأم هي (التركية)، ومنها انحدرت قبائل الترك الذين نزحوا إلى الشرق الأوسط، وأسسوا العديد من الدول، وأعظمها الدولة العثمانية، وتركيا الحالية، وكان يطلق على هذه المنطقة: (بلاد ما وراء النهر)

---

(79) ـ عن الأصل العربي للهمذاني: كتب في إحدى رسائله إلى أبي الفضل الإسفرائيني:
«إني عبد الشيخ، واسمي أحمد، وهمذان المولد وتغلب المورد، ومضر المحتد».
طالع: مقامات بديع الزمان الهمذاني، شرح محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

التي كانت تشكل (نصف إقليم خراسان الإسلامي)، وهي حالياً بلدان: (تركمانستان، كازخستان، قرغيزستان، أوزبكستان، طاجكستان)، وهي جميعها حالياً ناطقة بالتركية وليس هنالك أي أثر شعبي للفارسية. لكن لها علاقة قديمة بالفرس والفارسية، بسبب خضوعها لقرون طويلة للامبراطوريات الايرانية: الاخمينية والفرثية، والساسانية.

ـ بلاد تركمانستان

وفيها حاضرتان معروفتان (مدينة سرخس)، و(مدينة مرو) و(مدينة نسا): نسجل تحت أهم الشخصيات الذين ولدوا، أو عاشوا وماتوا في تركمانستان[80].

ـ أحمد بن الطيب السرخسي، رضي الدين السرخسي، شمس الأئمة السرخسي.

ـ الفضل بن سهل السرخسي (القرن 9م) هو أبو العباس السرخسي، أحد وزراء المأمون في بغداد.

ـ أبو محمد الحسن بن سهل السرخسي، من وزراء المأمون وولاته وقواده، وأخو الفضل بن سهل المعروف بذي الرياستين وابنته هي بوران زوجة المأمون.

مدينة مرو، وهنالك مدينتان في تركمانستان تحملان نفس الاسم

واللقب (مروزي)، ومن أعلامها الذين ولدوا فيها، وفيهم العديد من أصول عربية:

ـ الحافظ البغوي، خازم بن خزيمة التميمي، العباس بن مصعب بن بشر المروزي، أحمد بن سيار المروزي، عبد الله بن محمود المروزي، سفيان الثوري[81].

مدينة نسا (وهي حالياً مدينة عشق أباد عاصمة تركمانستان)

واللقب (نسائي)، ومن شخصياتها:

ـ أحمد بن شعيب النسائي، حميد بن مخلد بن قتيبة الأزدي النسائي، أبو أحمد بن زنجويه، مسعود التفتازاني.

(80) ـ في تركمانستان مراقد عدد من الصحابة أبرزهم:
بريدة بن الحصيب الأسلمي، أبو برزة، قريط بن أبي رمثة، الحكم بن عمرو الغفاري.
بالإضافة إلى أن هنالك العديد من العلماء المشهورين. راجع (ويكيبيديا: تركمانستان).

(81) ـ عن أعلام مدينة مرو، ابحث عن دراسة جيدة: معاقل العلم والعلماء.. مرو ـ محمد النورستاني.

بلاد أوزبكستان

وأهم حواضرها الإسلامية: (طشقند) و(بخارى) و(سمرقند) و(خوارزم).. من أشهر أعلامها:

ـ **محمد البخاري**: صاحب (صحيح البخاري)، ولد في بخارى، وتعلم ونشط في إيران والحجاز والعراق والشام ومصر، ومات في سمرقند (أوزبكستان)، وجميع مؤلفاته بالعربية.

ـ **ابن سينا**: ولد في (بخارى)، عالم كبير وطبيب وفيلسوف. أبدع بالعربية.

ـ **أبو الريحان البيروني**: ولد في (خوارزم) برع في مختلف العلوم مثل الرياضيات والفلسفة والطب والفلك. أبدع بالعربية.

ـ **أبو العباس أحمد الفرغاني**: ولد في (مدينة فرغانة) ثم انتقل إلى (بغداد) عالم رياضياتي وفلكي مسلم.

ـ **منصور بن عراق أبو النصر**: ولد بمدينة كيات عاصمة خوارزم؛ عالم رياضيات وفلك.

ـ **الزمخشري**: ولد في زمخشر قرب خوارزم. من أئمة المعتزلة.

دولة كازخستان: ومن أهم أعلامها

ـ **الفارابي محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان**، أبو نصر ولد في مدينة (فاراب)، وهو فيلسوف كبير ولقب بالمعلم الثاني لشرحه كتب أرسطو.

ـ **إسماعيل بن حماد الجوهري**، ولد في (فاراب) ومن أشهر مؤلفاته الصحاح.

ـ **محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري** القرن 11م، أول من دون اللغة التركية ووضع قاموسها بالعربي في (بغداد) «ديوان لغات الترك»، ولد في (مدينة كاشغر: تابعة حالياً للصين) ومن أم بصرية عراقية.

شخصيات أفغانستان التي احتسبت ظلماً على الفرس



كانت أفغانستان الحالية تشكل حوالي ثلث (إقليم خراسان)، وهي بلاد تتكون من عدة قوميات تنطق بمجموعتين من اللغات، أولها (اللغات الآرية) القريبة للفارسية: البشتونية 62%، والطاجكية 25%، الهزارة 3%، والبلوش2%. كذلك (لغات تركية) مثل الأوزبكية والتركمانية 10%، وحتى الآن هنالك بقايا متميزة لوجود العرب في خراسان، من خلال 400 قرية بين إيران وأفغانستان[82].

وأهم حواضرها

ـ مدينة بلخ: واللقب (البلخي). حالياً اسمها (مزار شريف) شمال شرق أفغانستان. لغات وقوميات المدينة: 40% طاجيك، 25% بشتون، 10% هزارة، 5% عرب، وكانت (بلخ) قبل الإسلام تسودها الديانات البوذية حيث يحتوي معبدها الأكبر على (3000 كاهن)، ومنهم (جد البرامكة)[83]، والمجوسية وكذلك المسيحية النسطورية القادمة من العراق.

(82) ـ عن القرى العربية في خراسان:
دراسة مهمة عن 400 قرية عربية بين أفغانستانٍ وإيران:
عربخانة.. قصة عرب فاتحين استوطنوا بعيداً بـ 400 قرية.
كذلك: العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي: د. عبد الرحمن الفريح.

(83) ـ عن بوذية جد البرامكة:
ـ Kevin van Bladel, «The Bactrian Background of the Barmakids» ch.3 in A. Akasoy, C. Burnett and R. Yoeli ـ Tlalim (eds.) ``Islam and Tibet: Interactions along the Musk Routes, Ashgate, 2011, 43 88 ـ

كذلك راجع ويكيبيديا بالعربي والفرنسي والإنكليزي.

ـ **مدينة هرات:** واللقب (هروي)، شمال غرب أفغانستان. أغلب السكان فيها من الطاجيك (50 %)، ثم البشتون (30 %)، والأوزبك (10 %) والهزارة (5 %) والعرب (5 %)[84].

أهم الشخصيات الأفغانية المعروفة

ـ **خالد بن برمك، جد البرامكة:** وهو من مدينة (بلخ)، وكان قبل إسلامه كاهناً في (معبد نوبهار البوذي)، وإن لقب (برمك) كلمة سنسكريتية تعني (الكاهن البوذي الأكبر)[85]. أما أبناء (خالد) الذين كانوا وزراء في (بغداد) في الحقبة العباسية، وعلى رأسهم الصديق الشهير للخليفة (هارون الرشيد): الوزير (جعفر البرمكي) فإنه (عراقي) لأنه ولد في (بغداد: عام 767م) وتربى وعاش ومات فيها، ولم ترد أية إشارة مثلاً أنه كان يعرف الفارسية أو نطق بغير العربية.

ـ **طاهر بن الحسين:** الذي ساعد المأمون وقتل الأمين، ولد في خراسان قرب (هَراة) وكان جده (مصعب بن زريق الخزاعي) قد اعتنق الإسلام وأصبح مولى تابعاً لـ (طلحة بن عبد الله الخُزاعي) والي خراسان، ثم ساهمت هذه العائلة في دعم العباسيين، فكافأهم (الخليفة المأمون) بتكوين (سلالة الدولة الطاهرية التي حكمت خراسان)

(84) ـ عن تاريخ (هراة)، طالع:
ـ كتاب: مدينة هراة: دراسة سياسية وحضارية، صلاح سليم طايع أحمد.
كذلك ويكيبيديا بمختلف اللغات.

(85) ـ حول ديانة جد البرامكة: يقول المؤرخ الفرنسي دومينيك سوردال: إن ما جاء في وصف (معبد النوبهار) عند الجغرافيين العرب لا يطابق ما هو معروف عن هيكل النار (المجوسي)، بل على العكس إنه معبد بوذي.. ويذكر عالم الصينيات الفرنسي ستانيسلاس جولين أنه في القرن السابع الميلادي زار هذا المعبد حاج صيني يدعى هوان شانج Hiuan ـ Tsange ووصفه في كتاب اسمه ذكريات على البقاع الشرقية بقوله: إن كلمة نوبهار التي من المستبعد أن تكون كلمة فارسية تعني الربيع الجديد، وهي اسم مشتق من كلمتين سنسكريتيتين هما: نڤا Nuova وفهارا Vihari، ومعناهما المعبد الجديد، إشارة إلى معبد بوذي.
طالع:

ـ Hiouen ـ Thsang, Mémoire sur les contrées occidentales, traduction française par Stanislas Julien, Paris, Impr. impériale, 1867, vol. I, p. 38.

ـ Sourdel:Le Vizirat Abbaside I p.130

ـ **أبو معشر البلخي 787م**: فلكي وعالم رياضي، ويعرف في الغرب باسم (ألبوماسر ـAlbumaser)، ولد في (بلخ). عاش وأبدع في بغداد وتعلَّم على يد الكندي، وتوفي في (واسط ـ العراق). إذن فهو أفغاني ـ عراقي.

ـ **جَلال الدِّين الرُّومي**: ونسبه إلى (محمد بن أبي بكر الصديق التيمي القرشي البكري البلخي)، أصل أبيه عربي قريشي، وأصل أمه: (تركية من السلالة الخوارزمية: مؤمنة خاتون ابنة خوارزم). عُرف أيضاً باسم (مولانا جَلال الدِّين الرُّومي). متصوف كبير، وشاعر، عالم بفقه الحنفية، صاحب (كتاب المثنوي المشهور بالفارسية)، وصاحب الطريقة المولوية المنسوبة إليه. تربى وتعلم منذ طفولته في (بغداد)، ثم رحل في شبابه إلى (قونيا ـ تركيا حاليا) وعاش وأبدع ودفن فيها[87].

***

شخصيات الأحواز التي احتسبت ظلماً على الفرس



(87) ـ عن (أصل الرومي)، طالع:
ـ جلال الدين الرومي بين الصوفية وعلماء الكلام، عناية الله أبلاغ الأفغاني، الدار المصرية للكتاب، 1979، ص23.
ـ عمدة التحقيق في بشائر بيت آل الصديق لأبي المكارم الصديقي.
ـ رشف سلاف الرحيق في نسب حضرة الصديق للزبيدي.
ـ أنساب آل الصديق لبدر الدين بن سالم، المدينة، 1908.
ـ جواهر الآثار، عبد العزيز بن محمد الجوهري، إسطنبول، 1798.
أناماريا شيميل: «I am Wind you are Fire»، صفحة 11.
كذلك طالع ويكيبيديا بالعربي والفرنسي والإنكليزي.

منذ ما قبل الإسلام، برزت في الأحواز (مدينة جنشابور) واسمها الأصلي السرياني (بيت عابات: مكان الهزيمة)، التي كانت معسكراً للأسرى السوريين والبيزنط، فأصبحت معقلاً للدراسات الدينية والطبية باللغة السريانية، ثم منذ الفترة الأموية، قدمت هذه المدينة السريانية المسيحية الأحوازية، شخصيات علمية مهمة، خدموا في (دمشق) لدى الخلفاء، أمثال:

ـ (أمية بن أثال) و(أبي الحكم) و(حكم الدمشقي) و(تياذوق).

أما في الحقبة العباسية فقد خَفَتَ دور هذا المركز الحضاري الأحوازي، نتيجة هجرة الكفاءات إلى (بغداد) التي قدم منها أجداد أبرز أسرتين سريانيتين مشهورتين في الطب والتنجيم:

ـ (الطبيب جورجيس بن بختيشوع، وأسرة نوبختي في التنجيم والفقه الشيعي)، وبعده أبناؤه (جرجيس وجبريل)، ثم تلاميذهم (إبراهيم) و(سرجيس) و(عيسى بن شهلانا) و(بختيشوع بن جبريل) و(سابور بن سهل)، والطبيب والحكيم الشهير (يوحنا بن ماسويه)، و(دهشاك) وابن أخيه (ميخائيل)، و(عيسى بن طاهر بخت)، وغيرهم الكثيرون من علماء الأحواز المسيحيين السريان.

ـ الفضل بن نوبخت الأهوازي: عالم فلك ومترجم عن السريانية، اشتهر بقيادته لمجموعة من الفلكيين الذين اقترحوا موقع بناء مدينة (بغداد) كما اشتغلت عائلته في تصميمها لاحقاً. علماً بأن أبناء وأحفاد مؤسس الأسر الأحوازي، قد ولدوا وعاشوا في بغداد.

ـ الشاعر أبو نؤاس، الحسن بن هانئ الحكمي: يعد من أشهر شعراء عصر الدولة العباسية وكبار شعراء شعر الثورة التجديدية، ولد في الأحواز من أب سوري من الجيش الأموي، ونشأ في البصرة، ثم انتقل إلى بغداد وأصبح شاعر البلاط، وتوفي في بغداد.

ـ أبو علي الجبائي: شيخ المعتزلة في البصرة ورئيس علماء الكلام في عصره، مؤسس فرقة الجبائية، ولد في مدينة جُبّى في الأحواز، وتوفي في البصرة.

ـ حمدان قرمط: هو حمدان بن الأشعث الأحوازي، الملقب (قرمط) وزعيم (الثورة القرمطية) الإسماعيلية المتطرفة، في جنوب العراق والبحرين والأحساء، قدم إلى الكوفة من الأحواز.

الشخصيات العراقية التي احتسبت ظلماً إلى الفرس

ـ **الإمام ابن حنبل:** مؤسس المذهب الحنبلي، وتتفق جميع المصادر على أنه ولد وعاش وأبدع ومات في بغداد، ولكن الخلاف حول أصل أبيه أو جده: هل هو عراقي من قبيلة عربية؟ ولكن هنالك تقوّلات ربما أنه قد ولد في (مرو ـ تركمانستان) عندما كان أبوه مسؤولاً عباسياً هناك[88].

ـ **الإمام أبو حنيفة النعمان:** اسمه (النعمان بن ثابت الكوفي) ولد في الكوفة، وأبوه (ثابت) ولد وعاش في الكوفة وتزوج من امرأة كوفية ومات في الكوفة، و (النعمان) نفسه كذلك ولد وعاش وتزوج من امرأة كوفية، وعاش فيها وأبدع وتكلم باللغة العربية، ولم يعرف لغة أخرى أبداً، ولم يسافر خارج العراق ولم يشاهد لا إيران ولا غيرها، وأمضى حياته يكافح وينشر دعوته في العراق حتى أطلق على مذهبه (مذهب أهل العراق)، ومات سجيناً في بغداد ولا زال قبره فيها (الإمام المعظم) ومذهبه حالياً هو المذهب الرسمي لسنَّة العراق[89].

ـ **الشيخ عبد القادر الگيلاني:** مؤسس الطريقة القادرية في بغداد، وقد ثبت أنه لم يولد في (گيلان إيران) بل في (گيلان العراق) حسب اتفاق المؤرخين في العصر الحديث، ومن دلائل الإجحاف أن هنالك عدة مدن في العالم الإسلامي تحمل اسم (گيلان)، فلماذا هذا الإصرار على اختيار (إيران)[90].

(88) ـ عن أصل الإمام ابن حنبل:
ـ ابن حنبل، محمد أبو زهرة، ص14.
ـ مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ابن الجوزي، ص12 ـ 13.
ـ الأئمة الأربعة، مصطفى الشكعة، ج4 ص7.

(89) ـ عن أصل الإمام أبي حنيفة:
ـ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الرسالة، بيروت، 1965، (مادة ـ أبو حنيفة).
ـ الإمام الأعظم، العباسي، أحمد، بغداد، 1956، ص431.
ـ المذاهب والأديان في العراق، رشيد الخيون، ص67.

(90) ـ طالع مثلاً، ويكيبيديا بالعربي: جيلان قرية بشاطئ الدجلة على مسيرة يوم واحد من بغداد في المدائن مما يلي طريق واسط العراق وإليها نسب شيخ الإسلام عبد القادر، وأغلب سكانها من الأكراد من قبيلة بشدر، ويؤكد عباس العزاوي أن أصل أسرة عبد القادر من الجيل ويسكنها الأكراد قرب بغداد، وهذا ما ذكره أوليا جلبي، ومن الجدير بالذكر أن هناك العديد من المناطق في العالم تحمل اسم جيلان: مثل جيلان (تركيا)، جيلان (إيران)، جيلان (أفغانستان)، جيلان (كوسوفا)، الجيلاني (الفيوم)، جيلان (السدة)، حارة الجيلاني (ذمار).

ـ **محمد بن موسى الخوارزمي:** عالم الرياضيات الكبير. هنالك جدال حول تاريخ ومكان ميلاده. والمؤكد أنه عاش وأبدع وتوفي في بغداد زمن المأمون وأصبح مسؤولاً عن (بيت الحكمة). غالبية المصادر تتفق على أنه (عراقي المولد والأصل). قال عنه (ابن خلدون) و (الزمخشري): (إنه من أهل خوازم العراق)[91] أما المؤرخ الطبري، فقد قال عنه: (محمد بن موسى الخوارزمي القطربلّي، نسبة إلى قرية قُطْرُبُلّ من ضواحي بغداد)[92]، وفي أقصى الأحوال يمكن تعليل لقبه (الخوارزمي) بأن أصل أجداده من (خوارزم ـ أوزبكستان) مثل جميع ألقاب الأصول القديمة، التي لا يمكن التأكد من سببها وأصلها، ولا تعني الانتماء البلادي للشخصية.

ـ **الحسين بن منصور الحلاج:** المتصوف المعروف، وهنالك جدل واختلاف كبير عن أصله ومكان ولادته. الموسوعة الإسلامية الإنكليزية تقول: إن جده هو (الصحابي أيوب الأنصاري)[93] أصله من (البيضاء) ولكن هي التي في (فارس) أم في (جنوب العراق)[94]؟. لكن المؤكد أنه نشأ في (مدينة واسط العراقيه)، وحتى الذين يظنون أنه (فارسي)، يقرّون بأنه نشأ في (واسط) ولم يعرف سوى العربية[95]، وتعلم في (بغداد) على يد المتصوف العراقي الكبير (الجنيد البغدادي)، وفيها أبدع وتوفي.

ـ **سيبويه (أَبُو بِشْر عَمْرو بْن عُثْمَان بْن قَنْبَر الْبَصْرِيّ):** عالم اللغة الكبير. هنالك تقوّلات وجدالات لم تحسم حول أصله ومكان وتاريخ ومكان مولده، وتاريخ ومكان وفاته[96]. قيل: إنه ولد في (قرية البيضاء ـ فارس) أو في (الأحواز) أو في (البصرة)،

---

(91) ـ عن الخوارزمي: مقدمة ابن خلدون/ ص555.

(92) ـ كذلك: ويكيبيديا بالإنكليزية، وفيها مصدر:

– Iraq After the Muslim Conquest», by Michael G. Morony, ISBN 1 3 – 315 – 59333 – (a 2005 facsimile from the original 1984 book), p. 145

(93) ـ عن (جد الحلاج): الموسوعة الإسلامية ـ الجزء الأول من المجلد الثامن، ص17.

(94) ـ عن مكان ميلاد الحلاج في العراق: R. Snir, A Study of 'Elegy for al – Ḥallāj' by Adūnīs,» Journal of Arabic Literature 25.2 (1994), pp. 245 – 256.

(95) ـ عن جهل الحلاج بالفارسية وإتقانه فقط العربية:

Jawid Mojaddedi, «ḤALLĀJ, ABU'L – MOḠIṮ ḤOSAYN b. Manṣur b. Maḥammā Bayżāwi» in Encyclopedia Iranica

Louis Massignon, Louis Gardet (1986). Encyclopedia of Islam, 2nd ed., Vol. 3, «Al – Halladj». Brill. pp. 99 - 100.

(96) ـ عن مكان وفاة سيبويه، فإن إيران كالعادة قد حسمت الأمر وصنعت له قبراً في شيراز.

ـ يقول (ابن خلكان):

=

وربما أمه فارسية، وهي التي لقبته (سيبويه: رائحة التفاح). لكن المؤكد أنه تربى وتعلم في (البصرة) على يد عالم اللغة البصري العربي العراقي الكبير (الفراهيدي)، وفيها عُرف وأبدع، وكذلك في (بغداد)، ولغته الوحيدة هي العربية[97].

ـ **الموسيقار إبراهيم الموصلي، وابنه الموسيقار إسحاق الموصلي:** ولد (إبراهيم) في الكوفة[98]، ربما من أصول فارسية أو أعجمية قديمة، ولكن غير مؤكدة. عاش وتعلم في (الموصل) وحمل لقبها (الموصلي). انتقل إلى (إيران ـ الري) ليعزف في قصور الأمراء، وهناك ولد (ابنه إسحاق)، ثم عاد مع عائلته إلى (بغداد) ومات فيها. أما ابنه (إسحاق) فقد استقر في (الموصل) وحمل أيضاً لقبها، ثم استقر في (بغداد) في قصر الخليفة العباسي، حيث تعلم على يده (الموسيقار الكبير زرياب).

ـ **الموسيقار زرياب:** هو أبو الحسن علي بن نافع الموصلي، ولد عام 777م في (قرية كردية في الموصل)[99]، ونشأ في (بغداد) وكان تلميذاً لإسحاق الموصلي، ثم هاجر واستقر في الأندلس وأحدث ثورة إصلاحية موسيقية ومدنية هناك، وما يسمى بالغناء الأندلسي يرجع إليه[100].

ـ **الحسن بن الهيثم:** اشتهر بالرياضيات والبصريات والفيزياء والفلك والهندسة وطب العيون والفلسفة العلمية، وبتجاربه العلمية إضافة إلى مؤلفاته. ولد وعاش في (البصرة)، وتوفي في القاهرة، ولكن هنالك شكوك حول أصله العربي، والأخطر أنه شيعي فاطمي، والدليل أنه عاش مع الفاطميين في مصر، وقبره في (القاهرة). إذن شيعي فاطمي، يعني بكل بساطة أنه فارسي إيراني!!!

= فتوفي في قرية من قرى شيراز يقال لها البيضاء في سنة ثمانين ومائة، وقيل: سنة سبع وسبعين، وعمره نيف وأربعون سنة، وقال ابن قانع: بل توفي بالبصرة في سنة إحدى وستين ومائة، وقيل: سنة ثمان وثمانين، وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي: توفي سنة أربع وتسعين ومائة، وعمره اثنتان وثلاثون سنة، وأنه توفي بمدينة ساوة، وذكر الخطيب في « تاريخ بغداد» عن ابن دريد أنه قال: مات سيبويه بشيراز، وقبره بها، والله أعلم، وقيل: إن ولادته كانت بالبيضاء المذكورة، لا وفاته. (وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ـ ج3 ص 164).

(97) ـ عن سيبويه: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ ابن خلكان ـ ج3 ـ الصفحة 464.

(98) ـ عن أصل إبراهيم الكوفي الموصلي وكذلك إسحاق، طالع:

الموسوعة البريطانية: «Isḥāq al – Mawṣilī. Encyclopædia Britannica, 2011

ـ كذلك ويكيبيديا بالإنكليزي.

(99) ـ عن زرياب الموصلي الكردي:

– Jesús Greus, Ziryab, Phébus, 1993

(100) ـ عن زرياب: طالع دراسات جيدة في ويكيبيديا، بالعربي والفرنسي والإنكليزي.

ـ **نفطويه**: هو أبو عبد الله العَتَكيّ الأزديّ: فقيه ومن أئمة النحو. لقب (نفطويه) تشبيهاً له بالنفط، لسواده، ولد في (واسط) في العراق، وعاش وأبدع وتوفي في (بغداد). لكن مؤرخينا في العصر الحديث اعتبروه (فارسياً) بسبب (ويه) مثل (سيبويه) على الأسلوب الفارسي!

ـ **أثير الدين الأبهري** 1264م: وهو حكيم وفيلسوف. نشأ وتتلمذ وأبدع في الموصل، ثم في أربيل وفي دمشق، ولغته الوحيدة هي العربية. تم احتسابه على الفرس، بالاعتماد فقط على لقبه (أبهري سمرقندي)، علما بأن (سمرقند) في أوزبكستان التركستانية!

ـ **الشاعر بشار بن برد**: ولد في البصرة، وعاش وأبدع وتوفي في (بغداد). كان يدَّعي أحياناً أن أجداده من الفرس، وله أبيات يفتخر بها بأصله الخراساني، وأحياناً العربي العقيلي، حسب المزاج والمصلحة:

إنني من بني عقيل بن كعب *** موضع السيف من طلى الأعناق

ـ **أبو الحسن الكسائي**: وهو إمام الكوفيين في اللغة والنحو، وسابع القراء السبعة، ويعد المؤسس الحقيقي للمدرسة الكوفية في النحو، ولد في إحدى قرى (الكوفة)، وعاش وأبدع في (بغداد) وصاحب الخليفة (هارون الرشيد) وتوفي في (الري ـ إيران) أثناء سفره بصحبة الخليفة، ولأنه (مولى، أي غير عربي أصيل) ومات في (إيران) إذن تلقائياً فهو (فارسي)!!

ـ **جابر بن حيان بن عبد الله الأزدي**: برع في الفلك والهندسة وعلم المعادن والفلسفة والطب والصيدلة، وأول من استخدم الكيمياء عملياً في التاريخ. اختلف المؤرخون عن مكان ولادته: (الكوفة، حران..). عاش وأبدع في (بغداد). بما أنه كان شيعياً ومات في سجنه في (الكوفة) بسبب تعاطفه مع البرامكة، إذن من السهولة احتسابه على الفرس وإيران؟!

ـ **ابن خلكان**: مؤرخ مشهور، ولد في (أربيل) وقد يكون كرديا، وعاش وأبدع وتوفي في (دمشق). فيمكن اعتباره (عراقياً ـ سورياً).

ـ **أحمد بن يحيى البلاذري**: مؤرخ مشهور، ولد وعاش وأبدع ومات في بغداد.

لا أحد يعرف أصل لقبه (بلاذري)، ولكن بسببه اعتبره مؤرخونا (فارسياً). رغم أن (بلاذر) نوع من النباتات بالعربية.

ـ **أبو الفرج الزيدي الأصفهاني**: الشهير بمؤلف (الأغاني) و(مقاتل الطالبيين)، ولد ونشأ وأبدع ومات في (بغداد) سنة 284هـ، اشتهر بـالأصفهاني، إلاّ أنه لم ينشأ بـها، ولكن يعتقد أن جده القديم قد ولد في أصفهان، من نسل (مروان بن الحكم)، وأن جده وعمه كانا أدباء سامراء.

ـ **الشاعر ابن الرومي**: ولد وعاش وأبدع وتوفي في (بغداد)، من أصل (رومي: قد يكون أرمنيًّا)، وأمه من أصل (فارسي)، فإنّه يذكره ويؤكّده في مواضع من ديوانه، وقد احتسب على الفرس لقوله: «كَيفَ أُغضي على الدَّنيَّة والفرس خؤولي وَالرُّوم أعمامي».

ـ **مسلم بن قتيبة الدينوري**: أديب فقيه محدث مؤرخ مسلم. من المتفق عليه أنه ولد في العراق إما (بغداد) أو (الكوفة)، ثم ولي (قضاء الدينور) في إيران، بضع سنين، فنسب إليها. تعلم وأبدع في بغداد، وتوفي فيها.

الشخصيات العراقية المتفق على عراقيتها

طبعاً لا يمكن إحصاؤهم، ويمكن القول دون أي شك: إن حوالي نصف المبدعين في الحقبة العربية الإسلامية هم عراقيون دون منازع، ولكن ضمن هذا السياق التهويلي لدور الفرس، نحن مضطرون إلى التذكير بالشخصيات العراقية، وهذه بعض الأسماء المعروفة والمهمة:

هؤلاء الكبار من آباء من (دير عين تمر)!

((الفقيه ومفسر الأحلام (محمد بن سيرين البصري) ـ كبير قادة الأندلس (موسى بن نصير) ـ مؤلف السيرة النبوية (محمد بن إسحاق) ـ الفقيه الحسن البصري)).

في بدايات الفتح الإسلامي للعراق (عام 633 م)، استولى المسلمون على (بلدة عين تمر) شمال (كربلاء) وكانت حصناً وديراً للنصارى، وجد خالد في ديرها أربعين

غلاماً يتعلمون الإنجيل، فأخذهم كسبي وقسَّمهم على جنده. من هؤلاء الغلمان: (سيرين)، وهو والد (محمد بن سيرين)، وكذلك (نصير) والد القائد الشهير (موسى بن نصير)، وكذلك (يسار) جد (محمد بن إسحاق). أما (الحسن البصري) فهو من (ميسان) حيث تم سبي والدته الميسانية وهي حامل به في بدايات الفتح الإسلامي، ثم ولدته في المدينة.

قال ابن خلدون عن فن الأدب: (وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم إن أصول هذا الفن وأركانه أربعة كتب هي: أدب الكاتب لابن قتيبة، كتاب الكامل للمبرد، كتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب الأمالي لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها)، وهؤلاء الأربعة هم من العراق.

الشخصيات المعروفة

ـ **ابن هشام** (الكاتب الأول للسيرة النبوية في القرن الثاني هـ): وهو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري المتوفى سنة (218هـ)، وقد روى السيرة النبوية نقلاً عن محمد بن إسحاق المطلبي.

ـ **أبو مخنف** (709ـ 774): ولد وعاش وتوفي في الكوفة، وهو من اوائل المؤرخين والموثقين في التاريخ الإسلامي، وأول من سجل (واقعة الطف في كربلاء) وعلى مصدره اعتمد جميع المؤرخين.

ـ **الكندي** (805 ـ 873 م): أول فلاسفة العربية والإسلام. ولد في الكوفة وينسب إلى قبيلة كندة، وكان والده أميراً على الكوفة. يعتبر مؤسس الفلسفة العربية الإسلامية. كان موسوعياً فهو رياضي وفيزيائي وفلكي وفيلسوف إضافة إلى أنه موسيقي، وواضع أول سلَّم للموسيقى العربية. كان شاغله الأكبر إيجاد التوافق بين الفلسفة والعلوم الإسلامية الأخرى، وخاصة العلوم الدينية. أتقن اللغتين السريانية واليونانية. أوكل إليه المأمون مهمة الإشراف على ترجمة الأعمال الفلسفية والعلمية اليونانية إلى العربية في (بيت الحكمة)، ويعرف عند اللاتين باسم (**Alkindus**)، وعدَّه بعض الباحثين الأوربيين من الاثني عشر عبقرياً الذين ظهروا في العالم.

ـ **الجاحظ** (159 ـ 255هـ): هو أبو عثمان البصري. يقال: إن أصله زنجي وإن جده كان مولى لرجل من بني كنانة، وكان ذلك بسبب بشرته السمراء. ألَّفَ في علم الكلام والأدب والسياسة والتاريخ والأخلاق والنبات والحيوان والصناعة والنساء وغيرها.

ـ **أبو علي القالي** (280 ـ 356هـ): ولد ونشأ في (منازجرد) في أعالي دجلة (شمال الموصل)، ورحل إلى بغداد، فتعلم فيها وأقام 25 سنة، ثم رحل إلى المغرب واستقر في قرطبة وتوفي فيها، ومن أشهر مؤلفاته (كتاب الأمالي).

ـ **أبو حيان التوحيدي** (923ـ1023م): فيلسوف متصوف، وأديب بارع، وهو بغدادي المولد والنشأة، وقد امتاز بسعة الثقافة وحدة الذكاء وجمال الأسلوب، كما امتازت مؤلفاته بتنوع المادة، وغزارة المحتوى ومن أشهرها (كتاب الإمتاع والمؤانسة).

ـ **عبد الحميد الكاتب الأنباري** (القرن 2هـ): وهو الأستاذ الأول للكتابة الفنية عند العرب. نشأ في الأنبار (أو الشام) واحترف التعليم في الكوفة واتصل بخلفاء بني أمية، وكان من أشهر الكتّاب وأبرعهم.

ـ **ابن النديم** (القرن 10م): هو أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق الوراق البغدادي. هو أديب وكاتب سيرة ومصنف وجامع فهارس، صاحب الكتاب المعروف «الفهرست».

ـ **الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري** (100هـ/ 718مـ173هـ/ 789م): وهو أستاذ عصره في اللغة العربية وأحد أهم علماء اللغة العربية، يعتقد أنه ولد في عمان. تميز كذلك في الموسيقى والترجمة، وكان أستاذاً لكبار اللغويين الأوائل ومنهم سيبويه.

ـ **ابن جني أبو الفتح عثمان** (322 ـ 392هـ): عالم نحوي كبير، ولد بالموصل ونشأ وتعلم النحو فيها.

ـ **موسى بن شاكر وأبناؤه** (القرن 3هـ/ 9م): وهو من أصل تركمانستاني (ولد في مرو)، ونشأ واشتغل في بغداد، فهو من كبار المنجمين والفلكيين الذين عاشوا في عصر الخليفة العباسي المأمون، وقد اشتهر بإتقانه العلوم الفلكية، وانتدبه المأمون في بعثة إلى منطقة سنجار (من أقضية العراق) فقاس محيط الأرض بمسافة مقاربة جداً

للقياس المعاصر. اشتهر أبناؤه الثلاثة البغداديون، ولعبوا دوراً مهماً في تطوير علوم الرياضيات، والفلك، والهندسة.

ـ **الفزاري**: صانع أول أسطرلاب (آلة قياس الأفلاك) وعالم فلكي ورياضي، ولد في الكوفة وعاش وأبدع في بغداد عام 144هـ (747م). البعض ينسب اختراع الأرقام العربية إليه.

ـ **ابن فضلان** (القرن العاشر م): هو أحمد بن العباس بن راشد بن حماد البغدادي. كتب وصف رحلته ولقائه بملك الصقالبة (بلغار الفولجا ـ روسيا) سنة 921 م، ويعترف الغربيون بفضل الرحلة في تدوين اكتشافات أقوامية نادرة لم يكن العالم يعرف عنها شيئاً، واعتمد عليها (الروس) في معرفة تاريخهم الاول.

ـ **اليعقوبي** (القرن 9 م): هو أبو العباس أحمد بن إسحاق، ولد في بغداد وقضى بعض حياته في أرمينيا وخراسان ثم هاجر إلى الهند والمغرب ومصر، وهو كاتب ومؤرخ وجغرافي، وقد قامت شهرته على أثرين من آثاره هما: كتاب تاريخ ابن واضح أو تاريخ اليعقوبي، وفيه تحدث عن تاريخ الشعوب ما قبل الإسلام وتاريخ الإسلام.

ـ **المسعودي** (283هـ ـ 346هـ/ 896 ـ 957م): أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، ولقبه قطب الدين، وهو من ذرية عبد الله بن مسعود، وهو عالم فلك وجغرافيا، ولد ببغداد وتعلم بها. كان كثير الأسفار وقد زار بلاد فارس والهند وسيلان وأصقاع بحر قزوين والسودان وجنوب شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام والروم، وانتهى به المطاف إلى فسطاط مصر، وهو معروف بهيرودوتس العرب، وله عدة مؤلفات مهمة، ومنها كتابه البلداني الشهير (مروج الذهب).

ـ **ابن خرداذبة** (820 ـ نحو 893م): وهو جغرافي معروف، ولد وعاش في بغداد. له تصانيف تاريخية وبلدانية عدة[101].

---

(101) ـ عن ابن خرداذبه، تذكر المصادر الإعلامية دائماً أنه فارسي، والحقيقة أنه ربما من أصل فارسي. فهاهي موسوعة الإعلام للزركلي، تقول بالنص:

ابن خرداذبه (نحو 205 ـ نحو 280 هـ = نحو 820 ـ نحو 893م) عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه، أبو القاسم: مؤرخ جغرافي، فارسي الأصل. من أهل بغداد. كان جده خرداذبه مجوسياً أسلم على يد البرامكة.

إذن مولده هو، وربما أيضاً والده، في بغداد. وهذا مثال عن عمليات التفريس التعسفية والعنصرية للشخصيات العراقية، من قبل مؤرخينا في العصر الحديث.

ـ **ابن مقلة** (884 ـ 939م): هو أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة البغدادي، الوزير، والخطاط، والكاتب. اختصر أنواع الخطوط إلى ستة: (الثلث ـ النسخ ـ التوقيع ـ الريحان ـ المحقق ـ الرقاع).

ـ **يحيى بن محمود الواسطي** (من القرن الثالث عشر الميلادي): من أشهر الرسامين، ولد في بلدة واسط في جنوب العراق. اختطَّ نسخه عام 1237م، من مقامات الحريري وزيَّنها بمائة منمنمة من رسومه تعبر عن الخمسين مقامة (قصة)، وكان عمله هذا أول عمل في التصوير العربي يعرف باسم مبدعه، ويعتبر مؤسس مدرسة بغداد للمنمنمات.

المترجمون السريان

لقد لعب النصارى السريان العراقيون والأحوازيون والشاميون دوراً أساسياً في تطوير الحضارة العربية الإسلامية في بغداد، ومن أبرز سريان العراق:

ـ **حنين بن إسحاق**: أبو زيد العبادي، كان ماهراً في الترجمة إلى جانب مهارته في الطب، وقد انصرف إلى ترجمة الكتب اليونانية وإخراجها باللغة العربية أو السريانية، وأصبح رئيساً لبيت الحكمة الخاص بالترجمة في زمن المأمون.

ـ **ثابت بن قرة الحرَّاني** (الصابئي): الرياضي الفيلسوف المتوفى سنة 288 ممن برعوا في الترجمة وبرزوا فيها، ويظهر من عدد الكتب واختلاف مواضيعها مما نقله إلى اللغة العربية من اللغتين اليونانية والسريانية، أنه كان يجيد هاتين اللغتين إلى جانب اللغة العربية.

ـ **إسحاق بن حنين**: تعلَّم صنعة الطب ومارسها بمهارة، فكان واحد عصره فيها، وكان يجاري أباه حنيناً في سعة معرفته باللغة العربية واللغتين اليونانية والسريانية.

ـ **حبيش بن الأعسم**: هو ابن أخت حنين بن إسحاق وقد درس عليه صنعة الطب، وأتقن اللغتين السريانية واليونانية إلى جانب اللغة العربية، وحذا حذو خاله في الترجمة من حيث الدقة، وأكثر نقله من اللغة السريانية.

ـ **متي بن يونس**: أبو بشر من أهل دير قُنَّى، أحد الأديرة القريبة من بغداد، ودرس في مدرسة مار ماري التابعة لهذا الدير، عاش ببغداد ودرس كتب أرسطو في المنطق على إبراهيم القويري، وإليه انتهت رياسة المنطقيين في عصره.

ـ **عيسى بن يحيى بن إبراهيم:** أحد تلاميذ حنين بن إسحاق، وقد درس عليه صنعة الطب، وعمل معه في الترجمة في بيت الحكمة.

ـ **إصطفن بن بسيل:** من الكتّاب الحاذقين في الترجمة ممن عينهم المتوكل على الله ليعملوا بمعية حنين بن إسحاق عندما أناط به رياسة بيت الحكمة.

ـ **عبد المسيح بن إسحاق الكندي** (القرن التاسع ميلادي) كاتب عربي مسيحي عراقي ينتسب إلى قبيلة كندة العربية، له عدة مؤلفات في التبشير بالمسيحية كما له رسالة إلى عبد الله بن إسماعيل الهاشمي يدعوه فيها إلى اعتناق المسيحية، وهي رد على رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي التي دعاه فيها إلى اعتناق الإسلام.

ـ **يوحنا بن ماسويه الحراني البغدادي:** توفي 243 هـ، وهو عالم موسوعي بالطب والنبات والصيدلة، وناقل مترجم، وعالم أرض.

ابن وحشية النبطي، عالم كبير واول دارس للهيروغلفية المصرية!

عاش في (القرن 3هـ نهاية القرن 9م)، كيميائي وعالم لغوي نبطي (سرياني عراقي) ولد في الكوفة. له العديد من المؤلفات في الكيمياء والسحر كما ألف كتاب (الفلاحة النبطية) الذي يعتبر من أشهر المؤلفات الزراعية القديمة. تجدر الإشارة إلى أن بحثاً جديداً في (مخطوطة شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام)، وهو كتاب قام ابن وحشية بتناول 89 لغة قديمة وكتاباتها ومقارنتها بالعربية ومن ضمنها الهيروغليفية التي حلل أصواتها. هذه المخطوطة كانت قد نشرت مترجمة في لندن عام 1806 من تحقيق المستشرق النمساوي جوزف همر، أي 16 عاماً قبل اكتشاف الفرنسي (شامبوليون)، الذي من المحتمل كان قد اطَّلع على هذه المخطوطة التي ساعدته على حل رموز الهيروغليفية المصرية!

نساء متميزات

مثل كل الحضارات المزدهرة حيث تزدهر الأنوثة ويبرز دور المرأة وتلعب أدواراً مهمة في جميع مجالات الحياة والثقافة والمجتمع والدولة، وقد برز في العراق العديد من النساء في مختلف المجالات، وهذه عينة من أشهرهن:

ـ سجاح الموصلية، مدَّعية النبوة(القرن السابع م)

وهي سجاح بنت الحارث بن سويد التميم، وهي نصرانية مثل باقي بني تغلب،

وعندما بدأت حركات الردة خاصة بعد وفاة رسول الله وسمعت بردَّة طليحة ومسيلمة، بدأت بإعلان نبوتها وتبعها عدد كبير من بني تغلب ومن بني يربوع. سارت إلى منطقة نجد وأرادت أن تهاجم المدينة، ثم اجتمعت هناك بـ (مسيلمة الكذاب)، حيث أشيع ضدها فيما بعد حكاية مجون مع مسيلمة، ثم لما بلغها سير خالد بن الوليد بقواته نحو منطقة اليمامة بعد أن قضى على حركتي طليحة ومالك بن نويرة، عادت إلى العراق. وبعدها أعلنت إسلامها وهاجرت إلى البصرة حيث استقرت حتى توفيت هناك في عهد الخليفة معاوية.

ـ رابعة العدوية البصرية، اعظم المتصوفات (717م ـ 801م)

وهي من أكبر الشخصيات المشهورة في التصوف الإسلامي، وتعتبر مؤسسة أحد مذاهب التصوف الإسلامي وهو مذهب (العشق الإلهي). ولدت في مدينة البصرة، بعد حياة شاقة انصرفت إلى الإيمان والتعبُّد ورأت فيه بديلاً عن الحياة العائلية، وتمتعت بموهبة الشعر الصوفي والعشق الإلهي.

ـ زبيدة زوجة الرشيد (766 ـ 831م)

وهي أم جعفر الهاشمية بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور زوجة الخليفة هارون الرشيد وأم ولده الأمين، وهي من النساء البغداديات اللائي أنشأن المباني العظيمة ووقفن الوقوف على المسلمين، فقد كانت معروفة بالخير والأفضال على أهل العلم والبر والفقراء والمساكين ولها آثار كثيرة في طريق مكة من آبار حفرتها وبرك أحدثتها، وكذلك في مكة والمدينة، وكانت شاعرة رثت ابنها الأمين بقصائد معروفة. توفيت في بغداد سنة 216 هـ، وكان لها تأثير في سياسة الرشيد والبرامكة.

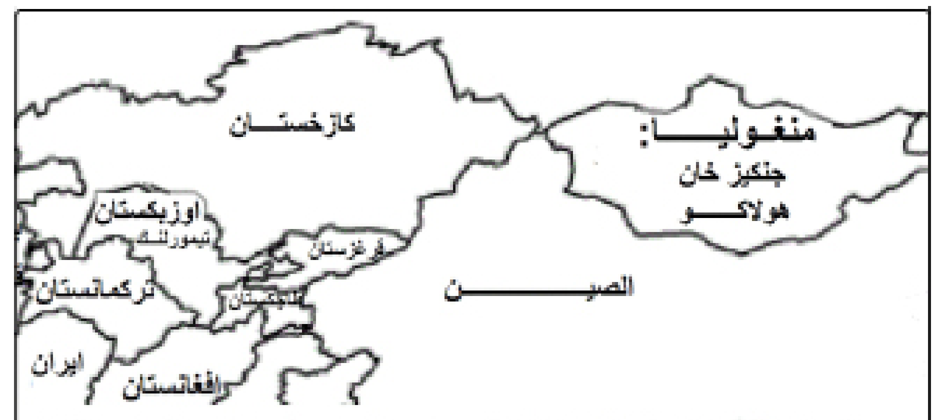
ـ الخيزران، البربرية، ام الخليفتين (القرن 8)

وهي زوجة الخليفة العباسي المهدي، ووالدة هارون الرشيد والهادي. قيل: إنها جارية يمنية أو بربرية مغربية، وهي التي ساعدت ابنها الرشيد على تسلم الخلافة، وعندما انتصر هارون على أخيه حظيت بمكانة كبيرة. يعتقد أن شخصية شهرزاد في ألف ليلة وليلة مستوحاة من شخصيتها.

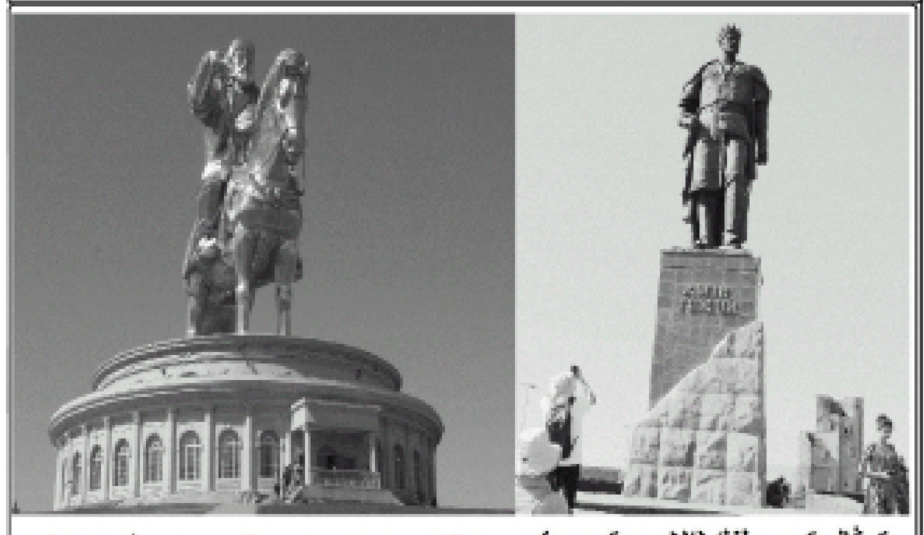
ـ **المغنية دنانير البصرية:** إحدى النساء الشهيرات ومن كبرى المغنيات في العصر العباسي، وكانت جارية يحيى بن خالد البرمكي، تعلمت الغناء وأتقنت الصنعة عندما كانت مُلكاً لرجل من أهل المدينة، وحين رآها يحيى بن خالد البرمكي أعجبته فاشتراها، وبقيت عنده، وقد عرفت بجمالها وبهائها وقدرتها على الغناء ورواية الشعر، وهي زميلة المغني (إسحاق الموصلي). ألَّفت كتاباً في الغناء يُعد مرجعاً لأهل الفن.

5

مرحلة السبات العراقي (1258 ـ 1917)



من هذه المنطقة:(منغوليا) اتى المغول، ومن جارتهم:(آسيا الوسطى) وبالذات تركمانستان وازبكستان وكازخستان،اتى الاتراك: سلاجقة واذربيجانيون: (الصفويون والقاجاريون) وتركمان (الخروف الابيض والاسود)، وعثمانيون..



تمثال تيمورلنك(الامير تيمور)، في عاصمة اوزبكستان

تمثال (جنكيز خان) في عاصمة منغوليا

لماذا السبات؟


منمنمة قديمة تصور حصار بغداد من قبل المغول

تسمى هذه المرحلة عادةً (الفترة المظلمة) وقد دامت حوالي سبعة قرون، منذ سقوط (بغداد) ونهاية الدولة العباسية عام 1258 حتى نهاية العثمانيين والاحتلال الإنكليزي عام 1917م. نحن نفضل تسمية: (سباتية) لأنها أكثر واقعية وأقل عمومية وانشائية من (ظلامية). يبدوا أن بعض الشعوب المتميزة بدورها التاريخي، مثل الشعب العراقي، تشبه بعض الحيوانات ذوات الدم الحار، مثل (الخفافيش، القوارض، الدببة، وغيرها)، إذ (تسبت) في موسم الشتاء، تستمر نائمة شبه ميتة، ولا تصحوا إلاّ مع موسم الدفء. كذلك هذه الشعوب تعيش حقبة السبات والاختفاء من التاريخ، حتى تصحوا وتبدأ من جديد دورة نشاط وحياة. هذا تقريباً حال الشعب العراقي و (عموم شعوب العالم العربي) في هذه المرحلة. فبعد كل حقبة حضارية كبرى يسري التعب والهرم فيها فتتراجع (تسبت) تاركة القوى الاقليمية والدولية تصول وتجول براحتها.

كذلك نحن لسنا مع التفسير السائد والقائل بأن سبب (ظلامية وتخلف) هذه المرحلة يعود الى (الاتراك العثمانيين). نعم هي (مظلمة) لكن في بداياتها خصوصاً، من خلال مقارنتها بالمرحلة الحضارية (العباسية) التي سبقتها، وكذلك مقارنة بالحالة الحضارية التي بلغتها أوربا المجاورة منذ القرن السادس عشر. لكن السبب ليس (أقوامياً ولا دينياً)[1] مرتبطاً بـ (المغول) و (الأتراك)، بل يكمن في المرحلة نفسها بكل جوانبها

(1) ـ للتذكير نحن نستخدم كلمة: (اقوامي:Ethnic) كتسمية حيادية، من (قومية أو عرق: Ethnie)، بالتمايز عن الوصف السياسي العقائدي: (قومي:Ethniste) أي التركيز على القومية.

الداخلية والخارجية: (ظهور دول جديدة واختلاف طرق التجارة والحروب الصليبية، وتغير المناخ، وغيرها من الاسباب). يكفي التذكير بأن ايران والصين واليابان وحتى روسيا واوربا الشرقية وغالبية بلدان الأرض، عدا أوربا الغربية، في هذه الفترة ما كانت أفضل حالاً. ثم ان (الدولة البيزنطية المسيحية) التي شيد الاتراك على انقاضها دولتهم العثمانية، كانت من الاساس تعاني التخلف والفساد الذي أدى الى انهيارها. ولا ننسى بأن (المغول) في هذه الحقبة قد صنعوا حضارة إسلامية مزدهرة في (الهند). ثم ان (الأتراك) في المرحلة العباسية قدَّموا مساهمات إبداعية متميزة ومبدعين كبار أمثال: (البخاري، والترمذي، والبيروني، والفارابي، وابن سينا..).

نهاية الدولة العباسية والانتحار المصيري للامبراطوريات!

بالنسبة للعراق، فإن انحطاط المنطقة قد بدأ أولاً في أواخر المرحلة العباسية ومن داخل المجتمع العباسي العراقي نفسه وبالذات النخب الثقافية والسياسية الفاعلة، حتى بلغ ذروته في سقوط الدولة على يد المغول. ثم استمر بصورة طبيعية خلال القرون اللاحقة. بمعنى أن المغول ثم العثمانيين أتوا ليكملوا انحطاطاً قد بدأ قبلهم منذ قرون.

إن أعمار الدول والامبراطوريات مثل أعمار البشر: طفولة ومراهقة وشباب ونضوج وازدهار، ثم شيخوخة وانهيار. وهذا بالضبط ما عاشته جميع الامبراطوريات السالفة وآخرها الساسانية والرومانية، وهاهي (الامبراطورية العباسية) تكرر نفس المصير المخطط من قبل قوانين الكون الخفية. خلال خمسة قرون من عمرها كانت في أول الامر قد بلغت أوج توسعها السياسي: من حدود الصين الى حدود فرنسا. كالعادة وكما حصل في جميع الامبراطوريات، بالتدريج عمّت المنافسات الداخلية والانشقاقات بين (أطراف الطبقة الحاكمة). وكان أولها وأخطرها (تفرّد العباسيين بالحكم وضرب حلفائهم العلويين).

كما العادة أيضاً، يكون الملوك الاوائل من المكافحين والمشيدين الحريصين على تثبيت الدولة وكسب الشعب. ولكن مع الزمن وتنامي الثروات والسلطات، تظهر أجيال جديدة من الملوك والحاشية من الذين نسوا تماماً كفاح أسلافهم، لأنهم يعيشون في

بطر ودلال بين الغلمان والحريم والاتباع والمستشارين الانتهازيين المستفيدين. فينشأون ضعفاء بلداء وربما مخنثين، لا يفقهون مصاعب الحياة ومخاطر السلطان. فيعم الكسل وعادات البذخ والتخمة والفساد، وتسيطر على الرجال إغواءات ودسائس نساء القصور وجواريها، وتستفحل المنافسات والانشقاقات والمؤامرات، الى حد أن يقتل الاخ أخاه والابن أباه، وتنتشر الاغتيالات عن طريق السموم وفقئ العيون والخنق بالمخدات بأيادي الجواري. هكذا بالتدريج ينتشر الضعف في الدولة فتبدأ تمردات الاحزاب والطوائف ومعها انفصالات المناطق والبلدان لتنبثق دويلات تابعة ومنافسة.

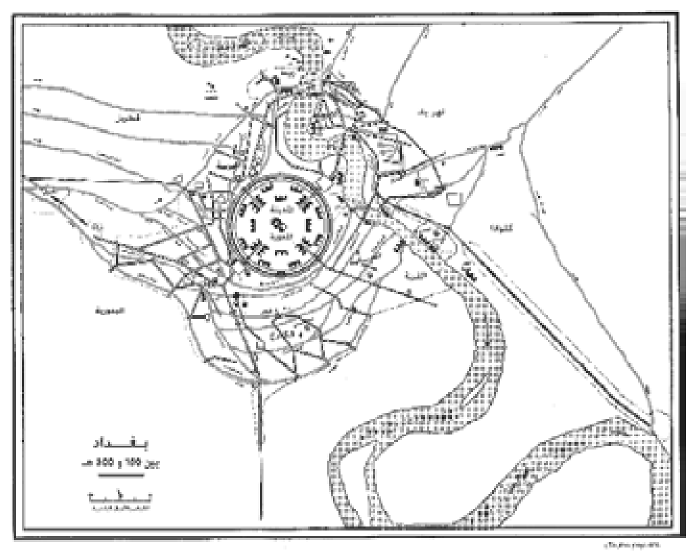
بعد قرن من تأسيس الخلافة والعاصمة (بغداد)، أصبح الخليفة عملياً وخلال (القرون الثلاثة) اللاحقة لا يحكم فعلياً (سوى العراق) الدائم الهيجان والتمرد. بل حتى في (العراق) كان الخليفة مضطراً بصورة دائمة الى الاستعانة والخضوع الى قوات سلاطين آخرين: (الترك التركمان)، ثم (البويهيين الايرانيين)، ثم (الترك السلاجقة). في القرن الخامس الاخير تمكن خلفاء بغداد من الحصول على نوع من الاستقلالية ولكن ايضا بدعم حلفائهم الاتراك: (الأتابكة)، وفي كل الاحوال كانت الدولة والمرحلة في حالة انهيار مستمر، والمارد (المغولي) قد اتى ليساعد التاريخ على تحقيق الخراب الكامل!

ازدهار الحضارة ونهايتها

أما بالنسبة للمجتمع والحضارة، فهنا تكتمل غرابة القوانين الخفية لنظام الكون وكيف أنها تتكرر تقريباً بحذافيرها على جميع الامبراطوريات: قدر ما تنحط الامبراطورية وطبقتها الحاكمة بسبب استفحال البذخ والفساد، يحصل العكس تماماً في المجتمع والثقافة: تزدهر الحياة الثقافية وتنبثق الحضارة وتنتشر وتبلغ أوجها. هنالك تفسير بسيط ومنطقي: إن ثراء وبذخ الطبقة الحاكمة يؤدي تلقائياً الى ازدياد حاجتها وصرفها الاموال لتشجيع وسائل المتعة والجمال بكل أنواعها العلنية والخفية، الشرعية والمحرمة: فنون الموائد والطبخ والشراب، والمعمار والحدائق، والموسيقى والغناء والشعر والازياء والنقوش والتجميل، مع تنامي عدد ونشاط فنانات المتعة بكل صنوفها وجماليتها وابتكاراتها.

ثم لا ننسى أن الطبقة الحاكمة مهما كانت مهملة وفاسدة، فإنها بحاجة الى (الثقافة والمثقفين: علماء وأدباء وفنانين وفقهاء) من أجل خدمتها وترتيب أمور البلد حسب الممكن، وأيضاً الدعاية والدفاع عنها ودعم دولتها. ومن الطبيعي أن يظهر من أبناء هذه الطبقة أشخاص لهم ميول شخصية الى الثقافة والعلوم، إما لرغبة حقيقية أو من أجل التفاخر ومنافسة الخصوم. لهذا فإن الابداع الثقافي والحضاري يستمر وينمو رغم تراجع الدولة وضعفها السياسي والعسكري، مادامت مصادر الثروة والبذخ مستمرة. يضاف الى هذا وجود عامل مهم الى جانب الدعم المادي، ألا وهو طبيعة الشعب المحكوم ومدى قدراته وميوله الطبيعية نحو المتعة والابداع والخيال، وهذه من أهم صفات العراقيين على مرّ الأزمان منذ حضارتهم القديمة وحتى الآن.

سقوط (بغداد) على يد المغول



خارطة بغداد قبل سقوطها

يمكن تقسيم هذه المرحلة الآسيوية في العراق إلى فترتين مختلفتين:

ـ الفترة المغولية ـ التركمانية (1258م ـ 1534م): ودامت حوالي ثلاثة قرون بعد سقوط (بغداد)، وهي فترة عصيبة مضطربة جداً تغيرت فيها الفئات الحاكمة (مغولية وتركمانية وصفوية) بصورة دائمة ودامية.

ـ الفترة العثمانية (1534م ـ 1918م): وكانت فترة شبه مستقرة مقارنة بالفترة السابقة، تخللتها اجتياحات واحتلالات إيرانية بين حين وآخر. يجب التوضيح أنه رغم الاسم (العثماني التركي) الذي تحمله هذه الفترة، إلاّ أنَّ معظم ولاة العراق والمتنفذين في إدارته ما كانوا من الأتراك بل من أصول بلقانية وقفقاسية[2].

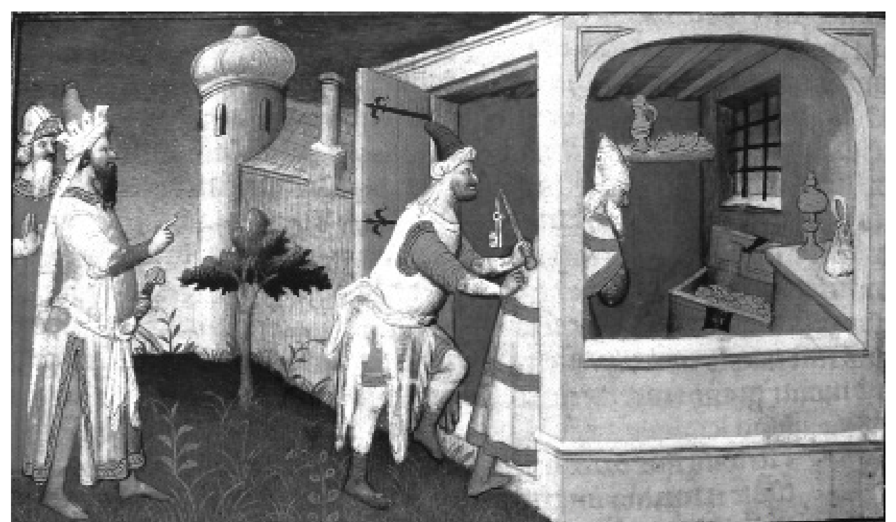
كانت الدولة المغولية قد تأسست من قبل (جنكيز خان) عام 1206 وهو زعيم اتحاد القبائل المغولية البدوية مع العديد من القبائل التركية. وقد تحولت الى واحدة من أكبر الامبراطوريات حيث بلغت أقصاها بعد قرنين (عام 1405) من حوض الدانوب حتى بحر اليابان، ومن حدود فلندا حتى كمبوديا.

عام (1226 ـ 1242) تمكن جيش (الخليفة المستنصر) من دحر الهجوم المغولي الأول. لكن ابنه المستعصم (1242 ـ 1258) وهو آخر الخلفاء، كان بخيلاً فاسداً يحرص على كنوزه أكثر من دولته. في عام 1245 حاصر المغول بغداد دون تحقيق نجاح، ولكن الفساد وإهمال الري في العراق أدى إلى اجتياح الفيضانات التي دمرت آخر ما يمتلكه العراقيون من طاقة للمقاومة المادية والمعنوية.

بعد محاولات عديدة لاقتحام بغداد تكررت خلال سنوات طويلة تمكن أخيراً قائد الجيش المغولي (هولاكو) حفيد (جنكيزخان) في 10 شباط 1258 من اقتحام العاصمة وإعدام الخليفة (المستعصم). بذلك انتهى العباسيون ولفظت آخر أنفاس واحدة من أكبر الإمبراطوريات مساحة وعمراً وحضارة ومجداً. لقد دمرت مدينة (بغداد) فعلياً، ويقال إن عدد الضحايا قد قرب المليون أبيدوا أو هجِّروا. لحسن الحظ إن بقية مدن العراق مثل الحلة والكوفة والبصرة وأربيل والموصل وكركوك، قد رضخت لشروط الفاتح وأبقيت على حالها.

(2) ـ بخصوص العثمانيين، مهما كان تعسفهم وسلطويتهم (مثل الكثير من الدول)، إلاّ أن هنالك الكثير من التشويهات والمبالغات العنصرية ضدهم، التي تنفيها مصادر التاريخ. مثل القول بأنهم كانوا متعصبين مسلمين وضد المسيحيين: في مطلع القرن العشرين شكّل المسيحيون بين 17.5% إلى 25% من مجمل سكان أراضي تركيا الحاليّة، وفي عام 1910 ضمت تركيا الحالية سابع أكبر تجمع سكاني مسيحي أرثوذكسي في العالم؛ لكن انخفضت نسب وأعداد المسيحيين عقب الإبادة الجماعية للأرمن وبعض الطوائف المسيحية الأخرى، فضلاً عن عملية التبادل السكاني لليونانيين الأرثوذكس وضريبة الثروة التركية عام 1942 وبوغروم إسطنبول عام 1955 والتي أدَّت إلى هجرة أغلبية مسيحيين من إسطنبول.
كذلك كان العديد من السلاطين من أمهات مسيحيات، مثل (محمد الفاتح: أمه صربية)، و(سليم الأول: أمه روسية) و(مراد الثالث: أمه إيطالية)، والعديد من السلاطين.. ابحث عن: (قائمة أمهات السلاطين العثمانيين)..

طريقة موت الخليفة ونهاية الخلافة، مثال على انتحار الامبراطوريات!



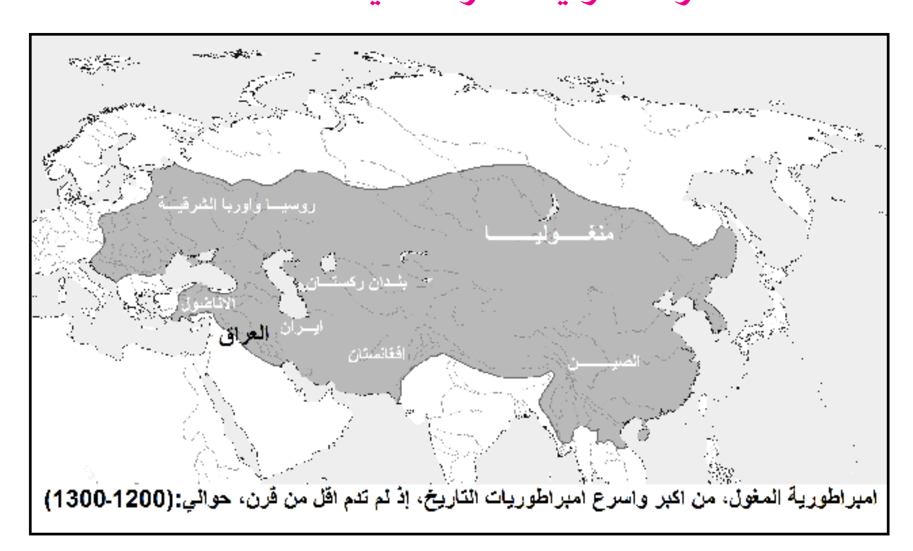
لوحة شهيرة من كتاب فرنسي حوالي عام 1400 تمثل (هولاكو) وهو يرمي آخر الخلفاء(المستعصم) في حجرة كنوزه ليموت جوعا مع ذهبه!

من يعاين السنوات الثلاثين التي سبقت سقوط (بغداد) يجد نفس الحالة التي عاشتها جميع الامبراطوريات قبل سقوطها: الفقدان التام للقدرة على معاينة الواقع والاعتراف بأن عثّ الاهمال والشقاق قد نخر أساس الدولة والطبقة الحاكمة. فتراهم يستمرون بكل اصرار وعماء في هبوطهم في درب الهاوية، وكأن هنالك قوى جبارة غامضة تصيب المسؤولين وعوائلهم وناسهم، بالثمالة والحاجة الى الانتحار. وجميع قراراتهم وخطواتهم التي يعتقدون أنها ستنقذ دولتهم، هي التي تساعد على انهيارها!

أسطع مثال على هذا سلوك آخر الخلفاء: (المستعصم 1242 ـ 1258) الذي رغم المجاعات والامراض والفيضانات التي اجتاحت (بغداد) بالاضافة الى المغول الذين يحاصرونها، كان يرفض تمويل الفرق القتالية الشعبية التي تكونت في بغداد للدفاع عن بغداد وعن الخليفة نفسه، وهو يشتكي من فراغ الخزينة. تبلغ المفارقة ذروتها، ان زعيم المغول (هولاكو) بعد اقتحام بغداد، اكتشف ان كنوزاً عجيبة يخفيها الخليفة تحت بساط عرشه! فما كان من زعيم المغول، إلاّ أن يأمر باعدام (المستعصم) بطريقة مناسبة وبليغة: حبسه مع كنوزه، وهو يخاطبه: (نتركك لتعيش وتتغذى مع ذهبك الذي بخلت به على أنصارك)، حتى مات هذا الخليفة البائس جوعاً بين أكوام ذهبه!

***

الفترة المغولية ـ التركمانية: 1258 ـ 1335



امبراطورية المغول، من اكبر واسرع امبراطوريات التاريخ، إذ لم تدم اقل من قرن، حوالي:(1200-1300)

من هم المغول والترك؟

هنالك أصل مشترك بين الجماعتين من الناحية اللغوية (عائلة اللغات الالتائية: Altaic languages: التركية والمنغولية والسيبيرية وبعض الصينية واليابانية والكورية)[3]. هنالك أصول مشتركة بعيدة بين هذه الشعوب بحكم تجاورهم الجغرافي وتداخلهم القبائلي. يبدو أن البحوث الجينية الأخيرة قد بينت أن جميع الشعوب التي أسميناها (الجنس الأصفر) بمن فيهم هنود أمريكا، أصلها من (منطقة سيبيريا: شمال روسيا والصين ومنغوليا)، ثم بالتدريج هبطوا وعمَّروا الصين واليابان وجنوب آسيا، واختلطوا مع أجناس أخرى مختلفة.[4]

ـ **المَغُول**: أو المنغول ومنهم التتار، هم قبائل (بلاد منغوليا) الحالية ما بين سيبيريا والصين تجمعهم اللغة (المنغولية). توحدت معظم قبائل المغول ومعهم بعض قبائل

(3) ـ اللغات الألتائية هي مجموعة لغات تضم ثلاث أسر لغوية وهي:
اللغات التركية / اللغات المنغولية / اللغات المنشورية الصينية
ويختلف العلماء على لغتين: اليابانية والكورية
وقد سميت هذه اللغات بالألتائية نسبة إلى جبال ألطاي في آسيا الوسطى

(4) ـ عن الجنس الأصفر فإن البحوث الجينية في السنوات الأخيرة قد أثبتت أن الجنس الأصفر من سيبيريا:
ـ Une petite région de Sibérie serait le berceau génétique des Amérindiens/
Siberian Town Stakes a Claim as Humanity's Cradle

الترك المجاورة لهم في القرن 13م تحت قيادة (جنكيز خان)، ليشكلوا أكبر وأسرع إمبراطورية، من الصين حتى الأناضول وروسيا وأوربا[5].

ـ **الشعوب الناطقة بالتركية:** فتعود جذورها الى فرع من الجماعات المنغولية التي هبطت جنوباً إلى (منطقة آسيا الوسطى: أوزبكستان، كازخستان، طاجكستان، قرغيزستان، تركمانستان، والقسم التركي المسلم من الصين)، وقد شاع عن هذه المنطقة الشاسعة اسم: (بلاد ما وراء النهر)، وكذلك (تركستان) و(طوران)[6]. هناك اختلطت بالشعوب الآرية والشرق الأوسطية بحيث إنها فقدت جيناتها وملامحها الأصلية (الصفراء)! أما قبائل (التركمان والأذريين والعثمانيين)، فجميعهم (أتراك) هاجروا من (أواسط آسيا)، وطبعاً اختلطوا وضموا العديد من الجماعات المختلفة أثناء هجراتهم وفي بلدان استقرارهم. فهم مثل كل المجموعات (الاقوامية ـ اللغوية) الكبرى، أمثال العرب والصين والهنود والأوربيين وغيرهم، لا يعودون لأصل عرقي مشترك، بل تجد فيهم الجنسين الأصفر والأبيض، واختلط فيهم المغول والآريون والساميون.

علاقة (الترك) مع أهل العراق

وهي علاقة قديمة جداً، سكانية وتجارية ودينية. وقد توطدت بعد الميلاد حيث انتشرت بينهم (المسيحية السريانية) و(المانوية البابلية) بفضل المبشرين القادمين من بلاد النهرين[7]، و(للترك) حضور قديم في العراق من خلال الجيش الساساني الفارسي الذي كان يضم الكثيرين منهم، واستقروا في العراق بعد اعتناقهم للاسلام.

(5) ـ المغول لا زالوا بأغلبيتهم على (الشامانية: عبادة الطبيعة):

ـ Histoire des Mongols de Jean ـ Paul Roux, Éditions Bayard

(6) ـ من الأفضل استخدام تسمية (تركستان) للحديث عن جميع الشعوب الناطقة بهذه اللغات (التركستانية). تمييزاً عن تسمية (أتراك وتركي) التي تعني حصراً (دولة تركيا الحديثة)، ويبدو أن هذا التمييز بين المفردتين موجود حتى في اللغة التركية نفسها، حيث يقال (Turcica) بمعنى (تركستاني) و(Turkish) بمعنى (تركي).
ـ عن الترك والتركمان طالع مثلا: كتاب (أقليات في الشرق الأوسط) فايز سارة، دار مشرق ـ مغرب، الصفحات 77 ـ 93.

(7) ـ الترك كانوا على (العقيدة الشامانية: عبادة الطبيعة) ثم انتشرت بينهم البوذية والمسيحية والمانوية وأخيراً الإسلام:

ـ Frederik Coene, The Caucasus - An Introduction, p.77 Taylor & Francis, 2009

بعد الاسلام توطدت العلاقة بشكل كبير جداً من خلال الجيش الإسلامي الذي فتح عموم آسيا؛ لأنه كان قادماً من العراق وبقيادة (القائد العراقي البصري قتيبة بن مسلم)[8] وغالبية جيشه من أهل العراق الذين نشروا الإسلام والعربية بين شعوب ايران وخراسان وتركستان[9]. وقد استقر غالبية المحاربين العراقيين هناك، ولا زال ضريح هذا الفاتح البصري في (وادي فرغانة) في أوزبكستان.

بعد انتشار الاسلام بينهم برز منهم الكثير من الفقهاء والعلماء المسلمين، مثل: (البخاري والترمذي والبيروني والفارابي وابن سينا)[10]، وقد استعان بهم العباسيون كمحاربين: (بدو آسيا) لمواجهة (بدو أوربا) الصليبيين. هكذا شرعوا ينزحون نحو إيران وآذربيجان والعراق والأناضول (تركيا الحالية)، وأنشأوا العديد من السلالات والإمارات والدول، مثل الغزنوية والسلجوقية والخروف الأسود والأبيض، في تركمانستان وافغانستان وإيران والعراق، ثم الصفوية والقاجارية في إيران، ثم العثمانية في الأناضول.

في العصر الحالي يمكن الحديث عن ثلاث مجموعات أساسية تركية في الشرق الأوسط: تركمان العراق، وآذربيجان (بقسميها المستقل والتابع لإيران)، بالإضافة إلى تركيا، وهذه المجموعات الثلاث رغم اختلاف التسميات، إلاّ أنها تتكلم بلغة تركية فصيحة واحدة وتعتنق الإسلام مع اختلاف اللهجات والثقافات والمذاهب.

(8) ـ (قتيبة بن مسلم البصري الباهلي) من أعظم الفاتحين المسلمين، ولد في البصرة سنة 49هـ لأسرة من قبيلة باهلة النجدية، ولاه عبد الملك بن مروان الري وخراسان التابعة لوالي العراق (الحجاج)، ومن خراسان سنة 86هـ شرع بفتح بلاد ما وراء النهرين (تركستان)، وعاش فيها ثلاث عشرة سنة ومات هنالك وقبره في (أوزبكستان)!

(9) ـ يقول الطبري في صفحة 221 الجزء الرابع من كتابه الشهير (تاريخ الأمم والملوك): ((إن عبيد الله بن زياد قام في شهر ربيع الأول سنة 54 هـ (673م) بهجماته عبر (جيحون) على (بخارى) ثم على (بيكند)، فقاومه الجيش التركي تحت إمرة الملكة (قبج خاتون) مقاومة شديدة جدًّا، جلبت انتباهه وإعجابه لما لمسه فيهم من شجاعة فائقة وحسن استعمال الأسلحة، فاختار منهم ألفي مقاتل يحسنون الرماية بالنشّاب فبعثهم إلى العراق وأسكنهم البصرة))، وطبعاً فإن هؤلاء من التركمان قد انصهروا مع العراقيين واستعربوا مثل الآلاف المؤلفة من المهاجرين من مختلف البلدان.

(10) ـ عن أعلام الترك المسلمين، راجع الفصل السابق.

الاتراك وأهل البصرة!؟



اول كتاب صدر باللغة التركية، وهو قاموس عربي تركي، كتبه في بغداد العباسية عام 1076 العلامة (محمود الكشغري) (كشغر، حاليا في تركستان الصين). وقد اهداه الى ابن الخليفة المقتدي بأمر الله.

يذكر المؤرخ الطبري: ((إن عبيد الله بن زياد قام في (54 هـ: 673 م) بهجماته عبر (جيحون) على (بخارى) ثم على (بيكند)، فقاومه (جيش الترك) تحت إمرة (الملكة قبج خاتون) مقاومة شديدة جداً، جلبت انتباهه وإعجابه لما لمسه فيهم من شجاعة فائقة وحسن استعمال الأسلحة. بعد الانتصار والاستقرار اختار من الترك ألفي مقاتل يحسنون الرماية بالنشّاب فبعثهم إلى العراق وأسكنهم البصرة)).

تاريخ الأمم والملوك: الطبري/ الجزء 4 /ص221

طبعاً هؤلاء الترك مثل العديد من جموع المهاجرين (رجال وكذلك نساء) من مختلف الاجناس، قد انصهروا في أهل العراق واستعربوا، وربما بعضهم من خلال التزاوج قد أسَّس (عشائر عربية) تعتقد بأنها منحدرة من اليمن وقحطان وعدنان!؟ وهذا أمر طبيعي حصل في جميع شعوب الارض.

الفترة المغولية الايلخانية والجلائرية

بعد الاحتلال المغولي فقدت (بغداد) مركزها الإمبراطوري وأصبح العراق كله محكوماً من قبل مدينة (تبريز) عاصمة آذربيجان ايران، حيث مقر الحكم المغولي الإيلخاني. كان الحكم عموماً مشتركاً بين الإداريين المدنيين العراقيين من مسلمين ومسيحيين ويهود يراقبهم قادة جيش المغول.

يعتبر الخان (محمود غازان) (1295 ـ 1304) أول سلطان مغولي اعتنق الإسلام

وجعله دين الدولة، ثم أعقبه شقيقه (محمد خودابندا أولجايتو (1280 ـ 1316م) ثامن ملوك الإلخانية وابن حفيد هولاكو، وله حكاية طريفة مع الأديان: إذ عمَّدته أمه بعد ولادته مسيحياً باسم نيقولا، ثم تحول إلى الإسلام السني، ثم اعتنق الإسلام الشيعي على يد العالم الشيعي (العراقي) (ابن المطهر الحلي)، ثم عاد إلى السنّة[11].

ـ المغول الجلائريون (1336 ـ 1432): وميزة هذه الفترة أن (بغداد) أصبحت هي عاصمة الدولة. الجلائريون هم سلالة مغولية بقيادة (حسن بوزرك) الذي أسس قاعدته في العراق، ثم تمكن بعدها من محاربة منافسيه في باقي الإمبراطورية، وأخيراً قام ابنه (الشيخ عويس 1356 ـ 1374) بفرض السيطرة على آذربيجان في عام 1360، وقام ببعض الإصلاحات في العراق مثل تشجيع التجارة ورعاية الأدب والرسم والخط، ونفذ بعض المشاريع العمرانية في بغداد.

المغول والمسيحية النسطورية العراقية!

كان المغول عموماً على (ديانة الشامانية: عبادة الطبيعة) بالاضافة الى البوذية والاسلام والمانوية وغيرها. كذلك تنتشر بينهم منذ قرون الكنيسة السريانية النسطورية العراقية، إذ إن زوجة (هولاكو) (دوقوز خاتون: Doquz Khatun) كانت من اتباع هذه الكنيسة. ويبدو أن المغول في أول احتلالهم للعراق قد تفاهموا مع المسيحيين العراقيين ودعموهم. لهذا فإن الكثير من أعيان بغداد والتجار ورجال الدين المسلمين واليهود، كي ينجوا من الموت ويحفظوا أموالهم، قد التجأو الى الكنائس، وكذلك الى دار (ابن العُلقُمي) الوزير العباسي الشيعي الذي تفاهم مع المغول ليحمي ما يمكن حمايته.ولكن حال المسيحيين قد ساء بعدما اعتنق أحفاد (هولاكو) الاسلام وأولهم (محمود غازان:1295 ـ 1304).

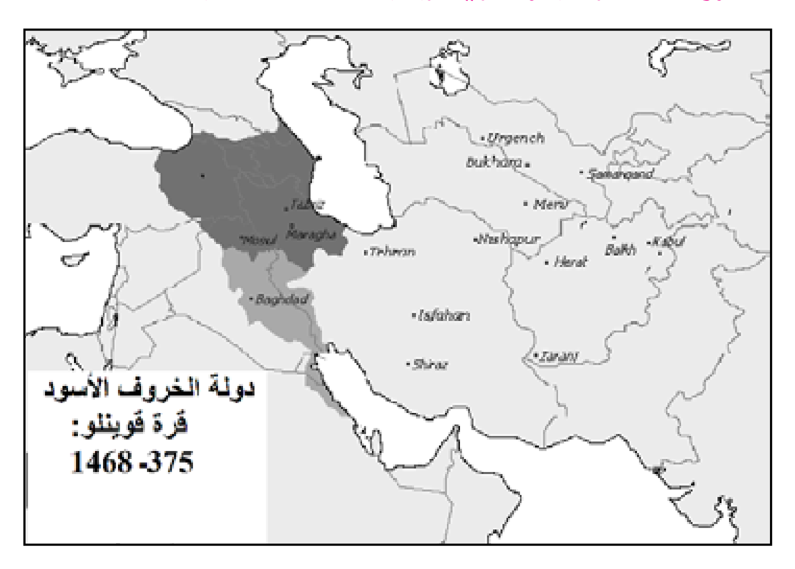
الفترة التركمانية

بعد صراعات طويلة بين أطراف (التحالف المغولي ـ التركي)، تمكن زعيم (تركي من اوزبكستان) اسمه (تيمورلنك) من السيطرة على الإمبراطورية المغولية. ثم قام

(11) ـ عن السلطان محمد خودابندا:
د. نرجس أسعد كدرو، موقف المغول الإيلخانيين من المذاهب والأديان، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة عين شمس ـ كلية الآداب، 2009، ص203.

باجتياح (بغداد) كذلك (تكريت) في 1393، وأجبر السلطان الجلائري (أحمد) على مغادرة العراق وطلب حماية المماليك في مصر حتى موت تيمورلنك في 1405. تخللت هذه الفترة عمليات كر وفر بين المتنافسين المغوليين والترك، أدت إلى تدمير (بغداد) مرات عدة، وبدون رحمة.

ـ دولة الخروف الأسود (قرة قوينلو) (1375 ـ 1468)



وهي مجموعة قبائل جديدة (تركمانية) كانوا متحالفين مع المغول ومنتشرين في العراق وآذربيجان، وحملوا هذه التسمية لأن شعار رايتهم كان (خروفاً أسود). بعد ضعف المغول وانقساماتهم تمكن زعيم القبيلة (قرة يوسف 1389 ـ 1420) من تأسيس دولته أولاً في آذربيجان بدعم من المماليك المصريين، وتخللت هذه الفترة حروب لا تنتهي بين القبائل المغولية والتركمانية المتنافسة، وكان العراق في غالب الأحيان ساحة لها، وبعد سنتين من الحروب انتصرت قوات قبيلة (الخروف الأبيض) وصار العراق تابعاً لها.

ـ دولة الخروف الأبيض (آق قوينلو) (1378 ـ 1508)



وهو أيضاً اتحاد قبائلي تركماني حكم أولاً شمال العراق، وآذربيجان وشرق الأناضول، وشعار رايتهم هو (الخروف الأبيض)، وكانوا موجودين في الأناضول ومعظم قادتها كانوا متحالفين مع البيزنط بحيث إن مؤسس الدولة (قرة عصمان: حكم بين 1378 ـ 1435) تزوج من أميرة بيزنطية. تمكن (أوزون حسن 1452 ـ 1478) من توسيع الدولة نحو إيران حتى أفغانستان والخليج العربي، ولكن في هذه الفترة برزت قوتان تركيتان جديدتان وخطرتان: (الصفويون: وهم أتراك آذريون، تحولوا إلى المذهب الجعفري الشيعي) وفرضوا أنفسهم على باقي إيران. ثم (العثمانيون ـ وهم أتراك سنة حنفية) في الأناضول الذين أنهوا الدولة البيزنطية واستولوا على عاصمتها المقدسة: (القسطنطينية ـ إسطنبول) في عام (1453). أخيراً عام (1501) تمكن جيش الصفويين في إيران بقيادة (إسماعيل الصفوي) من هزيمة جيش التركمان بقيادة (مراد بگ) سلطان العراق الذي حاول المقاومة والحفاظ على بقايا الدولة، لكنه اندحر أمام الصفويين الذين احتلوا بغداد عام 1508.

❊ ❊ ❊

الفترة العثمانية (1529 ـ 1917)
وتحول العراق الى ساحة صراع: ايراني شيعي ـ عثماني سنّي!



إبتداء من عام 1500 تغيرت موازين القوى في (الشرق الاوسط) بصورة كاملة بسبب ظهور دولتين قويتين جديدتين:

ـ **الدولة الصفوية الشيعية:** التي تمكنت من توحيد ايران وفرض سلطتها على الهضبة الايرانية بكاملها.

ـ **الدولة العثمانية السنيّة:** التي بعد قرون من الكفاح والتمدد البطيء في الاناضول ضد (الدولة البيزنطية المسيحية)، تمكنت أخيراً من اسقاط العاصمة المسيحية المقدسة (القسطنطينية: اسطنبول) وتكوين دولة قوية على جميع هضبة الاناضول بالاضافة الى البلقان.

الدولة الصفوية وتشيع إيران



الصفوية، طريقة صوفية نسبة إلى الشيخ «صفي الدين الأردبيلي» (1252 ـ 1334) التركماني السني الشافعي. مع الزمن تطورت وجذبت أتباعاً كُثراً، حتى أضحت قوة سياسية نافذة في شمالي غرب إيران وشرقي الأناضول في القرن الخامس عشر، وتحولت من الوعظ إلى الجهاد الى التشيع مع أحد أحفاد الشيخ صفي الدين وهو «الجنيد» (1460) الذي مثّل نقلة في تاريخ الحركة. وقد نجح حفيده (إسماعيل الأول) المعروف باسم «الشاه إسماعيل» (1487 ـ 1524) بتأسيس الدولة الصفوية الشيعية، وتعيين نفسه كأول شاه لها، والقيام بتجميع جنود الحركة الذين عرفوا بعد ذلك باسم «القزلباش: الرؤوس الحمر». وهي طريقة صوفية تغالي بتقديس (الامام علي).

حتى قيام الحكم الصفوي عام (1508) كان الشيعة في إيران أقلية. (الصفويون) هم أيضاً أتراك، وعاصمتهم (تبريز) في آذربيجان، ثم بعدها (أصفهان)، لكنهم جعلوا اللغة الرسمية الوطنية: (الفارسية). أما اللغة الدينية والعسكرية فهي (التركية

الآذرية)[12]. وقد تمكن السلطان المؤسس (إسماعيل الصفوي) بقوة السيف والمجازر المريعة بحق قيادات السنّة أن يفرض التشيع. فانحصر الوجود السني في المناطق الجبلية العصية، بين الأكراد على حدود العراق والأناضول، والبلوش عند حدود باكستان. وقد استعان بالفقهاء الشيعة الشاميين (حوزة جبل عامل: لبنان)، وعلى رأسهم (الشيخ الكركي) الذي منحه الشاه سلطات دينية ومالية واسعة، فتمكن من تشييد (المراكز الشيعية) في جميع أنحاء إيران، وأعقبه فقهاء عديدون من لبنان[13].

اسباب تشيع ايران

ان انجازات التاريخ الكبرى يستحيل ان تظهر وتنجح لمجرد الصدفة ومزاج الزعيم، بل لا بد ان تكون تعبيرا عن حاجة دفينة في اعماق الناس ومدعومة بظروف سياسية ونفسية ومصالحية تدعم نجاحها. هكذا إذن ليست صدفة ان تتخذ الدولة الصفوية قرار تحويل إيران إلى التشيع، الذي كان يبتغي قصداً وسليقة هذين الهدفين:

1 ـ حماية إيران من الخطر العثماني (السنّي التركي)، وخصوصاً أن (الدولة الصفوية، وبعدها القاجارية) أيضاً مسلمة وكذلك ناطقة بالتركية، إذن لن يميزها ويحميها غير (سور المذهب الشيعي). فتمكنوا فعلاً مع الزمن أن يجعلوا من التشيع مع الإسلام أساس (الهوية الوطنية الإيرانية) والعامل الأول الجامع للإيرانيين

---

(12) ـ الصفوية، طريقة صوفية نسبة إلى الشيخ «صفي الدين الأردبيلي» (1252 ـ 1334) التركماني السني الشافعي واستطاع أبناؤه وأحفاده من بعده تأسيس بنية هرمية للحركة وقفوا فيها على منصب شيخ الطريقة الأكبر. تطورت الطريقة الصفوية وجذبت أتباعا كثراً، حتى أضحت قوة سياسية نافذة في شمالي غرب إيران وشرقي الأناضول في القرن الخامس عشر، وتحولت من الوعظ إلى الجهاد والتشيع مع أحد أحفاد الشيخ صفي الدين وهو «الجنيد» (ت1460) الذي مثّل نقلة في تاريخ الحركة؛ أدت إلى إعلان حفيده إسماعيل الأول المعروف باسم «الشاه إسماعيل» (1487 ـ 1524) قيام الدولة الصفوية الشيعية وتعيين نفسه كأول ملك لها، والقيام بتجميع جنود الحركة الذين عرفوا بعد ذلك باسم «القزلباش: الرؤوس الحمر».

(13) ـ قدمت حوزة جبل عامل عدداً كبيراً من علماء الشيعة لخدمة الدولة الصفوية الشيعية التي كانت بحاجة لغطاء شرعي في صراعها مع الدولة العثمانية السنية. من هؤلاء العلماء: الشيخ نور الدين علي بن الحسين بن عبد العالي الكركي الملقب بالمحقق الثاني الذي تعلم على عادة شيعة لبنان في المدارس السنية والشيعية في الشام ومصر. في عام 1510 التقى (إسماعيل شاه الصفوي) والتحق بخدمته، وجاء بعد الكركي مجموعة من العلماء الذين تأثروا به ونهجوا نهجه، مثل حسين بن عبد الصمد العاملي (ت: 984هـ/ 1576م) وعبد العالي بن عبد العالي الكركي (ت: 993هـ/ 1585م) وبهاء الدين العاملي (ت: 1031هـ/ 1621م).
والشيخ موسى بن جعفر الذي نجح في تسوية الخلاف بين الدولتين الإيرانية القاجارية والتركية العثمانية».

بمختلف قومياتهم ولغاتهم العديدة، حالياً: نسبة الشيعة قد تقرب 90%. أما الناحية اللغوية القومية (الفرس أكثر من 50%، والناطقون بالتركية أكثر من 20%، بالإضافة إلى الكرد والعرب وغيرهم)[14].

2 ـ خلق الحجّة الدينية والطائفية لتبرير الهدف الإيراني التاريخي والأساسي باحتلال العراق (كما وضَّحنا في الفصول السابقة). فإيران ظلت دائماً تقلد العراق حضارياً ودينياً. ويقيناً لو أن العراق كان على ديانة أخرى، مثل البوذية أو اليهودية، لكان من المؤكد أن تصبح إيران كذلك. فقط من أجل تقليده ومنح شعوب إيران السبب للتعلق به والاندفاع لاحتلاله (وتحريره من أعداء الدين والمذهب)! فهاهي ايران منذ الدولة الصفوية وحتى العصر الحالي، ارتكبت مختلف عمليات التآمر والحروب والاجتياحات مرات ومرات بحجة: (حماية المراقد الشيعية المقدسة)!

على هذا الأساس، كان أول إنجازات (الشاه إسماعيل)، أنه عام 1508 اتجه بجيشه نحو جنوب العراق، وأسقط (الإمارة المشعشعية) الأحوازية ـ العراقية التي كانت تسيطر على الجنوب والأحواز. ثم بعدها اتجه إلى (بغداد). قامت جيوشه بارتكاب مذابح بحق أهل السنة وتخريب مقابر (أبي حنيفة النعمان) و(عبد القادر الجيلاني). بقي الإيرانيون في العراق نحو 26 عاماً (1509م ـ 1534م)، إلى أن طردهم السلطان سليمان القانوني عام 1530م. ثم عام 1623م احتل الصفويون بغداد مرة أخرى في عهد الشاه عباس الكبير، وحررها السلطان مراد الرابع عام 1638م.

هكذا استمرت السلطة الصفوية وكل الحكومات التي أعقبتها في الضغط على العراق، فقام (الشاه طهماسب الأول) بتكرار الجرائم، ثم عاد الصفويون بقيادة (الشاه عباس الأول) في سنة 1624 وارتكبوا المجازر، ثم قام (نادر شاه) بغزو العراق مرتين (أعوام 1733 و1744).

---

(14) ـ عن قوميات إيران:
الفرس» (بين 51% و65%). الأذربيجانيون (16 ـ 25%، ومعهم التركمان حوالي 2%)، الأكراد (7 ـ 10%)، اللور (حوالي 7%)، مازانداري وجيلاك (حوالي 7%)، العرب (2 ـ 3%)، البلوش (2%).
ليست هنالك إحصاءات رسمية، ولكن هنالك بحوث أجنبية:
ـ مكتبة الكونجرس: «ملف تعريف الدولة: إيران/ قسم البحوث الفيدرالية» ـ 20 نوفمبر 2011 ـ ص5.
ـ وكالة المخابرات المركزية/ كتاب حقائق العالم (إيران) 3 فبراير 2012.

العشق الايراني للعراق!

((نحن سائرون حالاً على رأس جيشنا المظفر لتنسم هواء سهول بغداد العليل، ولنستريح في ظلّ أسوارها...)) (نادر شاه) أثناء غزو العراق عام 1733 [15].

لكن عشق الإيرانيين لسهول بغداد، كلف العراقيين حصاراً وحشياً يفوق الخيال دام سبعة أشهر، جعلهم ـ رجالاً ونساء وأطفالاً ـ يموتون جوعاً بعشرات الآلاف تحت مرأى الجيش الإيراني العاشق! وبعد عشر سنوات كرر هذا الشاه محاولته العشقية عبر حصار الموصل الذي دام 42 يوماً مستخدماً 200 مدفع أطلقت 40 ألف قنبلة على السكان الأبرياء تعبيراً عن حبّ الإيرانيين لهم [16]!

الدولة العثمانية



الجيش الانكشاري الذي كان اساس الجيش العثماني بين 1363 و1826 ويتكون من اطفال مسيحيين(اسرى او مباعون من اهاليهم) يتم تربيتهم عسكريا وعلى عقيدة التصوف البكتاشي العلوي

تعود بدايات تأسيسها الى (عثمان الأول بن أرطغرل: حكم 1299 ـ 1324م) الذي كان يعمل لصالح (السلاجقة الاتراك). نشأت الدولة العُثمانيَّة بدايةً كإمارة عند حُدود الدولة البيزنيطية (الاناضول) وتعمل في خدمة سلطنة سلاجقة الروم الذين يحاربون البيزنط. بعد نهاية السلاجقة على يد المغول، تمكنت (الإمارة العُثمانيَّة) في

(15) ـ عن مجازر إيران في العراق بحجة التشيع، طالع:
ـ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق: علي الوردي ـ جزء 1ـ ص113.
(16)ـ نفس المصدر: ص128.

عام (1299) من اعلان استقلالها والسيطرة على باقي الامارات التركمانية المجاورة. خلال قرنين استمر العثمانيون بالسيطرة على عموم الاناضول والبلقان. أخيراً عام 1453 تمكن (محمد الفاتح) من فتح (القسطنطينية ـ اسطنبول) العاصمة البيزنطية والمسيحية المقدسة[17].

عام 1514 انتصر العثمانيون على الصفويين في (معركة جالديران)، واحتلوا عاصمتهم (تبريز)، لكن الشاه إسماعيل تمكن من الهرب. بعدها ترسخت زعامة العثمانيين للشرق الأوسط. رغم ذلك استمر الصفويون باحتلال العراق نحو 26 عاماً حتى طردهم السلطان سليمان القانوني عام 1530م.

هكذا هيمن العثمانيون على العراق لحوالي أربعة قرون، حتى الاحتلال الإنكليزي عام 1917. تخللت هذه القرون الكثير من الحروب الكبرى والصغرى، الداخلية والخارجية، ومحورها التنافس الإيراني ـ العثماني.

بعد احتلال العراق قام السلطان (سليمان القانوني) بالاعتراف بالإدارة المحلية، وتوسيع التجارة، وتحسنت الظروف المعيشية والاقتصادية، وشهدت بعض المدن وخاصة بغداد بعض التوسع وظهور أبنية جديدة. تم تقسيم ادارة العراق إلى ثلاث ولايات مركزية هي: (الموصل وبغداد والبصرة)، وكانت (ولاية الموصل) في بعض الفترات تنقسم الى (ولاية شهرزور: السليمانية وكركوك) الكائنة شرق دجلة. بالإضافة إلى ولاية (الأحساء) شمال شرق السعودية حالياً، المرتبطة بالبصرة، وتضم عموماً مناطق الخليج العربي.

هنالك نقطة مهمة جداً يجب توضيحها: طيلة الفترة العثمانية كان (والي بغداد) هو الحاكم الفعلي لكل العراق: بغداد والموصل والبصرة. وقد ظلت المناطق الكردية الحالية دائماً مرتبطة بالإدارة العراقية. مع العلم إن هنالك الكثير من الإمارات ذات الحكم الذاتي التي قامت في أنحاء العراق، مثل (المنتفق) في الجنوب، و (الجليلي) في الموصل، و (الآفراسياب) في البصرة، و (البابان) في السليمانية، لكن هذه الإمارات ظلت تابعة بصورة وأخرى للإدارة العراقية العثمانية.

(17) ـ حسب التاريخ الرسمي التركي، إن الدولة العثمانية استمرت 600 عام، منذ قيام دولة عثمان عام 1299م حتى عام 1923، واعلان (كمال اتاتورك) نهايتها الرسمية.

فترة المماليك (1831.1749)

اول محاولة عراقية لرفض السيطرة العثمانية العسكرية المباشرة



وهم مجموعة ولاة حكموا بغداد وعموم العراق، أصلهم من بلدان القفقاس وخصوصاً من (بلاد الكرج ـ جورجيا الحالية). كان من المعتاد أن تبعث إسطنبول الولاة الذين تختارهم وهم عموماً أتراك وبلقان (ألبان ومقدون وبوسنياك). لكن في هذه الفترة كان الأمر مختلفاً، حيث كان يتفق مماليك وأعيان العراق فيما بينهم ويقترحون الأقوى بينهم ويبعثون العرائض إلى السلطان العثماني لكي يوافق على تعيينه. علماً بأن هؤلاء المماليك، عكس ما قد يظن، ما كانوا عبيداً، بل كانوا مثل (الجيش الانكشاري) العثماني، يتم شراؤهم[18] من القفقاس من قبل والي (بغداد) وجلبهم وهم أطفال لكي يوضعوا في معسكرات لتدريبهم وتنشئتهم عسكرياً ودينياً، وكان الكثير من هؤلاء من عوائل مسيحية جورجية (كرجية) تضطر إلى أن تبيع أبناءها بسبب الفقر وعلى أمل أن يحققوا مستقبلاً مقبولاً في الجيوش العثمانية.

(18) ـ يبدوا أنه في تلك الحقبة كانت الكثير من العوائل الفقيرة تبيع أطفالها كي تنقذهم من الموت جوعاً، وأيضاً بأمل أن يتمكنوا من تحقيق بعض الجاه والمال في مستقبلهم، وهذا ما حصل للكثيرين.
إن هذه الحالة ليست مختلفة كثيراً عن الحالة السائدة في العالم عبر التاريخ وحتى في عصرنا الحالي، أن تترك العوائل الفقيرة بناتها الصغيرات يعشن في بيوت الاغنياء كخادمات (عبدات)!

إن أول من قام بتكوين جيش المماليك في العراق هو الوالي العثماني (حسن باشا)، لكي يتم الاستغناء عن (الانكشارية العثمانيين) الذين أصبحوا غير مرغوب بهم، عراقياً وعثمانياً. وعندما تولى الحكم من بعده ابنه (أحمد باشا) استمر بجلبهم من أسواق (تفليس ـ عاصمة جورجيا الحالية) حتى إنهم بعد وفاته تمكنوا أن يفرضوا إرادتهم على الدولة العثمانية وينصّبوا أحدهم وهو (سليمان باشا) عام 1749م. وكان يلقب (أبو ليلة) لأنه كان يتجول ليلاً لتفقد أحوال الناس. بلغت دولة المماليك في العراق أوج قوتها في عهد (سليمان باشا الكبير) والذي دام حكمه 22 عاماً ما بين عامي 1780 إلى عام 1802 وقد سمّي عهده بالعصر الذهبي لدولة المماليك في العراق. انتهت فترة المماليك بعد حوالي قرن بعد عزل آخر ولاتهم (داود باشا) سنة 1831 (سنفصل تجربته الاستقلالية بعد قليل).

معاهدة أرضروم والتخلي عن (الاحواز) وضفة شط العرب!

وهي من أكبر الضربات التي وجهتها إيران إلى العراق، إذ نجحت بإجبار الدولة العثمانية على التنازل عن أجزاء مهمة من جنوب شرق العراق: الأحواز وأجزاء من شط العرب[19]، بالإضافة إلى (مدينة حلوان: محاذية لديالى)[20]. تم ذلك بعد توقيع (معاهدتي أرضروم الأولى والثانية) عامي 1823م و1847م؛ لإنهاء الخلافات الحدودية. وقد تنازل العثمانيون عن هذه الأجزاء (الشيعية) لأسباب طائفية، لتقليل الوجود الشيعي في العراق. فاستولت إيران على مدينة وميناء المحمرة «خرم شهر» وجزيرة عبدان، وكذلك الأراضي التي هي على الضفة الشرقية لشط العرب.

الميول الاستقلالية العراقية

كما هو حال العراق دائماً، فإن أية دولة مهما كانت وطنية أو أجنبية، فإنها تواجه صعوبتين كبيرتين تتطلبان الكثير من الحنكة والقوة للتغلب عليهما:

1 ـ التنوع الكبير في المجتمع العراقي، دينياً وطائفياً وعرقياً وعشائرياً ومناطقياً، بل

(19) ـ رغم تنازل العثمانيين عن (الأحواز) إلاّ أنها لم تخضع للإيرانيين، بسبب مقاومة الإمارة المشعشعية العربية، التي بقيت حتى سنة 1724م، حيث قامت دولة أحوازية ثانية ـ هي إمارة بني كعب (أو الإمارة الكعبية) ـ اعترفت بها الدولتان الصفوية والعثمانية.

(20)ـ حلوان، هو اسم لمدينة قديمة في منطقة جبال زاغاروس وهي اليوم في غرب إيران قريباً من كرمنشاه ونهر ديالى، وهي مذكورة منذ عهد السومريين ويعتقد أن اسمها (علون: العالية) ثم أصبحت تابعة للكنيسة السريانية العراقية ما بين القرنين الثامن والثاني عشر، وقد فتحها المسلمون سنة 16هـ/ 638م، ودخلها هولاكو سنة 655هـ/ 1257م.

إن هذا التنوع اشتد تناقضه في الطبقة الحاكمة نفسها بين العثمانيين الأتراك والانكشارية البلقان (ألبان ومقدون وبوسنياك) والمماليك الجورجيين (الكرج).

2ـ نفوذ ومطامع الدول المحيطة، حيث برز تأثير (قبائل نجد) (في السعودية حالياً) وغزوات الوهابيين المستمرة. بالاضافة إلى النفوذ الإيراني (الصفوي ثم القاجاري) واجتياحاته العسكرية بحجة حماية المراقد الشيعية المقدسة، بمواجهة الدولة العثمانية الحاكمة.

لهذا فإنه كان من الطبيعي أن تشتد الميول الاستقلالية ضد العثمانيين لدى جميع الأطراف العراقية (شيوخ العشائر)، وكذلك الأطراف العثمانية الحاكمة نفسها (الولاة وقادة الجيش بمختلف أصولهم).

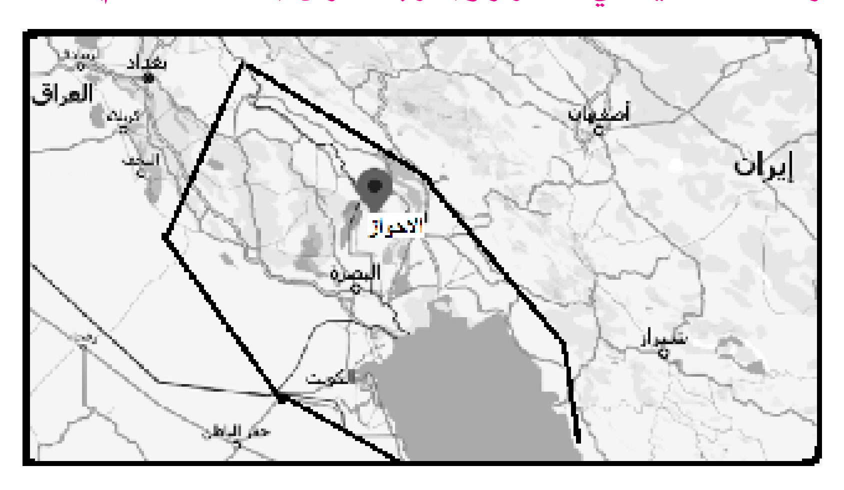
ويمكن ذكر النماذج التالية المعبرة عن هذه الميول الاستقلالية، حسب التسلسل الزمني:

المحاولة الفيلية لاستقلال العراق (1524ـ 1530)

تمكن (ذو الفقار) زعيم قبيلة موصلو الكلهورية الفيلية الذي كان والياً على (بغداد) من قبل الصفويين، من إعلان تمرده وتكوين دولة عراقية مستقلة. حاول أن يستعين بالسلطان العثماني ضد الصفويين، لكن (الشاه طهماسب الأول) دخل بغداد وتمكن من شراء إخوة (الأمير ذي الفقار) ودفعهم لقتله. بعد أربعة أعوام تمكن السلطان العثماني سليمان الأول من احتلال بغداد عام 1534 وطرد الصفويين. لكنهم قاموا مرة ثانية باحتلال بغداد بين 1623ـ 1638، ثم نجح العثمانيون بطردهم مرة أخرى[21].

(21) ـ عن حكم الفيلي: علي ثويني في مجلة ميزوبوتاميا العدد 4 عام 2005.
ـ د. إعتماد يوسف أحمد القصيري ـ مجلة سومر: (النقود التي ضربت في العراق خلال الحكم العثماني) ذكرت: (أن النقود التي ضربت في العراق وفي بغداد بالتحديد خلال الحكم العثماني كان منها ما أشير في أحدها إلى الفترة التي حكم فيها ذو الفقار، فقد ضربت مسكوكة باسم السلطان العثماني سليمان القانوني عام 933 هـ/ 1526م وهذه المسكوكة موجودة في المتحف العراقي تحت رقم 9030 في سجل المسكوكات وقد ثبت الرقم سبعة على المسكوكة، وهي عدد سنوات حكم السلطان سليمان عند دخوله إلى بغداد).

الامارة المشعشعية في الأحواز وجنوب العراق (1436 ـ 1724م)



قامت هذه الدولة على يد الأمير الأحوازي (محمد بن فلاح بن هبة الله) الذي اتخذ الحويزة عاصمة له، وقد حافظت هذه الدولة على استقلالها رغم ما تعرضت له من محاولات الغزو على يد الإيرانيين والعثمانيين. كانت النقود تضرب باسم المشعشعين في مدينتي تستر ودسبول (قنطرة القلعة ـ دزفول حالياً) الأحوازيتين عام 914هـ / 1516م، وعندما حاول الصفويون احتلال (بغداد) وطرد العثمانيين، طلبوا المساعدة العسكرية من (منصور) الحاكم المشعشعي آنذاك، الذي رفض تقديم أية مساعدات. واتسعت الدولة المشعشعية حتى شملت مناطق واسعة من جنوب العراق بما فيها (البصرة). خاضت الدولة المشعشعية عدة معارك ضد الإيرانيين كان الانتصار حليفهم فيها. وحتى سقوط الدولة المشعشعية علي يد الشاه إسماعيل الصفوي عام 1516، حيث سميت الأحواز بعد ذلك ـ بعربستان ـ تحكمها الأسرة المشعشعية في إطار الاستقلال الداخلي تحت سلطة الحكم الصفوي.

إمارة بني كعب في الأحواز وجنوب العراق (1690 ـ 1925)



الشيخ خزعل الكعبي بجانب ملك العراق فيصل الثاني نتيجة الضغط الانكليزي اضطر فيصل للتنازل عن الاحواز والسكوت عن اغتصابها من ايران في 1925 واعتقال اميرها خزعل

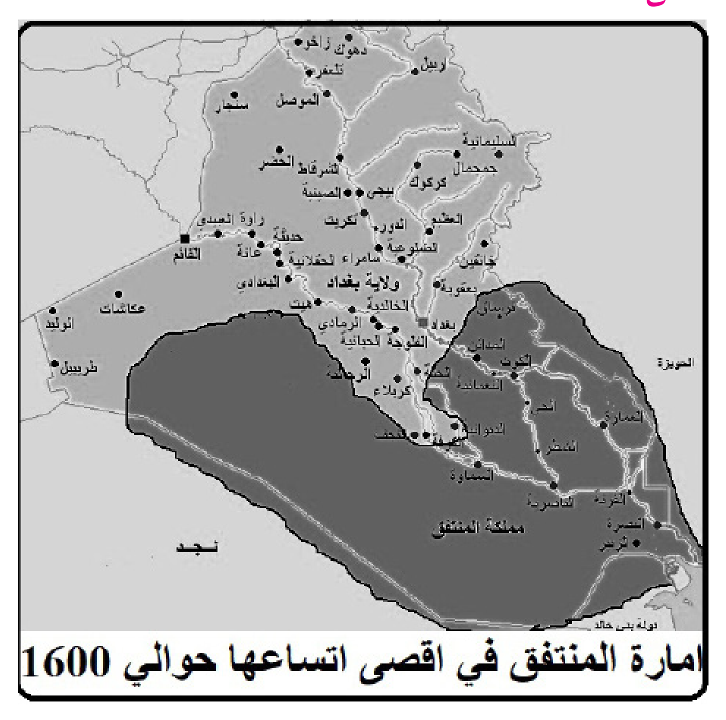
وهي إمارة لقبيلة (كعب البوناصر) المنتشرة في الاحواز وجنوب العراق. قامت دولتهم عام 1690 الى جوار إمارة المشعشعين. حكمت مناطق واسعة من الأحواز حكماً مستقلاً عن كل من الدولتين الفارسية والعثمانية، وكان مركز هذه الإمارة مدينة الفلاحية بالقرب من مدينة الدورق التاريخية وقد دخلت هذه الإمارة في حروب عديدة مع الفرس والأتراك والبريطانيين. وتمكن آخر أمرائها (الشيخ خزعل) من إخضاع كامل الأحواز تحت سلطته بعد إسقاط إمارة المشعشعين التي استمرت قرابة خمسة قرون متوالية قضتها بين استقلال كامل واستقلال ذاتي. ولكنها انتهت مع الغزو الايراني عام 1925 بتواطؤ من المملكة العراقية وبضغط بريطاني، من أجل حرمان العراق من شواطئه البحرية والثروة النفطية، وكذلك للتخلص من خطر زيادة نسبة الشيعة.

إمارة آفراسياب البصرية (1595. 1668)

هي أسرة أحد كبار ملاّكي الأراضي من العرب ويدعى (الباشا آفراسياب)، وكان يشغل منصب قائد القوات الأهلية (الميليشيات) التابعة لحاكم البصرة العثماني (أيوب باشا). فاستغل آفراسياب حالة الضعف والفوضى وفرض على الوالي بيع منصبه بثمانية أكياس دراهم رومية، ثم صدر فرمان من السلطان يؤيد ذلك، وبموجب

شهادة ـ وكان يملك جيشاً من 3 آلاف محارب عراقي (تركمان وأكراد وعرب) ـ قام بإصلاحات كثيرة في مجال التجارة والتعاون مع القوى الأوربية الهولندية والبرتغالية، وتمكنت هذه الدولة شبه المستقلة من التمدد نحو الأحواز والسيطرة على معظم سواحل الخليج وبالذات منطقة الأحساء (السعودية حالياً)، ولكن هجمات الإيرانيين والعثمانيين والعشائر البدوية استنزفتها وأدت إلى نهايتها على يد الجيش العثماني بقيادة والي بغداد.

إمارة المنتفق 1530 ـ 1918



امارة المنتفق في اقصى اتساعها حوالي 1600

وهي مجموعة عشائر جنوبية عراقية اتَّحدت من أجل حماية مصالحها وفرضوا على العثمانيين القبول بنوع من الحكم الذاتي، وخصوصاً فيما يخص عشائرهم، وضمنت مختلف السكان الشيعة والسنّة وغير المسلمين. أسسها عام 1530 (الشريف حسن بن مانع) (جد أسرة آل شبيب الأشراف التي عرفت لاحقاً بـ: آل سعدون)، وقد بلغ نفوذهم أقصى اتساعه في عهد (الأمير مانع بن شبيب) في الربع الأخير من القرن السابع عشر، انتهت في الحرب العالمية الأولى.

عائلة الجليلي الموصلية



يعود أصل العائلة إلى جدهم الأكبر (عبد الجليل) الذي كان في الأصل مسيحياً موصلياً، وبعد اعتناق الإسلام من قبل ابنه (إسماعيل) نال حظوة الأتراك وترقى حتى أصبح والياً على الموصل سنة 1138هـ (1726م)، ثم رسَّخ ابنه (حسين الجليلي) سيطرة العائلة بعد أن تمكن من مواجهة حصار الموصل من قبل (نادر شاه) الصفوي سنة 1743. مع الزمن زاد نفوذهم وأصبح بعض أفرادها ولاة لولايات عثمانية مجاورة، لكن تمت إزاحة العائلة عن الحكم سنة 1834.

داود باشا.. الزعيم الوطني العراقي المنسي (1817ـ 1831)



هو آخر ولاة المماليك الذين حكموا العراق. ولد في (تفليس ـ جورجيا) عام 1767، من عائلة مسيحية، وقد باعه أهله وجُلب إلى (بغداد) وعمره حوالي ستة أعوام. وقد تعلّم العربية والتركية والفارسية، واعتنق الإسلام. كذلك تعلّم معارف البغداديين، وكتب الشعر، ثم أصبح مساعداً لوالي بغداد المملوكي (سليمان باشا) وتزوج من ابنته. وعندما أصبح قائداً للجيش عام 1814 شن الحملات لتأديب القبائل ومنعها من الغزو والتخريب خصوصاً في أنحاء الفرات. وحدَّ من نفوذ المنتفق وشيخها حمود. ووضع العسكر لحماية زوّار كربلاء من اعتداءات البدو والوهابيين. ومن ثم أصبح والياً بعد وفاة صهره. اشتهر خصوصاً بنزعته الاستقلالية العراقية، حيث كان متأثراً بتجربة والي مصر المقدوني الألباني (محمد علي باشا) الذي سبقه ببضع سنوات بإعلانه استقلال مصر عن الدولة العثمانية. فاعلن داود رفضه الخضوع للسلطان العثماني (محمود الثاني) ودفع الأموال له[22].

وقام بتشييد المعاهد العلمية ومصانع النسيج والمدارس والجوامع وقرَّب الأدباء والمثقفين، فأصدر وقتها المؤرخ (عثمان بن سند البصري) كتاباً عن هذا الوالي الوطني أسماه: «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود». كذلك قام بتشجيع التجارة والزراعة، واعتنى بالري، واهتم خصوصاً بالجيش واستقدم الخبراء الأوربيين منهم الضابط الفرنسي (مسيو ديفو) لتحديث الجيش، والصناعة العسكرية. كذلك أسس أول صحيفة في بغداد باسم (جرنال العراق) باللغتين العربية والتركية. لكنه كان في نفس الوقت قاسياً جداً في فرض الضرائب على التجار والعشائر، وأراد أن يفرض هيبة الدولة، فحارب العشائر العراقية المتمردة وأخضعها، مثل عشائر الديلم والمنتفق، لكنه واجه منذ بداية حكمه مشكلة إمارة بابان الكردية في السليمانية ومحاولات الاجتياح الإيرانية التي كان يحكمها الترك القاجاريون.

وقد انتهى حكم (داود باشا) بسبب انشقاق حلفائه من الجماعات العراقية المختلفة، عشائرية ودينية، فاضطر الى الاستسلام لجيش (السلطان محمود الثاني) عام 1830.

أرسله السلطان شيخاً على الحرم النبوي في المدينة، وقام بعدة اصلاحات هناك حتى توفي عام 1851.

---

(22) ـ عن النفوذ البريطاني، راجع دراسة الدكتور علي مدلول الوائلي عن: رسالته: (شركة لنج للملاحة 1861 ـ 1914 ـ دراسة تاريخية).

التوافق البريطاني ـ الايراني ـ التركي على محاربة الاستقلالية العراقية!

لم يعانِ العراق وعموم الشرق الأوسط فقط من الصراع بين الإيرانيين والعثمانيين، بل دخل طرف جديد أكثر شراسة وحنكة وحقداً وخطراً مستقبلياً، والمتمثل بالقوى الأوربية الصاعدة والطامحة للسيطرة، وبالذات الإنكليز والفرنسيين والالمان، المتنافسين بينهم الى حد الدم والتدمير. واستفحل هذا الدور والصراع الاوربي في المنطقة وفي العراق، خصوصاً بعد غزو (نابليون) لمصر (1798 ـ 1801)، ومشروعه للسيطرة على الشام والعراق لاستخدام نهريه ثم الخليج، من أجل بلوغ الهند.

لهذا سارع الإنكليز بتركيز وجودهم الدبلوماسي والمؤامراتي في (بغداد) من خلال تعيين مقيم سياسيّ دائميّ (هارفورد جونز ـ Harford Jones) عام 1789 ليرأس بعثتهم، وخُصص لحمايته حرس من الهنود، وكان ينشط لتعزيز النفوذ البريطاني ومنع النفوذ الفرنسي، وتوسيع نفوذ (شركة الهند الشرقية) البريطانية، وإعداد الدراسات عن أحوال العراق الاقتصادية. ازداد هذا النشاط مع تعيين المقيم (كلوديوس جيمس ريج C.J.Rich: 1808 ـ 1821)، وجهد لمراقبة الوالي المملوكي (سليمان باشا الصغير 1808 ـ 1810) بسبب تقاربه مع الفرنسيين. وخلال مدة ثلاث عشرة سنة من وجود هذا المقيم أصبح المقر البريطاني ملتقى كبار الموظفين والأشراف وداراً للبحث التنقيبي عن الآثار، وكذلك الحصول على امتيازات كثيرة منها منع هروب الملاحين العاملين مع البريطانيين.

أما بعد مجيء الوالي (داود باشا والي بغداد 1816 ـ 1831) فإن ميوله الاستقلالية وطموحه بتكوين دولة عراقية مستقلة وقوية مثلما فعل (محمد علي) في (مصر)، قد بثت الخوف لدى البريطانيين، وخصوصاً أنه طالب بمشاركة العراق في النشاط التجاري مع الهند والاستفادة من الأرباح. فقد احتكر (داود باشا) شراء المنتجات العراقية وتصديرها، كما امتلك السفن، والأخطر من هذا أنه حاول تصفية نظام الامتيازات للبريطانيين، الذي كان يشكل عبئاً ثقيلاً على كاهل التجار المحليين، وبلغت المخاطر أشدها عندما شرع الباشوات يقولون بأنه ليس للبريطانيين حقوق معترف بها في بغداد، وإنه في المستقبل ستجمع العوائد عن البضائع البريطانية بضعف النسبة السابقة[23].

(23) ـ عن الوالي داود باشا، طالع:

لذلك حدثت أزمة كبرى كادت أن تؤدي إلى حرب عراقية ـ إنكليزية، عندما قرر (الوالي داود) حجز ممثل بريطانيا (ريج) ومنعه من السفر؛ لأنه قرر الانسحاب من العراق وإيقاف التجارة بين العراق والهند، وقد بعث حاكم الهند البريطاني رسالة تهديد إلى الوالي، باستخدام القوة البحرية الإنكليزية، وراحت سفنهم العسكرية تجوب الأنهر العراقية وقطعت طرق التجارة النهرية الداخلية. اضطر أخيراً (داود باشا) إلى القبول بوثيقة التراضي التي قدمتها بريطانيا وتضمنت اثني عشر بنداً، من أهمها الالتزام بنصوص الامتيازات البريطانية وإعادة السفن البريطانية، وأن لا تجبى أي ضريبة على السفن البريطانية كعوائد مرور بين البصرة وبغداد فيما عدا ضريبة واحدة حددت بـ 3%، وبعد أن هدأت مخاوف بريطانيا من الخطر الفرنسي، بدأ (خطر روسيا) في مد نفوذها في العراق لبلوغ الهند، وذلك بعد الانتصارات التي أحرزتها روسيا عام 1813 على إيران والدولة العثمانية[24].

بالتدريج تمكنت مؤامرات القوى الدولية المتنافسة (الإيرانية والعثمانية والبريطانية) من دفع بعض العشائر إلى التمرد. فقد استطاعت إيران أن تبث الخلاف داخل (عائلة بابان) الكردية الحاكمة للسليمانية، وانقسم الإخوة بين حليف للإيرانيين وحليف للعثمانيين، وحدثت الحرب عام 1821 بين جيش (داود باشا) وجيش السليمانية المدعوم بجيش (الشاهزادة حاكم كرمنشاه الإيراني)، ثم تقدم جيش (الشاهزادة) نحو بغداد ليحتلها، لكن مرض الهيضة قد أجبره على التراجع، وتكررت المحاولة من قبل ابنه (حسين ميرزا)، وكذلك فشلت بسبب انتشار الهيضة[25]، كذلك حصول محاولة فاشلة لاغتيال (داود) من قبل السلطان العثماني. بالإضافة إلى حدوث الفيضانات والأمراض، كل هذه المشاكل أضعفت (داود باشا) فلم يتمكن جيشه من مواجهة الغزو العثماني عام 1831 بسبب انتشار الطاعون في العراق، وتحالف بعض العشائر

ـ داود باشا موسوعة الأعلام، خير الدين الزركلي، 1980.
«داود باشا».. الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية، سورية ـ دمشق.

(24) ـ المصدر السابق رقم 20.

(25) ـ عن حروب العشائر الكردية وغزوات القاجاريين:
ـ علي الوردي ج: 1، ص: 253.
ـ ستيفن همسلي لونكريك (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) ـ بغداد 1962 ـ ص245.

مع الغزاة، ولكن البغداديين مع المماليك قرروا مواجهة الغزو، وأخيراً بعد حصار دام أشهراً وانتشار المجاعة والأمراض، اضطر البغداديون إلى فتح أبواب المدينة، لقاء الوعد بمعاملة (داود باشا) بالحسنى وعدم معاقبته.

وفعلاً تم نقله خارج العراق ليتولى عدة مناصب في الدولة حتى توفي في مكة عام 1851 بعد أن تفرغ هناك للعلم والتدريس. من بعده انتهى حكم المماليك في العراق، بعد أن غدر بهم الوالي العثماني الجديد وذبح غالبية قادتهم وأعيانهم أثناء وليمة على شرفهم.

الاتفاقيات العثمانية ـ الفارسية، لترسيم الحدود وتشتمل على حدود العراق

بين 1555 حتى 1918، وقعت الدولتان العثمانية والفارسية على ما لا يقل عن 18 معاهدة تتعلق بالخلافات الحدودية وبالذات حول حدود ايران مع العراق. ودائماً كانت ايران هي التي تنقض الاتفاقيات وتهاجم العراق على أمل استلابه من العثمانيين. هذه أهمها:

1555	معاهدة اماسية: تخطيط الحدود على (منطقة شهرزور) شمال العراق.[26]
1590	معاهدة فرهاد باشا: الاعتراف بسيادة العراق على ولاية شهرزور ولورستان.
1639	معاهدة زهاو: اقرت ان تكون ارمينيا لفارس، والعراق للعثمانيين.
1727	معاهدة اشرف: الاعتراف بسيادة الدولة العثمانية على امارة المحمرة: الاحواز.
1731	معاهدة أحمد باشا: الاقرار بمعاهدة زهاب ـ نقضتها فارس وطالبت بالاراضي العراقية
1746	معاهدة كرون لحسن الجوار: ألغتها فارس وهاجمت العراق من الشمال والوسط.

(26) منطقة (شهرزور) عموماً تعني القسم الشمالي الشرقي من العراق والمحاذي للحدود مع ايران. ومن ضمنه المناطق الكردية الحالية. وقد تغيرت كثيراً حدودها الادارية وضمت أحياناً كركوك والموصل. وأخيراً مع اصلاحات الوالي (مدحت باشا: والي العراق : 1869–1872)) فإن (ولاية الموصل) قد ضمت (الالوية) التالية:
1 ـ لواء الموصل. وأقضيته: مركز الموصل– العمادية – زاخو – سنجار – دهوك – عقرة
2 ـ لواء كركوك ، ويسمى لواء شهرزور . وأقضيته: – راوندوز – أربيل – كفري (الصلاحية) – كويسنجق – رانية
3 ـ لواء السليمانية . وأقضيته: – كل عنبر – بازيان – شهربازار – قرة داغ – مركة – الجاف
طالع دراسات:
ـ مدحت باشا واصلاحاته في العراق (4–4) ـ صلاح عبد الرزاق
ـ ولاية شهرزول– كركوك في العهد العثماني، إشكاليات التاريخ والتنظيم الإداري/ أ.د. فاضل بيات
ملاحظة: الاتراك يطلقون عليها: شهرزول بدلاً من شهرزور
ـ الهوية التركمانية لكركوك وما جاورها.. في ماضيها وحاضرها/عوني عمر لطفي

1818	عقد الصلح بين داود باشا والي بغداد وفارس: سرعان ما نقضته بهجومها على السليمانية باتجاه كركوك.
1823	معاهدة ارضروم الاولى: ألغتها فارس بشنها الحرب سنة 1840 باتجاه السليمانية وإمارة المحمرة: الأحواز
1847	معاهدة ارضروم الثانية: تنازلت الدولة العثمانية عن الأحواز.لكن امارة (بني كعب) حافظت على استقلال الاحواز.
1911	برتوكول طهران: تشكيل لجنة تخطيط الحدود ألغاها الفرس.

الوالي المصلح مدحت باشا (1869 ـ 1872)



قام بدور كبير في محاولة نقل العراق إلى النهضة الحضارية السائدة في أوربا. فقد أسس (الترامواي ـ قاطرة تقودها الجياد) الكاظمية، وحديقة عامة، ونظام إسالة، ومستشفى، ومصانع نسيج، ومصرف توفير، وبلَّطَ وأنار الطرق، وأقام الجسر الوحيد على نهر دجلة، وفتح العديد من المدارس الجديدة، وطبع العديد من الكتب المدرسية الحديثة بالمطبعة التي أنشأها. كما تأسست في عهده أول صحيفة في العراق، باسم الزوراء، وطوَّر خدمات الزوارق البخارية المنتظمة في دجلة والفرات كما طوَّر الملاحة في الخليج، وأنشأ معملاً لتصليح السفن في البصرة، وبدأ عمليات الحفر في شط العرب، وأدخل بعض التحسينات على نظام الري، ووسَّع إنتاج التمور في الجنوب، وأنشأ المجالس البلدية والإدارية وفق قانون الولايات الجديد وفرض التجنيد الإلزامي. كذلك عمل على تمليك الأراضي (خصوصاً للشيوخ) وتشجيع توطين القبائل الرعوية شبه المتنقلة. لكن يسجل ضده خطيئة كبيرة لم يقصد بها الإساءة إلى العراق: بكل سذاجة أمر بتدمير القسم المتبقي من سور بغداد العباسي واستخدام الطابوق في التعمير!!

إعلان الدستور العثماني، وانطلاق حركة التغريب الاوربية!


جماعة (الاتحاد والترقي: تركيا الفتاة)
يعلنون سلطتهم ودستورهم 1908

شكل إعلان الدستور العثماني في 23 تموز 1908 بقيادة (حركة الاتحاد والترقي العثمانية) المتداخلة مع (الحركة الماسونية)[27] تغييراً جذرياً كبيراً في عموم الدولة العثمانية ومنها العراق. فهو يعني السيطرة الرسمية للنخبة العثمانية الاصلاحية على الطريقة الاوربية، والتي بلغت أوجها فيما بعد بقيام (جمهورية كمال اتاتورك 1923) ونهاية الخلافة العثمانية.

بالنسبة للعراق[28] فإن (الدستور العثماني) قد أدى الى انتشار مظاهر جديدة، مثل كثرة الملاهي وتعدد الصحف، وقامت جمعية الاتحاد والترقي بفتح مقار لها في بغداد، وكان

(27) ـ بدأ نشاط الماسونية في تركيا أولاً بين الجاليات الاوربية في اسطنبول، ثم تأسس أول محفل ماسوني عثماني في (حلب: محفل الاسكندرونة) ضم بين أعضائه 28 تركياً أبرزهم (شلبي زادة سعيد شلبي)، والذي أصبح الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) عام 1755.

(28) ـ بالنسبة للعراق فان الماسونية كانت بالاساس موجودة منذ عام 1800 بين المقيمين الاوربيين خصوصاً في البصرة. الثابت وثائقياً أن أول محفل ماسوني رسمي تأسس في البصرة سنة 1918 هو محفل (مابين النهرين) على يد الضباط والموظفين الذين دخلوا العراق مع الاحتلال البريطاني.
طالع:
ـ كتاب: موسوعة ثورة 14 تموز 1958 / خليل ابراهيم حسين/ في الجزء الاول / بغداد 1987
ـ الماسونية العربية / ذوقان قرقوط / بحث منشور في مجلة «قضايا عربية» العدد 9 ـ كانون الثاني 1975

من أعضائها الشاعران (الزهاوي والرصافي)، وانقسم العراقيون وخصوصاً في بغداد إلى أنصار التجديد والمحافظين المتدينين. في خريف 1908 جرى انتخاب المبعوثين (النواب) في سائر الولايات العثمانية، وقد فاز من (مدينة بغداد) كل من (إسماعيل حقي بابان: كردي بغدادي) و (علي الآلوسي: عربي مسلم) و (ساسون حسقيل: يهودي). في نيسان من سنة 1909 تم خلع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني وتنصيب أخيه محمد رشاد، وقد تفاخرت الصحف العراقية أنَّ من بين الشخصيات العثمانية المهمة التي خلعت السلطان هو العراقي البغدادي (محمود شوكت باشا).

نهاية الحكم العثماني



جمال باشا، آخر والي عثماني قبل الاحتلال الانكليزي، بين زعماء عشائر الحلة

بعد إعلان الحرب العالمية الأولى عام 1914 وتحالف العثمانيين مع الألمان، نزلت القوات البريطانية في رأس خليج البصرة، وفي 22 تشرين ثاني 1914 دخلت هذه القوات البصرة. وأثناء التقدم نحو (بغداد) عانى البريطانيون الهزيمة في منطقة (الكوت) في نيسان 1916، ولكن بعد أن تم إسناد الجيش البريطاني استطاع الدخول إلى بغداد في 11 آذار 1917. وقد تم تشكيل إدارة من البريطانيين والهنود الذين حلّوا محل الموظفين العثمانيين. أما الموصل فقد بقيت في أيدي العثمانيين إلى ما بعد توقيع (اتفاقية مدرس) لنزع السلاح (30 تشرين الأول 1918)، والتي وضعت نهاية للحرب في الشرق الأوسط.

***

المتغيرات السكانية والدينية



الكتائب الحميدية الكردية العثمانية1890-1908 لعبت دورا في المجازر ضد المسيحيين السريان والارمن وتكريد بلداتهم

في هذه (المرحلة الآسيوية) صحيح أن الجانب (اللغوي والديني) المسيطر (اللغة العربية والإسلام بمذهبيه السني والشيعي) بقي على حاله، لكن يمكن تسجيل متغيرين كبيرين قومياً ودينياً:

1 ـ التراجع الكبير جداً بأعداد المسيحيين ولغتهم السريانية في شمال العراق.

2 ـ تنامي الحضور الكردي الاسلامي وتكريد غالبية المناطق المسيحية السريانية في شمال العراق (وعموم منطقة الجزيرة السورية وجنوب تركيا، ويشمل هذا الانتشار الكردي المسلم أيضاً مناطق المسيحيين الارمن في جنوب شرق تركيا).

التوسع الكردي المسلم وتراجع الوجود السرياني المسيحي!



هذه خارطة المناطق التي تقع الآن في جنوب شرق تركيا ويطلق عليها حاليا:(كردستان تركيا)، كانت حتى اواخر القرن 19 بغالبية مسيحية ارمنية وسريانية. ومنذ اعوام 1500 تحالف العثمانيون مع العشائر الكردية السنّيّة المتمردة ضد الدولة الشيعية الايرانية، ، ثم التمدد والسيطرة من اجل حمايتها من الخطرين: الايراني الشيعي والروسي الارمني المسيحي. وعلى الحدود الايرانية العثمانية(لاحظ الدائرة) جرت (معركة جالديران: 1514) الكبرى وكانت انتصارا عظيما للعثمانيين الذين سيطروا على المنطقة وانتزعوا العراق من السيطرة الايرانية الصفوية.

إن شمال العراق الحالي (الموصل وأربيل والسليمانية وكركوك)، أي ما كان يسمى (منطقة آشور، وعاصمتها نينوى)، الذي تحول في المرحلة العربية الإسلامية إلى (منطقة الجزيرة وعاصمتها الموصل)، وتشكل هذه المنطقة القسم الشمالي الأعلى من (نهر دجلة) وما حوله من (جبال زاغاروس) من جهة الشرق و(جبال طوروس) من الشمال حتى جنوب تركيا (ديار بكر وماردين)، ومن الشرق شبه بوادي الجزيرة الممتدة حتى (نهر الفرات) (وتشمل حالياً محافظات الجزيرة السورية). بسبب تنوع التضاريس وكثرة المرتفعات والجبال، فقد تنوعت الأقوام والأديان والمذاهب. حال هذه المنطقة عكس حال (منطقة وسط وجنوب العراق) السهلية المنبسطة بين دجلة والفرات إذ ان غياب الموانع الطبيعية ساعد دائماً على تمازج الأقوام وانصهارها دينياً ولغوياً: (اللغة الأكدية وعقيدة الخصب والنجوم)... ثم (الآرامية السريانية مع المسيحية)... ثم أخيراً (العربية مع الإسلام بمذهبيه السني والشيعي) مع أقليات صابئية ومسيحية و(يهودية حتى عام 1948).

أما شمال العراق فبسبب هذه الموانع الطبيعية، فقد تنوعت فيه دائماً الأقوام والطوائف الدينية والمذهبية. فحالياً فيه اللغات: العربية، والكردية (البهدنانية

والسوريانية والهورمية)، والتركمانية، والسريانية. مع عدة جماعات (دينية ـ أقوامية): اليزيدية، الشبك، الكاكائية، والشبك. الغالبية الساحقة (مسلمون سنّة) فيهم طوائف صوفية نشطة: (قادرية ونقشبندية)، بالإضافة إلى أقليات شيعية مهمة.

بسبب هذه التنوع الأقوامي والديني، والتداخل الجبلي مع الهضبة الإيرانية شرقاً والهضبة الأناضولية التركية شمالاً، فقد ظلت هذه المنطقة في حالة اضطراب دائم وصراعات عرقية ودينية تغذيها وتستفيد منها الدول المجاورة التي أضيف إليها في هذه المرحلة دور الدول الاوربية ومبشريها المسيحيين.

أحوال المسيحيين الناطقين بالسريانية



كما وضحنا أول الفصل، في الفترة الأولى من الاحتلال المغولي كان هنالك نوع من التسامح إزاء المسيحيين في العراق بسبب تأثير زوجة (هولاكو) النسطورية[29]، بحيث إنهم أهدوا قصر الخلافة لِلبطريرك لبناء اسقفية[30]. لكن بعد أكثر من قرن، أي عام 1393، جاء (تيمورلنك) الذي كان يدَّعي زوراً الإسلام السلفي، فمارس الوحشية والقتل ضد المسيحيين[31]. منذ هذه الحقبة بدأ العد التناقصي للمسيحيين في العراق،

(29) ـ عن زوجة هولاكو المسيحية:
A history of the Crusades», Steven Runciman, p.306ـ

(30) ـ عن دور المسيحيين في بغداد:
ـ لمحات من تاريخ الكنيسة السُريانيَّة الشرقيَّة: أسعد صوما (الجزء التاسع).

(31) ـ قيل إن تيمورلنك قد قتل 70 ألف مسيحي في تكريت و90 ألفاً آخرين في بغداد:
ـ الآشوريون والأكراد والعثمانيون:هرمز أبونا. أمهيرست، نيويورك (بالإنكليزية: .Aboona, H. (2008)
Assyrians, Kurds, and Ottomans: Intercommunal relations on the periphery of the Ottoman (.Empire. Amherst, NY: Cambria Press

إذ توالت الحروب والاحتلالات من قبل القبائل الآسيوية التي كلها ادعت الإسلام المتزمت لتبرير صراعاتها. فكانوا يتخذون من المسيحيين حجة لممارسة تعصبهم. فاضطر غالبية المسيحيين في عموم العراق إلى اعتناق الإسلام. أقلية منهم صمدت بالاستعانة بالمسلمين في الاحياء الشعبية في بغداد والبصرة، ولكن الغالبية منهم انحصروا في البلدات والقرى النائية في سهل نينوى والجبال المحيطة[32].

معركة جالديران: 1514، والنقلة الكبرى لبروز الأكراد

طبعاً نحن ضد الفكرة التي يشيعها بعض المتعصبين ضد الأكراد بأنه لم يكن لهم أي حضور في شمال العراق وعموم منطقة الجزيرة، وأنهم غرباء قدموا من كردستان إيران. فكما بيّنا في الفصول السابقة بأن أسلاف الأكراد (مثل الغوتيين والكاشيين) هم سكان جبال زاغاروس القدماء، وفي القسم الجبلي المطل على (نهر دجلة) كان هؤلاء في تواصل وتمازج دائم مع أهل النهرين. ولكن مع تسلل (القبائل الناطقة بالآرية) من ايران، انتشرت بين (الاكراد الاصليين) في المناطق (النهرينية ـ العراقية) اللغات واللهجات الآرية الكردية الحالية. بما أن الجبال في كل مكان وزمان لا تساعد على قيام الدول، فقد استمرت مشاركة الأكراد في الدول والحضارات العراقية من خلال التمازج بالعراقيين دون تمايزهم كـ (أكراد)، مثال معروف (ابن خلكان، وصلاح الدين الأيوبي). يكفي التذكير انه في هذه المرحلة كان الكثيرون من أعيان وفقهاء بغداد يحملون ألقاباً كردية، مثل: بابان وزهاوي[33].

لكن بدايات تمايز الأكراد وظهورهم الواضح في تاريخ المنطقة حصل بعد (معركة جالديران: 1514)، التي أتاحت لهم الخروج الكثيف من جبالهم والتوسع الجغرافي الكبير نحو سهول دجلة في نينوى وعموم منطقة الجزيرة، على حساب قرى وبلدات المسيحيين (السريان ثم الأرمن).

(32) ـ المصدر السابق.

(33) ـ لا زالت حتى الآن حالة التمازج هذه واضحة في العراق لدى بعض القبائل العربية المجاورة للقبائل الكردية، مثل بعض أقسام من بني ربيعة والقيسيين والجبور وتميم والبيات، حيث تسود بينهم اللغتان العربية والكردية وأحياناً التركمانية كذلك، بالإضافة إلى الانتماء والتزاوج العرقي المشترك، وبالعكس هناك قبائل كردية معروفة تعتقد بأصولها العربية القديمة مثل قبائل الجاف وبابان والحفيد والطالباني وغيرهم، ويذكر الرحالة الأوربي (هاي) الذي زار المنطقة في أوائل هذا القرن: (يفخر كل زعيم كردي تقريبا بأنه ينحدر من أصل عربي، ويحاول إرجاع نسبه إلى النبي أو أحد صحابته) (عن عزيز الحاج ـ القضية الكردية ـ ص84).

لا يمكن فهم التاريخ الحالي لهذه المنطقة المتوترة التي تشكل شمال العراق والجزيرة السورية وجنوب تركيا، المقطونة بالكثير من الأكراد إلى جانب العرب والسريان والترك، دون فهم مؤثرات (معركة جالديران) التي انتصر فيها العثمانيون على الصفويين الإيرانيين. فبعدها بدأ نفوذ (العشائر الكردية) يتصاعد بسبب تحالفهم (المذهبي السنّي) مع العثمانيين المنتصرين. ومن المعلوم أن غالبية العشائر الكردية المنتشرة في جبال زاغاروس، تمكنت من مقاومة الضغط الصفوي ورفضوا التحول إلى التشيع، وبقوا على مذهبهم السنّي وطرقهم الصوفية. هذا الواقع المذهبي حتم تفضيلهم من قبل العثمانيين السنّة لاستخدامهم ضد الصفويين.

بعد انتصار العثمانيين في (جالديران) كافؤوهم من خلال عقد اتفاقية عام 1515م مع مختلف العشائر الكردية، تم على أساسها أن تقوم هذه العشائر بحماية الحدود الجبلية (من جهة العراق والأناضول بمواجهة إيران الشيعية).وتم دعم الفرق العشائرية المسلحة للمشاركة في الدفاع ضد (الخطر الشيعي)[34]. منذ ذلك الوقت استغلت هذه العشائر الحماية العثمانية السنيّة، للتوسع نحو مناطق الجماعات (غير المسلمة أو غير السنية) ضد المسيحيين الأرمن والسريان، وضد اليزيدية، بل وضد التركمان القزلباشية الشيعة. فقامت عدة إمارات كردية تابعة للعثمانيين، مثل: (إمارة بدليس)، و (أسرة بدرخان) في جزيرة ابن عمر و (أمارة هكاري) و (العمادية) مع أمراء أربيل وكركوك و (إمارة بابان) في السليمانية والـ (بيك الكوردي في ديار بكر) و (أمراء حصن كيف)[35].

(34) ـ يعتبر (شرف خان شمس الدين البدليسي: 1543ـ 1603)، من أكبر الشخصيات الكردية التي عملت على كسب العشائر الكردية الى العثمانيين. وهو أمير كردي ايراني (ولد قرب قم وسط ايران)، كان تابعاً للصفويين، لكنه هرب الى العثمانيين الذين منحوه (مدينة بدليس) جنوب تركيا ليكون أميراً عليها ومسؤولاً وسيطاً لكسب الاكراد. وهو مشهور بكتابه (شرف نامه) عن تاريخ الاكراد، دونه باللغة الفارسية.

(35) ـ عن التحالف الكردي العثماني وتأثيره على المنطقة:
- السريان وكردستان الكبرى ـ سليم مطر.
- الصراع الفارسي العثماني وانعكاسه على ولاية الموصل دراسة في الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية: شعبان مزيري.
- تاريخ أمراء بهدينان، أ. د. عماد عبد السلام رؤوف.

دور القوى الأوربية بإضعاف الوجود المسيحي!



البعثة التبشيرية الفرنسية، التي كانت باسم مساعدة اطفال النساطرة المسيحيين، تحولهم الى الكاثوليكية، لتهيأة تقبل الاستعمار الفرنسي!

من الغرائب التي كثيراً ما يتم تناسيها والتعتيم عليها خصوصاً من قبل المسيحيين أنفسهم، سريان وأرمن، ذلك الدور التخريبي ضد المسيحيين، الذي مارسته الدول الاوربية ومبشروها. بل إن هذه (الدول الاوربية المسيحية) هي المسؤول الاول عن كل المصائب التي حلَّت بالمسيحيين السريان والارمن[36].

من المعلوم انه رغم محاربة الدول الغربية (العلمانية) للمسيحية في بلدانها، إلاّ أنها تحالفت معها لتبادل المنفعة: المسيحيون ينشرون مبشّريهم من أجل تهيئة الأساس الروحي والثقافي لتقَّبل الاستعمار في آسيا وأفريقيا وأمريكا!

مع ضعف الدولة العثمانية وتوالي هزائمها أمام روسيا والنمسا، وتنازلها عن البلقان في (صلح كارلوفيتش: 1699)، بدأ النفوذ الأوربي في داخل الدولة العثمانية نفسها. وكانت أدوات هذا النفوذ ثقافية واقتصادية وسياسية، وكذلك دينية. فقامت كل دولة بنشر مذهب كنيسة بلادها: الكاثوليكيه الفرنسية، والبروتستانتية الإنكليزية والأمريكية، والأرثوذكسية الروسية. وشرعت البعثات التبشيرية تبذل الأموال وتحوك المؤامرات

(36)ـ أشنع مثال من العصر الحديث على الدور التخريبي الاوربي ضد مسيحي المنطقة، ما حصل للآثوريين في مذبحة (سيمل 1933) من قبل الجيش العراقي التابع للإنكليز! كذلك لا ننسى ما حصل للمسيحيين من قمع وتهجير بعد الاحتلال الامريكي للعراق 2003، والذي بلغ ذروته في تسليط عصابات داعش الارهابية الامريكية.
كل هذا لأن الغربيين يريدون تحويل شعوب المنطقة الى اسلامية كاملة: (خالية خصوصاً من اليهود والمسيح) كي تسهل وتبرر عملية تشويهها وتدميرها.

ضد بعضها البعض، لتقاسم مسيحيي المنطقة لإجبارهم على الانتماء لمذهب كل منهم، ونشر العداء والتناحر في داخل السريان والأرمن. وبما أن سريان (أو الآشوريين) شمال العراق والجزيرة كانوا أساساً على (الكنيسة النسطورية العراقية)، فقد عانوا الويلات من الكنائس الأوربية المتصارعة. بلغ الأمر بهذه الكنائس أنها كانت تدفع المال والسلاح إلى العشائر الكردية المسلمة، كي يعتدوا ويذبحوا النساطرة ويستولوا على قراهم وبلداتهم، من أجل إجبارهم على طلب حماية الكاثوليك! وكما يصف الرحالة والكاتب الروسي (سي فيغين): (يدس المبشر الكاثوليكي بخمس ليرات في جيب الآشوري ويسجله كاثوليكياً، ويدس الأمريكي عشراً ويسجله بروتستانتياً، ثم تحولهم المساعدة الروسية إلى أرثوذكس.. نعم إنهم يرسلون المبشّرين مع أكياس من الذهب، ليس لمساعدة الفقراء ولا لإطعام الجياع، بل من أجل شراء الذمم والضمائر)[37].

في الحقيقة إن التأثير الأوربي كان سابقاً، ففي عام 1552 بدعم من الكاثوليك البرتغاليين في الهند، بدأت أولى الكنائس الكاثوليكية تتأسس في الشمال باسم (الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية). أما أتباع الكنيسة الأصلية فأطلق عليهم تسمية (آثوري) واعتبروا أنفسهم أحفاد (الآشوريين). ومنذ ذلك الوقت انقسم سريان العراق إلى (كلدان كاثوليك) يقطنون بلدات الموصل وأربيل، ثم (نساطرة آثوريين) يقطنون البلدات والقرى الجبلية شمال نينوى وفي تركيا (منطقة حكاري وطور عابدين) وإيران (بحيرة وان)، لكن الكثير منهم هاجر إلى العراق ثم إلى أمريكا بسبب الاضطهاد وبدفع من الأمريكان والإنكليز[38].

(37) ـ عن دور المبشرين التخريبي، طالع كتاب الرحالة:
ـ عند منابع دجلة مع الآشوريين والأكراد ـ سي. فيغين ـ ترجمة محمد البندر ـ دار سركون ـ السويد.
ـ كذلك نشجع على مطالعة كتاب مهم يصف مذابح الأكراد ضد المسيحية للرحالة والآثاري المعروف (هنري لايارد):
ـ البحث عن نينوى ـ ترجمة ميخائيل عبد الله ـ دار سركون ـ السويد.

(38) ـ نحن نؤمن أن هنالك استراتيجية غربية قديمة بإخلاء العالم العربي من جميع الطوائف غير المسلمة، من أجل تسهيل عملية الصراع ضد الشعوب العربية باعتبارهم مسلمين معادين خصوصاً لليهود والمسيحيين. أفضل برهان على ذلك: مَنَحَ المستعمرون الفرنسيون الجنسية الفرنسية ليهود الجزائر من أجل فصلهم عن إخوتهم الجزائريين:
حيث أصدر وزير العدل اليهودي الفرنسي (إسحاق كريمييه ـ Isaac Moise Cremieux) عام 1870 قانونا يمنح الجنسية الفرنسية ليهود الجزائر.

(هنري لايارد)[39] يشهد ارتزاق اغوات الاكراد لصالح المبشرين الاوربيين!

((زرت كنيسة القرية الصغيرة، فشاهدت على الجدران بعض صور القديسين بألوان بشعة مع كتابة لاتينية تحتها لا تناسب هذا المكان. سالتهم هل يعرفون ماذا تعني هذه الصور؟
أجابوني: لا، بعد موت كاهننا (النسطوري) قدم الينا المطران يوسف الكاثوليكي، وهو الذي علقها وطلب منّا ان نركع امامها. اما نحن فقد نزعناها عن جدار كنيستنا، وكان جواب (محمود آغا، شيخ الاكراد الميزوريين) إن جمع مخاتيرنا وأمر بضربهم حتى كسرت العصي على اقدامهم، وبعدها ضربونا نحن ايضا. ولهذا تركنا الصور كما علقها الكاثوليكي. وبما ان الاكراد قد باعوا انفسهم لقاء منعهم لأي كاهن نسطوري من الاقتراب للقرية، لهذا نحن مجبرون ان نسمع وعظ المطران الكاثوليكي الذي بين فترة واخرى يأتي الى القرية تحت حماية الاكراد المسلحين))[40]

التوسع الكردي



هذه الدائرة تمثل عموما المناطق التي توسعت فيها القبائل الكردية على حساب السكان الاصليين المسيحيين الارمن والسريان

هكذا بعدما قامت الكنائس الأوربية بشق وإضعاف السريان، ولأنهم يقطنون في مناطق سهلية زراعية، فقد تعرضوا دائماً هم و (اليزيدية) لهجمات العشائر الكردية

(39)ـ هنري لايارد: Austen Henry Layard رحالة وآثاري بريطاني زار شمال العراق وجنوب تركيا بعد عام 1840، وهو من اكتشف آثار نينوى. وقد سجل رحلته في كتابه: البحث عن نينوى:
Austen Henry Layard, Nineveh and Its Remains: With an Account of a Visit to the Chaldæan Christians of Kuridstan, and the Yezidis, vol. 2, Londres, John Murray, 1849

(40)ـ البحث عن نينوى: ص 19

البدوية الجبلية، التي كانت تبحث عن الأراضي الزراعية. وفي القرن التاسع عشر تفاقم الخطر الروسي ودعمه القوى المسيحية (الأرمن والسريان) في أعالي الجزيرة. لهذا كوَّن السلطان عبد الحميد فرقاً حربية شبيهة بفرق القوزاق الروسية، وتتكون أساساً من الأكراد وسميت بفرق (الحميدية). لقد قامت هذه الفرق ومعها الأغوات بدور كبير في طرد السريان من مناطقهم في الجزيرة (كذلك الأرمن في أرمينيا) وارتكاب مذابح كثيرة معروفة ضدهم وإجبارهم على الرحيل أو التحول إلى مسلمين أكراد. بين عامي 1843 ـ 1847 قام الأمير الكردي بدرخان بإبادة ما يقرب من 10 آلاف من سريان منطقة حكاري، والباقون اضطروا للهرب أو تغيير دينهم[41].

أهم الإمارات الكردية العراقية



كما في المراحل السابقة عن ارتباط (أكراد العراق) بالوضع العراقي، كذلك طيلة قرون هذه الفترة العثمانية، ظلت المناطق الكردية الحالية: (أربيل والسليمانية ودهوك) دائماً مرتبطة بالإدارة العراقية، أي ولاة بغداد والموصل؛ لأن الارتباط الجغرافي لهذه المناطق الكردية مع باقي شمال العراق كان وظل يحتّم تبعيتها الإدارية والاقتصادية والسياسية والثقافية. هاهي الإمارات الكردية في هذه الحقبة تؤكد هذه الحقيقة:

(41) ـ عن الفرق الحميدية الكردية:
ـ الدولة العثمانية: الأوضاع السياسية من منتصف القرن التاسع عشر إلى تشكيل فرسان الحميدية (1891 ـ 1923) ماجد محمد زاخوبي بيروت: الدار العربية للموسوعات صفحة 111 و115./ كذلك هنالك مواضيع عديدة عنها وبعدة لغات في ويكيبيديا.

إمارة بهدينان (1376 ـ 1843)

بهدينان نسبة إلى مؤسسها الملك بهاء الدين ابن الملك خليل بن عز الدين العباسي وحفيد المبارك أبي المناقب ابن الخليفة المستعصم بالله، وكان يعرف ببهاء الدين شمزيني، ومن أشهر شعراء هذه الفترة (أحمدي خاني) كاتب الملحمة الشعرية الكردية الشهيرة (مه م وزين). كانت العمادية عاصمة الإمارة ومنطقة نفوذها شملت مدن عقرة، زاخو، زيبار، عين سفني وأجزاء من الموصل وأربيل، وانتهت بواسطة إمارة أخرى منافسة لها وهي إمارة سوران عام (1834م)[42].

إمارة سوران في راوندوز 1816 ـ 1838

قامت في أطراف أربيل، وتنقّل مركزها بين عدة بلدات مثل شقلاوة وراوندوز، ودامت أكثر من عشرين عاماً، والسورانية أيضاً اسم احدى اللهجات الرئيسية للغة الكردية، وحسب المؤرخ الكردي (البدليسي)[43] فإن مؤسس الإمارة رجل بغدادي عباسي اسمه (كولوس ـ خالص)، حيث استطاع أحد أبنائه احتلال إحدى القلاع واتخاذها مركزاً لإمارة سوران، وهنالك من بين حكامها أميرة اسمها (خانزاد)، ومن أشهر أمرائها (محمد الراوندوزي الأعور).

إمارة بابان (1649 ـ 1851)

شيوخ (إمارة بابان) في السليمانية، يقولون عن أنفسهم: إنهم من ذرية (الصحابي خالد بن الوليد المخزومي)، الذين عاشوا بين القبائل الكردية التي كانت تقطن منطقة بَشْدَرْ في شمال العراق، وإن رئيس القبيلة أحمد الفقيه استلم لقب (بَهْ بَهْ) أو (بابان) من السلطان العثماني، مكافأة لكفاحهم ضد الصفويين. مثل بقية الإمارات الكردية كانت حدود الإمارة ومدى استقلاليتها تتغير حسب التحالفات والضغوط الخارجية والصراعات الداخلية. في عام 1781 أو 1783 بنى البابانيون مدينة السليمانية، واتخذوها عاصمة لهم، وكانت علاقة هذه الإمارة متوترة مع الإمارات الكردية الأخرى مثل

---

(42) ـ عن بهدينان: د.عماد عبد السلام رؤوف: تاريخ أمراء بهدينان.

(43) ـ عن سوران: طالع كتاب المؤخ الكردي البدليسي: (شرف نامه: بالفارسي ومترجم إلى عدة لغات).
كذلك:

- Wirya Rehmany, Dictionnaire politique et historique des Kurdes, Paris, L'Harmattan, p. 436 - 438.

(إمارة سوران) في أربيل و (إمارة بوتان) شمال الموصل، بالإضافة إلى خضوعهم إلى موازين الصراع العثماني ـ الإيراني[44].

أمراء الاكراد أحفاد العباسيين!

يحدثنا الرحالة الروسي (فيغين) الذي عايش العشائر الكردية في أعالي الجبال بين الموصل وتركيا قبل حلول عام 1900، عن الاعتقاد السائد بين زعماء وأغوات الاكراد بأنهم من (نسل العباسيين) الذين هربوا من مدن العراق الى الجبال بعد الاحتلال المغولي، واحتموا وانتموا الى العشائر الكردية. وإن ((أحفاد بني العباس الذين استحكموا في مناطق حصينة لا تطال في جبال بوتان، ظلّوا يحتفظون براية سلالتهم العباسية ذات اللون الاسود... وكان شعار أغلب أغوات الاكراد: إن الله حلّل نهب الآخرين الذين اغتنوا على حساب أحفاد العباسيين..))[45]

تعمق المشكلة الطائفية ودور الصراع العثماني ـ الإيراني ـ الوهابي

إن الصراع الإيراني ـ العثماني قد انعكس بصورة مباشرة ودامية وقاسية على العلاقة بين الشيعة والسنَّة، إذ إن السلالة الصفوية الأذربيجانية الحاكمة في إيران تبنَّت التشيع ولكن بطريقتها الخاصة المتطرفة المناقضة تماماً للتشيع العراقي المسالم. فهذا التشيع الإيراني قام بقوة السيف وذبح مئات الآلاف من الإيرانيين الذين كانوا سنَّة بنسبة 80%، وإذا بهم بعد سنوات من عام 1500 تنقلب النسبة إلى أكثر من 80% شيعة! وجعل الصفويون شعار (مسبة الخلفاء: أبي بكر وعمر وعثمان) من واجبات التشيع! والأسوأ من هذا، إن الدولة العثمانية المنافسة التاريخية لإيران على حكم العراق، قد تبنّت رسمياً المذهب الحنفي الكوفي العراقي، حيث مرقد (الإمام الأعظم) في بغداد، وبالتالي أصبح العراق مقراً لمقدسات مذهبي الدولتين، الشيعية والسنيَّة.

وعندما احتل الصفويون بغداد عام 1508م، قام الشاه إسماعيل الصفوي بهدم ما كان فيها من قبور أئمة أهل السنَّة ونبش قبر أبي حنيفة، وذبح جماعة من علمائهم والكثير من أعيانهم، وأشاع مسبة الخلفاء، وبعد أن طرده السلطان مراد الرابع بعد 15 عاماً، قام بذبح الكثير من شيعة بغداد. وسبقت مجزرة مراد عاصفة من وباء الطاعون الشامل قضت على الألوف من أهل العراق المنكوبين سنة 1635م.

(44) ـ عن بهدينان: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، تأليف إبراهيم عبد الغني الدروبي، بغداد، 1958م، مجلس آل بابان، صفحة 162.

(45) ـ عند منابع دجلة مع الآشوريين والأكراد ـ سي. فيغين ـ ص 57 و201/ ترجمة محمد البندر ـ دار سركون ـ السويد.

وشمل هذا التخريب الطائفي (الصفوي ـ العثماني) التخريب الحضاري، فقد دمرت الكثير من المعالم والمكتبات التابعة للطائفتين. وقد بالغ العثمانيون في فرض المذهب الحنفي في القضاء والمحاكم. حتى في مناطق الشيعة كان المذهب الحنفي أو الشافعي هو المفروض، وهذا الأمر دفع الشيعة في معاملاتهم الشرعية، إلى الاعتماد على رؤساء العشائر أو الفقهاء، والابتعاد عن الدولة. ظل أكراد العراق على المذهب الشافعي، أما التركمان العراقيون السنيّون، فأغلبهم على المذهب الحنفي، ما عدا القاطنين في أربيل، فهم شافعية. أما القاطنون في مدينتي (قرة تبة وطوز خورماتو) فهم شيعة اثني عشرية. وأهل البصرة كان الكثير منهم من أهل السنّة على المذهب الشافعي، سوى أهل شط العرب فكانوا شيعة، وأهل الزبير سنّة حنابلة.

الحروب الايرانية ـ العثمانية بين 1500 و1900

اولها: معركة جالديران (1532 ـ 1555)، ثم تلتها حروب عديدة في اعوام: ـ (1554 ـ 1555) و (1578 ـ 1590) و (1603 ـ 1618) و (1623 ـ 1639) و (1730 ـ 1736) و (1743 ـ 1746) و (1775 ـ 1776) و (1821 ـ 1823)

بروز الحركة الوهابية وغزواتها



هذه الصورة المعروفة والمتداولة دائما التي على اساس ان فيها الشيخ عبد الوهاب، لا يمكن ان تكون صحيحة ابدا للسبب البسيط التالي: ان شيخ الوهابية قد توفي عام 1792 ، اما التصوير في العالم فقد عرف بعد عام 1840.
وهذا مثال على مدى امكانية انتشار الاكاذيب وتقبلها التلقائي!

وهم الطائفة التي انبثقت في أواسط 1700 وتأسست في نجد بعد تحالف الفقيه

الحنبلي (محمد عبد الوهاب: الذي درس في البصرة) والشيخ البدوي (محمد بن سعود). جوهر الوهابية يتمثل بالعودة إلى السلف الصالح، ومحاربة كل البدع والمقدسات والرموز والمراقد مهما كانت سنيَّة أو شيعية، والتقيد الحرفي بالنص القرآني والحديث النبوي، وتكفير المذاهب المختلفة. بدأت الحركة الوهابية تهدد العراق منذ سنة 1790 وصارت تمارس الغزو والتخريب ضد قرى وبلدات جنوب الفرات (وكذلك ضد مناطق السنّة في سوريا). وبدأ دعاة الحركة بنشر الدعوة في المدن والأرياف. وفي سنة 1796م استولى الأمير (ابن سعود) على منطقة (الأحساء الشيعية) التي تتاخم العراق من الناحية الجنوبية. وفي عام 1798 فشل الشيخ العراقي (سليمان باشا ثويني) شيخ المنتفق بفتح قلعة الوهابيين، بعد أن تم اغتياله من قبل إرهابي وهابي. كذلك فشلت حملة العثمانيين سنة 1798. وأخيراً تم عقد الصلح في بغداد. لكن غزوات الوهابية عادت في سنة 1802 حيث اجتاحوا كربلاء وقتلوا الكثيرين، حتى من النساء والأطفال. وفي عام 1803 تم اغتيال الأمير (عبد العزيز بن سعود) على يد أفغاني بغدادي اسمه (عثمان). فقام الوهابية بالانتقام ومهاجمة مراعي العشائر العراقية وكذلك بلدة الزبير ومحاصرتها وهدم الشواهد الدينية حولها، مثل قبور طلحة والحسن البصري. واستمروا بغزو العراق حتى انبثاق الدولة الملكية العراقية وعقد الصلح. علماً بأن غزواتهم كانت تشمل المناطق الشيعية والسنية.

الوهابية والبروتستانية!

نحن لا نميل إلى الفكرة القائلة بأن (عبد الوهاب) جنَّده الإنكليز أثناء وجوده في البصرة، ولكن يصح القول منطقياً ومن الواضح أن (عبد الوهاب) قد تعرف وتأثر بـ(المذهب البروتستانتي) أثناء وجوده في البصرة، عبر الجاليات الانكليزية والاوربية. هنالك شبه تطابق بين الاثنين: (طهرانية وأصولية الوهابية: الاعتماد على القرآن والحديث، ورفض تقديس أي انسان حتى النبي محمد بما يعني إزالة حتى قبورهم!؟). وهذا يتطابق مع البروتستانتية التي تأسست قبل الوهابية بقرنين (1517): رفض تقديس الرموز المسيحية، ورفض الاعتراف بالقديسين، والعودة المباشرة إلى الكتاب المقدس، وجعل الكنائس متواضعة خالية من البهرجة.. إلخ.

❊ ❊ ❊

المتغيرات الثقافية


منذ اواسط 1600 بدأ الاهتمام الاوربي بآثار العراق،
وفي عام 1845 تم اكتشاف آثار نينوى

إن طبيعة العراقيين وموضع العراق وتاريخه الحضاري المتراكم، كان يحتّم ديمومة روحه الابداعية والثقافية مهما كانت الظروف الحياتية والسياسية قاسية ومدمرة. وهذا الميل العراقي نحو التجديد واكتساب المعارف كان يفرض نفسه على الدول والسلالات الأجنبية الحاكمة ويفرض عليهم بعض الإصلاحات حتى لو كانت غير مفيدة لمصالحهم. فمثلاً قد استمر الولاة ببناء الجوامع والسقايات ودعم بعض المدارس الدينية وتصليح نظم الري وغيرها. ولكن النهضة الإصلاحية الكبرى بدأت في القرن التاسع عشر بتأثير النخب العثمانية الحداثية المتأثرة بالنهضة الأوربية، ويمكن تسجيل أهم معالم النهضة كالتالي:

اكتشاف الحضارة النهرينية

منذ أواسط القرن السابع عشر (1658م) بدأ الاهتمام بحضارة العراق، عندما أحضر الرحالة الإيطالي (بترو دي لافاله) من مدينتي (بابل وأور) بعضاً من قطع الآجر المنقوشة، ونشر لأول مرة نسخاً لنقوش أخرى من مدينة (برسيبوليس) عاصمة الفرس الأخمينيين في جنوب غرب إيران. ولاحظ أن هذه النقوش جميعاً كتبت بعلامات في شكل المسامير، مما دعا إلى تسميتها بالكتابة المسمارية. في عام 1778 قام الضابط الدانماركي (نيبور) بدراسة نقوش هذه (الكتابة المسمارية) ونشر العديد من نقوش برسيبوليس ولاحظ أنها مكتوبة بثلاث لغات: (الفارسية القديمة، العيلامية الأحوازية، الأكدية العراقية). وفي مطلع القرن التاسع عشر (1802م) تعرَّفَ (كروتفند) على عشرة من رموزها. وفي

عام 1847م استطاع رولنسون نسخ وتفسير النص البابلي لـ (نقش بهستون) الذي ثبت أنه (أكدي سامي)، ونشر نتائج أبحاثه عامي 1850 و1851م واستمرت جهود العديد من العلماء من أجل فهم وتفسير النصوص المسمارية العراقية ومعرفة أسرار اللغتين العراقيتين السومرية والأكدية بلهجتيهما البابلية والآشورية، وقد ساعد هذا الفهم اللغوي على التوصل إلى المعلومات المفصلة عن هذه الحضارة النهرينية التي تبين أنها أولى الحضارات في تاريخ البشرية مع الحضارة المصرية.

في سنوات الأربعينات من القرن التاسع عشر توصل (بوتا، القنصل الفرنسي) إلى اكتشاف قصر (سرجون الثاني) في (خرسباد ـ نينوى). كذلك تمكن الإنكليزي (هنري لايارد) عام 1845 في (نينوى) من اكتشاف آثار مهمة. ونتيجة لهذه الجهود الأولى في التنقيب الأثري عرفت آثار العراق القديم طريقها إلى متحف اللوفر بباريس (مكتشفات بوتا) والمتحف البريطاني بلندن (مكتشفات لايارد).

إن أهم المكتشفات التي لعبت دوراً حاسماً في معرفة أسرار الحضارة النهرينية، هي (مكتبة آشور بانيبال) في قصر هذا الملك في العاصمة نينوى، وضمت ما يزيد على العشرين ألفاً من الألواح الطينية التي جمعها هذا الملك من كافة أنحاء البلاد وحوت نصوصها العديد من الموضوعات المتعلقة بشؤون الدين والدولة باللغة الأكدية، وبعضها باللغة السومرية، وقد تحقق هذا الكشف الأثري الهام عام 1854م على يد العالم العراقي الموصلي (هرمز رسام) وكان معاونًا لـ (لايارد) في حفائره ثم حل محله.

أما في القسم الجنوبي من العراق، فقد بدأت التنقيبات الأثرية فيه بحفائر (دي سارزك: القنصل الفرنسي بالبصرة) في تل (لجش القديمة) عام 1877م، وعثر فيها على بعض المخلفات الأثرية للسومريين، ومن بينها مسلة العقبان وتماثيل (كوديا) الشهيرة وأسطوانتاه الكتابيتان الضخمتان، وهي معروضة بمتحف اللوفر بباريس. في نهاية القرن التاسع عشر شارك الأمريكان في التنقيب الأثري في جنوب العراق وكشفوا عن مدينة (نيبور: نفر) العاصمة الدينية للسومريين وعثروا فيها على خزانة ضمت الآلاف من الألواح الطينية التي يرجع معظمها إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد (عصر سلالتي آيسن ولارسة)، وسجل فيها أكبر عدد من النصوص الأدبية السومرية المكتشفة.

هرمز رسام (1826 ـ 1910)، ذلك العالم العراقي المَنسي!



كان باحثاً وعالماً آثارياً مختصاً بالعراق القديم. وهو مسيحي عراقي موصلي وكان والده أسقف في كنيسة المشرق الكلدانية. وقد اهتم بعلم الآثار منذ أول شبابه فاستعان به (هنري لايارد) لمساعدته في التنقيب عن آثار نينوى. كما هاجر بتشجيع منه إلى بريطانيا حيث تلقى علومه في جامعة أكسفورد، ثم عاد إلى نينوى للتنقيب عن الآثار. ويعزى إليه اكتشاف (ملحمة كلكامش) و(مكتبة آشور بانيبال). أصبح بعد ذلك مواطناً بريطانياً وساهم بعدة مهمات دبلوماسية في القرن الأفريقي والشرق الأوسط. أمضى بقية حياته في برايتون، حيث تزوج ببريطانية وألّف عدة كتب عن اكتشافاته.

ظهور اللغة الثقافية والكتابة بالكردية



كردستان

اول صحيفة كردية صدرت في القاهرة عام 1898، باللغة الكرمانجية الكردية،وبالتركي

وهو من أهم المظاهر الثقافية في هذه المرحلة. فقد استمر الاكراد مثل غالبية شعوب الارض، عبر تاريخهم الطويل، بالتعبير الشفاهي بلغاتهم الاصلية، والتعبير الثقافي الكتابي بلغات اخوتهم في المنطقة، وخصوصاً العربية في العراق وسوريا، والفارسية والتركية في ايران والاناضول[46]. وقد برز في هذه اللغات الكثيرون من الادباء والعلماء من اصول كردية وآخرهم في هذه المرحلة شاعرا العراق الكبيران: (معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي).

إن أقدم النصوص المكتوبة باللغتين الكرديتين: (السورانية والكرمانجية) تعود الى هذه الفترة. فمع توطن الأكراد في سهول شمال النهرين ونشوء الإمارات المستقرة والاختلاط بالسريان والعرب والأرمن، بدأوا يؤسسون لثقافة مستقرة ومكتوبة. إن أقدم نص بالكردية (الكرمنجية)، يعود تاريخه إلى حوالي 1600م (1000هـ) وهو عبارة عن تراتيل دينية مسيحية مكتوبة بسبع لغات مختلفة من ضمنها الكردية، ومنها استمرت الكردية تظهر على شكل أشعار فقط. ولم يظهر النثر إلاّ حوالي 1700، وأقدمها كتاب (الصرف العربي باللغة الكردية: علي الترماخي) ويعتبر أول نص نثري كردي مدون[47]. أما الكتاب الشهير (شرفنامه: حوالي عام 1600) لـ (شرف خان البدليسي) وزير (السلطان سليم الأول) وهو (أول كتاب في التأريخ الكُردي)، لكنه كان بـ (اللغة الفارسية). وإن أول صحيفة كردية باسم (كردستان) قد صدرت في القاهرة عام 1898. أما بالنسبة للتأثير الثقافي العراقي فيكفي معاينة اللغات الكردية وما تحمله من خزين من المفردات السومرية والسامية والأكدية والسريانية والعربية. وما انتشار الأبجدية العربية بين الأكراد إلاّ دليل على ذلك. (اكراد تركيا، مثل الاتراك تبنوا

(46) ـ تاريخ ظهور الكتابة باللغات الكردية لا يبدو متأخراً لو عرفنا بأن الكثير من شعوب اوربا الشرقية والشرق الاوسط وباقي العالم لم تكن لغاتها المكتوبه أقدم من الكردية. على سبيل المثال، حوالي وبعد أعوام: 1600 روسيا ورومانيا وبشتو افغانستان وفلندا وبنغال والكثير من الشعوب. بل غالبية لغات الارض التي تفوق الـ 7000 حتى الان لم تعرف الكتابة.

(47) ـ عن أقدم النصوص الكردية، طالع:

ـ دراسة منشورة للباحث والمؤرخ الكردي (محسن سيدا): (نص كردي يعود إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي).

ويضيف عن النص النثري الثاني بالكردية:

وجاء بعده ملا يونس الهلقتيني (توفي 1785. كتب أيضاً في قواعد اللغة العربية باللغة الكردية كتاباً أسماه: «التراكيب والظروف»).

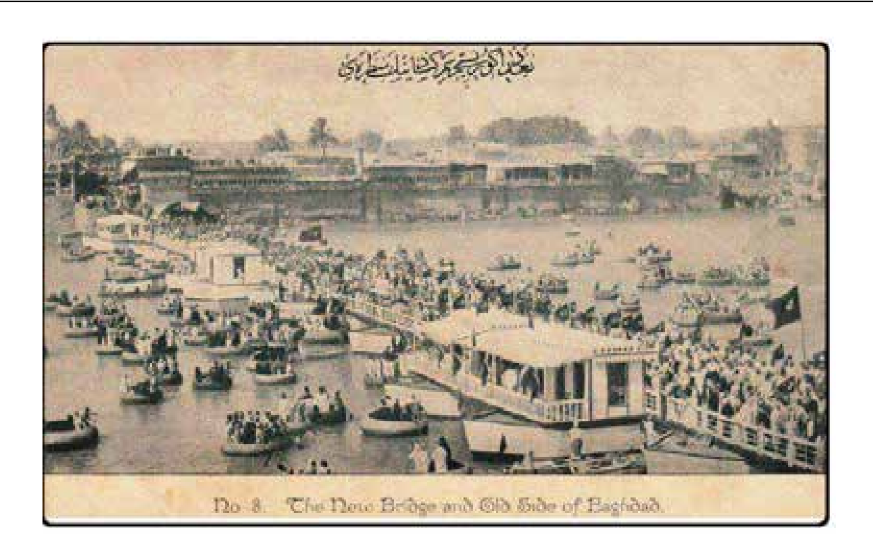
الكتابة اللاتينية التركية، لكتابة لغتهم الكرمنجية). لكن هذه الحقائق المتفق عليها من قبل المؤرخين، لم تمنع القوميين من بذل الجهود غير المفيدة لاختراع تاريخ حضاري كردي يمتد لآلاف الأعوام ويدَّعي بأن غالبية تواريخ دول وحضارات الشرق الاوسط من سومريين وميتانيين وحيثيين وميديين وساسانيين، كلهم أكراد[48].

النهضة الحداثية في القرن التاسع عشر


اول برلمان عثماني : مجلس المبعوثين: 1876

إن أولى خطوات الإصلاح والتحديث في الدولة العثمانية، وبتأثير النهضة الأوربية، بدأت مع السلطان (محمود الثاني) عام 1826 الذي تمكن من التخلص من الجيش الانكشاري الذي كان يرفض التحديث العسكري. وطبعاً شمل هذا الإصلاح وحدات الجيش الانكشاري في العراق. فحلَّت محله قطعات عسكرية جديدة عثمانية حداثية بالإضافة إلى فتح أبواب التطوع للمجندين العراقيين وفرض التجنيد الإلزامي في مناطق عديدة من العراق. وشكّل ما سمّي فيما بعد بالجيش العثماني السادس، والذي انضم اليه الكثير من الشباب العراقي من أبناء السنّة (عرب وأكراد وتركمان) من الموصل وبغداد. وشكلوا أكبر عدد من الضباط العرب في الجيش العثماني، ومنهم كان (نوري السعيد) و(ياسين الهاشمي) وغالبية النخبة التي حكمت العراق بعد نهاية العثمانيين وتأسيس الدولة العراقية عام 1921. وقد رافقت هذه النهضة العسكرية، نهضة تحديث مدنية في جميع المرافق، ومنها مثلاً:

(48) ـ مشكلة القوميين الأكراد أنهم يرفضون فكرة عدم وجود حضارة كردية خاصة حالهم حال غالبية شعوب الأرض. فمثلاً إن شعوب شمال وشرق أوربا لم تكتشف الكتابة والحضارة إلاّ قبل بضعة قرون، بسبب ظروف جغرافية وطبيعية أدت إلى العزلة.



• عام 1856 تأسيس أول مدرسة حديثة أهلية للذكور في بغداد من قبل جمعيات الإليانس اليهودية (الفرنسية الصهيونية).

• عام 1856 تأسيس أول مطبعتين لطبع الكتب، واحدة في كربلاء والأخرى في الموصل.

• عام 1858 وصول أول باخرتين للنقل النهري بين بغداد والبصرة، وقد أشرف عليهما البغدادي (مسعود البلجيكي) لأنه درس في بلجيكا.

• عام 1861 تأسيس أول خط تلغراف بين الموصل وبغداد ثم مع إسطنبول.

• عام 1864 تأسيس أول معمل حديث للنسيج في بغداد أسَّسه الوالي (نامق باشا) وهو المعمل الذي أطلق عليه البغداديون اسم (العبخانة) وكان يدار بقوة البخار وينتج بعض حاجيات الجيش من ألبسة وخيام، وقد قام الوالي مدحت باشا بتطوير المعمل وتوسيعه.

• عام 1868 تأسيس أول خدمة بريدية مركزية وحديثة (إنكليزية) في العراق، بعد أن كان البريد شخصياً.

• عام 1869 تأسيس (مدرسة الصنائع)، تأسست أيام حكم الوالي مدحت باشا، وهي أول مدرسة للأيتام يتعلمون فيها النجارة والحدادة والنسيج وغيرها.

- عام 1870 تأسيس أول معمل للطحن في بغداد.

- عام 1870 تأسيس أول خط (ترامواي) حيث تسير عربة تجرها الخيول على سكة حديد في بغداد.

- عام 1870 لأول مرة يكتشف البغداديون شرب الشاي عند قدوم الشاه الإيراني (ناصر الدين شاه) سنة 1870م إلى بغداد أيام ولاية مدحت باشا.

- عام 1872 تأسيس أول مستشفى حديث في بغداد من قبل الوالي مدحت باشا.

- عام 1880 تمثيل أول مسرحية عراقية في المدارس المسيحية في الموصل، وصدور أول كتاب مسرحي في بيروت للقس الموصلي (حنا حبش) ويحتوي على ثلاث مسرحيات لقصص دينية.

- عام 1881 جلب أول ماكينة لصنع الثلج في بغداد.

- عام 1888 تأسيس أول معمل للمشروبات الغازية في البصرة.

- عام 1889 أسست شركة لنج الإنكليزية أول مكابس للصوف تعمل بالبخار، ثم تأسست مكابس لعرق السوس.

- عام 1889 تأسيس أول مدرسة ابتدائية حكومية في بغداد أيام الوالي سري باشا، وقد تبرع ببنائها العلامة عبد الوهاب النائب، وأطلق عليها اسم (حميدية مكتبي).

- 1893 تأسيس أول مدرسة حديثة للبنات في بغداد، من قبل الإليانس اليهودية، والتي سميت فيما بعد (مدرسة لورا خضوري للبنات).

- عام 1899 تم تأسيس أول مدرسة (حكومية) حديثة للبنات في بغداد في زمن الوالي نامق باشا وسماها بـ (إناث رشيدية مكتبي) وتم تعيين السيدة (أمينة شكورة خانم) معلمة أولى للمدرسة ومعها ثلاث معلمات أخريات والتحقت بها نحو 90 طالبة.

- في أواخر القرن 19 انتشرت المضخات البخارية بين أصحاب المزارع في العراق.

- في أوائل القرن العشرين انتشر استخدام (الفونغراف) وأطلقوا عليه (الصندوق الذي يغني).

- عام 1905 تم تأسيس أول مدرسة (أهلية) للبنات وهي مدرسة الإليانس اليهودية في بغداد، وهي فرع لمدارس الإليانس اليهودية الأوربية.

- عام 1907 تأسست أولى خطوط إسالة الماء، حيث تم نقل المياه بواسطة أنابيب إلى بعض البيوت ولكن من غير تصفية وتعقيم.

- عام 1908 تم تأسيس أول مدرسة حديثة للشيعة (مدرسة الجعفرية) وكان اسمها (مكتب الترقي الجعفري العثماني)، وبعد الحرب العالمية الأولى أصبح اسمها المدرسة الجعفرية.

- عام 1908 تم تأسيس (كلية الحقوق) وهو تاريخ إعلان الدستور العثماني أو المشروطية وكان ذلك زمن ناظم باشا.

- عام 1908 وصول أول سيارة إلى بغداد قادمة من حلب، وقد خرج أهل بغداد يعاينونها بحثاً عن الحصان المخفي في داخلها.

- عام 1909 تم أول عرض سينمائي في بغداد والذي وصفوه بالألعاب الخيالية (السينما توكراف) كان في دار الشفاء الواقعة في الجانب الغربي من بغداد (الكرخ) وبعدها شيَّد التجار أول دار للعرض عام 1911 وسط البستان الملاصق للعبخانة.

- عام 1910 تأسيس أول معمل خياطة في بغداد في محلة الميدان.

- عام 1910 شق أول شارع حديث في بغداد من قبل الوالي (خليل باشا)، والذي حمل فيما بعد اسم (شارع الرشيد).

- عام 1913م إنشاء مسرح للرقص والغناء ترفيهاً لسكان بغداد في موضع لدار الطلبة في الباب المعظم.

- عام 1916م تأسيس ملهى في (مقهى الشط) بجانب الكرخ، وقد مارست الغناء فيه المطربة (روزة نومة) وأختها (ليلو نومة).

النهضة الصحفية


بصرة

زوراء

موصل

٢١ شوال

• عام 1816 صدور جريدة (جورنال عراق)؛ أول جريدة عراقية وعربية: صدرت في السنة الأولى من حكم الوالي (داود باشا) في بغداد، وقد سبقت أول صحيفة مصرية (الوقائع المصرية) باثني عشر عاماً. وكانت توزع على قواد الجيش وكبار الموظفين وأعيان المدينة، كما تعلق نسخ منها على جدران السراي. وكانت تحتوي على وقائع العشائر وأخبار الدولة العثمانية وأوامر الوالي والإصلاحات الواجب إجراؤها وما أشبه.

• عام 1869 صدرت في بغداد (جريدة الزوراء) تيمناً بأحد ألقاب بغداد. وقد اعتبرت خطأً أول جريدة عراقية، لأن (جورنال عراق) قد سبقتها بحوالي أربعين عاماً في زمن الوالي (داود باشا). واستمرت الزوراء بالصدور لمدة تسعة وأربعين عاماً حتى عام 1917، وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية وتنشر الأخبار والإعلانات الصادرة من ولاية بغداد.

• عام 1885 صدور أول جريدة في الموصل (جريدة الموصل)، وبقيت حتى إعلان الهدنة عام 1918 بين القوات البريطانية والتركية.

• عام 1895 صدور أول جريدة في البصرة (جريدة البصرة) بإشراف اللبناني (سليمان البستاني) بطلب من الوالي (قاسم باشا زهير)، وتوقفت عام 1914.

شخصيات عراقية مبدعة

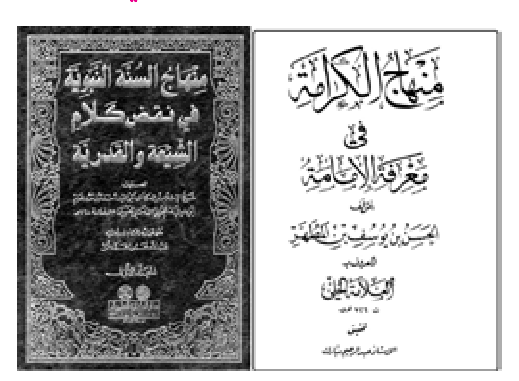
هنالك عدد كبير من الشخصيات العراقية التي لعبت أدواراً حضارية خلال قرون (السبات) السبعة. ويلاحظ أن بغداد لم تكن فقط عاصمة العراق الحكومية، بل هي

أيضاً العاصمة الثقافية، حيث عاش وأبدع فيها أغلب المبدعين، بمن فيهم الشخصيات العراقية التي من أصول تركمانية وكردية. وهنا بعض الشخصيات المعروفة:

ـ العلامة المطهر الحلي (1250ـ 1328): ويعتبر من أهم مصادر الدراسات الشيعية. ولد في مدينة الحلة قبل بضع سنوات من سقوط بغداد ونهاية الدولة العباسية على يد المغول عام 1258م. عاش جل حياته وأبدع في ظل دولة المغول الإيلخانيين والخراب الذي أصاب العراق. وأول من لقب بـ (آية الله)، وقد تمكن من اقناع سلطان المغول (محمد خدا بنده) بالتشيع[49]، وهذا الامر لعب دوراً بنشر المذهب الشيعي في إيران.

كتب حوالي 100 كتاب منها: الإرشاد ـ تبصرة المتعلمين ـ القواعد ـ التحرير ـ تذكرة الفقهاء ـ مختلف الشيعة ـ المنتهى ـ شرح التجريد ـ منهاج الاستقامة ـ تلخيص الكشاف.

(المطهر الحلي) و(ابن تيمية) وتعمق الخلاف المذهبي بين الشيعة والسلفية السنية!



بعد ان أصدر (الحلي) كتابه الشهير: (مِنْهَاجَ الْكَرَامَةِ فِي مَعْرِفَةِ الْإِمَامَةِ) عن التشيع، سرعان ما رَّدَ عليه (الفقية الحنبلي السوري: ابن تيمية) بكتابه المشهور: (مَنهاجَ السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية)، الذي أصبح ولا زال مرجعاً لكل المعارضين للشيعة، وخصوصاً (الوهابية). ثم أعقبه برسالة موجهة الى شيعة العراق: «رسالة إلى المنسوبين إلى التشيع وغيرهم في العراق»[50].

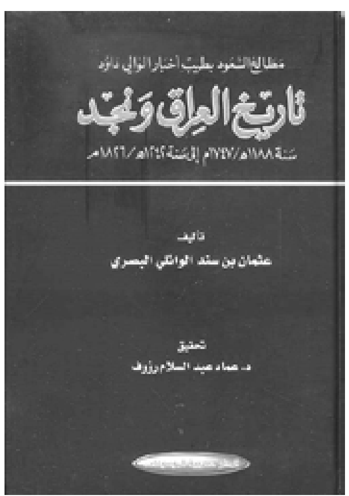
---

(49) ـ عن تشيع السلطان المغولي، هنالك أسباب منها: أن السلطان طلّق زوجته بالثلاث وندم، فأفتى له فقهاء المذاهب بأن طلاقه صحيح وأنها تحرَّم عليه حتى تنكح زوجاً غيره، فأرشدوه إلى العلامة الحلي فأحضره وناظر الفقهاء وأثبت لهم بطلان الطلاق، لأنه بلا شهود. كذلك لأن السلطان زار قبر الامام علي في النجف ورأى مناماً، فدفعه ذلك الى البحث عن مذهب التشيع، فأعجبه وانتمى إليه. طالع: ـ دراسة منشورة: لماذا تشيع السلطان محمد خدابنده؟/موقع مركز الاشعاع الاسلامي.

(50) ـ عن المطهر الحلي: «البداية والنهاية» لابن كثير (14/ 125)، «الوافي بالوفيات» للصدفي (13/ 54)، «لسان الميزان» (2/ 317) و«الدرر الكامنة» (2/ 160، 188) كلاهما لابن حجر.

ـ **فضولي البغدادي 1494ـ1545:** محمد بن سليمان المشهور بـ (فضولي البغدادي): هو شاعر عراقي ولد في (الحلة أو كربلاء)، ويرجع أصله إلى عشيرة (بيات) التركمانية المختلطة. ولقب بسلطان الشعراء التركمان، وقضى أكثر سنوات عمره في كركوك وبغداد والحلة وكربلاء. ويهتم الأذربيجانيون بالشاعر اهتماما كبيراً ويدَّعون أنه من أصل أذربيجاني قدمت أسرته إلى العراق. اشتهر في بلاد فارس والأناضول، وكان ينظم أكثر شعره في اللغات الثلاث (التركية الاذرية والعربية والفارسية).كان شيعياً، ومتصوفاً، أمضى شيخوخته في إسراج مصابيح الصحن الحسيني في كربلاء حتى توفي بوباء الطاعون ودفن فيها.

ـ **ابن سند البصري 1766ـ 1826:** هو الشيخ عثمان بن سند بن راشد الوائلي، ولد في الكويت التي كانت جزءاً مرتبطاً بولاية البصرة، حيث عاش وأبدع في البصرة. وكان يتردد على بغداد وأصبح مقرباً من الوالي (داود باشا) وكتب تاريخ دولته (مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود). وله مؤلفات في مختلف المجالات الشعرية واللغوية والفقهية والحسابية والتاريخية، ومن أهمها (تاريخ بغداد). وقد توفي في بغداد ودفن في مقبرة (الشيخ معروف).



ـ **عبد الغني آل جميل 1780ـ 1836:** مفتي بغداد والثائر الوطني. ولد في بغداد وأصل عائلته من سوريا، وهو من علماء الدين المعروفين. تقلَّد مناصب دينية وسياسية وأصبح مفتياً للمذهب الحنفي، وكانت له الوجاهة والزعامة في الأوساط العراقية. وكان عالماً

متضلعاً وشاعراً وكاتباً وفقيهاً ومحدثاً. وله دور بارز في تاريخ العراق حيث قام بانتفاضة ضد الوالي العثماني في بغداد عام 1832 مطالباً بالكف عن الإساءة للعراقيين.

ـ **أبو الثناء الحسيني الآلوسي 1803 ـ 1854**: ويسمى أيضاً (الآلوسي الكبير) لأنه خلف من بعده العديد من الأبناء والأحفاد الذين نبغوا بالفقه والخط والتأليف. وهو مفسر، ومحدث، وفقيه، وأديب، وشاعر، وخطاط بارع. يرجع نسبه إلى مدينة (آلوس) في الأنبار، حيث فرَّ إليها جده الأول من هولاكو التتري عندما اجتاح بغداد. وهو مجتهد، أصبح مفتياً ثم عزل فانقطع للعلم. أصبح مدرساً في عدة مدارس بغدادية، وكان له مجلس ثقافي يختلف إليه رواد العلم والمعرفة. ولعب دوراً كبيراً في إنعاش الحركة الثقافية في بغداد. وذهب إلى إسطنبول فأكرمه السلطان عبد المجيد، ثم عاد إلى بغداد يدوّن رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، وله مؤلفات عديدة، مثل: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم) و(المقامات الآلوسية) و(الأجوبة العراقية).

ـ **الخطاط سفيان الوهبي (توفي عام 1850)**: هو من أئمة الخطاطين في بغداد، وتخرج على يده الكثيرون. وكان يتفنن في جودة الخط ويحسن التزويق ويخط اللوحات بالذهب الخالص والمينا. من آثاره الخطية (كتاب التحفة الاثني عشرية) و(القرآن الكريم)، كذلك بعض اللوحات على جدران جامع الشيخ عمر السهروردي وجامع الأحمدية في بغداد.

ـ **العلامة إبراهيم فصيح الحيدري 1820ـ 1882**: أديب ومؤرخ ولد في مدينة بغداد ورحل وعاش لفترة في الأستانة في تركيا، وتولى نيابة القضاء في بغداد. وله مؤلفات في التاريخ والفلك، منها: (عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد)، (أصول الخيل والإبل الجيدة والرديئة)، (معاني الألباب في الإسطرلاب)، (أعلى الرتبة في شرح النخبة).

ـ **الشاعر رضا الطالباني (1835ـ 1909)**: وهو الشيخ العلامة أبو عبد الله، من أعلام شعراء بغداد، وأدبائها المعروفين، ومن علماء الصوفية، ولد قرب جمجمال في شمال العراق، وكان خبيراً بآداب العرب والأتراك والفرس والأكراد، وله مؤلفات في لغاتهم. له مجاميع أدبية ومؤلفات منها (في الهجاء) للرد على الشاعرين (الرصافي

والزهاوي)، وكان له مجلس ثقافي يعقده في الحضرة الكيلانية، ويحضره علماء بغداد وأدباؤها، ودفن في مقبرة الحضرة الكيلانية في بغداد.

ـ الشاعر محمد سعيد الحبوبي (1849 ـ 1915): ولد في النجف ودرس القرآن والعربية والأدب والفقه والأصول، كما صاحب المجدد جمال الدين الأفغاني لأربع سنوات في دراساته. وكانا زميلين لدرس واحد وكان بينهما تأثر وتأثير ولقاء في المبادئ العامة الإصلاحية. اشترك في ثورة العشرين وقاد جيشاً من المتطوعين عام 1914م، وكان دوره كبيراً مع مهدي الحيدري والخالصي وغيرهم. طرق أنواع الشعر؛ منها الغزل والخمرة. وعانى من تهجمات الإسلاميين المتشددين.



ـ الفنان عثمان الموصلي 1854 ـ 1923:



ولد في الموصل من عائلة فقيرة وصار أعمى وهو طفل بسبب الجدري. تعلم حفظ القرآن والموسيقى والألحان وحفظ الأشعار وعلوم العربية على علماء عصره. تعلم أيضاً الفارسية والتركية. استقر في (بغداد) فاشتهر فيها بقراءة المولد وذاع صيته. ثم عاد إلى الموصل وانتمى إلى الطريقة الصوفية القادرية. سافر إلى مصر وأصدر مجلة أسماها (المعارف) لفترة وجيزة. سافر إلى إسطنبول أكثر من مرة واستمع إليه الناس في جامع آيا صوفيا وأعجبوا به. وأهم الشخصيات التي تعَّرَف إليها في إسطنبول المتصوف السوري الشهير (محمد أبو الهدى الصيادي) وأخذ عنه الطريقة الرفاعية، وقدمه إلى السلطان عبد الحميد، وأصبح من حاشيته المقربة. وكان يعتمد عليه في مهمات دبلوماسية حيث أرسله إلى ليبيا والتقى السنوسي. وكان يخطب في الحج

باسم السلطان. وفي مصر عام 1895 درس على يديه الموسيقار عبده الحامولي وغيره من رجال الموسيقى والفن ودرسوا عليه فنون الموشحات. والتقى عام 1909 بـ (سيد درويش) في الشام الذي تعلم من عثمان فن الموشحات وفنون الموسيقى. لديه الكثير من الموشحات والأغاني وأشهرها: (زوروني بالسنة مرة)[51] التي غنيت من قبل سيد درويش ثم فيروز، (فوق النخل فوق)، (لغة العرب اذكرينا)، (يا أم العيون السود).

ـ المتصوف خالد البغدادي النقشبندي الشهرزوري (1778 ـ 1826): يعتبر مؤسس فرع (الطريقة النقشبندية) في العراق والشرق الاوسط (أصل الطريقة تركية من آسيا الوسطى)[52]. ولد في (قرة داغ ـ السليمانية) الكردية شمال العراق، وعاش وتعلم في بغداد وتنقل في الهند وتركستان، ثم استقر في دمشق حتى وفاته بالطاعون. وكان لهذه الطريقة دور في مواجهة الحركة الوهابية التي تمثل الفكر السلفي؛ لهذا فإن البغدادي قد تلقى الدعم من الدولة العثمانية لمواجهة الوهابيين أعداء العثمانيين والشيعة. من نتاجاته: خطب وفتاوى، ورسائل تعتبر أساسية لدى أتباع الطريقة[53].

وضـع المـرأة

لو أخذنا مثلاً كتاب (حوادث بغداد في 12 قرن) للباحث (باقر أمين الورد) وهو كتاب قيّم وضروري لكل باحث في تاريخ العراق، حيث يسرد بطريقة خبرية

(51) ـ بالنسبة لأغنية (زوروني بالسنة مرة)، وحسب عدة مصادر، قد أنشدها الموصلي بعد زيارته لقبر الرسول.
ـ خالد القشطيني: صحيفة الشرق الاوسط/21 فبراير 2020 ـ رقم العدد [15060]
ـ «زوروني كل سنة مرّة» لسيد درويش أم للأخوين رحباني أم لعثمان الموصلي؟/ سليمان بختي / صحيفة النهار: الثلاثاء ـ 22 أيلول 2020

(52) ـ من المعلوم أن الطريقة النقشبندية تأسست في القرن السادس عشر في تركستان (آسيا الوسطى) وبالذات في بخارى وطشقند، ثم انتشرت في الهند وإيران. بعدها انتشرت في العراق وعموم الشرق الأوسط على يد واحد من أبرز شيوخ الطريقة هو (السيد خالد البغدادي). فهو الذي نشر هذه الطريقة في العراق والشام وتركيا وعموم الشرق الأوسط.
ـ هنالك الكثير من المصادر عن حياة خالد النقشبندي، منها:
ـ كتاب «علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري: محمّد مطيع الحافظ ونزار أباظة، الجزء الأول، ص 298 ـ 335. دار الفكر ـ دمشق.

(53) ـ طالع:
ـ مكتوبات الشيخ المجددي مولانا خالد النقشبندي البغدادي الشهرزوري/ جمع وترتيب محمد علي القرة داغي. بالعربية والفارسية
الناشر Istanbul: المكتبة الهاشمية، 2015.

متسلسلة أهم أحداث بغداد منذ تأسيسها عام (762م) حتى وقتنا الحالي. يلاحظ بصورة واضحة وغريبة وغير مقصودة كيف أن معدل ذكر أخبار النساء يتنامى مع تنامي الازدهار الحضاري في بغداد العباسية. نساء من مختلف الأجناس والأدوار، شاعرات سياسيات متدينات محسنات مغامرات. ثم يبدأ العد يتراجع مع تراجع المستوى الحضاري وتفاقم الكوارث وتنامي الانحطاط، فتتصاعد الفحولة وتتراجع الأنوثة، حتى يهيمن الغياب المطلق لذكر دور المرأة مع سقوط بغداد وغياب دور كل العراقيين (رجال ونساء) عن الحياة العامة، إذ سيطرت العناصر الأجنبية على بلادهم وعلى مقدراتهم. بالتدريج في أواخر الفترة العثمانية تبدأ نقاط مضيئة تبزغ هنا وهناك متمثلة خصوصاً بظهور مدارس البنات في نهايات القرن التاسع عشر.

شخصيات نسوية متميزة[54]



- (معاني جويريدة) المرأة البغدادية التي دفنت في روما



إنها قصة إنسانية نادرة بين شابة بغدادية ورحّالة ومؤرخ نبيل إيطالي، ولد الرحالة (بيترو ديللا فاليه) في روما عام 1586 من عائلة إيطالية رومانية عريقة ما تزال تحتفظ إلى اليوم بشارع يحمل اسمها (Maani Gioerida della Valle) في قلب روما وكنيسة فخمة شيَّدها أحد أفراد العائلة. بعد تجوال في تركيا وسوريا بلغ العراق عام 1616

(54) ـ جميع هذه الشخصيات النسوية، سبق وأن نشرنا عنهن في (موسوعة المرأة العراقية) عن مجلة ميزوبوتاميا 2004.

وتجول في بغداد وبابل وكتب رحلته وعن اكتشافاته الأثرية. في بغداد تعرف إلى رجل مسيحي بغدادي هو السيد (حبيب جويريدة) فاستقبله وأكرمه واختار له سكناً مناسباً، وتعرَّف صدفة إلى ابنة هذا البغدادي والتي اسمها (معاني) فشغف بها وطلب الزواج منها. ويتم الزواج البغدادي بين (ديللا فاليه) و(معاني جويريدة) في حفل بغدادي لم ير مثله هذا النبيل الإيطالي في حياته وخلال رحلاته.

وكانا يتفاهمان باللغة التركية. تمكن الرحالة من إقناع زوجته أن تصاحبه في رحلته إلى بلاد فارس. لكنها أصيبت بمرض مفاجئ في إيران وعاجلها الموت وهي حامل يوم 30 كانون الأول 1621 وعمرها ثلاثة وعشرون عاماً. لكن الزوج الوفي، رفض التخلي عن زوجته حتى بعد موتها. فقد اتخذ قراراً جنونياً، حسب ما كتب: ((لقد قررت أن لا أواريها الثرى في هذه البلاد بل سأحمل جثمانها إلى مقبرة آبائي وأجدادي في كنيسة أراجيلي في روما في ظلال الكمبيدولو التل العجيب)). فقام بتحنيطها، وخلال ترحال جنوني يثير العجب ظل يصطحب الجثمان مدة أربعة أعوام، من بلاد فارس إلى الهند والبحر العربي والعراق وسوريا حتى أوصلها إلى روما وأنزلها بيديه في ضريح الأسرة في أجمل كنائس روما. وقد أصبح قصر (ديللا فاليه) مزاراً يجد فيه الزوار نوادر التحف والأزياء والمومياء المصرية والمخطوطات الشرقية واللوحات والآثار التي حملها من رحلته إلى الشرق ووضعها جوار قبر زوجته العراقية (معاني جويريدة). وللأهمية التاريخية التي مثلتها رحلة (ديللا فاليه) وتجربته قال (غوته) الشاعر الألماني الشهير: ((إن قراءة رحلة ديللا فاليه كشفت لي عن الشـرق))!!

- **(شهربان) زوجة الوالي المصلح (مدحت باشا):** وهي امرأة عراقية من أصل شركسي كانت تعيش في عائلة وجيه بغدادي من عائلة النقيب. وقد تعرف عليها (مدحت باشا) أثناء زيارته لهذا الوجيه البغدادي، ولاحظ أنها تشبه الفتاة التي أتته في حلمه منذ أيام. وبعد الزواج خلف منها ولداً وحيداً هو (علي حيدر). بعدها نقل إلى إسطنبول وتسلم العديد من المناصب وقاد الحركة الدستورية هناك. وفي عام 1881 أدانته المحكمة باغتيال السلطان عبد المجيد، فصدر الحكم بنفيه إلى مدينة الطائف في الحجاز، ثم تم اغتياله هناك. ظلت زوجته (شهربان) طيلة غيابه وفية له، وحاولت المستحيل والاتصال بالساسة من أجل إنقاذه، رغم كل الظروف والدسائس التي مر بها،

رسالة (شهربان) الى زوجها (مدحت باشا)

اثناء نفي هذا الوالي الى الحجاز حتى مقتله هنالك، تبادل مع زوجته العراقية عدة رسائل. وهذا مقطع من آخر رسالة كتبتها (شهربان)، لكن زوجها لم يقرأها لأنها وصلت بعد مقتله:

((زوجي الحبيب:

أريد أن أعترف لك بشيء، أرجو أن لا تسخر مني. لقد اشتقت إلى دفئك. أخجل من كتابة ذلك، وأخشى أن يقرأ هذه الرسالة شخص آخر قبل وصولها إليك، ولكن لم يعد يعنيني أن يعرف مخلوق ما يعرفه رب العالمين! سيدي، قلبي وروحي وعواطفي في انتظارك، أحتضنك بشوق ولهفة، تعال تعال تعال!

زوجتك المخلصة شهربان))[55].

ـ **الشاعرة الشعبية فدعة:** وهي شاعرة ريفية نشأت في القرن الثامن عشر في أهوار ميسان، وأصبحت أشبه بالأسطورة بسبب أشعارها المبدعة والعميقة والجريئة. لها أخ وحيد (حسين) وعشيرتها تعيش على تربية الجاموس وما يطلق عليهم المعدان أو الدبات أو الدبية، وهم الذين يستوطنون أعماق الأهوار مع جواميسهم. وتقرب حكاياتها من الشاعرة الخنساء في رثائها. فقد وصفت بأشعار معروفة معاناتها بسبب فقدانها لأخيها ثم زوجها. اسمها (فدعة ابنة علي الصويح)، وهي حكيمة ولها أمثال ترددها الناس ومقولات تعطر المجالس: (الولد مولود والرجل موجود والأخ مفگود). والدها كان شاعراً وشيخاً لعشيرة بني إزريج (الأزارقة)، ويقال: إنها تزوجت شيخ عشيرة الخزاعل (حمد آل حمود)، وكانت تشارك معارك عشيرتها من خلال أشعارها التشجيعية، وقد تفجرت قريحتها بعد مقتل أخيها (حسين)، وهذا مقطع من قصيدة لها بعد وفاة زوجها (حمد آل حمود):

حمد مرضي العرب والروم والباشات ... يجالسها ويكلمها بسبع لسنات
لسان للعرب ولسان للبيگات ... ولسان لعد الروم والشاهات
ولسان يعرف الرمز والشفرات ... ولسان يبلّم كل حواجبها

ـ **الاميرة الكردية خانزاد:** هي أميرة مشهورة بين أكراد العراق ومعنى اسمها: (بيت الكرم). تاريخها غير متفق عليه، والمؤكد أنها عاشت في زمن العثمانيين. والدها (أمير سوران) الذي كان في صراع مع (إمارة بابان). وبعد أن سجنه العثمانيون في بغداد، استلمت هي الامارة وأحسنت إدارتها وأنجزت الكثير من الخدمات وعمَّرَت

عدة جوامع وأسسَّت حصوناً. أستتب الأمن في زمانها الى درجة أن الأهالي يتغنون بذكراها ومدحها الشعراء.

وتوصف بأنها كانت امرأة فارعة الطول جميلة الخلق تتمتع بقوام رشيق وجميل بالإضافة إلى ذلك كانت امرأة ذكية وشجاعة وقوية وفارسة بارعة في نفس الوقت، وكانت تتسلح كالرجال.



ـ ماري تيريز الأسمر (الأميرة البابلية)



ولدت في الموصل عام 1804، من عائلة مسيحية سريانية أصلها من مدينة (تلكيف). وهي التي أطلقت على نفسها في إنكلترا لقب (أميرة بابلية). وتعتبر أول امرأة رائدة للثقافة العراقية الحديثة، لأنها أول عراقية تصدر كتاباً، وإن كان بالانكليزية. تمكنت من الهجرة إلى بريطانيا بمساعدة عائلة درزية غنية لبنانية. هنالك تزوجت من بريطاني وتعلمت الإنكليزية، وصدرت لها عدة كتب وموسوعات منها عام (1844) كتاب مهم عن حياتها في العراق، موجود في المكتبة البريطانية وترجم إلى العربية[55]. تصف فيه بشكل أنثربولوجي وقصصي المجتمع والحياة العراقية في تلك الفترة وخصوصاً في الموصل، وكذلك في بغداد، وتقول إن عائلتها كانت في الاصل تعيش في بغداد: (ولكن بسبب وباء الطاعون الذي انتشر في بغداد سنة 1804 مما جعل والدي يقرر

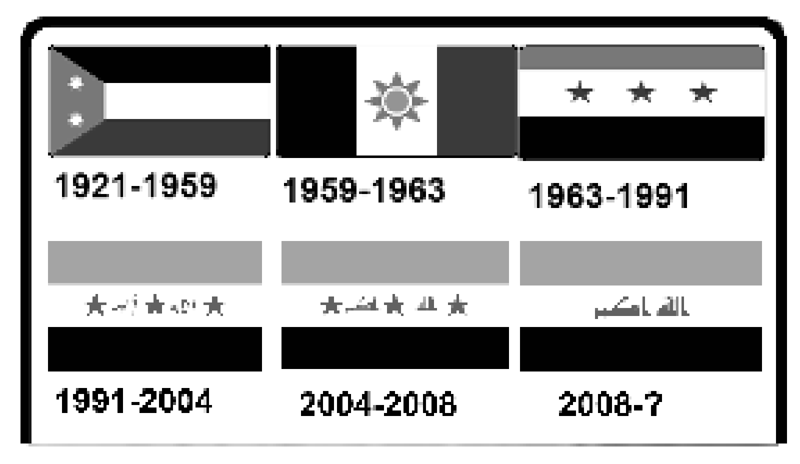
(55) ـ كتاب (مذكرات أميرة بابلية) صدرت الطبعة الثانية عام 2018 عن مؤسسة «شمس للنشر والإعلام» بالقاهرة. ترجمة وتحقيق الأديبة والتشكيلية البريطانية العراقية: أمل بورتر.

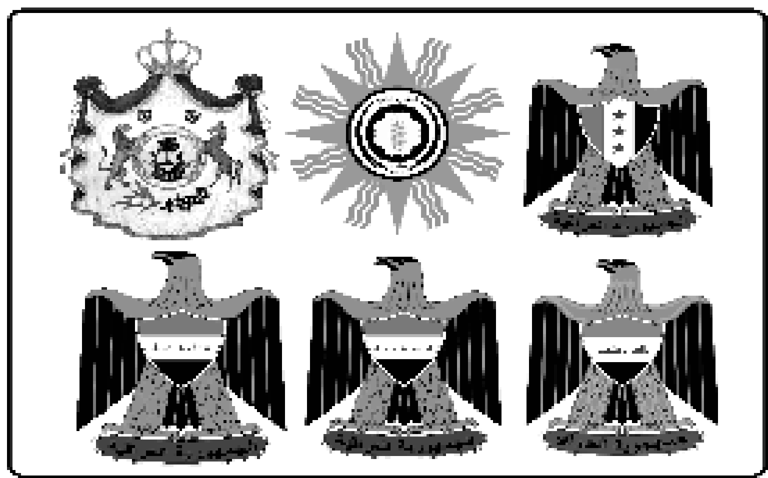
الرحيل والابتعاد بعائلته إلى الريف بقرب خرائب نينوى حيث كان يملك منزلاً كان يطلق عليه اسم قصر العزة. (في هذه الفترة وُلِدتُ في خيمة منصوبة في الصحراء ليست ببعيدة عن دار والدي). وهي لم تتنكر لأصلها، فتقول:

(إنني أفضل بساطة الإنسان الشرقي على مكر الإنسان الأوربي. كما أن البدوي القادم من الصحراء قد يضطر إلى قتلك بسبب الحاجة، ولكنه دائماً يلتزم بوعوده ولَكَ أن تثق به، لهذا دهشتي كانت عظيمة عندما كنت في روما التي تعتبر الينبوع الرئيسي للمسيحية، سمعت حكمة تقول: لا تثق بأحد حتى لو كان والدك)!

6

المرحلة الحديثة وإحياء الهوية العراقية





أوضح تعبير عن مدى اضطراب الدولة والهوية العراقية في هذه المرحلة الحديثة. انه خلال اقل من قرن، قد تغير علم وشعار العراق ست مرات متتالية، وحتى الآن ليس هنالك اتفاق عام عليهما!

الولادة الحديثة للعراق: الثروة والنقمة!



هذا المشهد يختصر هوية العراق في هذه المرحلة: النفط والماء!
لقد ظل العراق طيلة تاريخه يعيش على الماء، الذي هو سر حياته وحضارته، وايضا سر خرابه بسبب غزوات الطامعين.
وفي هذه المرحلة قد اضيفت اليه ثروة ونقمة جديدة: النفط!

إن الأوطان مثل البشر تولد وتنمو وتعيش شبابها وازدهارها، ثم تهرم وتتعب وتموت، ثم بعد حقبة تولد مرة جديدة، بهيئات وربما أيضاً بأسماء جديدة.

هكذا (الأمة العراقية) بدأت تولد من جديد بعد (حقبة موات) دامت حوالي سبعة قرون، والتي أعقبت سقوط بغداد 1258 على يد المغول ونهاية الدولة العباسية، وهي آخر دولة عراقية في المرحلة العربية الإسلامية. وقد تراجعت الحياة والثقافة في العراق إلى حد كبير، حتى أوائل القرن العشرين، حيث بدأ المخاض الفعلي عند الحرب العالمية الأولى. لقد لعب الجيش الإنكليزي بعد طرد العثمانيين واحتلال العراق عام 1917، دور القابلة التي لم تكتف بإجراء عملية التوليد بل أرادت لقاء ذلك:

الاستيلاء على المولود وامتلاك ثرواته الموروثة وجعله خادماً مطيعاً لها مثلما فعلت بباقي مستعمراتها!!

الحرب العالمية الأولى ومعنى التقدم والتحضر؟!



اسرى الجيش العثماني في بغداد 1918

إن أخذ فكرة عامة عن هذه الحرب، وعلاقتها بجوهر (الحضارة الغربية: الأوربية ـ الأمريكية)، ضروري جداً لفهم أحداث (العراق) وعموم المنطقة والعالم، في العصر الحديث:

يبدو أن تاريخ العالم يثبت لنا مرة أخرى وأخرى سذاجة الفكرة السائدة القائلة: بأن البشرية أفراداً ومجتمعات تسمو أخلاقها وينشط ضميرها، كلما تحضّرت وتقدمت بالمعارف والعلوم..

لكن التاريخ يصر على القول بأن هذه الفكرة (مجرد أسطورة رومانسية) تعبّر عن حلمه الأزلي ببلوغ المجتمع الأسمى. إذ أية جردة تاريخية سريعة تبين أن البشرية، مهما تقدمت وتحضرت، لن تزيد إلاّ من (جبروتها) وتطوير تقنياتها السلمية والحربية، المفيدة والمميتة، وتعقيد حياتها. أما (الأخلاق والضمير، وكل ما يتعلق بالخير والشر) فإنها أمور تماماً خارج (حالة التخلف والتحضر)، لأنها (طبيعية وغريزية) وجزء من حتميات وقوانين الطبيعة البشرية، كحال النوم والجوع والشهوات والميلاد والموت... إلخ.

إن الخالق قد حتم على البشرية، أفراداً ومجتمعات، أن تحمل إلى الأبد في داخلها (شياطينها وملائكتها)، وأن جوهر حياتها وسبب وجودها، هو (الخوض في كل لحظة، مع الذات ومع الآخر)، هذا الصراع الأزلي بين هذه الثنائيات المتضادة

الأبدية: الخير والشر، الظلام والنور، المعلوم والمجهول، الصحة والمرض، المحبة والضغينة، الكذب والصدق، القسوة والرحمة، الميلاد والموت... إلخ. وأن أقصى ما يمكن إنجازه وتعديله من قبل الإنسان والمجتمع، تغيير النسبة الغالبة للطرفين: في أحسن المجتمعات والحالات سترتفع نسبة الخير والصحة والمحبة إلى 60%، ونسبة الشرّ والمرض والضغينة تنخفض إلى 40%. أما في أسوأ المجتمعات والحالات وأكثرها تخلفاً ووحشية فإنها في أتعس حالاتها ستكون النسبة معاكسة.

إن المثال الأوربي يثبت لنا تماماً هذه الفكرة:

فهاهي (أوربا) التي نجحت منذ عصور النهضة والأنوار والثورة الصناعية، أن تخلق أعظم الحضارات جبروتاً وسطوعاً، لتصبح زعيمة العالم في جميع المجالات التقنية والاقتصادية والحربية والفلسفية والأدبية والفنية ووو... لكنها رغم ذلك، رقمياً وعملياً، تعتبر أكثر حضارات التاريخ ارتكاباً لجرائم الإبادة والاستعمار والاستعباد، بل هي أولى الحضارات التي بلغ بها هوس التفوق، بحيث إنها نفت صفة (البشر) عن سكان قارتي أمريكا وافريقيا، وشرعنت إبادة شعوب بكاملها (هنود أمريكا وأستراليا)[1]. وقامت بـ (صيد) ما بين (12 ـ 20) مليون إنسان أفريقي جرى رمي الكثير منهم في البحر بسبب ضعفهم، واستعباد الباقين واعتبارهم أقل من قيمة الحيوان[2]. وهي أكثر الحضارات حتى الآن التي شنت حرباً بلا هوادة على الطبيعة لاستغلال ثرواتها وتخريبها، بحيث إنها قضت على الجزء الأعظم من الغابات والأحياء والنباتات ولوثت الأرض والسماء بأضعاف الأضعاف مما تمكنت البشرية جمعاء من التلويث طيلة التاريخ!

هاهي (الحرب العالمية الأولى) أكثر الحروب دموية وتدميراً في تاريخ البشرية

(1) ـ عن جرائم الحضارة الأوربية:
ـ الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني: الأب مايكل برير.
ـ عن إبادة سكان قارة أمريكا الأصليين، فإنه خلال قرن (بين 1400 ـ 1500) انخفض عدد السكان من حوالي 50 مليون إلى 5 ملايين:
ـ Courrier International, Hors ـ série « Fiers d'être indiens » juin ـ juillet ـ août 2007, p. 19

(2) ـ ابحث بالعربي أو الإنكليزي والفرنسي عن: تجارة العبيد عبر الأطلسي: Atlantic slave trade

(طبعاً الحرب الثانية فيما بعد قد فاقتها) نشبت أساساً بين بلدان أوربا الغربية نفسها التي كانت هي بالذات الأكثر تحضراً وتقدماً من باقي أوربا. انفجرت في 28 تموز 1914 وخمدت في 11 تشرين الثاني 1918. شارك فيها أكثر من سبعين مليون عسكري، 60 مليون منهم أوربيون (والباقون من أمريكا وكندا وأستراليا). لقي حوالي 10 ملايين عسكري وسبعة ملايين مدني مصرعهم نتيجة الحرب، مع حوالي عشرين مليون جريح ومعاق. وبسبب هذه الحرب والخراب الذي تسببت به، حصلت الإبادة الجماعية بسبب (الإنفلونزا الأسبانية عام 1918)، التي قتلت ما بين 50 و100 مليون إنسان في جميع أنحاء العالم. وبسبب هذه الحرب، اندلعت ثورات وانتفاضات دموية في أنحاء أوربا ما بين 1917 ـ 1923 في العديد من الدول المشتركة.

وبلغ حينها التطور المعرفي والتخطيطي والحسابي والعقلاني والضميري عند الأوربيين، أنهم بعد نهاية الحرب اتخذوا أكثر القرارات والمواثيق عنجهية وتعصباً وتخلفاً، بحيث إنهم هيئوا بعد حوالي عشرين عاماً لاندلاع (حرب عالمية ثانية) هي الأسوأ والأهول بدرجة تفوق الخيال.

الولادة العسيرة للعراق



نساء عراقيات في عشرينيات القرن الماضي

بعد محاولات لتقاسم العراق والشام بين القوتين المستعمرتين (فرنسا وإنكلترا) ضمن اتفاقية (سايكس بيكو)، وبعد انتفاضة شعبية عنيفة عام 1920 قام بها العراقيون

ضد الاستعمار الإنكليزي، اضطر الإنكليز إلى الإقرار بالأمر الواقع والموافقة على تأسيس الدولة العراقية الحديثة في (23 آب 1921) بزعامة الملك الحجازي (فيصل بن حسين)، التي جمعت الولايات العثمانية الثلاث: بغداد والبصرة والموصل. وهذه الولايات الثلاث تمثل القسم الأكبر الأساسي والطبيعي من (وادي النهرين) كما انوجد في التاريخ منذ الفترة المسمارية والآرامية والإسلامية حتى العثمانية. ففي زمن الدولة العثمانية مثلاً كان ولاة بغداد دائماً هم المتحكمين رسمياً وواقعياً بولايتي البصرة والموصل.

وكما بيّنّا في الفصل السابق أن جميع الإمارات الكردية التي قامت في المناطق الكردية العراقية، مثل (بهدينان) (إمارة بابان) و(إمارة سوران)، كانت تابعة لوالي بغداد، وأن محاولة (داود باشا ـ 1832) الشهيرة بتكوين دولة عراقية مستقلة عن العثمانيين هي أكبر دليل على روح الاستقلالية العراقية الطبيعية.

تجدر الإشارة إلى أن مساحة العراق في هذه المرحلة قد خضعت لحالة تقلص كبيرة من جميع حدوده. فلو قارنا حدوده الحالية مع الحدود التاريخية الجغرافية لبلاد النهرين المعروفة أيام العراق القديم وأيام العباسيين، وحتى أيام العثمانيين، للاحظنا أن الكثير من مناطقه قد ضمت إلى البلدان المجاورة، خصوصاً من ناحية الشرق حيث المناطق التي ضمت إلى إيران، والتي تشكل جزءاً جغرافياً وسكانياً وتاريخياً من سهل النهرين: (بلاد الأحواز عبادان والحويزة) مع (حلوان) شرق الكوت.

هل حقا ان العراق قد اصطنعه الانكليز؟



الجيش الهندي-البريطاني برئاسة الجنرال (مود) عند دخول بغداد 1917

وهي مقولة تعد من من اكبر الجرائم الثقافية السياسية التي اشاعها القوميون العروبيون وتبناها الكردويون وكل اعداء العراق. وهذا اجحاف بحق التاريخ والجغرافيا، التي تتفق على ان هذا الوطن الذي فرضته الطبيعة حول (دجلة والفرات) فيه تأسست اول دولة وحضارة في التاريخ. وحتى الذين احتلوه خضعوا لشروط الجغرافيا وتعاملوا معه ككيان سكاني وثقافي وسياسي موحد من اعالي نينوى حتى خليج البصرة ومن جبال زاغاروس حتى بادية الشام. ودام هذا الوضع حتى نهاية الاحتلال العثماني. اما الانكليز فقد استمروا مثل سابقيهم، بل هم بالعكس اقتطعوا اجزاء من حدوده الطبيعية. فهم حرصوا على حرمانه إلى حد أقصى من أي منفذ بحري، من خلال اقتطاع منافذه وسواحله في الكويت والأحواز. بالاضافة الى حرمانه من ثروات نفطية هائلة. وهذا قرار مقصود واستراتيجي خوفاً من نهوض العراق من جديد وأخذه لدوره السياسي والحضاري المعتاد عبر التاريخ.

المتغيرات والثورات في العراق الحديث



انتفاضة 1920 التي اجبرت الانكليز على الاسراع
بتكوين الدولة الملكية في 1921

إن (الثورة) مثل أية حالة (ولادة) مصحوبة بالألم والدم. لكن غاية الولادة، هي (المولود)، وليس آلام المخاض. لهذا فإنه خاطئ ذلك الاعتقاد السائد بأن (الثورة) هي (العنف والدم)، بل هي (المولود)، أي (الدولة والمجتمع الجديد). فكما أنه ليس كل وجع ونزيف يعني الولادة، كذلك ليس كل حالة عنف تعني الثورة.

إن مقياس (الثورة) بما (تتمخض عنه)، أي مجموع المتغيرات الضرورية والكبرى التي تحدث في تكوين وبنية وجوهر المجتمع والدولة، من النواحي الثقافية والاجتماعية والسياسية. إنها أشبه بالتغيير الذي يحدث في تكوين وجوهر الإنسان حينما ينتقل مثلاً من عمر (المراهقة) إلى عمر (الشباب)[3].

عموماً إن (عنف الثورات) يكون بمختلف الوسائل: التمرد الشعبي أو الانقلاب العسكري أو الحرب الخارجية. أما في حالة العراق، فإنه بعد الحرب العالمية الأولى

(3) ـ هنالك نوع من الثورات شبه السلمية تتمثل بحصول متغيرات اجتماعية وثقافية وحياتية كبرى، لكنها تبقى على الدولة والطبقة الحاكمة القديمة التي تقبل بالتعديلات الداخلية. وهذا يحصل عادة نتيجة تراكم متغيرات وإصلاحات بطيئة مع توالي الأجيال وحدوث اكتشافات تقنية جديدة ومتغيرات اقتصادية وبيئية وخارجية تفرض التغيير: (مثل تغير إيجابي أو سلبي بالمناخ، أو ظهور طريق تجاري جديد، أو ظهور أو اختفاء دولة قروية قريبة..). من الأمثلة في العصر الحديث على الثورة شبه السلمية: (الثورة البيضاء ـ بالفارسية: انقلاب سفيد) التي اضطر للقيام بها (شاه إيران) عام 1963 تقليداً لما حصل في مصر وفي العراق بعد عام 1958، فتم إقرار (إصلاح زراعي) نقل إيران إلى مجتمع حديث.
كذلك ما حصل في أعوام الثمانينات والتسعينات في البلدان الشيوعية السوفيتية والصين، عندما أنجزت (ثورتها السلمية الجذرية) بالانتقال من النظام الشيوعي إلى الرأسمالي.

والاحتلال الإنكليزي، امتزج عامل الحرب الدولية مع الانتفاضات الشعبية في أنحاء الوطن، والتي أطلق عليها مبالغة (ثورة العشرين). ولكن الثورة الحقيقية قد حصلت في بنية وتكوين العراق كله: انتهاء الاحتلال العثماني بنظامه العتيق ومجتمعه وثقافته التقليدية، ليحل المجتمع والثقافة والدولة العراقية الحديثة والمستقلة محله، (رغم جميع النواقص والعيوب التي سنذكرها).

إذن من المهم تمييز (الثورات الحقيقية) التي عاشها العراق في هذه المرحلة، وعدم خلطها بالانتفاضات العنفية والشعبية والانقلابات العسكرية الكثيرة. على هذا الأساس يمكن تسجيل تغييرين جذريين حقيقيين يستحقان تسمية (ثورة):

الثورة الأولى: 1914 ـ 1921 التي تمخضت عن المرحلة الحديثة (1921 ـ 2003)

بدأت مع دخول جيش الاحتلال الإنكليزي ونهاية الدولة العثمانية، ثم الانتفاضة العشائرية عام 1920، وتكوين الدولة العراقية الملكية عام 1921. ولكن للأسف إن هذا (المولود الجديد) منذ البداية، قررت (القابلة الإنكليزية) جعله معوقاً بتشويه كبير، خلق له الكثير من المصائب والحروب؛ لقد تعمّدوا جعل الدولة بغالبية مؤسساتها وقياداتها ـ وخصوصاً العسكرية ـ بيد (العرب السنّة) على حساب (الشيعة والأكراد)، أو بتفصيل أكثر طائفياً (سيطرة السنّة، وتهميش الشيعة). وقومياً (سيطرة العرب وتهميش الأكراد والتركمان وغيرهم). طبعاً هذه اللعبة جزء من السياسه الاستعمارية الإنكليزية والأوربية القائمة على أساس (فرّق كي تهيمن) وذلك بتفضيل أقلية وعزل الأكثرية.

وقد انقسمت هذه المرحلة إلى فترتين:

ـ الفترة الملكية (1921ـ 1958) التي سيطر فيها (التيار المعتدل: الملكي القومي وشبه الليبرالي) المدعوم من رجال الدين المسلمين واليهود والمسيح، مع ملاكي الاراضي، والمرتبط بمصالح بريطانيا.

ـ الفترة الجمهورية (1958 ـ 2003) التي سيطر فيها التيار الثوري اليساري بقسميه: القومي (العروبي والكردوي) والشيوعي. الطرفان اتفقا على شعارات الاشتراكية ونظام الحزب الواحد وتبرير العنف الثوري.

الثورة الثانية عام 2003 التي تمخضت عن (الفترة ما بعد الحديثة)

من الخطأ الجزم بأن: (الثورة) تعني (التغيير نحو الافضل)، بل يمكن ان تعني (التغيير نحو الأسوأ). صحيح ان (الثورة) هي (التغيير الجذري) ولكن مثلما الانسان قد ينتقل الى عمر (شباب) في وضع أسوأ من وضعه في (عمر المراهقة) السابق، كذلك الأمم. وهذا ينطبق تماما على (العراق) ما بعد 2003.

وهي تستحق تسمية (ثورة.. لكن نحو الأسوأ)، لانها مرحلة جديدة دولتياً[4] وحزبياً واجتماعياً وثقافياً، أدت إلى قطيعة شبه تامة مع (المرحلة السابقة: الملكية والجمهورية). وهي ايضا مثل المرحلة السابقة بدأت بـ(قابلة استعمارية) تمثلت بـ (جيوش الاحتلال الأمريكي ـ الإنكليزي) التي قامت بإنهاء الدولة القديمة: (الملكية ثم الجمهورية، المهيمن عليها من قبل السنّة العرب) لتسلمها الى: (الشيعة والاكراد). وهذه المرة حرصوا على أن يكون (المولود الجديد) مشوها بعَوَقٍ أكبر وأخطر اجتمعت فيه كل عيوب التاريخ. إذ سلموا الدولة لـ(تيار جديد!) تم صنعه من قبل الانكليز والامريكان (بتواطؤ ايراني ـ خليجي) خلال عملية (تخصيب وتلقيح) لقيادات ونخب الاحزاب والمثقفين المعارضين في الخارج، لينجبوا مولودا هجينا مشوها يمكن تخيله بـ: لحية اسلامية وعمامة كردية حولها عقال خليجي مع بدلة مارينز امريكي، ويجلس على منبر عاشوراء ليلقي محاضرة عن الماركسية!!

أي انه بصورة علمية يمكن وصفه بـ: (تيار الفاسدين والعملاء) المغطى بالتعصب الاسلامي الشيعي والسنّي والقومي الكردوي، المدعوم من بقايا الشيوعيين.

* * *

(4) ـ دولتياً بمعنى (مكونات الدولة بجميع مؤسساتها، وليس فقط الحكومة التي تقودها).

المرحلة الملكية. الجمهورية



قادة دولة العراق الحديث بين 1921 و2003. من اعلى اليسار: الملوك: فيصل الاول، غازي، فيصل الثاني. ثم الرؤساء: عبد الكريم قاسم، عبد السلام عارف، عبد الرحمن عارف، احمد حسن البكر، صدام حسين

في عام 1914 اندلعت الحرب العالمية الأولى، ودخل الجيش البريطاني إلى البصرة قادماً من الهند وبمشاركة الكثير من الهنود. صاحب ذلك طغيان مياه نهر دجلة، وغرق الأقسام الجنوبية الشرقية من المدينة. عام 1916 تقدم الجيش البريطاني بقيادة الجنرال (ستانلي مود) واحتل مدينة الكوت المحاذية لبغداد. وفي عام 1917 دخل الجيش الإنكليزي إلى (بغداد) بقيادة الجنرال مود في 11 آذار. وبداية الاحتلال البريطاني ونهاية الفترة العثمانية.

انتفاضة الشيخ محمود الحفيد البرزنجي



الشيخ محمود الحفيد، وسط شخصيات من جنوب العراق

وهو من شيوخ الطريقة القادرية ومن عشيرة (برزنجة الكردية) التي تعتقد بنسبها إلى (الإمام موسى الكاظم)، حيث يوجد في قرية (برزنجة) مرقد جدهم (السيد عيسى). ويرتدون عمائم سوداء ولهم احترام كبير بين الناس. في عام 1919 اندلعت انتفاضته في السليمانية الكردية شمال العراق بقيادة (الشيخ محمود) وكان متحالفاً مع العثمانيين وشاركهم في البصرة عام 1914 في مواجهة زحف الجيش الإنكليزي، ثم بعد الاحتلال أعلن استقلال (شهرزور ـ السليمانية)، لكن انتفاضته فشلت وحكم عليه الإنكليز بالإعدام، ثم استبدلوه بالنفي للهند. وبعد سنتين تقريباً، اضطر الإنكليز إلى إعادته إلى السليمانية واستمر تمتعه بنوع من الحكم الذاتي حتى عام 1936 حين أعاد الإنكليز توحيد المملكة العراقية.

انتفاضة العشرين (وقد شاع اسمها مجازاً: ثورة العشرين)

إن الإنكليز ما كانوا مدركين للوضع العراقي، فلم يتفهموا التنوع القومي (عرب ـ أكراد ـ تركمان ـ سريان) ولا التنوع المذهبي (شيعة ـ سنة) ولا التنوع العشائري والثقافي. عام 1920 حصل انفجار انتفاضة العشرين (في شهر حزيران) ضد الاحتلال الإنكليزي. بدأت بوادر الانتفاضة في الاختمار شيئاً فشيئاً، بداية من اغتيال بعض القادة الإنجليز في النجف وبعض مناطق العراق. وكان رجال القبائل وشيوخها يلتقون فيما بينهم ومع السلطات الإنجليزية لتسيير شؤون البلاد، وكانت روح المقاومة تغلي في

نفوس رجال القبائل حتى اندلعت ثورة العشرين أو ثورة الفرات الأوسط. وكانت بداية هذه الثورة قد حدثت في (الرميثة ـ محافظة المثنى) عندما ثارت قبائل (بني حجيم) لتحرير شيخهم (شعلان أبو الجون) وهاجمت مقر الحاكم وخلَّصت شيخها بقوة وفتكت بحرسه في حزيران 1920. وكانت هذه الحادثة هي الشرارة الأولى للثورة. سيطر الثوار على مقاليد الأمور في المسيب وكربلاء والنجف ومعظم مدن الفرات الأوسط، وراحوا يشكِّلون سلطات محلية لحفظ الأمن.

وقد بارك هذه الانتفاضة مراجع الشيعة في كربلاء والنجف. وانتشرت في بعقوبة وديالى وأربيل وكركوك وسيطر الثوار على هذه المدن، ثم انضمت بغداد والفلوجة وحديثة للثورة، وعمَّت مدن العراق كلها. أخذت النجدات الإنكليزية تتوالى حتى وصل عدد القوات المحتلة إلى 133 ألف جندي، وبدعم جوي وبحري. وبعد عدة أشهر من القتال المستمر نجح الإنكليز في السيطرة على العراق مرة أخرى وهدأت الثورة، بعد إعلان العفو عن الثوار والوعد بتأسيس حكومة عراقية. استشهد في الثورة ما بين 6000 إلى 10000 من العراقيين، ومقتل 500 من الجنود البريطانيين والهنود. بعد قمع انتفاضة العشرين، اضطرت بريطانيا إلى تكوين إدارة عراقية شبه مستقلة من أجل تسيير الأمور دون مواجهة مباشرة مع العراقيين.

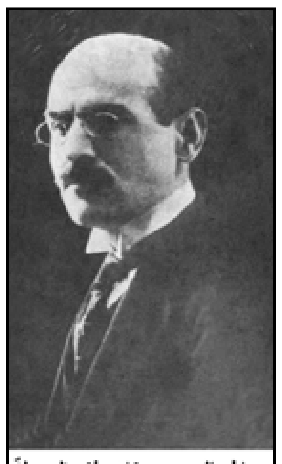
قيام الدولة الملكية العراقية:(1921 ـ 1958)
واختيار (فيصل الهاشمي الحجازي) ملكا



الملك فيصل الاول، وعلى يمينه لورنس العرب، وعلى يساره نوري السعيد مع اللبناني رستم حيدر، وآخرين

عام 1921 في 23 آب تم ذلك بعد مماحكات وألاعيب كثيرة قامت بها (مس بيل) السيدة الإنكليزية الماسكة للملف العراقي. ونجحت بترتيب اختياره بدلاً من منافسيه: طالب النقيب، من أعيان البصرة. والشيخ خزعل الكعبي البصري، أمير الأحواز. ورغم أن (فيصل) لم يكن عراقياً، إلاّ أنه كان رجلاً حكيماً مثقفاً. قرَّب المثقفين ورجال الدين وجهد من أجل إحياء (الهوية الوطنية) الجامعة وتوحيد العراقيين من خلال تقريب الشيعة والأكراد والتركمان والسريان واليهود والصابئة إلى جانب إخوتهم السنّة، وإشراك جميع الفئات في إدارة الدولة.

التيارات الحزبية ـ الثقافية التي قادت هذه الفترة الملكية



ساطع الحصري، كان مفكر المرحلة الملكية، . من اصل سوري وتربية عثمانية تركية، وعاش في اليمن وليبيا واليونان وتركيا، ثم اشرف على تأسيس مناهج التربية والتعليم في العراق، والقائمة على اساس الفكر القومي العروبي

بعد صدمة غزو نابليون لمصر ثم الشام (1798 ـ 1801م) بدأت النخب في مختلف المجتمعات العربية والعثمانية (الأفندية)، تبحث عن الأفكار الإصلاحية وتبَّني الحداثة الأوربية. وكان العراق من بين أوائل البلدان التي دخلتها ثقافة الإصلاح العثمانية (كما بينا في الفصل السابق). وكانت النخبة العسكرية والمدنية العراقية التي تحالفت مع الملك فيصل ومع الإنكليز، من هؤلاء الإصلاحيين الحداثيين. وهم

الذي أسسوا الدولة العراقية الحديثة وشيدوا البنية التحتية الحديثة للعراق اجتماعياً وتقنياً ودراسياً وثقافياً. وقد تدَعَّم هذا التيار أكثر في أوساط العشرينات بتجربة (كمال أتاتورك) العلمانية الجذرية في تركيا.

وتمكن هذا التيار من التفاهم مع التيار التقليدي الديني (رجال الدين الشيعة والسنّة) الذي لم يتمكن من تشكيل تيار ديني حزبي نشط (مثلا على غرار حزب الإخوان المسلمين في مصر). وقد نجحت نخبة الدولة في التخفيف من حدة الحساسيات الطائفية بين الشيعة والسنة، إذ جهد الملك إلى سد النقص الكبير في المشاركة الشيعية في أجهزة وقيادات الدولة بالإضافة إلى المشاركة الكردية، لكنها بقيت مشاركات محدودة مقارنة بنسبة (السنة العرب) الطاغية. وهنالك سببان متداخلان لهذه المشكلة: الحساسية العثمانية للسنّة ضد الشيعة وربطهم بالخطر الإيراني. وكذلك دور رجال الدين الشيعة، وخصوصاً الإيرانيين بتحريم مشاركة أبناء الطائفة في (الدولة السنية)، ليبقوا ضعفاء تابعين لإيران[5]!

وكان التيار الحداثي يجهد للمواءمة بين الميول (القومية العروبية) المعادية للعثمانيين بقيادة العائلة الهاشمية، والميول (الوطنية العراقية) التي تنظر إلى الواقع العراقي المتنوع قومياً: أكراد وتركمان وسريان، وخصوصاً بالنسبة لمشكلة الميول القومية الكردية المتنامية.

أهم أحداث هذه الفترة

ويمكن تسجيل الأحداث التالية المهمة خارجياً وداخليّاً التي حصلت في هذه الفترة وحددت مسارها:

ـ عام 1924 أي بعد ثلاثة أعوام من قيام حكومة الزعيم (مصطفى كمال) في تركيا، واختيار (أنقرة) كعاصمة لتركيا بدلاً من (إسطنبول)، أعلن عن الحركة الإصلاحية

(5) ـ هنالك مصادر عديدة تفصل هذه المعلومات:
ـ الشيعة والدولة القومية: حسن العلوي.
ـ لمحات اجتماعية: علي الوردي.
ـ تاريخ الحركة الإسلامية في العراق: عبد الرحيم الرهيمي.
ـ الشيعة: سمير نقاش.

الجذرية على الطريقة الغربية: إلغاء الخلافة العثمانية، وطرد الخليفة وأسرته من البلاد، وإلغاء وزارتي الأوقاف والمحاكم الشرعية، وتحويل المدارس الدينية إلى مدنية، وإعلان تركيا دولة علمانية. كذلك إجراءات شكلية عديدة، مثل منع المدارس الدينية والأذان والشوارب، وإحلال السدارة بدلاً من العمامة! وقد أصبح (كمال أتاتورك) وحركته الإصلاحية العلمانية رمزاً ونموذجاً لغالبية العسكريين والإصلاحيين والسياسيين والمثقفين في العراق والعالمين العربي والإسلامي، وقد حاول تقليده الكثيرون.

ـ عام 1925 انقلاب في إيران قام به الجنرال (رضا شاه بهلوي) الذي أنهى حكم السلالة (القاجارية التركمانية)، وغيَّر اسم (بلاد فارس) إلى (إيران)، وأسس (الشاه رضا بهلوي) حكماً ديكتاتورياً إصلاحياً غربياً متأثراً بإصلاحات (كمال أتاتورك) في تركيا، وأشاع فكرة (القومية الفارسية) القائمة على (معاداة العرب والإسلام) والدعوة إلى إعادة أمجاد ملوك فارس وإمبراطورياتهم.

عام 1925 الأحواز العربية ـ العراقية تُحتل من قبل إيران



قام الجيش الإيراني باحتلال إمارة (الأحواز ـ عربستان) وأسر الشيخ (خزعل الكعبي) الذي توفي في الأسر الإيراني عام 1936. وكانت هذه العملية الاحتلالية بالتوافق مع بريطانيا والمخطط الغربي القاضي بحرمان العراق من موانئه الطبيعية ومنابع النفط في الأحواز. وخصوصا بسبب التخوف من الزيادة الكبيرة بنسبة الشيعة حيث إن أهل الأحواز عرب شيعة ومتطابقون تماماً مع عشائر الأهوار والجنوب، وهذا العامل المعتم عليه يفسر لماذا تواطأ العثمانيون ثم الملكيون مع ايران!

ـ عام 1930 تولى نوري السعيد منصب رئاسة الوزراء في (23 آذار)، وقد لعب طيلة الفترة الملكية دوراً أساسياً في قيادة الدولة العراقية، حيث أصبح رئيساً للوزراء 14 مرة.

ـ عام 1932 انتهاء الانتداب البريطاني، والاعتراف باستقلال المملكة الهاشمية العراقية، وقبوله عضواً في عصبة الأمم المتحدة.

ـ عام 1933 وفاة فيصل الأول ملك العراق في (8 أيلول) جراء أزمة قلبية في سويسرا، وتولي ابنه غازي الحكم من بعده، وهنالك من يعتقد أن الملك فيصل قد تم تسميمه بسبب إصراره على إحياء الهوية العراقية.

ـ عام 1936 انقلاب العقيد (بكر صدقي) وهو (كردي بغدادي) ذو ميول وطنية إصلاحية، بالتنسيق مع السياسي (حكمت سليمان) (تركماني بغدادي)، وقد دامت حكومة الانقلاب أقل من عام، حيث تم اغتيال (بكر صدقي) من قبل عملاء الإنكليز.

ـ عام 1939 وفاة الملك غازي الأول في حادث سيارة في 4 نيسان، وتنصيب (عبد الإله الهاشمي) خال الملك وصياً على العرش؛ لأن (فيصل الثاني) لم يبلغ سن الرشد، وهنالك من يعتقد أن الملك غازي قد تم اغتياله من قبل الإنكليز بسبب تقربه من الألمان.

انفجار الحرب العالمية الثانية في ايلول 1939، والعراق رغماً عنه ضمن المعكسر الإنكليزي ضد الألمان!

هي أكبر وأعنف حرب في تاريخ البشرية، بدأت عام 1939 في أوروبا وانتهت في 2 أيلول 1945، وجرت بين طرفين: قوات الحلفاء (الإنكليز والفرنسيين ثم الروس والأمريكان)، ودول المحور (ألمانيا إيطاليا واليابان). شارك فيها مباشرة أكثر من 100 مليون جندي من أكثر من 30 بلداً، واستخدمت فيها لأول مرة القنبلتان الذريتان على (هيروشيما وناغازاكي) في اليابان، وكلفت هذه الحرب ما بين 50 و85 مليون قتيل، وقد ارتكبت ضد (اليهود) أبشع الجرائم والمحارق التي أبادت الملايين منهم، وقام الغربيون بالتعويض عن جرائمهم الوحشية ضد اليهود بتقديمهم (فلسطين) هدية مجانية لتأسيس (إسرائيل) التي تقوم بدور الوحش الأوربي الأمريكي للانتقام من الفلسطينيين والعرب، (لأنهم لم يشاركوا بمحرقة اليهود)!!

ـ عام 1941 انقلاب رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني وسمي مبالغة (ثورة مايس)، وهروب الوصي، وتشكيل الكيلاني لوزارته الجديدة والتي سميت بحكومة الإنقاذ الوطني في شهر (مايس/ آيار) وذلك أثناء الحرب العالمية الثانية، ويعتبر الكيلاني مقرباً من الألمان، وتمكن الجيش البريطاني من خلال قواعده العسكرية في العراق من إسقاط الحكومة وإعادة الاحتلال.

ـ عام 1948 مشاركة الجيش العراقي في الحرب العربية الإسرائيلية الأولى بعد إعلان دولة إسرائيل على أرض فلسطين عام 1947م، وضياع فلسطين واندحار الجيوش العربية.

ـ عام 1952 قيام (ثورة يوليو- تموز المصرية) وهي انقلاب عسكري قام به تنظيم الضباط الأحرار في الجيش المصري بزعامة اللواء محمد نجيب وقيادة البكباشي جمال عبد الناصر، ثم ألغيت الملكية وأعلنت الجمهورية في 18 حزيران 1953، وهذه الثورة العسكرية المصرية كان لها دور حاسم في دفع الضباط العراقيين إلى تنظيم أنفسهم من أجل الإطاحة بالنظام الملكي.

ـ عام 1953 استقالة عبد الإله الهاشمي عن وصاية العرش، واستلام (الملك فيصل الثاني ابن الملك غازي) عرش العراق، وكان عمره (18 عاماً).

ـ عام 1953 انقلاب عسكري في إيران ضد (حكومة مصدق) الوطنية التي أمَّمت شركات النفط الغربية، وكان الانقلاب من إعداد المخابرات الأمريكية.

ـ عام 1955 إنشاء (حلف بغداد) وهو أحد الأحلاف التي شهدتها حقبة الحرب الباردة، للوقوف بوجه المد (الروسي السوفيتي الشيوعي) في الشرق الأوسط، وكان يتكون من العراق وبريطانيا وتركيا وإيران وباكستان. وكانت الولايات المتحدة الأمريكية هي صاحبة فكرة إنشاء هذا الحلف حيث وعدت بتقديم العون الاقتصادي والعسكري.

ـ عام 1956 اندلاع حرب السويس، أي ما يسمى بالعدوان الثلاثي الذي شنته (بريطانيا وفرنسا وإسرائيل) ضد مصر، إثر قيام جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس، وقد قدم الاتحاد السوفيتي إنذاراً ضد الدول المعتدية، وانتهت الحرب بانسحاب الجيوش واعتبار عبد الناصر منتصراً، ولعبت هذه الحرب دوراً كبيراً في بروز ناصر باعتباره بطلاً قومياً عروبياً، ودفع الحركة المعادية للوجود الاستعماري ورفض الملكية.

ـ عام 1957 في 9 آذار قيام (جبهة الاتحاد الوطني) بين الحزب الشيوعي

والحزب الوطني الديمقراطي وحزب البعث وحزب الاستقلال. أما (حزب البرزاني الكردي) فقد دخل الجبهة فقط بالتحالف مع الحزب الشيوعي، وصدر بيان الجبهة الأول وفيه أهدافها: تنحية وزارة نوري السعيد وحل المجلس النيابي، والخروج من حلف بغداد، وإطلاق الحريات الديمقراطية في البلاد، وإلغاء الإدارة العرفية وإطلاق سراح السجناء، وقد نسقت هذه الجبهة مع تنظيم الضباط الأحرار للإعداد للانقلاب العسكري.

ـ عام 1958 في 14 شباط، تشكيل الاتحاد العربي ويعرف أيضاً بـ (الاتحاد الهاشمي)، وهو اتحاد غير اندماجي بين المملكة العراقية والمملكة الأردنية الهاشمية، وعضويته مفتوحة لكل دولة عربية. في 19 آيار 1958 شكلت أول حكومة للاتحاد.

ـ عام 1958 في 22 شباط قيام (الجمهورية العربية المتحدة) أي الوحدة الاندماجية بين (مصر وسوريا)، وكانت هذه التجربة الوحدوية رداً على تجربة الاتحاد بين العراق والأردن، وكان لها أيضاً دور مهم في دعم التيار العروبي في العالم العربي وفي العراق خصوصاً، وتشجيع العسكريين العراقيين على التمرد ضد النظام الملكي من أجل الانضمام لهذه الوحدة، وهذا ما حصل في انقلاب تموز 1958.

قيام الجمهورية: 1958 ـ 2003

التيارات الحزبية ـ الثقافية والفترة الجمهورية

ظل (التيار الحداثي، شبه الليبرالي) منذ الحقبة العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية (1945).

ولكن بعد نهاية الحرب، بدأ تياران جديدان يساريان ينتشران بقوة بين النخب العراقية:

التيار (القومي: العروبي والكردي)



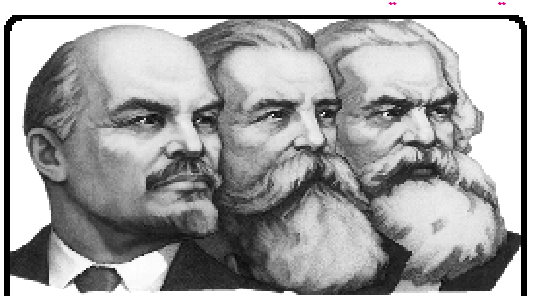
الرئيس المصري جمـــال عبد الناصر، وزعيم حزب البعث، السوري ميشيل عفلق، كانا اهم رموز التيار العروبي في هذه الفترة.

بالنسبة للتيار (العروبي ـ البعثي) فإنه كان يأتي من بلاد الشام، ثم تعزز في الخمسينات بالتجربة العسكرية المصرية وزعامة جمال عبد الناصر، والعدوان الثلاثي على مصر عام 1956، ثم زاد هيمنة مع قيام الوحدة المصرية ـ السورية عام 1958، وتنامي سمعة الثورة الجزائرية ضد الفرنسيين[6].

أما التيار (القومي ـ الكردي) فكان زمن العثمانيين يتغذى على الدعم الإنكليزي، ولكن في هذه المرحلة تلقى الدعم خصوصاً من المعسكر الشيوعي والسوفيتي؛ لأن (الملا مصطفى البرزاني) كان مقيماً في الاتحاد السوفيتي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بعد مشاركته في تجربة كردية إيرانية فاشلة، كذلك لأن معظم قادة الحزب الشيوعي العراقي كانوا من الأكراد.

(6) ـ نجلب الانتباه إلى أننا نميز بين (الانتماء القومي الطبيعي إلى العرب أو إلى الأكراد، وباقي القوميات، كبشر وتاريخ وثقافة ولغة) و(الانتماء القومي السياسي) المحمَّل بالكثير من الطروحات العنصرية وشحن التعصب ضد القوميات الأخرى.
نحن شخصياً (المؤلف) نعلن دائماً انتماءنا الطبيعي والتاريخي والعائلي إلى (عرب العراق) وإلى جميع الشعوب العربية. ولكننا نرفض الأحزاب القومية التي ساهمت بتمزيق شعوبنا وشحن الأحقاد القومية. وكما سبق وأن كتبنا: نحن مع العرب، وضد العروبة.

التيار الماركسي الشيوعي



الذي اكتسب شعبية كبيرة بعد انتصار الاتحاد السوفيتي في الحرب وبروزه قوة عالمية معادية للاستعمار، وظهور الرئيس السوفيتي (ستالين) كزعيم عالمي منقذ! وقد تحول الحزب الشيوعي العراقي الى اكبر حزب عراقي (جماهيري ونخبوي) وفي عموم الشرق الاوسط.رغم العداء المعلن بين التيارين (الشيوعي والقومي العروبي) بخصوص (فلسطين والوحدة العربية وعبد الناصر)، إلاّ أنهما اتفقا على: الحلول الجذرية الثورية والاشتراكية، ورفض الملكية، وإدانة الديمقراطية (التسيب الليبرالي!) ومناهضة الاستعمار، وتشجيع العنف والكفاح المسلح، ودعم الانقلابات العسكرية.

التحالف الانتهازي والصراع الدامي، بين التيارين

منذ أعوام الخمسينات بدأ هذان التياران يسيطران على الغالبية الساحقة من النخب العراقية الثقافية والسياسية والعسكرية وتمكنا من الإزاحة شبه التامة للتيار الحداثي وخصوصاً قسمه الملكي الإنكليزي، وكذلك الإزاحة الكاملة لدور رجال الدين والفكر الديني عن التأثير على النخب العراقية.

يمكن اعتبار (انقلاب 14 تموز 1958 العسكري) تعبيراً عن نجاح (التحالف العدائي المؤقت: جبهة الاتحاد الوطني 1957) بين هذين التيارين، والإعلان عن بدء سيطرتهما المطلقة على مقدرات الأمور في الوطن، ثم أعقب ذلك دخول العراق

في (صراع سياسي ـ عسكري ـ ثقافي) وحشي دامٍ وهمجي بين هذين التيارين، وقد استعانا في حربهما الضروس هذه بكل مخابرات ومؤامرات ومؤسسات إعلام وثقافة المعسكرين العالميين المتصارعين (السوفيتي والغربي). فأصبح العراق طيلة الحقبة الجمهورية ساحة للصراع الإقليمي والعالمي من خلال أحزاب وقوى هذين التيارين.

وظل هذان التياران متحكمين بالوضع العراقي دولة وشعباً بصورة مطلقة طيلة الفترة الجمهورية حتى أعوام الثمانينات، حيث بدأ بروز التيار الديني الحزبي (الشيعي خصوصاً ثم السنّي)، وأخيراً بعد الاجتياح الأمريكي عام 2003 تم القضاء شبه التام على هذين التيارين (الشيوعي ـ والقومي) وسيطرة التيارين الديني، ثم صعود بطيء للتيار الحداثي الوطني بجميع تنوعاته.

انقلاب تموز عام 1958 العسكري وقيام الجمهورية



كان بقيادة (الزعيم عبد الكريم قاسم) ذي الميول الشعبية اليسارية، مع حليفه (العقيد الركن عبد السلام عارف) ذي الميول القومية الناصرية، وبدعم من (جبهة الاتحاد الوطني: الشيوعية ـ البعثية) و(الجمهورية العربية المتحدة: مصر وسوريا) وكذلك الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي.

لا زال حتى الآن العراقيون يتجادلون حول هل هو: (ثورة تموز الشعبية) أم: (انقلاب تموز الدموي)؟!

فمن ناحية إنه: (انقلاب عسكري ديكتاتوري دموي)، إذ في يوم الانقلاب تم الإعلان رمزياً عن افتتاح نهر الدم من خلال تصفية العائلة المالكة في بيتها: (الملك فيصل) وخاله (الأمير عبد الإله)، و(الملكة نفيسة) جدة الملك و(الأميرة عابدية) أخته، مع الطباخ التركي والمرافقين، وبعد يومين تم قتل رئيس الوزراء (نوري السعيد) وابنه (صباح)، ثم الشروع بما سمي بـ (محكمة المهداوي) التي راحت تعدم وتحكم بتعسف على قيادات العهد السابق.

ومن ناحية ثانية، هنالك (الجانب الثوري) المتمثل بإنجازات إصلاحية ضرورية:

قانون الإصلاح الزراعي الذي قضى على الإقطاع ووزع الأراضي على الفلاحين. كذلك إسكان المهاجرين الجنوبيين في بغداد وبناء مدينة الثورة، وإصدار قانون رقم (80) لتحديد ملكية شركات النفط في أرض العراق، وتشييد المؤسسات التربوية والصحية والرياضية. أما على الصعيد الخارجي، فإن السياسة الحكومية كانت معادية للاستعمار الغربي والتقرب من المعسكر الشيوعي، وكذلك دعم حركات التحرر وبالذات (الثورة الجزائرية).

ـ عام 1959 محاولة انقلاب العقيد الشواف في شمال العراق (كركوك والموصل)، والحكم بالإعدام على أعضاء تنظيم الضباط الوطنيين (قوميين عروبيين ناصريين) وتنفيذ الحكم في ساحة أم الطبول.

ـ عام 1961 إعلان تمرد (الملا مصطفى البرزاني) الزعيم القومي الكردي، وهو أيضاً شيخ الطريقة النقشبندية في شمال العراق، ضد الحكومة الجمهورية، بسبب الإصلاحات الزراعية وضرب مصالح الإقطاع.

ـ في 28 أيلول عام 1961 انقلاب عسكري في دمشق وإعلان فسخ الوحدة بين مصر وسورية، وإعلان سوريا عن قيام الجمهورية العربية السورية، بينما احتفظت مصر باسم الجمهورية العربية المتحدة.

عام 1963 انقلاب 8 شباط من قبل مجموعة من الضباط في حزب البعث



هذه الصورة تعبير مباشر عن العقلية التي سادت هذه الفترة والمشابهة تماما لعقلية الفترة السابقة مع اختلاف الشكل: عقلية خضوع احزاب وقيادات العراق فكريا وسياسيا لقيادات من خارج العراق! لاحظ البعثي السوري (ميشيل عفلق:1) يجلس بكبرياء وحوله(تلاميذه!) قادة ما يسمى بالثورة: (عبد الكريم قاسم:2) و(عبد السلام عارف:3)!

حيث تم إعدام عبد الكريم قاسم واستلام عبد السلام عارف منصب رئاسة الجمهورية العراقية، وكان الانقلاب بدعم من مصر الناصرية، وتخلل الانقلاب عمليات قتل وسجن وتعذيب وحشي ضد الشيوعيين، وبعد أشهر تم انقلاب داخلي قاده عبد السلام ضد شركائه البعثيين بقيادة البكر، وجرت حرب شوارع بين الطرفين أدت إلى مقتل الكثيرين.

ـ عام 1966 مقتل عبد السلام عارف في حادث سقوط طائرة هليكوبتر مساء 13 نيسان 1966، ويعتقد أنها حادث مدبر من قبل خصومه، وتولى أخوه (عبد الرحمن عارف) مقاليد الحكم في العراق بعد التصويت عليه من قبل مجلس الوزراء.

ـ عام1967 مشاركة الجيش العراقي في الحرب العربية الإسرائيلية الثانية (حرب حزيران 1967)، وكانت خسارة كبرى للجيوش العربية، حيث استولت إسرائيل على النصف المتبقي من فلسطين (الضفة الغربية)، وكذلك الاستيلاء على (الجولان السورية) وسيناء المصرية، وتدمير الجيش المصري وطيرانه بالكامل، وقد أطلق عليها (نكسة حزيران).

عام 1968 في 17 تموز انقلاب البعثيين



تعيين أحمد حسن البكر رئيساً للجمهورية العراقية

الجمهورية

انقلاب عسكري في العراق

تشكيل مجلس قيادة ثورة يتولى السلطة التشريعية والتنفيذية وسلطات رئيس الجمهورية

طائرة عسكرية خاصة تحمل عبد الرحمن عارف إلى خارج العراق

وصول عارف إلى لندن بعد توقفه في اسطنبول لمدة ساعتين

٤ عسكريين عراقيين يحيطون بعارف لمنعه من الاتصال بالصحفيين

بالتعاون مع العسكريين القوميين، تمت إقالة الرئيس (عبد الرحمن عارف) وتعيين (العقيد أحمد حسن البكر) بدله، ورغم الطابع الديكتاتوري والقمعي لهذا الحكم البعثي الجديد، إلاّ أن النخبة الحاكمة كانت تميل إلى نوع من الإصلاح الجذري وتحسين أوضاع العراق، حيث جرت بعض المنجزات المهمة، مثل تحسين الإصلاح الزراعي وقوانين لصالح العمال والتنمية الصناعية والتربوية، وقد تمت الاستفادة خصوصاً من ارتفاع أسعار النفط عالمياً بعد حرب تشرين 1973.

ـ عام 1970 الرئيس أحمد حسن البكر والملا مصطفى البرزاني يعلنان في 11 آذار عن اتفاقية الحكم الذاتي للأكراد.

ـ عام 1970 ثم تأميم نفط العراق في الأول من حزيران.

ـ عام 1972 التوقيع على معاهدة الصداقة مع الاتحاد السوفيتي في 9 نيسان، التي شكلت عاملاً مهماً في علاقة النظام مع الحزب الشيوعي العراقي ومع دول العالم، وخصوصاً المعسكر الاشتراكي، وشهد العراق تنمية ورخاء اقتصادياً خلال أعوام السبعينات.

ـ عام 1973 مشاركة الجيش العراقي في الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة (حرب

تشرين ـ أكتوبر)، ومساعدة سوريا ودعمها وقطع النفط عن الدول الغربية، وقد انتهت الحرب بتحرير قناة السويس فقط، والفشل بتحرير باقي الأراضي المحتلة.

ـ عام 1973 قيام الجبهة الوطنية بين حزب البعث الحاكم والحزب الشيوعي، وتعيين وزراء شيوعيين.

ـ عام 1974م بداية تردي العلاقات مع إيران، بسبب تشجيع شاه إيران للملا البرزاني على التمرد ضد الحكومة العراقية.

ـ عام 1975 اتفاقية العراق مع إيران والتفاوض بشأن تنازلات بخصوص الخلاف الحدودي، على أن تتوقف إيران عن دعم تمرد البرزاني، وسميت (اتفاقية الجزائر)، وقد تنازل (صدام حسين) بموجبها إلى إيران عن نصف شط العرب (الضفة الثانية)، وكذلك (الأحواز) ومدينة (المحمرة) بالذات.

ـ عام 1978، شنَّت حكومة البعث حملات القمع ضد الحزب الشيوعي حليفهم في الجبهة الوطنية وتوتر العلاقات مع الاتحاد السوفيتي، وبدء تحول العلاقات التجارية نحو الغرب.

ـ عام 1979 قطع العراق علاقاته الدبلوماسية مع إيران، نتيجة خلافات على سيادة دولة الإمارات العربية المتحدة على الجزر الثلاث «جزيرة أبي موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى» بعد انسحاب القوات البريطانية منها، وتوتر العلاقات العراقية الإيرانية.

ـ عام 1979 استقالة أحمد حسن البكر من رئاسة جمهورية العراق لظروفه الصحية وتسليم السلطة لنائبه صدام حسين في 16 تموز 1979، وقيل: إن (البكر) قد أجبر على الاستقالة ثم مات مسموماً من قبل صدام عام 1982.

مجيء صدام وانحدار العراق نحو أعماق جهنم


البكر يذيع بيان انقلاب تموز 1968 وفي اقصى اليسار يقف صدام حسين ضمن الحماية لانه كان مسؤلا عن (جهاز حنين) العنفي الصدامي!

يصح القول: إن العراق قد بدأ يصعد بصعوبة وزحف منذ تكوين دولته الحديثة عام 1921، ولكنه فجأة بانقلاب 14 تموز 1958 العسكري المتطرف، بدأ الانحدار في هاوية الصراع والدم، وقد حاول البعثيون بقيادة (البكر) إيقاف هذا الانحدار ومحاولة الصعود من خلال بعض الإصلاحات والتحالفات الداخلية والخارجية، لكن فجأة خرج شيطان الشر الأكبر من قمقمه عام 1979 ممثلا بـ (صدام حسين) ليقود العراق سريعاً سريعاً نحو هاوية جهنم والحروب والدم والتي بلغت ذروتها بالاجتياح الأمريكي عام 2003.

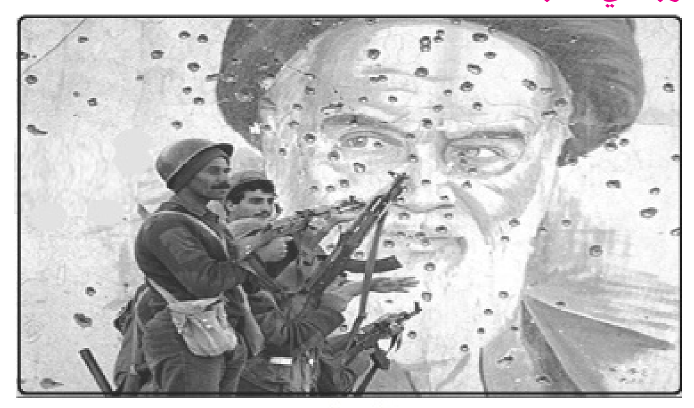
ـ عام (1979) في 22 تموز أعلن صدام إعدام العشرات من القياديين الكبار في حزب البعث بتهمة التحالف مع رئيس سوريا (حافظ الأسد)، وقد مات معظمهم تحت التعذيب، ومن أبرزهم: عبد الخالق السامرائي ومحمد عياش وعدنان الحمداني ومرتضى الحديثي والفريق الركن وليد محمود سيرت.

عام 1980 في شهر أيلول قيام الحرب العراقية الإيرانية (حرب الخليج الأولى): وكانت حرباً مدمرة للبلدين، استخدمت فيها جميع الأسلحة المسموحة والمحظورة وقتل وأسر وجرح فيها عدة ملايين، بالإضافة إلى تدمير البنية التحتية، وخسارة العراق خلال سنوات الحرب كل المليارات التي جناها من النفط منذ اكتشافه عام 1927.

ـ تدمير مفاعل تموز في 7 حزيران 1981: قام الطيران الإسرائيلي بتنفيذ (عملية أوبرا، أو بابل) بقصف المفاعل النووي العراقي (تموز)، بحجة أنه سينتج الأسلحة

النووية، وكان قد بدأ العمل ببناء المفاعل منذ أعوام الستينات، وفي عام 1976 اشترى العراق مفاعلاً نووياً من طراز «أوسايرس» من فرنسا، قتل في العملية 10 جنود عراقيين ومدني فرنسي واحد.

نهاية الحرب في 8 آب 1988



الجيش العراقي في الاحواز

بعد موافقة إيران على هدنة مع حكومة بغداد، اقترحتها الأمم المتحدة لوقف إطلاق النار بين الطرفين بقرار (598)، وقد اعتبرت الموافقة الإيرانية على السلام نوعاً من الهزيمة وانتصاراً عراقياً، وفيها قال (الخميني) مقولته الشهيرة:

(تباً لي لأني عشت حتى هذه اللحظة وشربت كأس السم بقبول هذا القرار)[7].

وبعد عشرة أشهر في 3/ 6/ 1989 توفي الخميني خائباً منتكساً، لكن إيران بسليقتها التاريخية الانتقامية لم تنس هذا السم وهذه الهزيمة، فنفذت شر انتقام من العراق دولة وشعباً، بفضل مشاركتها الأمريكان في الاحتلال بعد 2003. فقامت ميليشياتها بتصفية عشرات الطيارين العراقيين الذين شاركوا بتلك الحرب (وغالبيتهم من الشيعة)، وسلطت على العراقيين أشرس الوحوش والسراق والإرهابيين.

(7) - وردت هذه العبارة الشهيرة في نص كلمة الخميني التاريخية في 19 تموز 1988عشية موافقته على قرار أممي لوقف الحرب بعد أكثر من سنة على رفضه.

حرب الخليج الثانية والنظام العالمي الجديد!



ـ عام 1989 سقط جدار برلين الفاصل بين النظامين الشيوعي والرأسمالي، وبدأت عملية انهيار المعسكر الاشتراكي ونهاية الاتحاد السوفيتي (الذي كان حليفاً كاملاً لنظام صدام حسين). إذ في 26/ 12/ 1991 أعلن مجلس السوفييت الاعتراف باستقلال الجمهوريات السوفيتية السابقة.

ـ عام 1990 في 2 آب قرار صدام باجتياح الجيش العراقي للكويت واحتلالها وضمها وإلغاء جميع السفارات الدولية فيها، واعتبارها المحافظة 19، واستمر لمدة 7 شهور.

كانت هذه الخطيئة القاتلة التي منها بدأ تدمير النظام ومعه العراق بكامله. إن طيش صدام منعه من إدراك الحقيقة الساطعة: أن انهيار الحليف السوفيتي والمعسكر الاشتراكي، يعني انتصاراً ساحقاً للمعسكر الرأسمالي الأمريكي والإسرائيلي، ومن الرعونة مواجهته وإعطاؤه السبب كي يحول العراق إلى (كبش فداء) لهذا الانتصار التاريخي الكبير.

وليس صدفة أنه في هذه الأزمة الدولية ظهر مصطلح (النظام العالمي الجديد) الذي استخدمه الرئيس الأمريكي (جورج بوش) في خطابه في (11 أيلول 1990) بمناسبة إرسال القوات الأمريكية إلى الخليج، وتحدث عن: «عصر جديد»، و«حقبة للحرية»، و«زمن للسلام لكل الشعوب»، وهذا في الحقيقة إعلان عن (نظام القطب

الأمريكي الغربي الواحد) بدلاً من (نظام القطبين، الشيوعي والرأسمالي) السابق.

ـ في 16/ 1/ 1991 بدأت (حرب الخليج الثانية)، مع الهجوم الأمريكي على العراق وعملية (عاصفة الصحراء) لتحرير الكويت، وتعرضت بغداد لقصف جوي أمريكي عنيف، وإلقاء كمية كبيرة من المتفجرات (بما فيها نووية صغيرة) على بغداد وضواحيها، وتهديم معظم الأبنية الحكومية ومصانع الجيش العراقي وقطع الطرق والجسور وإلغاء مرافق الحياة المدنية من كهرباء وماء وهواتف أرضية، وإرجاع بغداد لعصر ما قبل النهضة، وفقدان الكثير من الأرواح، وتدمير البنية التحتية للاقتصاد العراقي، وردَّت حكومة بغداد على القصف الجوي بعدة صواريخ سكود ضربت بها مدينتي الظهران والرياض في السعودية وأهدافاً داخل إسرائيل، وانتهت الحرب بانسحاب دموي للقوات العراقية من الكويت في 24 شباط 1991، حيث بدأت قوات الائتلاف توغلها في الأراضي الكويتية وبعد 3 أيام تمت إعادة السيطرة على الكويت.

ـ عام 1991 اندلاع (الانتفاضة الشعبانية) في الجنوب رداً على دور الحكومة في هزيمة الجيش العراقي في الكويت، وقد بدأها الجنود المهزومون ومعهم الكثير من المواطنين بمحاصرة إدارات الدولة والمطالبة بإسقاط النظام. كذلك شاركت بها عناصر من (فيلق بدر) التابع للمجلس الأعلى الإسلامي ومقره إيران، ثم في شمال العراق تحركت أيضاً ميليشيات البيشمركة الكردية، وشملت الانتفاضة أربع عشرة محافظة من أصل ثماني عشرة. لكن تم إبادتها بتدخل عسكري وقصف جوي، سمح به الأمريكان، خوفاً من نجاح الانتفاضة وقيام نظام وطني خارج سيطرتهم.

ـ بدء الفترة المظلمة من كل النواحي الوطنية والإنسانية، حيث تم تطبيق الأمم المتحدة للحصار التام على العراق وتجويع شعبه من أجل إسقاط الديكتاتور، واستمرار أمريكا بقصفها للعراق بين حين وآخر، وانخفاض قيمة العملة، وهجرة الشباب والكوادر خارج العراق.

ـ عام 1991 في تشرين الثاني انسحاب الجيش العراقي من المحافظات الكردية الثلاث، بسبب حظر الطيران العراقي من قبل القوات الأمريكية، وبدء تشكيل إدارة كردية ذاتية تحت حماية أمريكية.

حرب ام الكمارك الكرديه . الكرديه

عام 1994 ـ 1996 اندلعت حرب أهلية دامية بين ميليشيات (الطلباني) وميليشيات (البرزاني) أدت إلى تقسيم فعلي للمنطقة الكردية، وقد أطلق عليها اسم (حرب أم الكمارك) بسبب النزاع على تقاسم أموال الكمارك بين الحزبين، وكلفت هذه الحرب مئات الآلاف من القتلى والجرحى والمفقودين من الأكراد، وفي 22 آب 1996 اتفق (مسعود البرزاني) مع (صدام حسين) على دخول الجيش العراقي إلى (أربيل) لطرد ميليشيات (الطلباني) وتسليم المعارضين العراقيين لمخابرات النظام، ولم يتم الصلح بين الطلباني والبرزاني إلاّ بضغط أمريكي، بعد سقوط نظام صدام حسين عام 2003.

المشكلة الكردية

نرجو معاينة الخارطة الملونة والمفصلة في ظهر الغلاف الاخير

في هذه المرحلة استفحلت مشكلة وضع الاكراد في الدولة العراقية الجديدة. وقد دخل عامل جديد الا هو القوى الاستعمارية الاوربية ثم اسرائيل وامريكا فيما بعد، بالاضافة الى دول المنطقة. وقد جهدت جميع هذه القوى من اجل تعقيد هذه المشكلة ومنع حلها حتى الآن، من خلال دعم القيادات الكردية واستخدامها لاضعاف الدولة العراقية. ومازالت وسيلة للعب والابتزاز لابقاء العراق مضطربا في حالة احتراب ونزيف، والاكراد ضحايا دائمين لتجار الحروب.

وليس الدعم المالي والعسكري وحده يساهم بديمومة هذا الاحتراب، بل هنالك ما هو اخطر الا وهو (الدعم الثقافي) من قبل مؤسسات اسرائيلية ودولية تعمل على (تزييف تاريخ الاكراد وعموم الشرق الاوسط) كما عملت بالضبط مع (تاريخ فلسطين). ومحور هذا التزييف يتركز على خلق (تاريخ كردي خيالي) يدعي ان جميع دول وحضارات المنطقة هي (كردية): السومريون والاشوريون والميديون والفرس والحيثيون.. الخ.. بل (آدم) نفسه هو (كردي)، وان العراقيين عبارة عن (عرب بدو همج) أتوا من الصحاري وحطموا (الحضارة الكردية) التي هي اولى واكبر واشمل الحضارات العالمية.

مثقف عراقي كردي يفضح ثقافة التزيف والتعصب

((لو تصفح واحدنا كراسات التاريخ الكردي التي دونِها القوميون الكرد سيجد أسماء ك(بدرخان ومير محمد كور ويزدان شير) وسواهم، وصولاً إلى (سمكو)، تحتل مكانة بارزة منقوشة بآيات التبجيل والتقدير، بوصفهم أبطالاً قوميين، فيما هم كانوا قتلة سفاحين أهلكوا عشائر وقبائل معادية وجماعات مغايرة. إقليم كردستان ليس ملكية الكرد وحدهم. كان، في الأصل، موطن السريان والآشوريين الذين لم يتقلص حجم حضورهم ومدى وجودهم إلا لأنهم تعرضوا للمهالك والمجازر، في (أورمية) و(سلماس) و(نوهدرا) و(أربيل) و(زاخو)، هذا من دون أن نعرج على (الدور المرعب) للعشائر الكردية في (الفتك بالأرمن) في (حملات الإبادة) التي شنتها عليهم الدولة التركية في كل الولايات التي يشكل الكرد الآن غالبيتها. كانت (قارص وموش وديار بكر وألازغ وأورفة نصيبين وطور عابدين ومناطق هكاري)، وسواها، موطن الأرمن والسريان.))...[8]

نزار آغري: مقال بعنوان: (الجانب غير اللائق من التاريخ الكردي) جريدة الحياة 16 نيسان2017

مشروع (امبراطورية كردستان الكبرى)
وحقيقة (معاهدة سيفر: Treaty of Sèvres)!

دائما وفي جميع كتب التاريخ الحديث التي تتحدث عن (مشروع دولة كردستان الكبرى) تستند الى هذه الحجة الدولية القانونية الدامغة: ان (معاهد سيفر: عام 1920) التي اقرها الحلفاء لتقاسم تركة (الدولة العثمانية) بعد هزيمتها في الحرب العالمية الاولى، قد اقرت (انشاء دولة كردية)!

(8) ـ لمن يرغب بمعرفة دور اغوات ومرتزقة الاكراد في ذبح المسيحيين الارمن والسريان، ليبحث في الانترنت وخصوصا في ويكيبديا عن العناوين التالية: ـ الإبادة الجماعية للأرمن/ مذابح سيفو/ مجازر ديار بكر (1895)

وهذا نصف الحقيقة، والنصف الثاني تم تحريفه تماما، فيما يخص نقطتين خطيرتين: (تسمية دولة) و (اين تتواجد)؟![9] من المعلوم بأن (المادة 3 ـ كردستان: SECTION III. KURDISTAN) وتحتوي على الفقرات (62 و63 و64) هي التي تحدد بالضبط هذا الموضوع الذي تم تشويهه تماما من قبل الاطراف المتعصبة، لانه:

1ـ لا يتحدث ابدا عن (مشروع دولة كردية) بل يقول حرفيا: (local autonomy) أي (حكم ذاتي). بينما بالنسبة لـ (ارمينيا) فان (المادة 88) تقول حرفيا:

(الاعتراف بان ارمينيا دولة حرة ومستقلة: recognises Armenia as a free and independent State)

2ـ ان حدود هذا (الحكم الذاتي الكردي) في داخل تركيا الحالية. حيث تم بصورة واضحة تماما تحديدها كالتالي: من الجنوب حدود العراق (الذي تسميه المعاهدة: بلاد النهرين: Mesopotamia) وسوريا. ومن الشمال ارمينيا ومن الشرق نهر الفرات، ومن الغرب ايران.[10]

(9) ـ عن معاهدة سيفر، من الغريب انه رغم كل هذا التهويل عن هذه المعاهدة، فانه حتى الآن، حسب علمنا، لم يتفضل احدهم بترجمتها الى العربية؟؟ وكأنما الأمر مقصود كي تستمر هذه الاكذوبة!! رغم انها منشورة في الانترنت بمختلف اللغات الاوربية. العنوان الانكليزي:

_ Treaty of Peace Between The Allied & Associated Powers and Turkey Signed at Sevres _ August 10, 1920

(10) ـ يبلغ الخبث بالكثير من الاعلام العربي وحتى ويكيبيديا العربية والاجنبية بانها تخدع القراء بالقول بأن: ((معاهدة سيفر، اقرت ضم الموصل الى مشروع دولة كردستان.)) وذلك بالخلط بصورة مخادعة بين نص المعاهدة الحقيقي مع نص تصريح (شريف باشا) العضو في (جمعية صعود كردستان) (Kürdistan Teali Cemiyeti) القومية الكردية في ذلك الوقت. علما بأن المادة 3 قد حددت بصورة قطعية بأن حدود (بلاد النهرين) هي حدود شمال ولاية الموصل مع تركيا وشرقا مع فارس. فتقول حرفيا:

3. With Mesopotamia: Thence in a general easterly direction to a point to be chosen on the northern boundary of the vilayet of Mosul, a line to be fixed on the ground; thence eastwards to the point where it meets the frontier between 12Turkey and Persia,

خارطة معاهدة سيفر 1920 (11)



معاهدة سيفر 1920، والتي قرر فيها الحلفاء تقسيم الدولة العثمانية: من الغرب منحوا مناطق كثيرة الى اليونان.

اما من الشرق والجنوب عند حدود ايران والعراق وسوريا فكان التقسيم كالتالي:

- حدود سوريا تشمل مدن: (عورفا: نصيبين) و(عينتاب) و(الاسكندرونة) وهي حاليا ضمن تركيا.
- العراق يكون بحدوده الحالية مع زيادة جبلية محدودة محاذات ايران.
- تكوين دولة كردية حول مدينة(ديار بكر) على دجلة، ومفصولة عن تركيا بنهر الفرات ولا تشمل أي جزء من سوريا او العراق بل فقط ضمن تركيا الحالية.
- اعطاء كل شرق شمال تركيا الى دولة (ارمينيا) ويشمل حوالي (بحيرة فان) ومدن (ارضروم) و(طرابزون) على البحر الاسود.

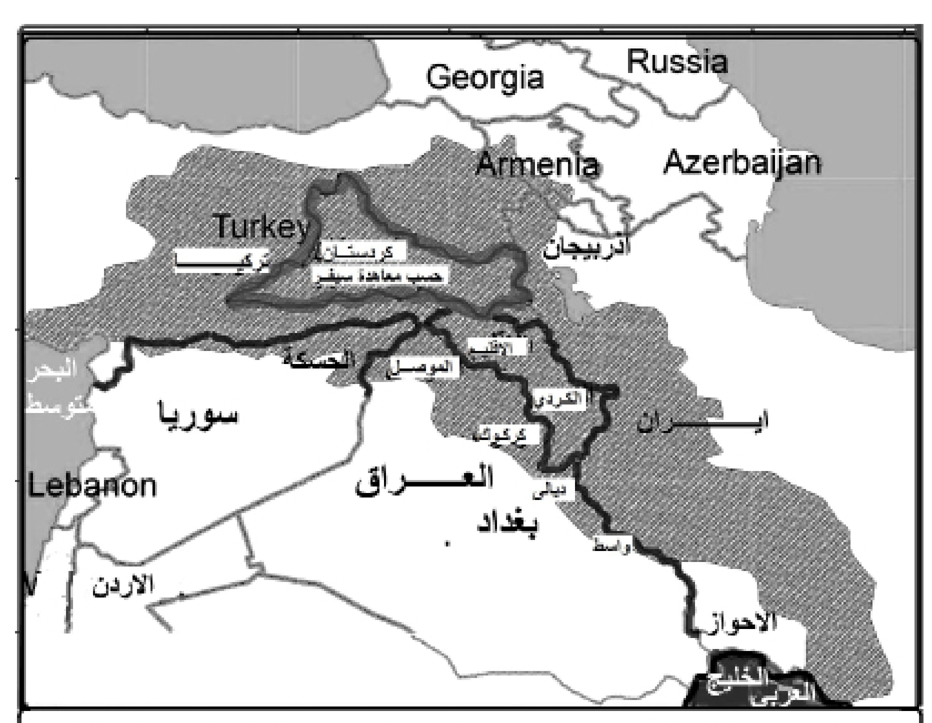
علما بأن هذا التقسيم اعتمد على عاملين:

1- النسبة السكانية واللغة السائدة.
2- الحدود الطبيعية: جبال وانهر

ولهذا فأن مناطق التواجد الكردي في شمال العراق وسوريا بقيت ضمن البلدين لعدم وجود حدود طبيعية تساعدها على الانفصال.

بالنسبة لخارطة سيفر، فانها متداولة في جميع اللغات، ابحث بالانكليزية:(Treaty of Sèvres map)

(11) - بالنسبة لخارطة سيفر، فانها متداولة في جميع اللغات في المواضيع التي تتناول المعاهدة. ابحث: (Treaty of Sèvres)



امبراطورية كردستان الكبرى، حسب مخيال القوميين الاكراد، ومساحتها اضعاف(كردستان معاهدة سيفر)، حيث تمتد من الخليج العربي حتى البحر المتوسط:

- في العراق تضم اضعاف الاقليم الكردي: كل محافظات الشمال والشرق مثل الموصل وكركوك وديالى والكوت.. الخ..
- كل المناطق السورية محاذات العراق وتركيا،
- كل جنوب وشرق تركيا مع اجزاء من دولة ارمينيا
- كل غرب ايران واذربيجان

الفترة ما بعد الحديثة: 2003، ونظرية الفوضى الخلاقة!



الديمقراطية الامريكية فعلت من الخراب والهمجية في العراق بما يفوق ما فعله المغول. لقد دمروا الدولة والوطن والانسان، وسلطوا على العراقيين اسوء خلق الله من العملاء والفاسدين من جميع الطوائف والقوميات

من الآن فصاعداً، لا تهدف الحروب إلى تحقيق النصر، بل هي قبل كل شيء إلى المعاقبة وزعزعة الاستقرار، والتشرذم، وإلغاء القيمة السياسية، والإذلال، في ظل حكومة عالمية تكنو ـ مصرفية!

المستشار السياسي الأمريكي اليهودي (جورج فريدمان: George Friedman)[12].

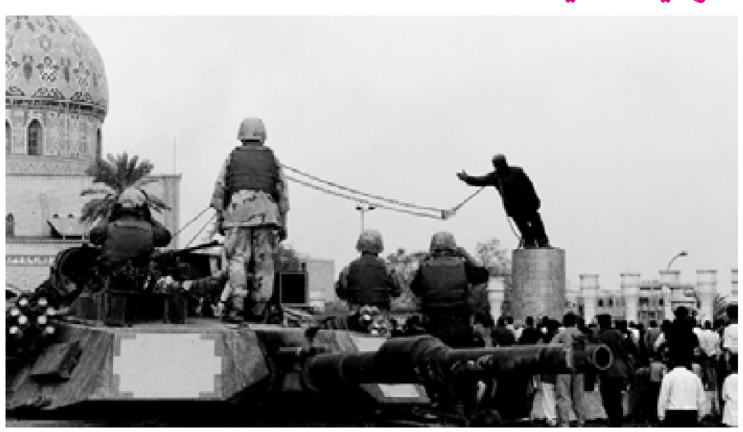
في 19 آذار ـ مارس 2003، اندلعت حرب الخليج الثالثة التي تم إعلانها من قبل (الرئيس بوش الابن). وفيها تم الاعلان لأول مرّة عن شعار (النظام العالمي الجديد) بعد انتهاء النظام العالمي السابق القائم على (القطبين: السوفيتي والرأسمالي)، ولا

(12) ـ مقولة فريدمان: ضمن البحث الكامل عن نظرية الفوضى الخلاقة:

ـ Le chaos créateur/ Jacques – Alexandre Mascotto/ erudit.org

نعلم هل هي صدفة أن يكون (العراق) (حجر الأساس) لهذا النظام القائم على (القطب الأمريكي الواحد)؟! كان الاجتياح الأمريكي 2003 (رصاصة الرحمة) التي أطلقها الجيش الغازي على (كيان العراق) الذي كان في رمقه الأخير، بعد سنوات طويلة من الحصار الوحشي المنظَّم.

الثورة العراقية الثانية!



كما حصل في الثورة الأولى (1917 ـ 1921) التي كانت فيها (بريطانيا) هي القابلة التي ساعدت على (ميلاد الكيان العراقي) المشوه طائفياً وقومياً، في هذه (الثورة الثانية) كانت (أمريكا) هي القابلة التي ساعدت على إنجاب (كيان عراقي جديد)، لكنه أيضاً وبدرجة أخطر يعاني من التشوه القومي ـ الطائفي!

بعد أن أزالوا (الدولة القومية ـ الطائفية) السابقة، ومعها دمروا الهرم الاجتماعي السابق وكذلك (الثقافة القومية الحداثية) المتحكمة في الدولة والمجتمع.

وكان من المؤمل والمعقول أن يحل محل هذا النظام القديم (نظام سياسي واجتماعي وطني حقيقي) تتمثل فيه جميع الطوائف والقوميات، ودعم (الثقافة الواقعية) النابعة من عقائد وميراث الشعب، بديلاً عن (الثقافة الحداثية القومية السطحية والشعاراتية) التي ظلت ولا زالت تلهث بدون جدوى، لتقليد النماذج الأوربية اليسارية والليبرالية.

لكن (نظرية الفوضى الخلاقة) تعارض من الأساس هذا الخيار الوطني والإنساني، فترى الأمريكان منذ البداية وقبل الغزو بعدة سنوات، خلقوا في الخارج (معارضة

عراقية) جمعوا فيها أسوأ ما في خلق الله من عملاء وقتلة وفاسدين: شيعة وأكراد وسنة ومسيحيين وتركمان وغيرهم. وكان الزعيمان الكرديان العنصريان (مسعود البرزاني) و(جلال الطلباني) هما المسؤولان الفعليان المكلفان أمريكياً ودولاريا بتنظيم ورشوة المعارضين العراقيين. وقد كان آخر مؤتمرات المعارضة: (مؤتمر لندن في 14 ـ 15 كانون الأول/ ديسمبر 2002) الذي اجتمعت فيه جميع الأحزاب والشخصيات:(الايرانية والخليجية واليسارية) التي دخلت مع جيش الاحتلال الأمريكي وقادت العراق، في سياسة مخططة لنشر الفساد والارهاب[13].

فبعد إسقاط (نظام البعث) والتدمير الكامل والرسمي للجيش والشرطة والدولة، تم تقسيم السلطة بين: (أحزاب إيران الشيعية الفاسدة)، و(الأحزاب الكردية العنصرية) وبصورة غير مباشرة مع (الجماعات الإرهابية السنيّة)، ثم أصدروا دستوراً تخريبياً تحت إشراف المستشار الأمريكي، اليهودي الأرثوذكسي (نوح فيلدمان Noah Feldman) شرعن التقسيم الطائفي والقومي العنصري. فتم الفصل العملي (للإقليم الكردي) بحيث يمنع فيه دخول العراقيين بدون فيزا، بينما هم يشاركون بقيادة الدولة ويحصلون على حوالي 17% من الميزانية مع بقاء ثروات الإقليم لهم. في نفس الوقت تمّ دفع (السنّة) إلى (تنظيمات الإرهاب) من خلال عزلهم وقمعهم وفتح الحدود بالتنسيق مع إيران، لدخول (إرهابيي القاعدة) من أفغانستان وعبورهم إيران إلى

(13) ـ لقد سبق مؤتمر لندن 2002، عدة مؤتمرات تحضيرية:
وقد حضرت الأحزاب التالية في مؤتمر لندن 2002:
المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق ـ المؤتمر الوطني العراقي ـ الحزب الوطني الآشوري ـ الحزب الإسلامي العراقي ـ حركة الوفاق الوطني العراقي ـ حركة الديمقراطية العراقية ـ الاتحاد الوطني الكردستاني ـ الحزب الديمقراطي الكردستاني ـ منظمة العمل الإسلامي ـ الحركة الوطنية العراقية ـ الحركة الملكية الدستورية العراقية ـ الجبهة التركمانية العراقية ـ الاتحاد الإسلامي التركماني العراقي ـ حزب كردستان ـ الحزب الشيوعي الكردستاني العراقي ـ حزب الدعوة الإسلامية ـ حزب الوطن العراقي ـ الحزب الديموقراطي الاشتراكي الكردستاني ـ المجلس الأعلى للإنقاذ الوطني ـ الحركة الديمقراطية الآشورية.
بالإضافة لمستقلين وسياسيين منتمين لحركات وأحزاب سياسة أخرى. كما حضر النائب الكويتي محمد الصقر، وزلماي خليل زاده مبعوث الإدارة الأمريكية لدى المعارضة العراقية، وديفيد بيرس عن وزارتي الخارجية والدفاع الأمريكيتين، وممثلون عن جهاز الأمن القومي الأمريكي ووزارة الخارجية البريطانية، وممثلون عن سفارات فرنسا والصين وبلجيكا واليونان والدنمارك، ولم تشارك روسيا، وغابت الدول العربية باستثناء الكويت.
أقر المؤتمر في ختام أعماله لجنة سميت بلجنة المتابعة والتنسيق تكونت من 65 شخصية أضيف إليها في وقت لاحق عشرة آخرين.

العراق. ثم بعدها خلقوا لهم (تنظيم داعش) ومساعدته على احتلال الموصل عام 2014. وكانت هذه حجة مقصودة لعملاء إيران وجيش أمريكا، لمحق هذه المدينة المقاومة عن الأرض!

هكذا فإن الوعد الأمريكي الرسمي (بإسقاط الديكتاتورية وتحقيق الديمقراطية) تبين أنه بالحقيقة قائم على (نظرية الفوضى الخلاقة: THE POLITICS OF CHAOS THEORY)[14] الذي على أساسه تحول العراق إلى ساحة مفتوحة للحروب الأهلية والتفجيرات والمجازر الطائفية شيعية ـ سنيّة، وتصفيات عنصرية كردية، وفساد ملياري نهب الأخضر واليابس، وسرقة عائدات النفط وتقاسمها بين إيران وأمريكا. مع تخريب حقود ومنظم للبنية التحتية، ودفع الملايين من شباب العراق الى الهجرة. والنتيجة أن حال العراق من جميع النواحي قد تراجع إلى أسوأ مما كان قبل القرن العشرين!

ويمكن تسجيل الأحداث التالية الخاصة بهذه الفترة الجديدة:

---

(14) ـ إن اعتماد نظرية (الفوضى الخلاقة) أعلنت عنه رسمياً الإدارة الأمريكية في خطاب وزيرة الخارجية (كوندوليزا رايس) عن (الشرق الأوسط الجديد)، في مؤتمر آيباك السنوي في 2005:
طالع مقال بالإنكليزي:
ـ The 'New Middle East' and its 'constructive chaos/ World Americas/10.8.2013
لكن المصطلح قديم وله جذور مختلفة. ويعتقد أنه وجد في أدبيات الماسونية القديمة. وأن الأمريكي (ديف فلمنگ) من كنيسة المجتمع المسيحي بمدينة پنسلڤانيا قد قال:
إن الإنجيل يؤكد لنا أن الكون خلق من فوضى، وأن الرب قد اختار الفوضى ليخلق منها الكون، وعلى الرغم من عدم معرفتنا لكيفية هذا الأمر إلا أننا متيقنون أن الفوضى كانت خطوة مهمة في عملية الخلق.
وهذا يعني الهدم، ومن ثم البناء، أي إشاعة الفوضى، وتدمير كل ما هو قائم، ومن ثم إعادة البناء حسب المخطط الذي يخدم مصالح القوى المتنفذة. كذلك استخدمه الأمريكي اليميني صامويل هنتنجتون ـ Samuel P. Huntington صاحب نظرية صراع الحضارات. وقد تلقفته مراكز البحوث والدراسات اليمينية واليهودية، وصار يعني باختصار: أنّه عندما يصل المجتمع إلى أقصى درجات الفوضى المتمثلة في العنف الهائل وإراقة الدماء، وإشاعة أكبر قدر ممكن من الخوف لدى الجماهير، فإنّه يُصبح من الممكن بناؤه من جديد بهوية جديدة تخدم مصالح الجميع.
طالع:
America's Failed Approach to Chaos Theory/ The Complexity Crisis in US Strategy/ Anthony H. Cordesman/ Arleigh A. Burke Chair in Strategy
ـ موقع المعرفة: الفوضى الخلاقة.
ـ الموسوعة السياسة: نظرية الفوضى الخلاّقة ـ Creative Chaos Theory.
ـ كيف يجري تنفيذ نظرية الفوضى الخلاقة، خالد عبد القادر أحمد، دنيا الوطن، 2011 ـ 2 ـ 15.
ـ الفوضى الخلاقة ثنائية الأنا والآخر، سعيد الحسين عبدولي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 11، تونس.

ـ عام 2003 بداية حرب الخليج الثالثة في شهر آذار، اجتياح الجيش الأمريكي واحتلال بغداد في التاسع من نيسان، وقد رافقت هذا الاجتياح عمليات نهب وتخريب للمتحف العراقي وسرقة آلاف الآثار.

ـ قيام الإدارة المدنية المؤقتة برئاسة (غي غارنر) والذي دخل بغداد في (21 نيسان)، ومن ثم تعيين (بول بريمر) في (6 آيار) رئيساً للإدارة المدنية وللإشراف على إعادة تعمير العراق، والذي أصدر مرسوماً بحل (حزب البعث) وإقصاء الآلاف من أعضاء الحزب من الدولة أي ما يسمى بسياسة (اجتثاث البعث)، ودعمت بقرار حل الجيش العراقي. في نفس العام تم تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة في (28 حزيران) لتحل محل سلطة الائتلاف الموحدة، ومجلس الحكم في العراق، وإدارة شؤون البلاد تحت إشراف الولايات المتحدة. كذلك في نفس العام في 13 كانون الأول القوات الأمريكية ألقت القبض على الرئيس السابق (صدام حسين).

ـ عام 2005: في 30 كانون الثاني، إجراء أول انتخابات (حرة!) مع مقاطعة الجهات السنية، وفي 3 آيار تم تشكيل أول حكومة عراقية منتخبة (ديمقراطياً!)، يسيطر عليها الشيعة، وفي 15 تشرين الأول وافق الناخبون على دستور جديد بتأييد قوي من جانب الأحزاب الشيعية والكردية، ومعارضة غالبية الأطراف السنية، وفي 15 كانون الأول تم انتخاب برلمان جديد، مع فوز الأحزاب الشيعية بالعدد الأكبر من المقاعد.

ـ بعد محاكمات تلفزيونية طويلة أثارت الأحقاد الطائفية، تم إعدام (صدام حسين) في 30/ 12/ 2006 وبعد توترات وتفجيرات وحوادث مأساوية عديدة، اندلعت الحرب الطائفية في 2006 إثر تفجير ضريح الإمامين (علي الهادي والحسن العسكري)[15] في سامراء، وتصاعد المواجهات مع الميليشيات والجماعات الإرهابية التابعة للقاعدة، وكلفت هذه الحرب مئات الآلاف من الضحايا (القتلى والجرحى والمشردين).

ـ آيار عام 2006 بعد انتخابات مزيفة، استلام (نوري المالكي) رئاسة الوزراء باسم حزب الدعوة، التابع لايران.

(15) ـ كان من الواضح ان تفجير (الضريح) كان من قبل القوتين المتحكمتين بالامن (الجيش الامريكي وميليشيات ايران)، من اجل تفجير الحرب الاهلية.

ـ عام 2007 تصاعد حدة الانفجارات والاغتيالات في المناطق الشيعية من قبل تنظيم القاعدة الاسلامي المتطرف. ومعهم منظمة (بلاك ووتر) الامريكية للحماية والاغتيال.

ـ آيار عام 2010 بعد انتخابات شكلية (نوري المالكي) يستمر برئاسة الوزراء.

ـ في شهر كانون الأول 2011 تم اكتمال انسحاب القوات الأمريكية من العراق، وقد تركز الوجود والتأثير الأمريكيين في (السفارة الأمريكية) الجبارة الضخمة في (بغداد) التي تضم ما يقرب من 15 إلى 16 ألف موظف.

ـ نيسان 2013: القوات العراقية تقتحم الساحة التي يعتصم فيها المتظاهرون السنة المناوئون للحكومة في مدينة الحويجة بمحافظة كركوك، الأمر الذي خلف أكثر من 50 قتيلا وأدى إلى حالة من الغضب واشتباكات في بلدات أخرى.

ـ تموز 2013: فرار أكثر من 500 سجين على الأقل، معظمهم أعضاء بارزون في تنظيم القاعدة، من سجني التاجي وأبوغريب في عمليتين نوعيتين. وتم الامر بتواطؤ من حكومة المالكي مع الامريكان والايرانيين، من اجل تأسيس (تنظيم داعش: دولة العراق والشام) الاسلامية الارهابية.

ـ كانون الاول 2013: الأمم المتحدة تعلن انه في نهاية هذا العام بلغ عدد القتلى 7157 بزيادة كبيرة عن السنة السابقة عندما كان عدد القتلى 3238.

ـ حزيران 2014 احتلال (الموصل) من قبل تنظيم داعش الارهابي، بتواطؤ علني من قبل القوات العراقية تحت سلطة الرئيس المالكي، وكذلك (ميليشيات البيشمركة) البرزانية الكردية. ثم تم ايضا احتلال كركوك وتكريت وديالى والانبار. ادى هذا الى تخريب آثار ومعالم الموصل الآشورية والاسلامية، ومقتل الآلاف من سكان المدينة وتدميرها بكاملها.

ـ يوم 12 حزيران 2014م، قام تنظيم داعش بالسيطرة على (قاعدة سبايكر العسكرية) في (تكريت) وذبح جميع من فيها، بين: (2000 ـ 2200) عسكري. دون اية محاسبة للرئيس المالكي!

ـ 13 حزيران من عام 2014 صدور (فتوى الجهاد الكفائي) من قبل المرجع السيستاني، وتطوع الآلاف من شباب الشيعة في (ميليشيات الحشد الشعبي) لمقاتلة داعش. دون أي نقد ولا محاكمة للمجرم الحقيقي (الرئيس المالكي) الذي سلّم الموصل الى داعش. وكذلك عدم التفكير بجعل التطوع في الجيش العراقي الرسمي، بدلا من تكوين ميليشيات مستقلة تبين ان اغلبها تابعة لايران.

ـ ايلول 2014 اختيار (حيدر العبادي) احد قادة حزب الدعوة، بديلا عن (المالكي). وقد اشرف على عمليات تحرير المناطق المحتلة من داعش.

ـ ايلول 2017 الانتهاء من تحرير منطقة (الحويجة) وبهذا انتهت عمليات تحرير جميع المناطق المحتلة من داعش: الموصل تكريت الانبار وكركوك وديالى.

ـ ايلول ـ كانون الاول 2017: عملية فرض الامن في ما يسمى: (المناطق المتنازع عليها) التي تدعي بها الميليشيات البرزانية. فما إن انتهت عملية تحرير الحويجة حصلت مواجهات خفيفة بين الجيش العراقي وميليشيات البيشمركة التي تريد السيطرة على كركوك والاستحواذ على نفطها لخدمة مشروعهم الانفصالي. اثناء ذلك تم استكمال تحرير محافظة الانبار ومنطقة الجزيرة من سيطرة داعش.

ـ بين ايلول وتشرين الاول 2017 نظمت حكومة البرزاني استفتاء انفصاليا في الاقليم الكردي العراقي، انتهى بالفشل بسبب الضغوط الدولية وموقف (حكومة العبادي) الوطني الحازم، والمدعوم بموقف شعبي عراقي وطني ضد هذه المحاولة الانفصالية. وقد اعترضت الكثير من القوى الوطنية الكردية على هذا الاستفتاء وأكدت تزويره من قبل جماعة البرزاني.[16]

ـ تشرين الثاني 2019 اندلاع الانتفاضة التشرينية من قبل الشباب الوطني في المناطق الشيعية ضد الاحزاب والميليشيات الشيعية الايرانية المسيطرة والفاسدة. وقد كلفت مئات الشهداء والمخطوفين. لكن (لعبة مرض كورونا الدولية) قد تمكنت

(16) ـ دعت حركة «لا للاستفتاء» الكردية، بزعامة (رابون معروف: رئيس كتلة الجيل الجديد في برلمان الاقليم) لرفض النتيجة، وذلك بسبب وجود عمليات تزوير في التصويت:
ـ حركة «لا للاستفتاء» تدعو الى رفض نتائج استفتاء كردستان: 29 ايلول، 2017: السومرية نيوز.

من انهاء هذه الانتفاضة الوطنية الكبرى، مثلما انهت الكثير من الانتفاضات في العالم كـ(انتفاضة ذوي السترات الصفر في فرنسا)!

❊❊❊

المجتمع العراقي وتنوعه القومي



تركماني، يزيدي، صابئي، شيعي، سني، شبكي، مسيحي، كردي

إن المجتمع العراقي[17] يعتبر من بين أكثر المجتمعات تنوعاً من النواحي العرقية (القومية) والدينية والمذهبية، والسبب الأساسي لهذا التنوع، كما ذكرنا في الفصول السابقة، يعود إلى موقعه المركزي في وسط الشرق الأوسط حيث تحيطه من جميع النواحي أكبر المراكز الحضارية والقومية والدينية والمذهبية المختلفة، بينها: إيران والأناضول والجزيرة العربية والشام. وبسبب الطبيعة السهلية للعراق واحتوائه على أخصب نهرين، فإنه أصبح أشبه بالواحة الخصبة ومحطة استقبال لهذه الشعوب المتنوعة التي تحيط به من كل النواحي، والتي ما كفَّت عن الهجرة إليه سلماً وحرباً.

(17)ـ هنالك بلدان امتزج في أسمائها المعنيان (القومي) و(الوطني). مثل تسمية (روسيا)، فهنالك (قومية روسية ناطقة بلغة أم هي الروسية)، ولكن في (بلاد روسيا) هنالك العديد من القوميات، التي لا يصح أن تقول عن نفسها (روسية). نفس المشكلة مع تسمية (تركيا)، كذلك مع التسمية القديمة لإيران (بلاد فارس) لأن (الفرس) حوالي نصف سكان إيران، ونصفهم قوميات ترفض صفة (فارسية)، ومن حسن حظ (العراق) أن تسميته غير مرتبطة باسم (قومية) معينة، وبالتالي فإن (الكردي) مثلا يمكنه أن يقول: أنا عراقي كردي..

وهذا التنوع العجيب في أصول العراقيين يكمن فيه سر العبقرية العراقية والقدرة الفائقة على الإبداع الحضاري، وأيضاً يكمن فيه سر ضعف العراقيين وتوتر تاريخهم وصعوبة توحدهم.

مشكلة مفهوم: (القومية)

من دلائل خطورة (مفهوم القومية) في تاريخ العراق الحديث، انه على اساسه وباسمه تشكلت احزاب وصراعات وخيانات وحروب وانقسامات ومشاريع امبراطوريات: (عربية وكردية وآشورية ووو)، وتهديدات بالانفصال والتشرذم. لهذا فانه يستحق بعض المراجعة والتوضيح. بالحقيقة ان (مفهوم القومية) يعود الى اواخر القرن 19 حيث نشأ بالضد من مفهوم: (الامة العثمانية التي تجمع مختلف الطوائف والاقوام). وقد انتشر بدفع اوربي وباسم الحداثة، حيث نشأت (التنظيمات القومية) التركية واليونانية والارمنية والعربية والكردية، التي سعت جاهدة وبدعم اوربي من اجل الانفصال وتحطيم الدولة العثمانية. وفعلا نجحت وتم تفتيت هذه الامبراطورية مع الحرب العالمية الاولى والغزو الاستعماري الاوربي.[18]

وقد لعب هذا (التيار القومي الحداثي) دوراً قيادياً في التاريخ العراقي الحديث، منذ (الثورة العربية) والنظام الملكي، ولكن بنسخته المخففة: (القومية شبه الليبرالية وشبه

(18) ـ بدأت (فكرة القومية) تنتشر بين شعوب الإمبراطورية العثمانية على حساب (فكرة الرابطة الإسلامية العثمانية)، منذ القرن التاسع عشر بدفع من القوى الأوربية والحركات التحديثية والماسونية، التي قررت تمزيق هذه الإمبراطورية إلى قوميات متناحرة، وقد بدأت الحركات القومية الانفصالية في بلاد رومانيا وهنغاريا واليونان وعموم البلقان، كذلك تغلغل الاستعمار الفرنسي في بلدان المغرب، وانفصال مصر (محمد علي باشا).

وكان رد فعل النخبة التركية أن تبنت الفكرة القومية التركية (حركة تركيا الفتاة: عام 1889)، والتخلي عن (الرابطة الإسلامية العثمانية). في ظل هذه التطورات الفكرية السياسية بدأ ينمو (الفكر القومي العروبي) بين النخب الشامية والعراقية، وقد تنامى خصوصاً بعد عام 1908 وبدء برنامج التتريك الذي فرضته حكومة (جمعية الاتحاد والترقي).

في عام 1913 اجتمع بعض القوميين العرب في باريس في (المؤتمر العربي الأول)، وأصدروا بياناً بمطالب للحكم الذاتي داخل الدولة العثمانية.

من أولى الكتب التي أرَّخت تاريخ الحركة القومية العربية:

ـ يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية. جورج أنطونيوس (وهو مؤرخ لبناني ـ مصري ـ فلسطيني).
وكان قد صدر عام 1941 باللغة الإنكليزية: The arab awakening.

ـ كذلك طالع كتاب: القومية العربية في القرن التاسع عشر، توفيق برو.

الوطنية). ثم بعد الحرب العالمية الثانية، انبثقت (الحركات القومية الجذرية الرافضة لليبرالية وللوطنية) أي تبني الثورية اليسارية والاشتراكية والرفض الصريح لليبرالية. وخصوصا تكفير (الوطنية) واعتبارها: (ميولاً قطرية مناقضة للوحدة القومية الكبرى، عربية او كردية)! [19] وتمكن هذا التيار بالاعتماد على نخبه العسكرية والحزبية من قيادة العراق الجمهوري منذ 1958 حتى عام 2003، ونهاية البعث وعموم التيار القومي العروبي [20].

ما هي: (القومية) وماهي: (الامة)؟

(ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، فإنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي). حديث شريف [21].

(الأنساب: علم لا ينفع وجهالة لا تضر). حديث شريف [22].

لقد أشاع علماء أوربا منذ القرن التاسع عشر تفسيراً خاطئاً لمفهوم (القومية أو العرق) باعتبار هذه الجماعة التي تتشارك باللغة والثقافة، من المحتم أنها تنتمي لأصل (سلالي دمائي واحد) وأسلاف مشتركين! وعلى هذا الأساس تم اعتبار جميع يهود العالم، رغم استيطانهم في بلدانهم منذ أكثر من ألفي عام، وحتمية امتزاجهم بالشعوب التي يتعايشون معها، إلاّ أنهم رغم ذلك ـ حسب الصهيونية ـ بقوا بـ (عرق يهودي

(19) ـ نحن استخدمنا في كتابنا هذا مفهوم بدلا من: (وطني) مفهوم: (بلاد: بلادي) أي: الانتماء الى بلد بارضه وشعبه وتاريخه، وليس الانتماء الى (عرق وقومية واصول خرافية) عابرة للحدود ومحتقرة للبلد. وقد استوحيناها من التراث العربي، من كلمة (بلداني) وهي أقرب إلى معنى (جغرافي): (كتاب بلداني) أي (وصف البلدان).

اما مفهوم:(وطني) فإننا ابقينا استعمالها بالمعنى(العقائدي السياسي). إن أوضح مثال متداول بيننا، مشكلة التمييز بين مفهوم: (مسلم) بمعنى (دين حيادي طبيعي)، مفهوم:(اسلامي) بمعنى:(الحركات السياسية العقائدية) التي تعلن اعتمادها على الإسلام. لكن المشكلة أننا تعودنا القول: (الفتح الإسلامي، الدين الإسلامي) ويصعب القول: (الدين المسلم، والفتح المسلم). لهذا قام البعض باستخدام: (إسلامي) بالمعنى الحيادي، و(إسلاموي) بالمعنى السياسي العقائدي..

(20) ـ إن التيار القومي رغم نهاية حكم البعث، إلاّ أنه لازال مؤثراً إلى حد كبيرٍ في الناحية الثقافية الموروثة من التربية البعثية. أما من الناحية السياسية، فإن التيار القومي لا زال مسيطراً على الأكراد من خلال تحكمه بإدارة الإقليم، وحماسته بنشر ثقافة الحقد ضد كل ما هو عراقي وعربي، وهنالك أيضاً التنظيمات القومية بين التركمان التي تميل عموماً إلى الواقعية الوطنية. أما بين (المسيحيين السريان) رغم واقعية ووطنية غالبيتهم، إلاّ أنه لا زال نشطاً بينهم (التيار القومي الآشوري) الذي يبث دون هوادة ثقافة العنصرية الحقودة ضد العرب والمسلمين (الغزاة)!

(21) ـ حديث شريف متداول، رواه (ابن عساكر).

(22) ـ حديث شريف متداول، ومن رواته: (ابن عبد البر) في التمهيد.

عبراني نقي) من نسل (يعقوب وإسحاق)! وأن (المجموعات اللغوية: الناطقة بالسامية، أو الآرية، أو التركية) لا بد أن ينحدر كل منها من سلف واحد! وإن (الشعوب الناطقة بالعربية) كلها تنحدر من أجداد خياليين: (قحطان وعدنان ويعرب)!

أخيراً أتت البحوث الجينية في السنوات الأخيرة لتظهر بصورة حاسمة خرافة هذه الفكرة، وأن رابطة اللغة والثقافة تتكون عبر العديد من العوامل، منها الهجرات والاختلاطات والغزوات والاحتلالات واغتصاب نساء الجماعات المهزومة، وجلب الأسرى والعبيد، وغيرها من العوامل. يكفينا ملاحظة كيف أن اللغة الأسبانية منتشرة بين شعوب أمريكا اللاتينية، بينما المنحدرون من الأسبان لا يشكلون حتى ربع السكان، والغالبية من الهنود الحمر والزنوج والمختلطين.

كذلك بينت هذه البحوث أن الشعوب العربية التي تتكلم العربية، تنتمي لمختلف الأصول: السومرية، الأكدية، الآرامية في الشام والعراق، والحامية الفرعونية القبطية في مصر، والحامية البربرية في بلدان المغرب، بل حتى شعوب الجزيرة العربية، حوالي نصف النسبة تتكون من أصول غير سامية وعربية[23].

[24]: دون الدخول بشروحات نظرية معقدة، فإننا نميز بين مفهومين مختلفين: (القومية والامة) قد تم خلطهما بصورة خاطئة نتيجة الترجمات العديدة والمشوهة عن اللغات الاوربية:

مفهوم القومية: بمعنى الانتماء الى (قوم: Ethnic) أي جماعة تشترك بروابط ثقافية ولغوية وعاطفية وتاريخية واسم جامع، مع اعتقاد شعبي خرافي بأنهم ينحدرون من اصل اقوامي قديم واحد.[25] ان (المجموعة القومية) يمكن ان تكون في بلد واحد او منتشرة بين عدة بلدان، كما حال العرب والاكراد والاتراك والالمان والفرنسيين. ولكن من المهم جدا جدا التاكيد على ان كل (قومية) في كل (بلد) لها خصوصيتها الوطنية وثقافتها وتاريخها ومصالحها، ولا يصح ابدا اعتبارها: (قومية واحدة او امة واحدة)، بل (قوميات) مختلفة تشترك بروابط عديدة. فيصح الحديث عن: (قوميات عربية) مختلفة، عراقية وسورية ويمنية الخ.. و (قوميات كردية) مختلفة، عراقية وايرانية

(23) - عن الأصول الجينية، راجع دراستنا المفصلة في القسم الأول من كتابنا هذا: (جينات الشعب العراقي).
(24) - عن قوميات الشعب العراقي، طالع كتابنا: (موسوعة اللغات العراقية) الصادر عام 2012.
(25) - حول خرافية الاصل الاقوامي المشترك، راجع دراستنا عن الجينات في القسم الاول من كتابنا هذا.

وتركية وسورية..وهكذا دواليك.. وبهذا التمييز القاطع، نعترف ونحترم: (الانتماء الاقوامي القومي)، مع: (الانتماء البلادي الوطني)، والغاء التناقض المفتعل بينهما الذي صنعه (القوميون العروبيون والكرديون والطورانيون).

مفهوم الامة Nation: باختصار شديد انها تشترط توفر العوامل الثلاثة التالية: (الشعب) و (الوطن) و (الدولة). أي ان (الامة) يمكن ان تتكون من قوميات وطوائف ولغات مختلفة. ان هذا التنوع الاقوامي والطائفي الداخلي موجود في الغالبية الساحقة من (امم: بلدان) العالم، مثال: (الامة الامريكية، الروسية، السويسرية، الافغانية، الايرانية، التركية، الهندية، البريطانية.. الخ). إذن لا توجد: (امة عربية او كردية او اسلامية) بدون هذه الشروط الثلاثة، ويمكن التعامل معها كتعبيرات مجازية وعاطفية وليست واقعية. فـ (المسلم) مهما تمسك بإسلامه لا يمكنه ان يدخل دولة مسلمة بدون فيزة وشروط اقامة.

قوميات الأمة العراقية

القومية العربية: وهم الناطقون بالعربية ويشكلون بحدود 75% من العراقيين، وهم بغالبيتهم منحدرون من سكان العراق الأصليين منذ سحيق التاريخ، وقد أصبحوا عرباً بعد اعتناقهم الإسلام بعد الفتح العربي الإسلامي، وقد انتمت إلى (العرب) الكثير من الجماعات غير العراقية وغير العربية التي استقرت في العراق خلال القرون الطويلة مثل العبيد الأفارقة والجواري والمماليك القفقاس والأوربيين والكثير من المغول والأتراك والإيرانيين والهنود وغيرهم. إن مشكلة (عرب العراق) الكبرى والمستعصية والتاريخية، تتمثل بضعفهم المتفاقم، رغم أنهم يشكّلون غالبية الشعب العراقي، إلاّ أنهم منقسمون طائفياً (شيعة ـ سنة)، كما سنبين.

القومية الكردية: وهم أكثر من 15% من العراقيين ويقطن غالبيتهم في المحافظات الكردية الثلاث: السليمانية وأربيل ودهوك، بالإضافة إلى ديالى وبغداد والموصل وأنحاء العراق، وهم جميعهم مسلمون بغالبية كبيرة سنة شافعية، وينقسمون عموماً في العراق إلى مجموعة ناطقة باللغة السورانية في السليمانية، وتنتشر بينهم الطريقة القادرية، ثم المجموعة الناطقة باللغة البهدنانية وتنتشر بينهم الطريقة النقشبندية،

في أربيل ودهوك، وهنالك أيضاً أقلية شيعية ناطقة باللغة الخانقينية (أو القصر شيرينية) في خانقين، بالإضافة إلى أقلية من الطائفية الكاكائية (التي تؤله الإمام عليّ) في كركوك.

إن الأكراد هم السكان الأصليون للمنطقة الجبلية الحدودية المطلة على العراق وتفصله عن إيران وتركيا، وقد أصبحت لغتهم آرية بسبب تأثير العشائر الآرية التي سيطرت عليهم منذ ما قبل الميلاد، وبما أن هذه المنطقة الجبلية مطلة على سهول النهرين وليس هنالك أمامها أي منفذ بحري أو سهلي غير النهرين، فإنهم ارتبطوا طيلة التاريخ ببلاد النهرين وأهلها وحضارتها، وقد غذَّت هجراتهم الدائمة سكان العراق، بحيث إن الكثير من العراقيين الحاليين بمن فيهم العرب لابد أن تكون لهم أصول كردية منسية. نفس الحال فإن جبال الأكراد قد تلقت الكثير من الهجرات (السامية والعربية) من بلاد النهرين، ولكن مشكلة الأكراد في العصر الحديث تتمثل في الميول القومية العنصرية الانفصالية التي شجعتها وبرَّرتها الميول القومية العروبية البعثية التي حاولت أن تعزلهم عن عراقيتهم.

القومية التركمانية: وهم بحدود 5% ويقطنون خصوصاً في كركوك، كذلك في تكريت وتلعفر وديالى والموصل وبغداد، وهم كما بيّنّا سابقاً من الهجرات التركية القادمة من آسيا الوسطى التي قدمت إلى العراق منذ الفتح العربي الإسلامي في القرن السابع وحتى الفترة العثمانية، بل هنالك بعض الأتراك من استقر في العراق قبل الفتح الإسلامي حيث إن الكثير من أفراد الجيش الساساني الإيراني في العراق كانوا من الأتراك الذين استعربوا، وعانى التركمان في العهد الجمهوري وخصوصاً في كركوك من قمع القوى اليسارية والكردية التي اتهمتهم بالطورانية.

في السبعينات من القرن الماضي، عانوا من حملات البعث لتعريب مناطقهم، ثم إبتداء من عام 2003 يعانون من حملات التكريد ومحاولات الاستيلاء على كركوك من قبل العنصريين الأكراد، وينقسم التركمان مناصفة بين الشيعة والسنة، وينتشرون خصوصاً في خط المناطق الشمالية المرتفعة المتوسطة بين مناطق الأكراد الجبلية وسهول باقي العراق.

القوميات والفئات الأقل عدداً

هنالك قوميات عراقية عديدة من الصعب تحديد نسبتها بسبب هجرتها المستمرة وغياب الإحصائيات الحديثة والدقيقة، ولكن في كل الأحوال فإن نسبة أي منها لا تزيد على 5%، وهي:

القومية السريانية: وهم قومية دين ولغة، ويطلق عليهم أيضاً الكلدان أو (الكلدو آشور)، وهم جميعاً مسيحيون ويتكلمون بلهجات سريانية، ويقطن غالبيتهم في محافظة نينوى بالإضافة إلى أربيل وبغداد وغيرها، وهم من بقايا سكان العراق ما قبل الفتح الإسلامي الذين لم يدخلوا الإسلام ولم يستعربوا، وبسبب عمليات القمع الديني وكذلك ضغوطات ومذابح العشائر الكردية، فإنهم منذ أواسط القرن العشرين أخذوا بالهجرة إلى أمريكا التي تنفذ مخططاً استعمارياً بإخلاء المنطقة من غير المسلمين، لهذا فقد خلت الكثير من مناطقهم الأصلية في أربيل خصوصاً لتصبح كردية، وقد لعب السريان أدواراً حضارية مهمة في تاريخ العراق العباسي والعثماني والحديث.

القومية الفيلية: وهم رغم المد القومي الكردي بينهم، إلاّ أنهم فعلياً وواقعياً وثقافياً وحتى عرقياً ينتمون إلى (القومية العربية) وإلى عموم الشعب العراقي؛ لأنهم بكل بساطة يعيشون منذ قرون وقرون وسط إخوتهم العرب ويشاركونهم المذهب الشيعي واللغة العربية والتزاوج والعيش المشترك. يقطن غالبيتهم في بغداد والكوت وباقي مناطق الجنوب، وهم يعتبرون من سكان العراق الأصليين ويقطنون تاريخياً في المناطق الحدودية في السهل العراقي (حلوان) التابع حالياً لإيران؛ لهذا فإنهم اعتبروا مهاجرين إيرانيين، وقد عانوا كثيراً من ظلم السلطات العراقية العنصرية بسبب شيعيتهم خصوصاً وميولهم اليسارية عموماً بالإضافة إلى تهمة الإيرانية والكردية، وقد برزت منهم شخصيات مهمة في العصر الحديث خدمت الحياة العراقية في كل نواحيها.

القومية اليزيدية: وهم قومية دين وثقافة خاصة، وهم أتباع ديانة مزيجة من التصوف الإسلامي وبقايا ديانات العراق السابقة للإسلام: (عبادة النجوم والمانوية والمسيحية)، ويقطنون جميعاً في محافظة نينوى وخصوصاً في سنجار. لغتهم قريبة للكردية الكرمانجية، ولكنهم يعتبرون أنفسهم قومية خاصة من أصول عراقية مختلفة

(كردية وعربية وسريانية وتركمانية) تجمعهم العقيدة اليزيدية والحياة المشتركة، وقد عانوا كثيراً في القرن 19 من مذابح الأغوات الأكراد، ثم في العصر الحديث عانوا من ضغوطات عمليات التعريب البعثية، وبعد عام 2003 يعانون من ضغوطات عمليات التكريد الإجباري.

القومية الشبكية: وهم قومية عرق ولغة خاصة، جميعهم مسلمون بغالبية شيعية ويقطنون في سهل نينوى. لغتهم مزيجة من التركمانية والكردية والعربية، وقد عانوا أيضاً من سياسة التعريب ثم سياسة التكريد، بالإضافة إلى القمع الطائفي بسبب شيعيتهم.

القومية الصابئية (المندائية): وهم قومية دين ولغة، أتباع النبي يحيى (يوحنا المعمدان) من سكان جنوب العراق الأصليين الذين احتفظوا بديانتهم القديمة القائمة على الروحانية والزهد العرفاني، وجميعهم مستعربون مع احتفاظهم بلغتهم الأصلية (المندائية) المتفرعة من الآرامية، كلغة دينية طقسية، وعرف عن الصابئة تخصصهم بالإنتاج الحرفي وصناعة الذهب في قرى جنوب العراق ثم في مدنه، وفي العصر الحديث برزت شخصيات صابئية مهمة في مجالات السياسة والإبداع.

السود: وهم رغم تمايزهم بالشكل والأصول الأفريقية وبعض التقاليد الخاصة بهم، إلاّ أنه لا يمكن اعتبارهم قومية خاصة، بل جزءاً من العرب، من جميع النواحي بما فيها التزاوج والتمازج الاقوامي. جميعهم مسلمون ومستعربون. يقطنون عموماً في جنوب العراق وخصوصاً في البصرة، وهم من بقايا الزنوج الذين تم جلبهم دائماً منذ قرون طويلة كعبيد وعمال مزارع، واشتهروا بانتفاضتهم في العصر العباسي (ثورة الزنج). طبعاً هم الآن أحرار ويساهمون بالحياة العراقية، رغم بعض العنصرية الشكلية.

القومية الأرمنية: وهم جميعهم مسيحيون ولغتهم (الأرمنية). هاجروا منذ أكثر من قرن من المناطق الأرمنية في جنوب تركيا، بعد المذابح الشهيرة التي قام بها الأغوات الأكراد (الفرق الحميدية)، ويقطن غالبيتهم في بغداد وكذلك في الموصل والبصرة، ويشتهرون بمزاولة الحرف التقنية وكذلك برزوا في مجالات إبداعية كثيرة.

اليهـود: رغم انتهاء وجودهم في العراق منذ تهجيرهم إلى إسرائيل في الخمسينات، إلاّ أنهم يستحقون الذكر لأهمية وجودهم التاريخي ودورهم المتميز حتى أواسط القرن العشرين. إن اليهود عاشوا في العراق خلال أكثر من 2500 عام.

بل إن اليهودية الحقيقية بكتبها المقدسة قد نشأت وكتبت في العراق، وقد ظل اليهود يعتبرون أنفسهم عراقيين وساهموا بصورة فعّالة في الحياة العراقية طيلة تاريخهم، لكن انبثاق إسرائيل قد حطم كل هذا البناء العريق.

* * *

الثورة الثقافية!



كما ذكرنا، فان (الثورة) لا تعني بالضروة (التقدم نحو الافضل)، بل ربما (التقدم نحو الأسوأ)، وهذا ينطبق على: الدولة والمجتمع والثقافة والتدين. ان الحالة الثقافية

في أي مجتمع، هي انعكاس طبيعي للحالة العامة في الوطن، ولا يمكن فصل حال المثقفين عن المتغيرات الاجتماعية والمادية والسياسية السائدة. كما وضَّحنا بداية الفصل أن النهضة الحديثة في العراق، كما في العالمين العربي والإسلامي، ظلت تتمحور حول كلمة (الحداثة)، أي التخلص من (القديم: التقليدي الشرقي الإسلامي) ليحلّ محله (الحديث: التقدمي الأوربي الاشتراكي أو الليبرالي)!!

وقد حصل نوع من التهور والتطرف في عملية (التحديث) هذه بحيث أُريدَ بها التخلص من تراث وثقافة قرون بأكملها خلال بضع سنوات! وكان هذا النموذج التحديثي المتطرف بالنسبة للنخب العراقية (ليبرالية ويسارية) يتمثل بتجربة (كمال أتاتورك) في تركيا التي بدأت في نهاية العشرينات. كذلك بالنموذج الشيوعي السوفيتي في روسيا والبلدان الإسلامية التابعة لها، بالإضافة إلى النموذج الأساسي المتمثل بالنهضة الأوربية.

رواد النهضة الحديثة

يمكن تسجيل بعض الأسماء المتميزة المعروفة التي ساهمت بالتأسيس لهذه النهضة الحداثية بكل محاسنها وعيوبها:

ـ العلامة اللغوي أنستاس ماري الكرملي (1866 ـ 1947)



ولد في بغداد من أب لبناني وأم عراقية. هو رجل دين مسيحي، ولغوي وضع كتباً مهمة وأبحاثاً جديدة عن اللغة العربية، وساهم في عملية التعريب، وأصدر مجلتين وجريدة. ترك الكرملي عدداً هائلاً من الكتب لا يزال معظمه مخطوطاً لم ير النور، وبالإضافة إلى ذلك خلَّفَ ما يزيد على أكثر من 1300 مقالة تمثل جزءاً كبيراً من إنتاجه.

حظي الكرملي بتقدير كثير من الهيئات والمجامع العلمية واللغوية، فانتخب عضواً في مجمع المشرقيات الألماني سنة 1329هـ/ 1911م والمجمع العلمي العربي في دمشق سنة 1339هـ/ 1920م واختير ضمن أول عشرين عالماً ولغوياً من مصر وأوربا والعالم العربي يدخلون مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1351هـ ـ 1932م.

ـ رائد الصحافة روفائيل بطي (1901 ـ 1956)

أديب وصحافي عراقي ولد في الموصل لعائلة مسيحية أرثوذكسية عراقية. يعتبر مؤسساً للصحافة العراقية الحديثة، حيث عمل رئيس تحرير ومؤسساً لعدة صحف ومجلات عراقية مهمة. له العديد من المؤلفات منها سحر الشعر والأدب العصري في العراق العربي، وكتاب الصحافة في العراق والدراسات في الأدب العراقي خصوصاً. انتخب نائباً عن البصرة ست دورات ثم انتخب عميداً للصحفيين. أصبح وزيراً للدولة مرتين وبعد الوزارة فقد شعبيته ولم يستطع العودة للبرلمان.

ـ الأديب والباحث محمد مهدي البصير (1895 ـ 1974)

ولد في الحلة وهو أديب وباحث وسياسي. من مؤسسي حزب حرس الاستقلال في العراق عام 1919. عضو الحزب الوطني العراقي بقيادة جعفر أبو التمن عام 1922. لقب بشاعر ثورة العشرين لما قدَّمهُ من شعر فيها وفي كل قضايا العراق الوطنية. عام 1937 حصل على شهادة الدكتوراه في الأدب الفرنسي. عمل أستاذاً في دار المعلمين العالية في جامعة بغداد حتى تقاعد في ستينات القرن العشرين. له مؤلفات عديدة في تاريخ الأدب وكذلك مؤلفات شعرية عديدة.

ـ العلامة الآثاري والمؤرخ طه باقر (1912 ـ 28 فبراير 1984)



ولد في الحلة، وهو عالم آثار متخصص بتاريخ النهرين. درس في الولايات المتحدة ولبنان ثم نال لقب الأستاذية من جامعة بغداد عام 1959، وأتقن السومرية والأكدية وترجم الكثير من نصوصها إلى العربية، ومن أهمها (ملحمة كلكامش)، وكذلك ترجم الكتب الأجنبية الخاصة بتاريخ النهرين، وترأس الكثير من البعثات التنقيبية في مختلف أنحاء العراق، وألف العديد من الكتب المرجعية في تاريخ النهرين، وكذلك أصدر مجلة (سومر) الشهيرة المختصة بآثار وتاريخ النهرين.

ـ **المؤرخ عباس العزاوي (1890 ـ 1971)**: ولد في ريف ديالى، وهو من المؤرخين الرواد وأسهم في وضع أسس المدرسة التاريخية العراقية المعاصرة. كانت ثقافته الأولى دينية ثم دخل (كلية الحقوق) في بغداد وبدأ يمارس المحاماة. اتجه نحو دراسة التاريخ معتمداً على نفسه. ترك كثيراً من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة ومنها كتابه المشهور (تاريخ العراق بين احتلالين) في ثمانية مجلدات، ويدور الكتاب حول تاريخ العراق الحديث بين الاحتلال المغولي والاحتلال البريطاني لبغداد، ويليه في الأهمية كتاب (عشائر العراق) في أربعة مجلدات، وللعزاوي مؤلفات أخرى منها (تاريخ اليزيدية) و(الكاكائية في التاريخ) و(الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان)، وكتب تاريخية عديدة مهمة. كما ترجم عن التركية.

ـ **العلامة اللغوي مصطفى جواد (1904 ـ 1969)**: ولد في بغداد، وهو من أهم اللغويين العرب في القرن العشرين، وهو من أصول تركمانية عراقية. مارس التعليم في أنحاء العراق، ودرس في فرنسا، وتعرف على الأب أنستاس الكرملي فلازَمَهُ وكتب في مجلته (لغة العرب)، وقد تخصص بفن (التصحيح اللغوي) وأصدر العديد من المؤلفات حول الأصول الصحيحة للّغة العربية، واشتهر ببرنامجه الإذاعي (قل ولا تقل). من مؤلفاته: الحوادث الجامعة، دليل خارطة بغداد المفصل، جاوان القبيلة الكردية المنسية، الضائع من معجم الأدباء، المستدرك على المعجمات العربية، رسائل في النحو واللغة.

ـ **الموسيقي الشريف محيي الدين حيدر (1892. 1967)**: رغم أنه ليس عراقياً لكنه يستحق الذكر؛ لأنه قام بدور كبير بتأسيس مدرسة العود العراقية الحديثة، ولد في إسطنبول من العائلة الهاشمية التي حكمت مكة ثم العراق (ابن عم الملك فيصل

الأول)، وكانت ثقافته (تركية ـ عربية)، بالإضافة إلى الثقافة الأوربية. استقدم إلى بغداد عام 1936 ليساهم مع الفنان العراقي (حنا بطرس) بتأسيس (معهد الموسيقى)، وتمكن من نقل الموسيقى العراقية من إطارها الشعبي التقليدي إلى مستوى أكاديمي علمي معاصر. اهتم بـ (فن المقام العراقي)، واستقدم العازفين الرومان للمساهمة بتدريس الموسيقى الغربية أيضاً، وبفضله أصبحت آلة العود تدرَّس بشكل علمي منتظم ومحدث وحسب منهاج محدد وتمارين متدرجة الصعوبة، وضعها هو بنفسه، وهي نفس طريقة تدريس الموسيقى الكلاسيكية الغربية، وكان من طلبته: الشاعرة نازك الملائكة، والفنانون الكبار: جميل بشير ومنير بشير، سلمان شكر، غانم حداد، جورج ميشيل، روحي الخماش. وترك أيضاً معزوفات عديدة لا زالت تدرَّس حتى الآن: الطفل الراكض، الطفل الراقص، ليت لي جناحاً، الأغاني للأطفال، كابريس كابريس، سماعي نهاوند، سماعي عراق، سماعي مستعار، سماعي عشاق، سماعي دوكاه، سماعي هزام، تأمل.

ـ الفنان المسرحي حقي الشبلي (1913ـ 1985): ولد في بغداد، ويعتبر رائد الحركة المسرحية في العراق. قام بأول دور تمثيلي في عام 1926 في فرقة جورج أبيض المصرية. أسس الفرقة الوطنية التمثيلية ومن أعضائها: نوري ثابت، فائق حسن وحافظ الدروبي. عام 1931 أسس فرقة تحمل اسمه، أسس قسم المسرح في معهد الفنون الجميلة. درس المسرح في باريس، ثم صار الشبلي رئيساً لقسم المسرح ومدرساً فيه ثم عميداً لمعهد الفنون الجميلة. أسس شركة سومر للسينما المحدودة وأنتج فيلمين. كما أصبح أول مدير عام لمصلحة السينما والمسرح وأنتج العديد من الأفلام السينمائيه، ثم أصبح نقيباً للفنانين، وفي عهده أصبح عدد منتسبي النقابة يربو على ثلاثة آلاف فنان وفنانة. على مدى مسيرته الفنية حاز الفنان حقي الشبلي على العديد من الجوائز الفنية العراقية والعربية، لعل أبرزها تكريمه في تونس عام 1983 كرائد عربي من رواد فن المسرح.

ـ الرسام والنحات جواد سليم (1921 ـ 1961): ولد في أنقرة لأبوين عراقيين موصليين. يعتبر من أكبر رسامي ونحّاتي العراق، واشتهرت عائلته بالرسم، فقد كان والده الحاج سليم وإخوته ـ سعاد ونزار ونزيهة ـ كلهم فنانين تشكيليين، وكان في طفولته يصنع من الطين تماثيل تحاكي لعب الأطفال، ولقد أكمل دراسته الابتدائية والثانوية في

بغداد. درس في فرنسا وإيطاليا ولندن. رأس قسم النحت في معهد الفنون الجميلة في بغداد حتى وفاته في عز شبابه. كان يجيد اللغة الإنكليزية والإيطالية والفرنسية والتركية إضافة إلى لغته العربية، وكان يحب الموسيقى والشعر والمقام العراقي. أسس جماعة بغداد للفن الحديث مع الفنان شاكر حسن آل سعيد، والفنان محمد غني حكمت. كما أنّه أحد مؤسسي جمعية التشكيليين العراقيين، وضع عبر بحثه الفني المتواصل أسس مدرسة عراقية في الفن الحديث، وفاز بجائزة عالمية. في 1959 شارك مع المعماري رفعت الجادرجي والنحات محمد غني حكمت في تحقيق (نصب الحرية) القائم في ساحة التحرير ببغداد، وهو من أهم النصب الفنية في الشرق الأوسط.

ـ **الفنان المغني ناظم الغزالي (1921 ـ 1963)**: من أشهر مغني العراق في الخمسينيات والستينيات، ولد في بغداد يتيماً، لأم ضريرة وفقيرة. درس المسرح في معهد الفنون الجميلة. عام 1952 نشر سلسلة من المقالات (أشهر المغنين العرب)، وظهر كتابه (طبقات العازفين والموسيقيين). عمل في المسرح ولحَّن أول أغنية (هلا هلا) التي دخل بها إلى الإذاعة، وترك المسرح ليتفرغ للغناء. منذ بداية الخمسينيات بدأت أغنيات الغزالي تعبر الحدود، فأقام عدة حفلات في كثير من الدول العربية، وأصبح سفيراً للأغنية العراقية، وبداية الخمسينيات هي الفترة التي شهدت تطوراً وربما انقلاباً ملحوظاً في غالبية مقاييس الغناء في العراق ومواصفاته. لقد طور الغزالي غالبية مقاييس الغناء في العراق. غنى لأشهر الشعراء العرب. تزوج بالمغنية العراقية الشهيرة (سليمة مراد)، وقد توفي في عز شبابه.

ـ **المؤرخ علي الوردي (1913 ـ 1995)**: وهو عالم اجتماع ومؤرخ كبير، ولد في بغداد في مدينة الكاظمية. ترك مقاعد الدراسة ليعمل صانعاً عند عطار. التحق بالدراسة المسائية في الصف السادس الابتدائي وكانت بداية لحياة جديدة، وأكمل دراسته وأصبح معلماً. كما غيَّر زيه التقليدي عام 1932 وأصبح «أفندي». درس في الجامعة الأمريكية في بيروت ثم في تكساس حيث نال الدكتوراه عام 1950. عمل في التدريس في المدارس وفي جامعة بغداد، ويعتبر مؤرخاً كبيراً حيث ألَّف ثمانية عشر كتاباً ومئات البحوث والمقالات، وتميز بأسلوبه الواضح والمشوّق، ومن أهمها كتابه الكبير عن تاريخ العراق في الحقبة العثمانية (لمحات اجتماعية) في ثمانية أجزاء. رغم

تأثره بمنهج ابن خلدون لكن يعاب عليه تحليلاته الاجتماعية الاستشراقية الاحتقارية للمجتمع العراقي[26].

ـ الروائي غائب طعمة فرمان (1927 ـ 1990): ولد في بغداد، ويعتبر من أول كبار الروائيين العراقيين حيث تميز بالأسلوب الواقعي الاجتماعي. أصيب بالدرن في شبابه فسافر إلى مصر للعلاج ليكمل دراسته في كلية الآداب. عمل في بغداد منذ منتصف خمسينيات القرن العشرين في الصحافة الأدبية. أصدر عدة مجموعات قصصية وروايات من أهمها (النخلة والجيران) التي تحولت إلى مسرحية عراقية شهيرة. استقر في روسيا منذ الثمانينات، وعمل مترجماً عن الروسية حيث ترجم نحو ثلاثين كتاباً أدبياً، ونال جائزة رفيعة على جهده في هذا الجانب وعن ترجماته، وقد توفي ودفن في موسكو.





ولد التكرلي في بغداد ودرس في مدارسها، تخرج في كلية الحقوق عام 1949، ثم عمل كاتب تحقيق وبعدها محامياً، ثم قاضياً، وتولى عدة مناصب في الدولة ومنها في القضاء، وبعدها سافر إلى فرنسا ثم عاد ليعين خبيراً قانونيّاً في وزارة العدل العراقية، وعاش في تونس لسنوات بعد تقاعده. نشر العديد من الروايات والمجموعات القصصية، ويعتبر مع (غائب طعمة فرمان) من رواد الرواية العراقية الواقعية الناجحة.

---

(26) ـ عن عنصرية (الوردي)، راجع دراستنا المطولة المنشورة عنه:
ـ علي الوردي وعنصريته ضد المجتمع العراقي، سليم مطر.

الشعراء الرواد



بما أن الإبداع العراقي طيلة تاريخه الطويل متميز بالشعر، فإنه من الطبيعي أن يبرز في هذه المرحلة شعراء رواد كبار، ويمكن ذكر بعض المبدعين الذين ساهموا بدرجات وأساليب مختلفة بتأسيس النهضة الثقافية في هذه المرحلة الحديثة:

ـ الشاعر جميل صدقي الزهاوي (1863 ـ 1939)

ولد في بغداد، من عائلة الزهاوي التي ترجع إلى منطقة (زهاو) الكردية في شمال العراق، ووالده (محمد فيضي الزهاوي) مفتي بغداد والعراق. عين عضواً في مجلس المعارف، ثم مديراً لمطبعة الولاية ومحرراً لجريدة الزوراء. سافر إلى إسطنبول عام 1896، فأعجب برجالها ومفكريها وتأثر بالأفكار الغربية والحركة الدستورية، وعين أستاذاً للفلسفة الإسلامية هناك. انضم إلى حزب الاتحاديين العثماني، وانتخب عضواً في (مجلس المبعوثان) مرتين، وعند تأسيس الحكومة العراقية عين عضواً في مجلس الأعيان، ويعتبر من كبار مجددي الشعر العربي، وتميز شعره بالميل الفلسفي والنقد الاجتماعي.

ـ الشاعر معروف الرصافي (1875 ـ 1945): ولد في بغداد، ثم دخل المدرسة العسكرية الابتدائية فتركها، وانتقل إلى الدراسة في المدارس الدينية، ثم اتصل بالشيخ العلامة محمود شكري الآلوسي ولازمهُ اثنتي عشرة سنة، وتخرج عليهِ وكان يرتدي العمامة وزي العلماء وسمّاهُ: (معروف الرصافي) ليكون في الصلاح والشهرة والسمعة الحسنة، مقابلاً لـ(معروف الكرخي)، ثم سافر إلى إسطنبول وعيّن مدرساً لمادة اللغة

العربية في الكلية الشاهانية ومحرراً لجريدة سبيل الرشاد، وانتخب عضواً في مجلس المبعوثان (البرلمان) عام 1912م، وأعيد انتخابه عام 1914، وعين مدرساً في دار المعلمين في القدس عام 1920م، وعاد إلى بغداد عام 1921 وأصدر جريدة الأمل، وانتخب عضواً في مجمع اللغة العربية في دمشق. خاض المعارك الشعرية وتميزت قصائده خصوصاً بالنقد السياسي.

ـ **الشاعر الملا عبود الكرخي (1869 ـ 1946):** هو شاعر شعبي بغدادي ساخر وشهير جداً، ولا زالت قصائده متداولة. كان من عائلة واسعة الثراء وتلقى علومه الأولية في الكتاتيب، فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن المجيد، ثم التحق بحلقات الدرس في الكاظمية، ونبغ في كتابة الشعر العامّي، حتى صار يعرف باسمه. كان يشارك والده التاجر في ترحاله وأتقن الكردية والفارسية والتركية والألمانية نتيجة لأسفاره الكثيرة. عمل في الصحافة وأصدر العديد من الصحف، وكان يعاني من غلق صحفه. ومن أشهر قصائده (المجرشة):

ذَبيت روحي عالجرش وأدري الجرش ياذيها *** ساعة وأكسر المجرشة وألعن أبو راعيها

ـ **الشاعر محمد مهدي الجواهري (1899ـ 1998):** ولد في النجف من عائلة نجفية عريقة، أبوه وأجداده من علماء ومثقفي النجف. لقب بشاعر العرب الأكبر. كان في أول حياته يرتدي لباس رجال الدين. اشتغل مدة قصيرة في بلاط الملك فيصل الأول، ثم راح يعمل في الصحافة فأصدر مجموعة من الصحف البغدادية، وانتخب عدة مرات رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين. انتخب نائباً في مجلس النواب العراقي. كان من المؤيدين المتحمسين لجمهورية 14 تموز 1958 ومقرباً من زعيمها، فلقب بـ (شاعر الجمهورية). غادر العراق عام 1961 واستقر في براغ سبع سنوات. عاد إلى العراق في نهاية عام 1968 بدعوة رسمية من الحكومة العراقية، بعد أن أعادت له الجنسية العراقية، وخصصت له راتباً تقاعدياً. تنقل بين سوريا ومصر والمغرب والأردن، ثم استقر في دمشق بضيافة الرئيس الأسد، ومنح أعلى وسام. حتى توفي ودفن في دمشق. ألف العديد من الدواوين وكذلك عدة أجزاء من ذكرياته. يعاب على الجواهري تركيزه على الارتزاق في الشعر حيث ألف قصائد المديح لجميع القادة الحزبيين والحكوميين في

العراق والعالم العربي: الملك فيصل، والزعيم قاسم، والرئيس البكر، والملا البرزاني، والرئيس الأسد، وغيرهم.

ـ الشاعر بدر شاكر السياب (1926 ـ 1964): ولد في البصرة. يعتبر مؤسس الشعر العربي الحديث مع الشاعرة العراقية (نازك الملائكة). درس الأدب العربي والإنكليزي في بغداد، واشتغل بالتعليم في أنحاء العراق. كان قريباً من الحزب الشيوعي، وبسبب ذلك سجن وطرد من عمله. عاش في الكويت ثم عاد إلى بغداد واشتغل في الصحافة، ثم رحَّب بجمهورية تموز 1958. لكنه عاش معذباً بسبب مضايقات اليساريين له بعد اختلافه معهم. في سنة 1962 أُدخل مستشفى الجامعة الأميركية ببيروت، ثم عاد إلى البصرة وظلّ إلى آخر يوم من أيامه يصارع الآلام إلى أن توفي في عز شبابه. أصدر عدة دواوين: أزهار ذابلة، أساطير، المومس العمياء، الأسلحة والأطفال، حفّار القبور، أنشودة المطر، المعبد الغريق، ومنزل الأقنان، شناشيل ابنة الجلبي، إقبال.

رائدات النهضة الحديثة



رغم عيوب (النهضة الحديثة) لكن لها أيضاً محاسنها، حيث إنها جهدت لتخليص المرأة العراقية من انطوائيتها (البيتوتية) التي دامت عدة قرون، ودفعها إلى مشاركة أخيها الرجل في الحياة العامة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً.

طبعاً مثل أية ظاهرة جديدة، هنالك دائماً رواد يبادرون لإنشائها. هذه جردة سريعة للشخصيات النسوية العراقية اللواتي لعبن أدواراً ريادية من أجل إبراز دور المرأة ومشاركتها في الحياة العامة جنباً إلى جنب مع أخيها الرجل العراقي:

ـ **الشاعرة نازك الملائكة (1923 ـ 2007)**: ولدت في بغداد (الكاظمية) من عائلة مثقفة، وتعتبر مع الشاعر السياب من مبدعي (الشعر الحديث) في خمسينيات القرن الماضي. درست التعليم وكذلك الموسيقى، ثم الأدب في إحدى جامعات أمريكا، ثم عملت بالتدريس الجامعي في بغداد والبصرة والكويت.عاشت في القاهرة منذ 1990 في عزلة اختيارية حتى توفيت هناك. لها مجموعات شعرية عديدة، وكذلك مؤلفات بالنقد الأدبي ومجموعة قصصية.

ـ **المغنية سليمة مراد (1901 ـ 1974)**: ولدت في بغداد من عائلة يهودية عراقية. تعد من قمم الغناء العراقي، وهي أول امرأة تأخذ لقب باشا بعد أن منحتها الحكومة الملكية هذا اللقب لأهميتها الفنية، وقد تعرفت بالشاعر عبد الكريم العلاف الذي كتب لها أجمل الأغاني منها (خدري الجاي خدري، وكلبك صخر جلمود، وعلى شواطئ دجلة أمر، ويا نبعة الريحان، والهجر..) وغيرها. كما كان يلحن لها صالح الكويتي، وكانت أول فنانة عراقية تأخذ الطائرة إلى باريس، وفي سنة 1936 كانت من أوائل المطربات اللواتي دخلن الإذاعة فقدمت العديد من الحفلات الغنائية، وكان لها منتدى أدبي في بيتها فيه كبار الشخصيات من الأدباء والشعراء ورجال السياسة، ورفضت الهجرة إلى إسرائيل وبقيت في العراق، وقد اشتهرت أيضاً لزواجها بالمغني العراقي (ناظم الغزالي) الذي كان يصغرها بسنوات عديدة، وبقيت وفية لذكراه بعد موته حتى توفيت في بغداد، وكانت من بين آخر اليهود الذين رفضوا الهجرة.

ـ **المغنية صديقة الملاية (1901 ـ 1969)**: ولدت في بغداد، اسمها الحقيقي فرجة عباس، ولكنها حملت لقب (الملاية) لأنها كانت تشتغل في البداية بقراءة المقتل الحسيني (ملاية)، وهي من أشهر المطربات وكانت أول مطربة عراقية غنت من دار الإذاعة العراقية عام 1936، سجلت عام 1923 مجموعة من الأسطوانات. كانت صديقة الملاية مطربة دائمة الحضور في (ملهى الشورجة). من أغانيها التي اشتهرت

بها والتي لا تزال تتردد على ألسنة العراقيين: (الأفندي) و(الجار خويه الجار) و(يا صياد السمك) و(فراقهم بكاني) و(على جسر المسيب).

ـ **الرسامة نزيهة سليم (1927 ـ 2008):** ولدت في تركيا من أبوين عراقيين موصليين، وهي أخت الفنان الشهير (جواد سليم). تخرجت في معهد الفنون الجميلة في بغداد، ثم سافرت إلى باريس لإكمال دراستها. ساهمت مع الفنان شاكر حسن آل سعيد ومحمد غني حكمت وجواد سليم، في تشكيل جماعة الفن الحديث عام 1953 ـ 1954. معظم أعمالها تجسد حال وواقع الحياة البغدادية من الناحية الاجتماعية والثقافية، وأظهرت فيها معاناة المرأة العراقية في المجتمع.

ـ **الشاعرة لميعة عباس عمارة:** ولدت عام (1929) في بغداد لعائلة صابئية عراقية مهاجرة من (العمارة) ولهذا حملت لقبها. اشتغلت بالتعليم، وتعتبر من أشهر الشاعرات العراقيات المحدثات، ولها دواوين بالشعر الفصيح والعامي. عاشت أغلب أيام غربتها في الولايات المتحدة بعد هجرتها من العراق في أواخر السبعينات.

ـ **السياسية نزيهة الدليمي (1923 ـ 2007):** ولدت في بغداد ودرست الطب، وهي أول امرأة تصبح وزيرة (البلديات) في العراق وفي العالم العربي، بل حتى بالنسبة لدول مثل سويسرا، حيث إن أول وزيرة أتت بعد أكثر من 20 عاماً. ساهمت في جهود إصدار قانون الأحوال الشخصية في العراق عام 1959 والذي اعتبر القانون الأكثر تقدماً في الشرق الأوسط، ولعبت دوراً إيجابياً في تشييد مدينة الثورة للمهاجرين، وقد أقيم لها تمثال في بغداد عام 2009.

ـ **الفنانة المسرحية زينب (1931ـ 1998):** ولدت في الكوت، ودرست التعليم والأدب العربي واشتغلت بالتدريس، وطردت من العمل بسبب ميولها الشيوعية. اشتهرت في مسرحية (آني أمك ياشاكر) عام 1958، وفي العديد من المسرحيات مثل (النخلة والجيران)، وكذلك بعض الأفلام العراقية مثل (سعيد أفندي) و(الحارس). تركت العراق عام 1979 وعاشت في سوريا وبلدان أخرى، ثم استقرت حتى توفيت في السويد.

رائدات الصحافة النسوية



الطريف ان صحيفة(فتاة الرافدين) البصرية، لم تنشر صورة واحدة لنساء عراقيات، بل كلهن اوربيات وامريكيات!؟

وهن العاملات في ميدان الصحافة سواء من احترفن الكتابة الصحافية أو اللواتي أصدرن مجلات دورية أو مطبوعات تمثل جمعيات أو مؤسسات صحية، فبرزت (سلوى زكو) و(جميلة يوسف) كصحافيات لامعات وكاتبات مقال في مجالات الدفاع عن أوضاع المرأة والقضايا السياسية.

ـ بولينا حسون: وهي من رائدات الصحافة النسوية العراقية، حيث أصدرت أول صحيفة نسوية يوم 15 تشرين الأول عام 1923 باسم (مجلة ليلى). وهي مجلة ذات طابع تربوي وعظي يحاول أن يحرّض المرأة للحصول على حقوقها وتعليمها.

ـ حميدة الاعرجي: اصدرت في عام 1936 مجلة (المرأة الحديثة)، وكانت تدعو إلى تحطيم القيود البالية وعدم التفريق بين الرجل والمرأة.

ـ حسيبة راجي: في نفس العام 1936 أصدرت مجلة (فتاة العراق)، ومحررتها (سكينة إبراهيم)، وهي مجلة تدعو إلى روح التجديد وإطلاق الأفكار الجريئة وتشكيل برلمان نسوي يتبنّى القضايا السياسية مثل قضية فلسطين والاستعمار البريطاني في العراق، ودعم نضال المرأة في العالم ودعوة النساء للعمل مع الرجل جنباً إلى جنب..

ـ مريم نرمة: اصدرت مجلة (فتاة العرب) سنة 1936 أيضاً التي اهتمت بقضية تعليم المرأة.

ـ نهاد الزهاوي: أصدرت مجلة (الصبح) في 21 آذار عام 1936.

ـ صدرت في البصرة مجلة (فتاة الرافدين) عام 1943..

ـ صدرت مجلة (تحرير المرأة) عام 1946 عن الرابطة النسائية.

ـ صدرت مجلة (الرحاب) عام 1946 لصاحبتها (أقدس عبد الحميد).

ـ صدرت مجلة الأم والطفل عام 1946 بإشراف الدكتورة (لمعان أمين زكي).

ـ في عام 1948 صدرت مجلة (بنت الرشيد)، ورئيسة تحريرها (درة عبد الوهاب).

ـ في عام 1950 صدرت مجلة (الاتحاد النسائي)، لصاحبتها (آسيا توفيق وهبي)، ثم توقفت وعاودت الصدور عام 1958.

ـ في عام 1968 صدرت مجلة (المرأة).

الخاتمة

مشاكل العراق، إحياء الهوية الوطنية!



إن هذا العرض الطويل والمختصر لتاريخ العراق منذ سبعة آلاف عام حتى العصر الحالي، يسمح لنا بتحديد المشاكل الأساسية التي يعاني منها..

إن أي شعب مثل الفرد، تتحكم به ناحيتان:

ـ الناحية الموضوعية الواقعية: وتتمثل بطبيعة المكان، الوطن وبيئته التي يعيش فيها، والبلدان المجاورة والمؤثرة.

ـ الناحية الذاتية الداخلية: وتتمثل بكيانه الداخلي وشخصيته وعقليته وقناعاته، أي دور النخب الثقافية والدينية والسياسية إذ هي التي تحدد مدى قدرته على تفهُّم محيطه وبيئته والتعامل معها بصورة: سلبية مدمرة، أو إيجابية مثمرة.

من الصعب ومن الخطيئة، التأكيد فقط على ناحية وتجاهل الثانية، بل إن الباحث الذكي هو من يجهد لاكتشاف التفاعل المرئي المعلن وكذلك الخفي غير الواعي، بين هاتين الناحيتين: الذاتية والواقعية.

دور النخب

إذا كان الفرد يقوده عقله (عقله وقناعاته)، فإن الشعب تقوده (نخبه) الدينية والسياسية والثقافية والاقتصادية، الحاكمة والمعارضة. في لغة التراث يقال: الراعي والرعية.. وفي العصر الحديث يقال: النخبة والشعب. علاقة (النخبة بالشعب) مثل علاقة (العقل بالجسم)، لكل منهما كيان ودور مختلفان، ولكن بتأثير وتفاعل متبادل.

هنالك تعريفات مختلفة لمفهوم (النخبة)، أما تعريفنا:

هي (الجماعات الأقلية) القادرة على التأثير في (الاغلبية) بمختلف الطرق المرئية والمخفية، العقلية والعاطفية، السلبية والايجابية، منها: الثقافي أو السياسي أو الديني أو المالي. في كل جماعة بشرية حتى في القرى النائية والعشائر البدائية، هنالك أقلية تؤثر في الاغلبية وتقودها بطريقة مباشرة وغير مباشرة: محاربون وإداريون وأغنياء وفقهاء وحكاوتية وشعراء ومطربون.. إلخ..

طبعاً (مفهوم النخبة) غير مرتبط بالقيمة الأخلاقية والضميرية، فحتى كبار الفاسدين والسرّاق والقتلة، يمكن اعتبارهم ضمن النخبة، ما داموا قادرين على

التأثير على الغالبية، سلباً وإيجاباً. إذن من الخطأ الحديث عن (الشعب)، بل الأصح والأوضح الحديث عن: (النُخب)، لأن (تقدم وتخلف الشعب) من (تقدم وتخلف نخبه) الحاكمة والمعارضة.

(النخبة) الاعلامية أخطر من الجيوش والشرطة!

إن تاريخ البشرية يكشف لنا أن جميع الدول والعقائد والمتغيرات المادية والروحية، ما ظهرت وفرضت نفسها إلاّ بفضل أقلية من الناشطين (النخبة). لهذا جهد الفاتحون والمحتلون الى السيطرة على (النخب) بمختلف طرق الكسب والقمع.

في العصر الحديث ظهرت (نخبة الاعلاميين) كأخطر وأسرع سلاح، مع الجيش والمخابرات، يتم استخدامه للسيطرة على أي شعب. يكفيك أن تمتلك (ألف اعلامي) كي تسيطر على عقول عشرات الملايين من الناس. إن أفظع مثال على هذا: (سياسة الاحتلال الامريكي للعراق عام 2003). تراهم قبل الاجتياح بعامين نشطوا بين الجاليات العراقية في المهجر ونظموا دورات تدريب الكوادر الاعلامية وإعدادهم لإدارة المواقع والفضائيات. لهذا فقد ترافق (الاجتياح العسكري) مع (اجتياح اعلامي) لا مثيل له في التاريخ: فوجئ العراقيون بزخم مذهل من عشرات بل مئات الفضائيات والمواقع الصحفية من كل نوع ولون، من التعصب الديني الى التعصب الشذوذي، أكثر بكثير من أي بلد ليبرالي في العالم! كل طائفة وجماعة وقومية وحزبية لها فضائيتها الخاصة بها. منذ الأيام الاولى تمكن الامريكان من تحويل الإنسان العراقي إلى (وحش تلفزيوني)، (بدنه) يعيش في الواقع و(روحه) في التلفزيون. حتى لو انفجرت قنبله بجنبه لن يتخلى عن معاينة الشاشة وتغيير القنوات.

منذ 2003 وحتى الآن هنالك فقط مجالان نشيطان: (الاعلام) و(النفط)! كل هذا من أجل (عيون النفط) كي يزداد استخراجه وسرقته، والعراقي المسكين يعيش بين القمامة، ويتلقى القنابل، وأبناؤه في سوح الحروب والهجرة. ثم فوق كل هذا أباحوا لفضائيات اتباع إيران، تعليم العراقي كيف يزحف في الأطيان ذلاً وعويلاً على الأئمة الذين قتلوا قبل 1400 عام!!

مشاكل العراق الحديث

إن مجريات تاريخ العراق الحديث منذ تأسيس دولته عام 1921، والكوارث المتلاحقة منذ عدة أجيال، دليل دامغ على (فشل نخبه) في تفهم واقعه والتعامل الذكي معه. ومن الخطيئة اصرار كل حزب أو طائفة أو قومية، بوضع المسؤولية على طرف، والتباكي من وضع الضحية. إن المشكلة الكبرى للنخب العراقية تكمن في تفاقم عمائها عن رؤية الواقع الوطني والمحيط، بسبب بقائها سجينة لعقائدها (الحداثية) و(الدينية). فهي إما أن تشاهد الواقع بعيون اوربية: (ماركسية وليبرالية وقومية عنصرية)، أو بعيون دينية: (السلف الصالح والجاهلية الاولى والشحن الطائفي)!

في الحقيقة إن (مشاكل العراق) طيلة تاريخه هي نفسها (أسباب غناه وتحضره): موقعه الاقليمي والعالمي، وثراؤه الطبيعي، وتنوع شعبه:

أولاً . خطورة موقع العراق شرق الاوسطي، وأهمية التحالف العربي

إن موقعه المركزي في وسط الشرق الاوسط، أخطر منطقة في العالم سابقاً وحالياً، لأنها تربط آسيا وأفريقيا واوربا. وهي موطن الحضارات والأديان، وحولها كانت ولا زالت تتمحور غالبية الصراعات الدولية.

لتبيان أهمية الموقع، لنتخيل لو كان العراق يقع في جنوب آسيا أو في أوربا، يقيناً كان قد اختلف شعبه وتاريخه تماماً. أو لو كان العراق ـ مثل إيران وتركيا ـ يتكون من هضبة عالية تحميها السلاسل الجبلية، لاختلف شعبه وتاريخه تماماً.

وكما تَوَضَّحَ سابقاً، فإن المحيط الاقليمي للعراق ينقسم الى جناحين مختلفين متناقضين:

ـ الجناح الشرقي والشمالي، المتمثل بهضبتين في (إيران) و(تركيا). وهو جناح إشكالي جداً، لأنه مختلف ثقافياً ولغوياً ونفسياً بسبب خصوصية البيئة الجبلية التي شجعت على اجتياح العراق وعموم المشرق واحتلاله خلال قرون طويلة.

ـ الجناح الغربي الجنوبي، المتمثل ببلاد الشام ومصر، والجزيرة العربية. وهو جناح ـ بيئياً وثقافياً وسكانياً ـ مشابه كثيراً لما هو عليه العراق وشعبه، وهنالك تقارب ثقافي ولغوي وعاطفي ومصالحي يجمع شعوبه، رغم الاختلافات السياسية. إن التاريخ يثبت أن أي ضعف وانقسام بين دول المشرق، لا بد أن يؤدي حتماً الى استفحال قوى الجيران الخطيرين: ايران والاناضول واسرائيل، وهذا هو الحاصل منذ تحطيم العراق عام 2003.

إن إصرار القوى الغربية ـ الأمريكية على احتلال العراق، ليس فقط بسبب النفط، بل خصوصاً لأنه البلد الأمثل لتحقيق مشروعهم السري (الذي أصبح الآن مفضوحاً)، بتدمير العالمين العربي والإسلامي، من داخلهما، من خلال تفجير الحرب الدامية: (السنيّة ـ الشيعية) على صعيد العراق والعالم الإسلامي. إذ يقع العراق بين (إيران

الشيعية) شرقاً، و(السعودية الوهابية، ودول الخليج) في الجنوب الغربي. كذلك ينقسم شعب العراق إلى حوالي نصفين: شيعة وسنّة. لهذا تراهم، بعد ان سلّموا الحكم الى أحزاب ايران، فتحوا حدود العراق لدخول (القاعدة) من افغانستان، ثم قاموا بصناعة (داعش) وسلموها (الموصل)[1].

الايرانيون واتفاقهم الغريب على حقهم باحتلال العراق!؟

يبدو ان الثقافة الوطنية العنصرية التي شاعت بين الايرانيين في العصر الحديث، قد رسخت في أذهانهم فكرة عنصرية وساذجة: إن العراق جزء طبيعي وتاريخي من ايران!؟ فحتى قادة النظام الاسلامي يحملون هذه القناعة، وهذه أمثلة حديثة:

((إن إيران اليوم أصبحت امبراطورية كما كانت عبر التاريخ وعاصمتها بغداد حالياً، وهي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا اليوم كما في الماضي... وإن جغرافية إيران والعراق غير قابلة للتجزئة وثقافتنا غير قابلة للتفكيك، لذا إما أن نقاتل معاً أو نتحد..))

علي يونسي، مستشار الرئيس الإيراني، حسن روحاني/ خطاب في منتدى «الهوية الإيرانية» في طهران/ صحافة: 2015.3.8

((على العراقيين أن يعملوا على الوحدة مع إيران لأسباب دينية وتاريخية... وأن يتخلصوا من العروبة المزيفة الجاهلية وتراب الذل العربي.. وتغيير ملابسهم بعيداً عن «الدشداشة والكوفية»))

من مقال بعنوان: الوحدة بين إيران والعراق / حسن هاني زادة، رئيس وكالة «مهر نيوز» الإيرانية/ صحافة: 18 ـ 3 ـ 2015

ثانياً، ثراء وبلاء البيئة العراقية

من حسن حظ العراق وكذلك من سوئه، أنه طيلة تاريخه ظل يتمتع بثراء طبيعي يمنحه الغنى والحياة، ولكنه أيضاً يجلب الطامعين والغزاة. وهو في العصر الحديث، يحتوي على ثروتين كبيرتين:

(1) ـ لقد فصلنا كاملاً هذا (المشروع الغربي ـ الصهيوني) بتدمير الإسلام من داخله، في كتابنا المعروف:
ـ المنظمات السرية التي تحكم العالم، سليم مطر.
توضيح مهم: إن موقفنا الدفاعي عن (التحالف العربي) ليس بدواع (قومية) بل (مصالحية). كذلك فيما يخص (الإسلام)، ليس بدوافع دينيّة أبداً، بل بدوافع (وطنية وواقعية)، لأننا نعتبر الدين، مثل اللغة، والتراث، والتاريخ، والثقافة الحديثة، من أهم مكونات (الهوية الثقافية الوطنية). نحن مع (إصلاح الدين) وليس مع (محاربته وتشويهه). كما نحن أيضاً مع إصلاح باقي مكونات الهوية والثقافة في الوطن وتخليصها من تطرفها.
ـ كانت (مسرحية الربيع العربي 2011) ذروة المشروع الغربي لتدمير وتأديب الدول العربية المارقة: سوريا وليبيا واليمن، وقبلها الجزائر وفلسطين ولبنان، ولم تنجُ مصر من بعض التخريب الارهابي رغم سلامها القديم مع اسرائيل (كامب ديفيد 1979).

ـ **الثروة المائية:** من المعلوم إن مياه الأمطار تشكل حوالي (30%) من موارد العراق المائية. وتشكل مياه الأنهار الممتدة من تركيا وإيران (70%) والمتمثلة خصوصاً بنهريه الوفيرين (دجلة والفرات) اللذين يسقيان سهوله الخصبة. ومن دون هذين النهرين، لما انوجد (العراق)، بفضلهما قامت الحياة واجتمع الناس، وتكونت الدول والحضارات. وأيضاً بسببهما حدثت الفيضانات والجفافات واجتياحات الغزاة، وقد وضَّحنا هذا طيلة فصول الكتاب.

لكن هنالك أيضاً جانب سياسي خطير في هذه الثروة، يتمثل باعتمادها الكامل على الجارتين (إيران) و(تركيا)، اللتين لا تكفّان عن ابتزاز العراق من خلال بناء السدود الكبرى التي تتحكم بمصادر المياه:

ـ من ناحية (تركيا) فإن نهري (دجلة والفرات) ينبعان منها. كذلك (الزاب الأعلى) الذي يغذي (دجلة)، و(الخابور) الذي يغذي الفرات. وتبلغ كمية المياه هذه حوالي 40% من مجمل الموارد المائية.

ـ من ناحية (إيران)، فإن الموارد المائية القادمة منها تمثل حوالي (35%) من معدل إيراداته السنوية البالغة تاريخياً بحدود (70) مليار متر مكعب: (الزاب الأصغر) و(ديالى) وعدة أنهار صغيرة، تصب في (دجلة)، ونهرا (الكارون) و(الكرخة) ويمران في (الأحواز) ويصبان في (شط العرب) الذي تحتل إيران ضفته الأحوازية.

ـ **الثروة النفطية:** وهي ثروة جديدة وخطيرة. إن النفط كان معروفاً منذ أيام السومريين، واسمه السومري ـ الأكدي: (نفط: نبتو)[2]، والكلمة لها علاقة بكلمة (نبت)؛ لأنه أيضاً

---

(2) ـ نفط: عُرِفَ النفط الخام في العراق القديم منذ أقدم الأزمان، ولكن لا يُمكن البت هل اُستعمل للإنارة؟، باستثناء بعَض الإشارات التي وردت في النصوص المسمارية إلى استعمال المشاعل التي يرجح أن النفط الخام أو (النفط الأسود) قد اُستعمل فيها.
كلمة «نفط» وردت في اللغة الآكدية (البابلية والآشورية) بصيغةٍ مُضاهية للعربية وهي «نبطو». كما يوجد فعِل «نباطو» (مثل مادة نبط العربية). عرف العرب كلمة نفط قديماً، إذ ورد في لسان العرب: « روى أبو حنيفة أن النفط هو الكحيل»؛ بالأكّادية «نبتو» والأرامية «نفتا». ومنها انتقلت إلى الإغريقية حيث اشتقّت كلمة (نفثا)، والتي كانت تستخدم في أواخر القرن التاسع عشر للإشارة إلى النفط بشكل عام؛ إلاّ أنّ دلالة كلمة نفثا تغيّر مع مرور الوقت، إذ يشير حالياً إلى مزيج خام من قطفات النفط يحصل عليه بعد إجراء تقطير أوّلي.
ـ معجم المساعد، أنستاس الكرملي، ج2، ص143
ـ كذلك ابحث عن دراسة: مُفردات سومرية أكدية آرامية لا زالت مستعملة في اللسان العراقي: (طلعت ميشو)

يخرج من الأرض، وكانت بعض منتجات النفط مثل (القير) تظهر بشكل طبيعي على سطح الأرض في مناطق الناصرية والبصرة وكركوك والقيارة، واستخدمه العراقيون طيلة التاريخ في تبليط شوارع مدينة بابل ونينوى ثم بغداد وغيرها. كما تم استخدام القير من قبل فلاحي العراق القدماء والحاليين في طلاء الزوارق في الأنهار والأهوار وبعض الأدوات المنزلية. وربما أيضاً في المشاعل.

في العصر الحديث، كان الألمان أول من حاول استكشاف النفط في العراق في الفترة (1860 ـ 1880) حيث استقدمهم والي بغداد العثماني (مدحت باشا) وقاموا بإنشاء مصفى في بعقوبة لتصفية النفط المستخرج من (مندلي). إن البحث الفعلي تم بعد الحرب العالمية الأولى والاحتلال البريطاني، حيث نصت اتفاقية سان ـ ريمو (1920) على أن تكون احتياطيات النفط المتوقع ظهورها في (بلاد ما بين النهرين) مشتركة بين فرنسا وبريطانيا العظمى.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، تم اكتشاف النفط بكميات كبيرة في أنحاء العراق مع ازدياد الطلب العالمي، ومع الزمن أصبح قطاع النفط هو المهيمن والحاسم في الاقتصاد العراقي وانحسرت بقية القطاعات إلى المرتبة الثانية، وظل النفط طيلة العصر الحديث وحتى الآن العامل الأول في كل المؤامرات والاجتياحات التي عانى منها العراق، ولو جمعنا وطرحنا فإن المحصلة النهائية إن العراقيين لم يكسبوا من الثروة النفطية غير الحروب والمؤامرات والخراب. لهذا منذ الغزو الأمريكي عام 2003 وحتى هذه اللحظة، القطاع الوحيد الذي بقي صالحاً وتطور، هو (قطاع النفط)! فمن عجائب الأمور أن الإرهابيين قد فجّروا كل شيء في العراق، حتى الأطفال والنساء والدكاكين والمدارس، إلاّ (آبار ومصافي النفط)، وكأنها محمية من قبل قوى سحرية (أو سريّة)!

كوارث البيئة العراقية

يمكن القول إن البيئة العراقية تعاني من نوعين من المشاكل، أولهما تلك التي تعاني منها البيئة في باقي بلدان المعمورة، مثل تلوث الأرض والمزروعات بالكيمياويات (المعقمات والأسمدة)، والكم الهائل من السيارات بما تجلبه من دخان وضجيج وزحام وحوادث، والنمو الهائل للمجمعات السكنية المحشورة بالملايين من

السكان من دون توفر الشروط الإنسانية والصحية، ومشكلة رمي الملوثات الكيميائية والصناعية في الطبيعة بسبب ضعف الرقابة وفساد الأوضاع، وغيرها من المشاكل البيئية المعروفة في العالم أجمع.

لكن بالإضافة إلى هذه المشاكل، يعاني العراق من أربع كوارث كبرى تجعل البيئة العراقية واحدة من أكثر بيئات العالم خطورة وخراباً وأذى للإنسان[3]:

جفاف النهرين، التلوث الحربي والإشعاعي، سرقة وتدمير الآثار، وموت بساتين النخيل..

من المعلوم إن الكوارث البيئية التي تصيب أوطان المعمورة، بعضها لأسباب طبيعية مثل الزلازل والفيضانات، وبعضها لأسباب بشرية مثل التصنيع الوحشي والتمدن السريع والسدود غير المدروسة والزراعة الكيميائية وتأثير الحروب، وغيرها. مما يثير الانتباه حقاً أن هذه الكوارث البيئية العراقية الأربع كلها نتيجة عوامل بشرية، بل الأنكى من هذا أنها عوامل سياسية مباشرة تكاد أن تكون خالية تماماً من العامل الطبيعي!!

1ـ جفاف النهرين: نتيجة ضعف الدولة العراقية وعدم رعايتها إدارة النهرين بالإضافة إلى جريمة تجفيف الأهوار من قبل نظام صدام، كل هذا شجَّع الدول المجاورة على أن تقيم المشاريع والسدود بصورة مخالفة لجميع الاتفاقيات والشرائع الدولية، لكي تستحوذ على الكم الأكبر من مياه النهرين.

2 ـ التلوث الحربي والشعاعي: بسبب الحروب والأسلحة الفتاكة مثل القنابل المشعة باليورانيوم المخصَّب وغيرها من المواد القاتلة التي رميت بمئات الآلاف من الأطنان في أرض العراق من قبل القوات الأمريكية خلال حروب عقدي التسعينات والألفين، بالإضافة إلى تلويثات تلك الآلاف من التفجيرات الإرهابية ودفن المواد الحربية والكيماوية بصورة مخالفة لكل الشروط المعروفة. لقد ارتفعت نسبة الملوثات في العراق 11 مرة مقارنة بعام 1987.

(3) ـ عن (خراب البيئة العراقية)، لا يحتاج أن نضع المصادر، لأن الموضوع مطروق بتفاصيله ودراساته ومواقعه العديدة. يكفي وضع العنوان (البيئة العراقية) حتى تظهر كل هذه المجالات.
إن أفظع دليل على (خراب ضمائر النخب العراقية) أكثر من (البيئة العراقية)، أنه فوق كل هذه الكوارث، قررت الحكومة العراقية عام 2015 إلغاء (وزارة البيئة العراقية) ودمجها في (وزارة الصحة)!!

3 ـ تخريب الثروة الآثارية: ليس بالصدفة ابدا، ان أول (انجاز حضاري!) للقوات الامريكية الغازية عام 2003: تدمير المتحف العراقي في بغداد، ثم تحويل (مواقع اور وبابل) الى معسكرات لجيوشهم. إن آثار العراق لا تمتلك فقط قيمة تاريخية ثقافية تراثية، بل تمتلك قيمة بيئية لو أخذنا بنظر الاعتبار أن هنالك أكثر من 30 ألف موقع أثري مكتشف في أنحاء العراق (بالإضافة إلى حوالي 70 ألفاً أخرى ما زالت لم تستثمر)، تمتد على مساحة آلاف الكيلومترات من الأراضي في الأنحاء كافة، بما فيها المناطق الجبلية في شمال الوطن. كل هذه المواقع الأثرية منذ أعوام التسعينات واندلاع الحروب تعرضت إلى التدمير الحربي والتخريب والسرقات المنظمة. ومع الغزو الأمريكي عام 2003 أخذ هذا التخريب بعداً وحشياً ودولياً منظماً ومقصوداً مع تدمير المتحف العراقي وسرقة آثاره.

4 ـ موت ثلثي أشجار النخيل: وهي اكبر ثروة زراعية للعراق، والشجرة المقدسة لدى للعراقيين منذ فجر التاريخ. بسبب حروب صدام ثم الإهمال والجفاف والأمراض تراجع عدد أشجار النخيل في العراق إلى أقل من 9 ملايين شجرة مقارنة بـ 33 مليوناً في الخمسينات. وبالصورة نفسها انخفض عدد المصانع التي تعالج التمر إلى ستة مصانع مقارنة بـ 150 مصنعاً قبل عام 2003، ويجرى حالياً تعبئة التمر العراقي في دولة الإمارات!

ثالثا، تنوع الشعب العراقي، قومياً ودينياً وعقائدياً

منذ نشوء الدولة العراقية وحتى الآن يعاني الشعب العراقي من ثلاثة انقسامات كبرى ظلت دائماً سبباً للتناحر والتدمير الذاتي: القومي (العربي ـ الكردي)، والطائفي (الشيعي ـ السني)، والعقائدي (الديني ـ الحداثي):

1ـ الانقسام القومي: كما بيّنا في الصفحات السابقة عن التنوع القومي في العراق، وخصوصاً الانقسام بين (العرب) الذين يشكّلون حوالي 75% وأكراد أكثر من 15%. لكن هذا الانقسام القومي، بدلاً من أن يكون عامل ثراء ثقافي وتنوع تراثي، فإنه تحول إلى عامل توتر وتشرذم، بسبب إهمال الدولة والنخب لـ (ثقافة الهوية الوطنية الجامعة)، وسيادة الثقافة القومية العنصرية (العروبية والكردوية). منذ تكوين الدولة العراقية قام الأكراد بتمردات مسلحة عديدة كلفت الآلاف من الضحايا، مطالبين بحقوق سياسية

وثقافية تصاعدت إلى درجة المطالبة بالانفصال في السنوات الأخيرة. ويتحمل العرب العراقيون هذا التطرف الكردي بسبب المبالغة بالميول العروبية العنصرية المحتقرة للتنوع القومي العراقي، بالإضافة إلى تناحرهم الطائفي الذي يضعفهم.

وقد لعبت أيضاً الدول المحيطة والعالمية، خصوصاً إيران وإسرائيل والاتحاد السوفيتي (سابقاً) وكذلك المعسكر الغربي أدواراً مختلفة في تأجيج التعصب القومي الكردي وتسليح الميليشيات ودفعها للمغالاة في مطالبها.

من أهم الاتفاقيات التي تم عقدها هي (اتفاقية الحكم الذاتي للأكراد أو بيان 11 آذار 1970)، لكن بضغط إيراني انفسخت الاتفاقية، مما اضطر العراق إلى أن يتنازل عن ضفة (شط العرب) في (اتفاقية الجزائر 1975) كي توقف إيران دعمها للتمرد المسلح. ثم فيما بعد، وبالتنسيق مع أمريكا، نجحت القيادات الكردية في أن تستحوذ بالأموال على قيادات المعارضة العراقية وتكسبها لصالح التحالف مع أمريكا، وصولاً إلى الكوارث المتتالية فيما بعد، مع استمرار الدور الأساسي لهذه القيادات في التدمير الحقود والعنصري للعراق.

هل صحيح إن الاكراد هم القومية الوحيدة المحرومة من الدولة!؟

القوميون الاكراد وأتباعهم من اليساريين يرددون هذه الحجة. لكن أي طالب ابتدائي يعرف جيداً انها غيرة صحيحة. فغالبية شعوب العالم متعددة القوميات، وهذه بعض الامثلة:

ـ ايران: فرس، وترك، وأكراد وبلوش، وعرب/ أفغانستان: بشتون، طاجيك، هزارا، بلوش، تركمان، اوزبك/ فرنسا: بروتون، اوكسيتان، الزاس، كورس/ سويسرا: المان، فرنسيون، ايطاليون/ روسيا: روس، تتر، اوكران/ الصين، هنالك حوالي عشر قوميات، كل منها تزيد على عشرة ملايين. هكذا غالبية دول العالم.

ثم هنالك سؤال مهم يفرض نفسه: الاكراد، ينقسمون الى كم (مجموعة لغوية) مختلفة: سوران، كرمنجية، زازائية، هومرية. أي إن خطر الانفصالات الداخلية وارد جداً، وإن تاريخ الصراع بين (أنصار الطالباني) و(أنصار البرزاني)، ليس ببعيد، ولا زالت النار تحت الرماد. ثم ما العلاقة الجغرافية والمصالحية والثقافية، بين أكراد العراق، وتركيا، وايران، وسوريا؟ أوضح مثال الصراع بين احزاب (أكراد العراق) و(أكراد تركيا). لنا على هذا، مثال الشعوب العربية، فرغم جميع النوايا الصادقة والعواطف الملتهبة التي رافقت تجارب الوحدة، إلاّ انها جميعها فشلت بسبب التمايزات التاريخية والسياسية والمصالحية.

إن بقاء الاكراد ضمن الدولة العراقية وكفاحهم المشروع من أجل حقوقهم ضمن الوطن العراقي، لهو أفضل وأضمن لهم من «شعارات» تجار الحروب وأتباع القوى الاجنبية، الكاذبة والدامية.

2. الانقسام الطائفي: نفس الحالة السلبية بالنسبة للتنوع المذهبي (الشيعي ـ السنّي)، فقد تحول إلى عامل انقسام وإضعاف للدولة والمجتمع وسبب للتدخل الخارجي الإيراني خصوصاً. إن المسلمين في العراق الذين يشكّلون أكثر من 90% من السكان منقسمون منذ قرون إلى طائفتين:

ـ الشيعة، بنسبة غالبة حوالي 55% من مجموع السكان، غالبيتهم الكبيرة عرب، ثم أقسام من التركمان والأكراد والشبك وجميع الفيلية.

ـ السنّة، بنسبة قد تزيد على 35% أكثرهم من العرب على المذهب الحنفي وكذلك الشافعي، ومعهم الأكراد الذين غالبيتهم سنّة شافعية (قادرية ونقشبندية) ثم كذلك أقسام من التركمان والشبك.

إن تاريخ العراق المتوتر، وخصوصاً (الصراع الإيراني الشيعي ـ العثماني السني) خلال القرون الأخيرة، أدى إلى عزل الشيعة عن الدولة واحتكار العرب السنّة لها. حيث إن تركيبة المجتمع هذه تتناقض تماماً مع تركيبة الدولة العراقية. فمثلاً، خلال ما يقرب من الأربعين عاماً من الدولة العراقية (1921 ـ 1958) من بين (575) منصباً وزارياً هناك فقط (159) للعرب الشيعة، والباقي للعرب السنّة وأقلية للأكراد والتركمان وغيرهم، ومن بين (58) رئاسة وزراء هناك (5) فقط للشيعة[4].

أما فترة حكم حزب البعث في السبعينات فقد تعمق هذا التمايز: مجلس قيادة الثورة المتكون من (15) عضواً جميعهم من العرب السنّة ومن المناطق الشمالية الغربية، ليس فيهم شيعي أو جنوبي واحد. أما القيادة القطرية لحزب البعث فتتكون من 16 عربياً سنياً، وكردي سني واحد، وعربي مسيحي واحد، وثالث عربي شيعي[5].

ويبدو أن حال الدولة بعد 2003 قد انقلب، فبسبب التوتر الطائفي وتدخل الدول المحيطة أصبح الشيعة والأكراد هم المتحكمين بقيادة الدولة رغم الإشراك الديمقراطي للسنّة وباقي الفئات. لكن المشروع الامريكي والايراني، يصر على استمرار الصراع الطائفي والقومي كي يبقى العراق ضعيفاً خاضعاً.

(4) ـ كتاب العراق: حنا بطاطو ـ الكتاب الأول ـ ص69، ثم ص219.
(5) ـ نفس المصدر ـ الكتاب الثالث ـ ص402، ثم ص394.

توزيع مناصب الوزراء في العهد الملكي (1921 ـ 1958)

السنَّة	المجموع الكلي	مناصب الشيعة	النسبة المئوية
1921 ـ 1932 (مرحلة الانتداب)	113	20	17.7
1932 ـ 1936	57	9	15.8
1936 ـ 1941 (مرحلة الانقلابات)	65	18	27.7
1941 ـ 1946(مرحلة الاحتلال البريطاني الثاني)	89	25	28.1
1947 ـ 1958	251	87	34.7
المجموع	575	159	27.7

لاحظ نسبة تمثيل الشيعة لا تعادل حتى عشر نسبتهم العددية! وفي الفترة الجمهورية والبعثية، قد ساءت الحالة أكثر. (عن كتاب العراق: حنا بطاطو ـ ج1 ـ ص69).

رابعاً، الانقسام الديني ـ الحداثي

سبق وأن وضحنا خطورة هذا الانقسام الذي بدأ منذ نهايات القرن التاسع عشر. حيث انقسم المجتمع العراقي، مثل باقي المجتمعات في العالم النامي والإسلامي والعربي، إلى تيارين متعارضين:

ـ تقليدي ديني يمثل الثقافة الدينية والشعبية الأصلية السائدة منذ قرون طويلة.

ـ حداثي متأثر بالثقافة الأوربية الأجنبية الغازية التي دخلت أولاً عن طريق الاستعمار والجيوش الغازية. ثم استمر عن طريق النخب الحداثية التي أعدَّها وثقفها أولاً المستعمرون.

وقد تمكن التيار الحداثي بشقيه اليساري والليبرالي من فرض سيطرته المطلقة على الدولة والمجتمع والأحزاب والثقافة في العراق حتى سنوات التسعينات. وكان (الحزب الشيوعي العراقي) أكثر الأحزاب تأثيراً في النخب المثقفة وعموم العقل العراقي، منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى نهاية (الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي) أعوام التسعينيات. وكان هذا الحزب متطرفاً في تقديسه للحداثة الأوربية

(باسم الشيوعية) واحتقاره العقائدي والثقافي المعلن لكل ما هو تاريخ وتراث ودين. وقد شاركته في هذا التدمير المنظم للهوية العراقية باقي (الأحزاب الحداثية: القومية والليبرالية) بدرجات مختلفة. وبلغ هَوَسَهُم التحديثي وانقطاعهم عن الواقع الوطني، أنهم باسم التحديث والتقدم والثورة والتحرر، خاضوا ضد بعضهم البعض أشرس الصراعات والانقلابات والديكتاتوريات والحروب الداخلية والخارجية، وتآمروا لصالح مختلف الدول الاقليمية والعالمية، مثل ايران وتركيا ومصر وليبيا، كذلك بريطانيا وامريكا وروسيا.

في نهاية السبعينات وبعد أن تَعَبَ هذا التيار الحداثي وَتَعَبَ الناس من مشاريعه الفاشلة، مع ظهور علامات الضعف على المعسكر الشيوعي العالمي، وفشل الأحزاب القومية والناصرية، بدأ التيار (المحافظ الديني) يبرز وينشط ويستعيد عافيته، ليس في العراق فحسب بل في عموم العالمين العربي والإسلامي. وقد نشط التيار الإسلامي في العالم من خلال (كفاح مجاهدي أفغانستان: 1978) ضد الاحتلال الروسي، وبروز (منظمة القاعدة: أسامة بن لادن 1988) بدعم رسمي من (المخابرات المركزية الأمريكية). ثم بدء الثورة الإيرانية عام 1977 وتأسيس الجمهورية الإسلامية عام 1979. كل هذا أضعف (التيار الحداثي اليساري والقومي) ليحل محله (التيار الديني) بمختلف تنوعاته المذهبية. بدأت الحركات الإسلامية الشيعية العراقية تكافح ضد السلطة البعثية الطائفية، بدعم (إيراني ـ سوري) رسمي. وبلغ نفوذ الإسلاميين ذروته بالسيطرة على الدولة والمجتمع بعد عام 2003، بالتعاون مع المحتل الأمريكي، وإيران.

* * *



إحياء الهوية الوطنية الجامعة



ما يثير الدهشة، أنه رغم هذه الانقسامات: (القومية، الطائفية، الحداثية) وهذه الكوارث المتلاحقة، إلاّ أن جميع الاحزاب الماركسية والقومية والدينية، متمسكة بعقائدها التقسيمية: القومية- الطائفية- التغريبية، وكلها مهما اختلفت فإنها تتفق على:

ـ تجاهل الهوية الوطنية العراقية، بل التثقيف برفض الحدود الحالية (التي يعتبرونها مصطنعة!)، وكل منهم يدعو الى إقامة إمبراطورية كبرى: (إسلامية: شيعية وسنية) و (قومية: عروبية وكردوية) و (حداثية: شيوعية وليبرالية)، أشبه بالديك الذي يشمخ فوق المزبلة صارخاً بالفحولة!

لكن كوارث الأجيال الأخيرة، بدأت بصورة بطيئة، تخلق ميلاً شعبياً ونخبوياً عاماً لدى جميع الطوائف والقوميات العراقية، يدعو إلى (الهوية الوطنية الجامعة)، وأن (المشاريع الخارجية المحتقرة للوحدة الوطنية) لم تجلب للعراقيين سوى التشرذم والخراب، وأن العراقيين بمختلف مكوناتهم القومية والدينية والطائفية يشكلون (أمة عراقية) هي أشبه بـ (البحيرة الكبرى التي تصب فيها أنهار وسواقي الفئات العراقية المختلفة)[6].

---

(6) ـ إن الأسس الفكرية والتحليلية لـ (ثقافة الهوية الوطنية العراقية) بدأت مع كتابنا (الذات الجريحة) الصادر عام 1997، وبعدة طبعات مستمرة، ثم مع مجلتنا (ميزوبوتاميا: بلاد النهرين) الصادرة في بغداد (2004 ـ 2014)، وباقي كتبنا وكتاباتنا عن الهوية.

أي القول بأنه من حق الكردي والتركماني والسرياني والشبكي واليزيدي والصابئي والأرمني، بالإضافة إلى الشيعي والسني، أن يعتز كل منهم بهويته القومية والدينية وخصوصيته المحلية، ولكن بنفس الوقت جميعهم يعتزون ويشعرون بالانتماء لهوية أكبر هي (الهوية العراقية المشتركة) التي تجمعهم وتحل الخلافات بينهم.

مرض التبعية للخارج: مشكلة النخب العراقية الاولى والكبرى في العصر الحديث!

في الحقيقة إن الشعب العراقي، مثل غالبية شعوب العالم، استقبل الكثير من الجماعات التي أتته بمختلف الطرق، هجرة وغزو وأسرى وعبيد وجوار.. الخ.. ولكن مشكلة الشعب العراقي، بسبب ضعف حدوده الجغرافية وإحاطته بدول قوية خصوصًا تركيا وايران، أدى بتنوعاته القومية والطائفية والحزبية، أن تكون أدوات بيد الجيران والقوى العالمية. مثلاً، لولا تدخلات ايران، لكانت مشكلة الشيعة في العراق قد انتهت أو خفّت الى حد كبير. كذلك مشكلة الأكراد، التي لا زالت تستخدمها عشرات الدول. بل إن الهوس (العروبي الوحدوي) لدى (السنّة) هو في الحقيقة وسيلة للاحتماء من الخطر الايراني الشيعي.

أما الاحزاب الحداثية العراقية، فهي جميعها مرتبطة بدولة ما: الشيوعيون قدّسوا روسيا، والصين، بل حتى البانيا وجزيرة كوبا! البعثيون، بقوا يحكمون العراق اكثر من أربعين عاماً وهم يقدِّسون أفكاراً ساذجة لمثقف ابتدائي اسمه (ميشيل عفلق) لمجرد أنه غير عراقي: (سوري مسيحي)!؟ بل إن الاحزاب العروبية والماركسية لم تترك جهة عربية لم تشتغل لها: سوريا فلسطين ليبيا مصر، حتى الكويت تمول أحزاباً في العراق! وبعد عام 2003 اختلط الحابل بالنابل، فأصبح الجميع يشتغل للجميع، فترى الحزب الواحد مهما كان دينياً أو يسارياً، وحتى قبل اعلان تأسيسه، يتعاقد مسبقاً مع عدة سفارات عربية وأجنبية!

إذن من اولى وأخطر القوانين والاعراف والاخلاق التي يجب أن تصدر وتشيع:

تحريم وتجريم أي جهة مهما كانت، من التعامل واستلام دعم من أي جهة خارجية، دون علم وموافقة الدولة.

إن (الهوية الوطنية) لا يمكن خلقها فقط بشعارات وقوانين، بل عبر مجموعة من الخطوات الثقافية والسياسية والدينية والقومية تشارك فيها جميع نخب الوطن، وأهم هذه الخطوات:

1 ـ نشر ثقافة الهوية والوحدة الوطنية: أن تتبنى جميع النخب والأحزاب موقفاً سياسياً وثقافياً ودينياً يعتبر الوحدة الوطنية والهوية المشتركة بين العراقيين أمراً مبدئياً ومدخلاً لجميع النشاطات والبرامج والشعارات. والاتفاق على مادة دراسية رسمية وإجبارية لكل المراحل الدراسية والجامعية اسمها (مادة الهوية الوطنية العراقية) تشرح الروابط التاريخية والإنسانية والثقافية والروحية بين العراقيين. كذلك تشجيع

تشكيل مؤسسات وجمعيات ثقافية ودينية للحوار والتقارب بين مختلف مكونات الأمة العراقية، الدينية، المذهبية، القومية.

2 ـ إعادة كتابة التاريخ الوطني: بما فيه تاريخ القوميات والطوائف والأديان والمناطق، بصورة تركز على الجوانب الوطنية الأخوية المشتركة، (إن كتابنا هذا بادرة أولى وتأسيسية لهذا الهدف).

3 ـ تشييد (عاصمة إدارية جديدة): مع الإبقاء على (بغداد) عاصمة سكانية وثقافية. مثلما هو الحال في الكثير من البلدان: تركيا والمغرب وهولندا وأمريكا، وغيرها، وتكون هذه العاصمة الجديدة رمزاً للعودة للهوية العراقية الأصيلة الجامعة، وتحمل اسم (بابل الجديدة ـ **New Babylon**)، ويتم الاتفاق الوطني على موقعها التوسطي.

4 ـ الاحتفال بمناسبات وطنية دينية وتاريخية مشتركة: منها مثلاً:

ـ مناسبة تأسيس أول دولة عراقية موحدة في التاريخ (دولة سرجون الأكدي ـ حوالي 2250 ق.م).

كذلك العمل على الاتفاق على أيام مشتركة للاحتفال بالمناسبات الدينية الإسلامية المشتركة مثل عيدي الفطر والأضحى والمولد النبوي ومولد الإمام علي.

ـ ذكرى اختيار (العراق: الكوفة) عاصمة الخلافة في عام 36 هـ، من قبل الخليفة (علي بن ابي طالب)، باعتباره أول خطوة لإحياء الدولة العراقية، بعد غياب دام أكثر من ألف عام حيث انتهت (بابل) في 539 ق.م

ـ ذكرى تأسيس بغداد في (762 م)، كتاريخ عودة العراق الى لعب دوره الحضاري السابق.

ـ ذكرى تأسيس أول دولة عراقية حديثة في 23 آب 1921، واختيار فيصل ملكاً على العراق.

ـ الاحتفال بـ (يوم الربيع العراقي) في 21 آذار، وهو يوم احتفل به العراقيون طيلة مراحل تاريخهم وإن كان بأسماء مختلفة: في بابل وآشور باسم (هيجتو ـ الحجة)، ولدى العباسيين ثم العثمانيين ثم الأكراد باسم (نيروز)، ولدى عرب العراق باسم

(دورة السنة). بالإضافة إلى احتفال جميع الفئات الدينية العراقية بيوم حلول الربيع، وإن كان بأسماء مختلفة وتواريخ قريبة جداً.

إضافة اسم (بلاد النهرين: ميزوبوتاميا: Mesopotamia) إلى تسمية (العراق)

لنا في هذا نماذج الكثير من بلدان العالم التي تحمل اسمين، منها (مصر) وهذه تسميتها العربية، و(Egypte) وهي تسميتها العالمية والتاريخية. كذلك (المغرب) بالعربي، و(Marocco) عالمياً. فإن مشكلة العراق أنه يعاني عالمياً من التجاهل في أصوله التاريخية الحضارية. فالعالم يعرف (سومر) و(بابل) و(آشور) و(كلكامش) و(نبوخذ نصر) و(سميراميس).. إلخ، أنها من بلاد (ميزوبوتاميا ـ Mesoptamia)، ولا يعرفون أنها نفسها (العراق). لهذا يصبح من الضروري أن يبقى (العراق) الاسم الرسمي المستخدم في اللغة العربية، مع إضافة بصورة ثانوية (بلاد النهرين) في المطبوعات الإعلامية والسياحية والمدرسية. أما على صعيد بلدان العالم (غير العربي)، فيتم إلغاء التسمية الشائعة حالياً (IRAQ)، وتحل محلها التسمية التاريخية المعروفة (MESOPOTAMIA) ويتم التعامل مع هذا الاسم من قبل السفارات في الخارج وفي جميع المطبوعات الرسمية غير العربية، ويمكن الاستفادة كثيراً من التجربة المصرية في هذا المجال.

5 ـ خلق تيار وسطي بين (مغالاة الدين) و(تطرف الحداثة): من أجل تخفيف حدة المواجهة بين الطرفين الحداثي والديني. فمن المعلوم إنسانياً وتاريخياً أنَّ هذا الانقسام بين (المحافظين) و(المجددين) هو أمر طبيعي في كل تاريخ البشرية، وحتى في داخل العائلة الواحدة. لكنه في المجتمعات المتوترة التي في طور الانتقال والتغيير يكون هذان التياران متطرفين متصارعين لا وسط ولا وسيط بينهما. أما في المجتمعات التي تمكنت من تجاوز المتغيرات الحادة وبلغت بعض الاستقرار والنضوج، فيكون هذان التياران هادئين ومتحاورين؛ لأن هنالك تياراً ثالثاً وسطياً يشكّل جسراً ووسيطاً بين الاثنين. فمثلاً في مجتمعات (الحضارة العربية الإسلامية) شاعت التيارات الثلاثة التالية[7]:

ـ تيار أهل العقل (البرهان والفلسفة) أمثال الفلاسفة والمعتزلة وإخوان الصفا.

(7) ـ من أشهر الكتب المعاصرة التي تناولت هذه الإشكالية، كتاب المفكر المغربي:
ـ نقد العقل العربي: محمد عابد الجابري.
وتحدث عن تيارات: البيان والبرهان والعرفان.
ثم كان رد المفكر السوري (جورج طرابيشي) على (الجابري) بعدة كتب تحليلية مهمة جداً، تحت عنوان:
ـ نقد العقل العربي: جورج طرابيشي.

ـ تيار أهل النقل (الأصولي السلفي): أهل الحديث والحنبلية وغيرهم.

ـ التيار الوسطي المنفتح على الاثنين: أهل (العرفان) والمتصوفة والأشعرية وغيرهم[8].

لهذا فإننا في المجتمع العراقي كما في باقي المجتمعات العربية والإسلامية، بحاجة إلى تيار وسطي: من ناحية يحترم الإيمان الديني والروحي والتراث الشعبي والوطني، ومن ناحية أخرى ينفتح على الحداثة الغربية بدون تقليد أعمى وتقديس لكل ما هو غربي حداثي.

6ـ نظام اللامركزية للمحافظات: إن الفيدرالية الحالية المعمول بها في العراق خطيرة؛ لأنها فيدرالية قائمة على أساس (التقسيم القومي: إقليم عربي وإقليم كردي)، وتفتح الباب أيضاً (للتقسيم الطائفي: إقليم شيعي وإقليم سني)، بل ربما أيضاً أقاليم تركمانية وسريانية ويزيدية، وغيرها.

لدينا نماذج بديلة إيجابية كثيرة، مثل (ألمانيا وسويسرا وأمريكا)؛ لأن فيدراليتها قائمة على أساس جغرافي إداري: (محافظات، مقاطعات، ولايات) وليس على أساس التقسيم القومي والديني. إن (لا مركزية المحافظات) تعني عموماً:

ـ إعطاء حرية أكثر للمحافظات بأن تخطط لسياستها المحلية الخاصة بها. مع الإبقاء على مركزية الجيش والأمن والخارجية، وأمور أخرى أساسية خاضعة للعاصمة.

ـ يتم اختيار قيادات الدولة والبرلمان على أساس الانتماء إلى المحافظات وليس على أساس الانتماءات القومية والطائفية.

ـ يكون تشكيل الأحزاب على أساس وطني شمولي بقيادات تمثل جميع محافظات

(8) ـ التيار الوسطي، نلاحظه أيضاً في المجتمعات الغربية الحالية، بين (التيار المادي العلمي) و(التيار الديني المسيحي)، فإنه يتمثل في معتقدات متفتحة وعامة مثل (الربوبية: Deism) و(اللادرية: Agnosticism) و(الروحانية: Spiritualitatem)..

أما بالنسبة للإسلام: فلنا مثال معاصر، هو المفكر المصري (محمد عمارة)، الذي ينتمي للمدرسة الوسطية ويدعو إليها، ويسميها (الوسطية الجامعة) التي تجمع بين عناصر الحق والعدل من الأقطاب المتقابلة فتكوّن موقفاً جديداً مغايراً للقطبين المختلفين. وإن الفقه الإسلامي وتطبيقاته فقه وسطي يجمع بين الشرعية الثابتة والواقع المتغير أو يجمع بين فقه الأحكام وبين فقه الواقع، ومن هنا فإن الله جعل وسطيتنا اختيارا إلهيًّا: ﴿ جعلناكم أمة وسطاً﴾ سورة البقرة آية 143.

الوطن، ويشيع رفض أخلاقي وقانوني للأحزاب القائمة على (جزء من الأمة)، مثل الطائفة والقومية وغيرها..

مثلاً، من المحتمل أن يمثل محافظة نينوى أشخاص بينهم وزير مسيحي ونائب شبكي، يحوزون على ثقة أهل المحافظة. نفس الحال ربما يمثل محافظة البصرة أشخاص بعضهم سني ومسيحي وصابئي... وهكذا. أي أن يعامل المسؤول على أساس انتمائه إلى المحافظة الفلانية وليس على أساس انتمائه للطائفة والقومية والدين الفلاني.

كركوك قلب العراق



قلعة كركوك التي شيدها الملك الاشوري (آشور نصر بعل) في القرن التاسع ق.م للحماية من غزوات بدو الجبال

إن (لا مركزية المحافظات) يمكن أن تكون أيضاً حلاً لمشكلة (كركوك) الغنية بالنفط والتي تطالب بها الأحزاب العنصرية الكردية؛ لأنها ستشكل لهم منقذاً اقتصادياً لمشروعهم الانفصالي. علماً بأن هذه المحافظة مقطونة بالتساوي تقريباً بين العرب والأكراد والتركمان، بل تعتبر تاريخياً مدينة تركمانية من حيث تاريخها المحلي في القرون الأخيرة، وإن التركمانية هي اللغة المستعملة بين مختلف القوميات في مدينة كركوك.

بل إن الوجود الكردي فيها يعود بغالبيته إلى أعوام الثلاثينات من القرن العشرين بعد استثمار نفط كركوك وهجرة العمال الأكراد إليها. والحل الوطني المعقول الذي يطالب به الفرقاء: أن تتمتع كركوك بنوع من الإدارة الذاتية مع الإبقاء على الارتباط الأساسي بالمركز في بغداد. وإن (حقوق الاكراد) لا تحتاج الى مشاريع أقاليم وانفصال، بل بإقرار وحدة الشعب العراقي، وحق جميع أطيافه بالتعبير عن خصوصياتها الثقافية والدينية، وحقها الكامل بالمشاركة في جميع أجهزة الدولة.

7ـ التأكيد على دور العراق الأساسي في الشرق الأوسط، والاستعانة بالجناح العربي: كما وضَّحنا طيلة الكتاب إن موقع العراق في وسط بلدان الشرق الأوسط، وإنه بلد خصيب وسهلي ومفتوح، قد جعله طيلة التاريخ محطة التقاء وبناء وصراع لشعوب المنطقة، وساحة للصراع طيلة التاريخ، بين دول الجارين المتنافسين: (الهضبة الإيرانية والهضبة الأناضولية). ثم أضيف إليها في العصر الحديث، دولة أخطر وأشرس هي (إسرائيل) الملزمة غربياً وأمريكياً بإضعاف وتدمير بلدان المنطقة ومنعها الأبدي من النهوض.

صحيح إن هذا الموقع الوسطي للعراق، كان من ناحية إيجابياً لأنه خلق هذا التنوع والثراء القومي والديني والمذهبي والثقافي لدى العراقيين، وكان سبب نبوغهم وإبداعهم الدائم، ولكنه أيضاً كان عاملاً سلبياً وسبباً للتوترات والغزو الدائم وتحول العراق إلى ساحة للتآمر والصراع بين الدول المحيطة. وما يزيد من حدة المشكلة أن جميع فئات الشعب العراقي مرتبطة كل منها بصور مختلفة بإحدى الدول المحيطة، إما قومياً أو دينياً ـ طائفياً، وكثيراً ما استخدمت الدول المحيطة علاقتها ونفوذها لدى هذه الفئات العراقية من أجل تغذية المنافسة والصراع بين العراقيين، ومع الدول المحيطة.

لهذا يتوجب على النخب العراقية أن تعترف وتنسق بين هذين الجانبين للعراق:

ـ نعم إن العراق (عربي)، ليس بالمعنى القومي العرقي، بل بمعنى الانتماء (الجغرافي ـ التاريخي ـ الثقافي) إلى (العالم العربي)، وإن له امتداداً طبيعياً وقومياً ومصلحياً مع السعودية وبلدان الخليج جنوباً، وبلدان الشام ومصر غرباً. وإن التعاون مع الجوار العربي، لا يكون بدوافع (قومية عروبية) بل بدوافع استراتيجية مصلحية، لحماية العراق من جبروت الجيران الخطيرين الطامعين: (إيران وتركيا وإسرائيل). وبنفس الوقت، يكون العراق سنداً لهذه الدولة العربية المجاورة من تهديدات تلك الدول الخطرة.

تحويل جامعة الدول العربية الى منظمة اقتصادية وثقافية، وإلغاء دورها السياسي!

إن تجارب التاريخ الحديث أثبتت خطأ (المشاريع السياسية والوحدوية) العربية. لهذا يتوجب تركيز الجهود على الجوانب (الاقتصادية والثقافية). وهذا يقتضي قبل كل شيء التغيير الجذري في (جامعة الدول العربية). لنا أفضل مثال تجربة (الاتحاد الاوربي) الذي بدأ كمنظمة اقتصادية تجارية كمركية[9].

ـ نعم إن العراق (شرق أوسطي) بمعنى أنه ينتمي واقعياً وجغرافياً وتاريخياً وسياسياً إلى محيطه (الشرق أوسطي)، ومن المستحيل تغيير حدوده، ومحتّم عليه أن يتعامل مع هذا الواقع بصورة عملية وعقلانية. صحيح أنه مضطر الى الحذر الحذر من هذه الدول الشرهة المجاورة، إلاّ أنه يتوجب عليه أيضاً أن يقيم علاقات إيجابية معها[10].

(الاعتراف والتصالح مع إسرائيل) مشكلة عراقية مصطنعة!

فغالبية الدول العربية الجارة لاسرائيل والمعنية مباشرة اعترفت وأقامت علاقة. حتى سوريا تعلن بصراحة أنها مع الصلح بشرط عودة الجولان المحتل. تركيا (الاخوان المسلمين) تقيم علاقات رسمية وحميمة. ثم إن الصلح مع اسرائيل لا يعني أبداً التنازل عن حقوق الشعب الفلسطيني: إما بـ (الدولة المستقلة) أو (دولة واحدة مشتركة للشعبين الفلسطيني واليهودي) على طريقة جنوب افريقيا[11].

ليس هنالك أي خيار مستقبلي أمام العراق غير أن تكافح نخبه وأحزابه سياسياً وثقافياً، وبالتنسيق مع نخب شعوب الشرق الأوسط، لخلق (تيار ثقافي ـ سياسي شرق أوسطي) شبيه بالتيار الأوربي الذي دفع نحو (الوحدة الأوربية). تيار يدعو إلى التقارب والتعاون والانفتاح السياسي والثقافي بين دول وشعوب الشرق الأوسط،

(9) ـ بدأ الاتحاد الاوربي في عام 1951 باسم (الجماعة الأوروبية للفحم والصلب) الذي ضم ألمانيا (الغربية)، فرنسا، إيطاليا ودول بينيلوكس (benelux) (بلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ). أول وحدة جمركية عرفت بالأصل باسم المؤسسة الاقتصادية الأوروبية (European Economic Community)، وتسمى في المملكة المتحدة بشكل غير رسمي بـ «السوق المشتركة»، تأسست في اتفاقية روما للعام 1957 وطبقت في 1 يناير كانون الثاني 1958. هذا التغيير اللاحق للمؤسسة الأوروبية يشكل العماد الأول للاتحاد الأوروبي. تطور الاتحاد الأوروبي من جسم تبادل تجاري إلى شراكة اقتصادية وسياسية.

(10) ـ حول التفاهم مع الدول المحيطة والخطرة تاريخيا على العراق، لدينا مثال: (مشروع الاتحاد الأوربي)، الذي قام في الأساس بمبادرة مشتركة من قبل أشد الدول عداء وحروباً بينها: فرنسا وألمانيا؛ لأنها أدركت بأن التقارب والتحالف أفضل طريقة لحل المشاكل وتخفيف التوترات وتجنب الحروب.

(11)ـ نحن مع الكثيرين من الفلسطينيين وخصوصاً اليساريين الذين يقولون باستحالة اقامة دولة فلسطينية مستقلة بسبب الموانع الجغرافية والاقتصادية والسكانية (المستوطنات اليهودية). لهذا فهم يرفعون شعار: (دولة واحدة لشعبين) والذي أشد ما تخشاه اسرائيل لأنها تصر على الابقاء على طابعها القومي العنصري.

وأن تكون (بغداد) مثل (بروكسل في أوربا)، عاصمة (شرق أوسط) مستقر ومسالم ومتضامن بل حتى موحد مثل أوربا! نعم إن استقرار العراق لا يتحقق إلاّ باستقرار الشرق الأوسط.

8 ـ تحريم وتجريم العنصرية، قانونياً وثقافياً وسلوكياً: كما هو حال غالبية دولة العالم: [12] مفهوم العنصرية: أن تحكم بالسلبية وتثقف بالكره ضد جميع الاشخاص الذين ينتمون لجماعة تاريخية طبيعية: بلد أو قومية أو دين أو طائفة أو طبقة. من المقبول ممارسة النقد والادانة ضد (جهة وفكرة سياسية، تنظيم أو دولة وعقيدة، وزعمائها)، مثلاً، ضد: امريكا، الرأسمالية، العروبة، الكردوية، اليهودية، المسيحية، ايران، الاسلام، أو التشيع، أو التسنن. ولكن أنت عنصري وتستحق العقاب القانوني، لو أعلنت وثقّفت بالعداء ضد أبناء هذه الجماعات، نافياً عنهم إنسانيتهم وتمايزهم الشخصي: الامريكيين، الرأسماليين، العرب، الاكراد، اليهود، المسلمين، المسيحيين، الايرانيين، الشيعة، السنّة. فمثلاً، نعم للعداء لدولة ايران وقادتها، وليس لشعوبها. نعم للعداء لدولة اسرائيل والصهيونية، وليس لليهود في أي مكان.

إن أخطر أنواع العنصرية، وأكثرها شيوعاً بين أمم العرب، هي: (العنصرية الذاتية) أي: احتقار الشعب لنفسه، وتقديس الشعوب القوية! أوضح مثال: قبل تحرر الافارقة من الاستعمار، كان الكثير منهم يعتقدون أنهم كي يكونوا بشراً يستحقون الحرية، عليهم أن يتحولوا الى بيض البشرة مثل أسيادهم الاوربيين! هكذا، أن تحتقر نفسك وميراثك وثقافتك وبلادك وحتى شكلك، تقديساً للشعوب المهيمنة.

منذ سنوات هنالك أطراف دولية تموّل وتدعم الجهات التي تقوم بهذه الحملات العنصرية الحقودة: (عنصريون أكراد وبربر وحداثيون، بالاضافة الى شيوخ السلفية والمتعصبين الشيعة)، ضد العراقيين والعرب والمسلمين. وهي تقوم بخلط متعمد، بين (العرب والمسلمين) مع (داعش والسلفية وقاطعي الرؤوس). مجرد حديثك

(12) ـ هنالك العديد من القوانين في العالم بشأن العنصرية، منها:
ـ إعلان بشأن العنصر والتحيز العنصري/ أقرته منظمة الأمم المتحدة للتربية في 1978
كذلك تعتبر (تونس) أول دولة عربية تصدر قانوناً ضد العنصرية:
ـ قانون أساسي عدد 50 لسنة 2018 مؤرخ في 23 أكتوبر 2018 يتعلق بالقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري.
وهنالك أيضاً بوادر لسن قوانين بهذا الشأن في السعودية والسودان ودول عربية اخرى.

عن (الحضارة العربية الاسلامية) و(تراث العراق العباسي)، يتم اتهامك بالدفاع عن الظلامية والتعصب والبدو الغزاة؟!

إن هذه القوى الدولية بدعمها للجهات العنصرية، تحضّر لحروب داخلية جديدة في مجتمعاتنا. إن جميع الحروب الداخلية والخارجية، يسبقها ويرافقها التثقيف العنصري وشحن الاحقاد. ولن يتحقق السلام في شعب العراق وشعوب المنطقة، مادامت الثقافة العنصرية شائعة ومتداولة من قبل الاعلام والمثقفين والنخب الحزبية والدينية. وهذه لن تتم مواجهتها الا بالثقافة الوطنية الانسانية واصدار القوانين المكافحة للعنصرية.



نصب: إنقاذ العراق، للفنان محمد غني حكمت